

رقدتهم لإرادة الله عز وجل أن يجعلهم آية وعبرة لمن شاء من خلقه ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها ولملئت منهم رعبا خوفا وقرأ أهل المدينة لملئت بالتشديد وقيل إنما ذلك من وحشة المكان الذي هم فيه وقال الكلبي لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم قال ابن عباس ليس ذلك لك قد منع الله من هو خير منك قال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا فقال اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عز وجل عليهم ريحا فأخرجتهم فلم يستطيعوا الاطلاع عليهم من الرعب وكذلك بعثناهم أي كما أمناهم في الكهف ومنعنا من الوصول إليهم وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان وثيابهم من العفن على مر الأيام بقدرتنا كذلك بعثناهم من النوم التي تشبه الموت ليتساءلوا بينهم ليتحدثوا ويسأل بعضهم بعضا قال قائل منهم يعني رئيسهم مكسلميما كم لبثتم في نومكم وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول نومهم ويقال إنه راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك قالوا لبثنا يوما لأنهم دخلوا الكهف غدوة فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم توقيا من الكذب وكانت قد بقيت من الشمس بقية ويقال كان بعد زوال الشمس فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم تيقنوا أن لبثهم أكثر من يوم أو بعض يوم فقالوا ربكم أعلم بما لبثتم ويقال إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم قال ذلك فابعثوا أحدكم يعني تمليخا بورقكم هذه إلى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة والدليل عليه أن عرفة بن أسعد أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأتى عليه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من

(5/170)

ذهب وفيه لغات بورقكم وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وخلف وورقكم بسكون الراء وإدغام القاف وهي قراءة أهل مكة وورقكم بفتح الواو وكسر الراء وهي قراءة أكثر القراء وورق مثل كبد وكبد وكلمة وكلمة والمدينة أفسوس فليظنر أيها أركى طعاما قال ابن عباس وسعيد بن جبير أحل ذبيحة لأن عامتهم كانوا مجوسا وفيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم قال الضحاك أطيب وقال مقاتل بن حيان أجود وقال يمان بن رباب أرفص قتادة خير قال عكرمة أكثر وأصل الزكاة الزيادة والنماء قال الشاعر قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع أركى من ثلاث وأطيب

(5/171)

فليأتكم برزق منه أي قوت وطعام وليتلطف وليترفق في الشراء وفي طريقه وفي دخول المدينة ولا يشعروا بكم أحدا من الناس أي ولا يعلمن أي إن ظهر عليه فلا يوقعن إخوانه فيما يقع فيه إنهم إن يظهروا عليكم فيعلموا بمكانكم

يرجموكم قال ابن جريج يشتموكم ويؤذوكم بالقول ويقال يقتلوكم ويقال كان من عادتهم القتل بالرحم وهو من أخبث القتل وقيل هو التوبيخ ويضربوكم أو يعيدوكم في ملتهم دينهم الكفر ولن تفلحوا إذا أبدا إن عدتم إليهم وكذلك أعرنا أي أطلعنا عليهم يقال عثرت على الشيء إذا اطلعت عليهم فأعثرت غيري إذا أطلعت له ليعلموا أن وعد الله حق يعني قوم تيدوسييس وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم قال ابن عباس تنازعوا في البنيان والمسجد قال المسلمون بنبي عليهم مسجدا لأنهم على ديننا وقال المشركون بنبي عليهم بنيانا لأنهم من أهل سنتنا وقال عكرمة تنازعوا في الأرواح والأجساد فقال المسلمون البعث للأرواح والأجساد و قال بعضهم البعث للأرواح دون الأجساد فبعثهم الله من رقادهم وأراهم أن البعث للأرواح والأجساد وقيل تنازعوا في قدر لبتهم ومكثهم وقيل تنازعوا في عددهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم يعني تيدوسييس الملك وأصحابه لنتخذن عليهم مسجدا وقيل الذين تغلبوا على أمرهم وهم المؤمنون وهذا يرجع إلى الأول سيقولون ثلثة وذلك أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد كانوا ثلاثة رابعهم كلهم وكان السيد يعقوبيا وقال العاقب كانوا خمسة سادسهم كلهم وكان نسطوريا وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلهم فحقق الله قول المسلمين وصدقهم بعد ما حكى قول النصارى فقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلهم ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجما بالغيب أي قذفا بالظن من غير يقين كقول الشاعر وأجعل مني الحق غيبا مرجما ويقولون سبعة وثامنهم كلهم وقال

(5/172)

بعضهم هذه الواو واو الثمانية إن العرب يقولون واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الأمر بالمعروف والناهون عن المنكر وقوله في صفة أهل الجنة حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقوله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثياب وأبكارا وقال بعضهم هذه واو الحكم والتحقيق فكانه حكى اختلافهم فتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حكم أن ثامنهم كلهم والثامن لا يكون إلا بعد السبع فهذا تحقيق قول المسلمين ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل قال قتادة قليل من الناس وقال عطاء يعني بالقليل أهل الكتاب يحيى بن أبي روق عن أبيه عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ما يعلمهم إلا قليل قال أنا من أولئك القليل وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وسارينوس وأنونس وروانونس ومشططيونس وهو الراعي والكلب واسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطي ودون الكردي وقال محمد بن المسيب القلطي كلب صيني و قال ما بقي بنيسابور محدث إلا كتب عني هذا الحديث إلا من لم يقدر له قال وكتبه أبو عمرو والحيري عني ولا تمار فيهم أي في عدتهم وشأنهم إلا مرء ظاهرا وهو ما قص عليه في كتابه من خبرهم يقول حسبك ما قصت عليك فلا تمار فيهم و لا تستفت فيهم منهم أحدا من أهل الكتاب ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى

أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ولبثوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدًا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع

(5/173)

هواه وكان أمره فرطًا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله قال ابن عباس يعني إذا عزمتم على أن تفعل شيئا غدا أو تحلف على شيء أن تقول إني فاعل ذلك غدا إن شاء الله وإن نسيت الاستثناء ثم ذكرته فقله ولو بعد سنة وهذا تأديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن المسائل الثلاثة أصحاب الكهف والروح وذي القرنين فوعدهم أن يخبرهم ولم يستثن عبد الله بن سعيد المقرئ عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتم إيمان العبد حتى يستثني في كل كلامه واذكر ربك إذا نسيت قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والحسن معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وقال عكرمة معناه واذكر ربك إذا غضبت حدثنا عبد الصمد بن حسان عن وهيب قال مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحك فيمن أمحك وإذا ظلمت فلا تنتصر فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك وقال الضحاك والسدي هذا في الصلاة لقول النبي صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها وقال أهل الإشارة معناه واذكر ربك إذا نسيت غيره لأن ذكر الله تعالى إنما يتحقق بعد نسيان غيره يؤيده قول ذي النون المصري من ذكر الله ذكرا على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء فإذا نسي في جنب ذكره كل شيء حفظ الله له كل شيء وكان له عوضا من كل شيء وقيل معناه واذكر ربك إذا تركت ذكره والنسيان هو الترك وقل عسى أن يهدينى ربي لأقرب من هذا رشدا أي يثبتني على طريق

(5/174)

هو أقرب إليه فأرشد وقيل معنا لعل الله أن يهدينى ويسددنى لأقرب مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون إن هو شاء وقيل إن الله تعالى أمره أن يذكره إذا نسي شيئا ويسأله أن يذكره فيتذكر أو يهديه لما هو خير له من تذكر ما نسيه ويقال إن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله تعالى أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج والبيان على صحة نبوته

وما دعاهم إليه من الحق ودلهم على ما سألوه ثم إن الله عز و جل فعل ذلك حيث آتاه من علم غيوب المرسلين وخبرهم ما كان أوضح في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقال بعضهم هذا شيء أمر أن

(5/175)

يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد ما نسيه فإذا نسي الإنسان فيؤتيه من ذلك وكفارته أن يقول عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا وليثوا يعني أصحاب الكهف في كهفهم قال بعضهم هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك وقالوا لو كان خبرا من الله عز و جل عن قدر لبثهم في الكهف لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه مفهوم وقد أعلم خلقه قدر لبثهم فيه هذا قول قتادة يدل عليه قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا في كهفهم وقال مطر الوراق في هذه الآية هذا شيء قالته اليهود فرده الله عليهم وقال قل الله أعلم بما لبثوا وقال الآخرون هذا إخبار الله عن قدر لبثهم في الكهف وقالوا معنى قوله قل الله أعلم أن أهل الكتاب قالوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمئة وتسع سنين فرد الله عز و جل ذلك عليهم وقال قل الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلم ذلك غير الله وغير من أعلمه الله ذلك وقال الكلبي قالت نصارى نجران أما الثلاثمئة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت الله أعلم بما لبثوا ثلاثمئة سنين مضاف غير منون قرأها حمزة والكسائي والباقون بالتنوين يعني وليثوا في كهفهم سنين ثلاثمئة وقال الضحاك ومقاتل نزلت وليثوا في كهفهم ثلاثمئة فقالوا أياما أو سنين فنزلت سنين فلذلك قال سنين ولم يقل سنة وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع يعني ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه بكل مسموع ما لهم أي لأهل السماوات والأرض من دونه من دون الله من ولي ناصر ولا يشرك في حكمه أحدا من الأصنام وغيرها واتل أي واقرأ يا محمد ما أوحى إليك من كتاب ربك يعني القرآن واتبع ما فيه لا مبدل لكلماته قال الكلبي لا مغير للقرآن وقال محمد بن جرير يعني لا مغير لما أوعد بكلماته أهل معاصيه والمخالفين لكتابه ولن تجد أنت من دونه إن لم تتبع

(5/176)

القرآن وخالفته ملتحدا قال ابن عباس حرزا وقال الحسن مدخلا وقيل معدلا وقيل موثلا وقال مجاهد ملجأ وأصله من الميل ومنه لحد القبر وأصبر نفسك الآية قال المفسرون نزلت في عيينة بن حصين الفزاري وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية وعنده بلال وصهيب وخباب وعمار وعامر بن فهيرة ومهجع وسلمان وعلى سلمان شملة قد عرق فيها وبيده خوصة يشتقها ثم ينسجها فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم أما يؤذيك ريح هؤلاء فوالله لقد آذانا ريحهم وقال نحن سادات مضر وأشرفها فإن أسلمنا أسلم الناس وإن أبينا أبى الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنج هؤلاء حتى نتبعك واجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا فأنزل الله عز و جل

واصبر واحبس نفسك مع الذين يدعون يعبدون ربهم ويوقرون ربهم بالغداة والعشي أي طرفي النهار يريدون وجهه يعني يريدون الله عز وجل لا يريدون عرضا من الدنيا والمراد منه الحسنه وترك الرباء قال قتادة يعني صلاة الصبح والعصر وقال كعب الأحبار والذي نفسي بيده إنهم لأهل الصلوات المكتوبة قال قتادة نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة وكانوا سبعمئة رجل فقراء لزموا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى قال قتادة فلما نزلت هذه الآية قال نبي الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم ولا تعد عينك لا تصرف ولا تجاوز عينك عنهم إلى غيرهم تريد زينة الحياة الدنيا يعني مجالسة الرؤساء والأغنياء والأشراف ومعنى الآية ولا تعد عينك عنهم مريدا زينة الدنيا حال خوضهم في الاستغفار لأنه حكم على النبي صلى الله عليه وسلم بإرادته الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا أي تركنا قلبه وأنسيناه ذكرنا قال أبو العالية يعني أمية بن خلف الجمحي وقال غيره يعني عيينة بن حصين واتبع هواه وكان أمره فرطا قال قتادة والضحاك ومجاهد ضياعا وقال داود ندما وقال

(5/177)

حباب هلاكا وقال ابن زيد مخالفا للحق وقال مقاتل بن حيان سرفا وقال الأخفش مجاوزا للحد وقال الفراء متروكا وقيل باطلا وقال أبو زيد البلخي قدما في الشر قال أبو عبيد هو من قول العرب فرس فرط إذا سبقت الخيل وفرط القول مني أي سبق وقيل معناه ضيع أمره وعطل أيامه قالوا ان المؤمن من يستعمل الأوقات ولا تستعمله الأوقات وقل الحق من ربكم الحق رفع على الحكاية وقيل هو رفع على خبر ابتداء مضمرة معناه وقل هو الحق من ربكم يعني ما ذكر من القرآن والإيمان وشأن محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو رفع على الابتداء وخبره في قوله من ربكم ومعنى الآية وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا أيها الناس من ربكم الحق وإليه التوفيق والخذلان وبيده الضلالة والهدى يهدي من يشاء فيؤمن ويضل من يشاء فيكفر ليس إلي من ذلك شيء ولست بطارد المؤمنين لكم فإن شئتم فأمنوا وإن شئتم فاكفروا فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم نارا أحاط بكم سرادقها وإن آمنتم وأطعتم فإن لكم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته

(5/178)

وقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ليس بترخيص وتخيير إنما هو وعيد وتهديد كقوله اعملوا ما شئتم قال ابن عباس من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وهو قوله وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إنا اعتدنا أعدنا وهيانا من العتاد وهو العدة للظالمين للكافرين نارا وفيه دليل على أن النار مخلوقة لأنها لو لم تكن مخلوقة موجودة معدة لكان المخبر كذابا وتعالى الله عن ذلك وقوله أحاط بهم سرادقها روى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سرادق النار أربعة جدر كنف كل واحد مسيرة أربعين سنة

وقال ابن عباس هو حائط من نار الكلبي هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقال القتيبي السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط قال رؤية يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود وقال سلامة بن جندل هو المدخل النعمان بيتا سماؤه صدور الفيول بعد بيت مسردق وهو هاهنا دخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الذي ذكره الله في سورة المرسلات انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب وإن يستغيثوا من شدة العطش يغاثوا بماء كالمهل روى أبو مسلم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بماء كالمهل قال كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه وقال ابن عباس ماء غليظ مثل دردي الزيت وقال الأعمش هو عصارة الزيت ومجاهد القيق والدم قال الضحاك المهمل ماء أسود وإن جهنم سوداء ماؤها أسود وشجرها أسود وأهلها سود وقال أبو عبيدة كل ما أذيب من جواهر الأرض وروى روح بن عبادة عن سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت له سقاية من ذهب وفضة فأمر بأخدود فخد في الأرض ثم قذف فيه من جزل الحطب ثم قذف فيه تلك السقاية فلما أزيدت وانماعت قال لغلامه ادع من بحضرتك من أهل الكوفة فدعا رهطاً فلما دخلوا عليه قال أترون هذا قالوا نعم قال ما رأينا في الدنيا شبيهاً بالمهمل أدنى

(5/179)

من هذا الذهب والفضة حين أزيد وانماع وقال سعيد بن جبير المهمل الذي قد انتهى حره وقال أبو عبيدة سمعت المنتجع بن نهان وذكر رجلاً فقال هو أبغض إلى من الطليا والمهمل فقلت له ما المهمل قال الملة التي تحدد من جوانب الرغيف من النار أحمر شديد الحمرة كأنها الرمانة وهي جمرة والطليا الناقة المطلية بالقطران يشوي الوجوه قال سعيد بن جبير إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فيأكلون منها فاختلست جلودهم ووجوههم فلو أن ماراً مر يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود بنس الشراب هذا وساءت النار مرتفقا قال ابن عباس منزلاً مجاهد معطاء مقراً وقيل مهاداً وقال القتيبي مجلساً وأصل المرتفق المتكأ يقال منه ارتفقت إذا اتكأت على المرتفق قال الشاعر قالت له وارتفقت ألا فتى يسوق بالقوم غزالات الضحى ويقال ارتفق الرجل إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم قال أبو ذؤيب الهذلي نام الخلي وبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح أي مقطوع من معتضده والصاب شجر إذا استؤصل خرج منه كهيئة اللبن وربما ترتفع منه تربة أي فطرة فيقع في العين فكانها شهاب نار وربما أضعف البصر ويجوز أن يكون قوله مرتفقا من الرفق والمنفعة إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ليس قوله إنا لا نضيع خيراً لقوله إن الذين آمنوا بل هو كلام معترض وخبر إن الأولى قوله أولئك لهم جنات عدن ومثله في الكلام كثير قال الشاعر إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم ومنهم من قال فيه إضمار فإن معناه إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجره بل نجازيه ثم ذكر الجزاء فقال أولئك لهم جنات عدن وهي الإقامة تجري من تحتهم

(5/180)

الأنهار يحلون يلبسون فيها من أساور وهو جمع الأسوار قال سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة من الأساور واحدا من فضة وواحدا من ذهب ووحدا من لؤلؤ ويواقيت من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وهو ما رق من الديباج وإستبرق وهو ما غلظ منه وقيل هو فارسي معرب متكئين فيها في الجنان على الأرائك وهي السرر في الحجال واحدها أريكة نعم الثواب وحسنت يعني الجنان مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لآحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكن هو الله ربى ولا أشرك برى أحدا ولولا صلى الله عليه وسلم إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسيانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك برى أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثلا رجلين الآية رجلين منصوب مفعول على معنى واضرب لهم مثلا كمثل رجلين نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل كان زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد ياليل وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وفي مشركي مكة وهذا مثل لعينة ابن حصين وأصحابه وفي سلمان وأصحابه شبههما برجلين من بني إسرائيل

(5/181)

أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل تملخوا والآخر كافر واسمه فطروس قال وهب قطرف وهما اللذان وصفهما الله في سورة الصافات وكانت قصتهما ما أخبرنا أبو عمرو الفراتي حدثنا محمد بن عمران حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حيان بن موسى حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال كان رجلا شريكين وكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل إنهما ورثاه عن أبيهما وكانا أخوين فاقتهما فعمد أحدهما فاشترى أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن كان فلان قد اشترى أرضا بألف دينار فإني أشترى منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار

(5/182)

ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال هذا إن فلان بنى دارا بألف دينار وإنني اشتريت منك دارا في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم تزوج بامرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال إن فلان تزوج امرأة بألف دينار وإنني أخطب إليك من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم اشتري خدما ومتاعا بألف دينار فقال إن فلان اشتري خدما ومتاعا بألف دينار وإنني اشتري منك خدما ومتاعا في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي هذا لعله ينالني منه معروف فجلس له على طريقه حتى مر به في حشمة فقام إليه فنظر إليه الآخر فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابتنني حاجة بعدك فأتيتك لتصيبني بخير فقال فما فعل مالك فقد اقتسمنا مالا واحدا فأخذت شطره وأنا شطره فقص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا أي بأنك تبعث وتجازي اذهب فوالله لا أعطيك شيئا فطرده فقضى لهما أن توفيا فنزل فيهما فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون إلى قوله فاطلع فراه في سواء الجحيم ونزلت واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين بستانين من أعناب وحفناهما أحطناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا يعني جعلنا حول الأعناب النخل ووسط الأعناب الزرع كلتا الجنتين أتت أعطت يعني أتت كل واحدة من الجنتين فلذلك لم يقل آتتا أكلها ثمرها تاما ولم تظلم منه شيئا أي لم ينقص وفجرنا خلالهما نهرا يعني شققنا وأخرجنا وسطهما نهرا وكان له يعني لفطروس ثمر يعني المال الكثير المثمر من كل صنف جمع ثمار ومن قرأ ثمر فهو جمع ثمرة مجاهد ذهب وفضة ابن عباس أنواع المال قتادة من كل المال وقال ابن زيد الثمر الأصل فقال لصاحبه المؤمن وهو يحاوره يجاوبه أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا يعني عشيرة ورهطا قال قتادة خدما وحشما وقال مقاتل ولدا تصديقه قوله تعالى إن ترني أنا أقل منك مالا وولدا ودخل جنته يعني فطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به ويريه إياها ويعجبه منها وهو ظالم لنفسه

(5/183)

بكفره فلما رأى ما فيها من الأنهار والأشجار والأزهار والثمار قال ما أظن أن تبعد هذه أبدا وما أظن الساعة القيامة قائمة آتية كائنة ثم تمنى على الله أمنية أخرى مع شكه وشركه فقال ولئن رددت صرفت إلي ربي فرجعت إليه في المعاد لأجدن خيرا منها أي من الجنة التي دخلها وقرأ أهل الحجاز والشام

منهما
على لفظ التثنية يعني الجنتين وكذلك هو في مصاحفهم منقلبا أي منزلا ومرجعا يقول لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل في الآخرة قال له صاحبه المسلم وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك يعني خلق أباك وأصلك من تراب ثم خلقك من نطفة يعني ماء الرجل والمرأة ثم سواك رجلا أي عدلك بشرا سويا ذكرا لكننا هو الله ربي يقول أما أنا فلا أكفر بربي ولكننا هو الله ربي قال الكسائي فيه تقديم وتأخير مجازه لكن الله هو ربي وقال الآخرون أصله لكن أنا فحذفت الهمزة طلبا للخفة لكثرة استعماله وأدغمت إحدى النونين في الأخرى وحذفت ألف أنا في الوصل وقرأ ابن عامر ويعقوب لكننا بإتيان الألف

بالوصل كقول الشاعر أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميدا قد تذريت السناما
ولا خلاف في إثباتها في الوقف ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت
ما شاء الله ما في موضع رفع يعني هي ما شاء الله ويجوز أن تكون في موضع
النصب بوقوع شاء عليه وقيل جوابه مضمرة مجازة ما شاء الله كان وما لا يشاء
لا يكون أخبرنا أبو عمرو الفراتي القاسم بن كليب العباس بن محمد الدوزي
حجاج أبو بكر الهذلي عن يمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة
إلا بالله لم يضره ثم قال إن ترني أنا أقل منك مالا وولدا أنا عماد ولذلك نصب
فعسى فلعل ربي أن يؤتيني في الآخرة خيرا من جنتك ويرسل عليها يبعث
على جنتك حسباناً من السماء قال قتادة والضحاك عذابا وقال ابن عباس نارا
وقال ابن زيد قضاء من الله عز وجل يقضيه قال الأخفش والقتيبي مرام

(5/184)

من السماء واحدها حسبانة فتصبح صعيدا زلقا قال قتادة يعني صعيدا أملس لا
نبات عليه وقال مجاهد رملا هايلا وترابا قال ابن عباس هو مثل الحزن أو يصبح
ماؤها غورا أي غائرا منقطعا ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي ولا الرشا والدلاء
والغور مصدر وضع موضع الاسم كما يقال صوم وزور وعدل ونساء نوح يستوي
فيه الواحد والاثان والمذكر والمؤنث قال عمرو بن كلثوم تظل جياده نوحا
عليه مقلدة أعتتها صفونا وقال آخر
هريقي من دموعهما سجاما ضباع وجاوبي نوحا قياما فلن تستطيع له طلبا بعد
ما ذهب ونصب وأحيط بثمره أي أحاط الهلاك بثمر جنتيه وهي جميع صنوف
الثمار وقال مجاهد هي ذهب وفضة وذلك أن الله أرسل عليها نارا فأهلكها وغار
ماؤها فأصبح صاحبها الكافر يقلب كفيه يصفق يده على الأخرى وتقلب كفيه
ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا على ما أنفق فيها يعني عليها كقوله ولأصلبكم في
جذوع النخل أي عليها وهي خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها خالية
من غرسها وبنائها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا قال الله عز وجل ولم
تكن له فئة أي جماعة ينصرونه من دون الله يمنعونه من عذاب الله وما كان
منتصرا ممتنعا منتقما هنالك يعني في القيامة الولاية لله الحق قرأ الأعمش
وحمزة والكسائي الولاية بكسر الواو يعني السلطان والأمر وقرأ الباقر بفتح
الواو من الموالة كقوله الله ولي الذين آمنوا وقوله ذلك بأن الله مولى الذين
آمنوا قال القتيبي يريد يتولون الله يومئذ ويؤمنون به ويتبرؤن مما كانوا
يعبدون وقوله الحق رفعه أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية وتصديقه
قراءة أبي هنالك الولاية الحق لله وقرأ الآخرون بالكسر على صفة الله كقوله
ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق وتصديقه قراءة عبد الله هنالك الولاية لله وهو
الحق فجعله من نعت الله هو خير ثوابا لأولياءه وأهل طاعته وخير عقبى لهم
في الآخرة إذا صاروا إليه والعقب العاقبة يقال هذا عاقبة أمره كذا وعقباه
وعقبه أي آخرة قوله واضرب

(5/185)

لهم مثل الحيوة الدنيا كمآء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن نجعل لكم موعدا ووضعت الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا صلى الله عليه وسلم إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا واضرب يا محمد لهم لهؤلاء المتكبرين المترفين الذين سألوا طرد الفقراء المؤمنين مثل الحياة الدنيا كمآء أنزلناه من السماء يعني المطر قالت الحكماء شبه الله تعالى الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر في موضع وحال كذلك الدنيا لا تبقى لأحد ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة وكذلك الدنيا ولأن الماء يفنى كذلك الدنيا تفنى ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبطل فكذلك الدنيا لا يسلم من آفاتها وفتنتها أحد ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعا مبقيا وإذا جاوز الحد المقدر كان ضارا مهلكا وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر اختلط به بالماء نبات الأرض فأصبح عن قريب هشيما قال ابن عباس يابسا قال الضحاك كسيرا قال الأخفش متفتتا وأصله الكسر تذروه الرياح قال ابن عباس تديره قال ابن كيسان تجيء به وتذهب قال الأخفش ترفعه وقال أبو عبيدة تفرقه القتيبي تنسفه وقرأ طلحة بن مصرف الآية فقال ذرته الريح تذروه ذروا وتذريه ذريا وأذرتة إذراء إذا أطارت به وكان الله على كل شىء مقتدرا قادرا المال والبنون التي يفخر بها عبيته وأصحابه من الأشراف والأغنياء زينة الحياة الدنيا

(5/186)

وليست من زاد القبر ولا من عدد الآخرة والباقيات الصالحات التي يعملها سلیمان وأصحابه من الموالي والفقراء خير عند ربك ثوابا وخير أملا أي خير ما يأمله الإنسان واختلفوا في الباقيات الصالحات ما هي قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يدل عليه ما روى مسلم بن إبراهيم عن أبي هلال عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ غصنا فحركه حتى سقط ورقه وقال إن المسلم إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تحاتت عنه الذنوب خذهن إليك أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن فهن من كنوز الجنة وصفايا الكلام وهن الباقيات الصالحات وقال عثمان ح وابن عمر وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح هي سبحان الله

(5/187)

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يدل عليه ما روى القاسم بن عبد الله العمري ومحمد بن عجلان عن عبد الجليل بن

حميد عن خالد ابن عمران أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على قومه فقال خذوا جنتكم قالوا يا رسول الله من عدو حضر قال بل من النار قالوا وما جنتنا من النار قال الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات مجنبات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات فليل والتسيح ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي فقال قل له الفني عند زاوية القبر فإن لي إليك حاجة قال فالتقيا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم ما تعد الباقيات فقال لا إله إلا الله والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فقال له سالم متى جعلت ولا حول ولا قوة إلا بالله قال ما زلت أجعله فيها قال فراجع مرتين وثلاثا فلم ينزع فقال سالم أجل فأثيت أبا أيوب الأنصاري فحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عرج بي إلى السماء فأريت إبراهيم عليه السلام فقال يا جبرئيل من هذا معك فقال محمد فرحب بي وسهل ثم قال مر أمتك فليكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وإن أرضها واسعة فقلت وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة إلا بالله وقال سعيد بن جبير وعمرو بن شرحبيل ومسروق وإبراهيم هي الصلوات الخمسة وهي الحسنات يذهبن السيئات وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هي الأعمال الصالحة لا إله إلا الله وأستغفر الله وصلى الله على محمد والصلوة والصوم والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع الحسنات التي تبقى

(5/188)

لأهلها في الجنة ما دامت السماوات والأرض وروى عطية عن ابن عباس قال هي الكلام الطيب وقال عوف سألت الحسن عن الباقيات الصالحات قال النيات والهمات لأن بها تقبل الأعمال وترفع قال قتادة هي كل ما أريد به وجه الله والله أعلم

ويوم نسير الجبال نزيلها عن أماكنها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو تسيير بالناء وفتح الياء الجبال رفعا على المجهول وترى الأرض بارزة ظاهرة كراي العين ليس عليها شجر ولا جبل ولا ثمر ولا شيء يسترها وقال عطاء ترى باطن الأرض ظاهرا قد برز الذين كانوا في بطنها فصاروا على ظهرها وحشرتناهم جمعناهم إلى الموقف للحساب فلم تغادر تترك ونخلف منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا يعني صفا صفا لأنهم صف واحد وقيل قياما يقال لهم يعني للكفار لفظه عام ومعناه خاص لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة يعني أحياء وقيل عراة وقيل عزلا وقيل فرادى بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا يعني القيامة قوله تعالى ووضع الكتاب يعني كتب أعمال الخلق فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ويقولون إذا رأوها يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من ذنوبنا قال ابن عباس الصغيرة التيسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والتخميش والقبل والمسيس والكبيرة الزنا والمواقعة إلا أحصاها قال ابن عباس عملها وقال السدي كتبها وأثبتها وقال مقاتل بن حيان حفظها وقيل عدها وقال إبراهيم ابن الأشعث كان

الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية قال ضجوا والله من الصغار قبل الكبار وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغائر الذنوب مثلاً فقال كمثل قوم انطلقوا يسيرون حتى نزلوا بفلاة من الأرض فانطلق كل رجل منهم يحتطب فجعل الرجل منهم يأتي بالعود ويحيى الآخر بعودين حتى جمعوا سواداً وأججوا وإن الذئب الصغير يجتمع على صاحبه حتى يهلكه ووجدوا ما عملوا حاضراً مكتوباً مثبتاً في كتابهم ولا يظلم ربك أحداً يعني لا ينقص ثواب أحد عمل خيراً قال الضحاك لا

(5/189)

يأخذ أحداً بجرم لم يعمله ولا يورث ذنب أحد على غيره وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقول جل ذكره مذكراً لهؤلاء المتكبرين ما أورث الكبر إبليس ويعلمهم أنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذي كان لأبيهم واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن اختلفوا فيه فقال ابن عباس كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلق الملائكة من نور غير هذا الحي وكان اسمه بالسريانية عزازيل وبالعربية الحرث وكان من خزان الجنة وكان رئيس ملائكة الدنيا وكان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض وكان من أشد الملائكة

(5/190)

حلماً وأكثرهم علماً وكان يسوس ما بين السماء والأرض فرأى بذلك لنفسه شرفاً وعظمة فذلك الذي دعاه إلى الكبر فعصى فمسخه الله شيطاناً رجيماً ملعوناً فإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمه وإن كانت خطيئته في معصية فارجه وكانت خطيئة آدم معصية وخطيئة إبليس كبراً وقال ابن عباس في رواية أخرى كان من الجن وإنما سمي بالجنان لأنه كان خازناً عليها فنسب إليها كما يقال للرجل مكى وكوفي ومدني وبصري أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن يعقوب السري عن يحيى بن عثمان بن زفر قال روى يعقوب القمي عن جعفر بن سعيد بن جبير في قوله عز وجل كان من الجن قال كان من الجنانيين الذين يعملون في الجنة وقال الحسن ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الأنس وقال شهر ابن حوشب كان إبليس من الجن الذين ظفر بهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء وقال قتادة جن عن طاعة الله تعالى ففسق عن أمر ربه يعني خرج عن طاعة ربه تقول العرب فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها ولذلك قيل لها الفويسقة وقيل هي من الفسوق وهي الاتساع تقول العرب فسق فلان في النفقة إذا اتسع فيها وما أصاب مالا إلا فسقه أي أهلكه وبذره والفاسق سمي فاسقاً لأنه اتسع في محارم الله عز وجل وهونها على نفسه أفتتخذونه يعني يا بني آدم وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو أعداء وقال الحسن الإنس من آخرهم من ذرية آدم والجن من آخرهم من ذرية إبليس قال مجاهد فمن ذرية إبليس لافيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفان ومرة وبه يكنى إبليس وزيلنون وهو

صاحب الأسواق يضع رايته بكل سوق من السماء والأرض والدثر وهو صاحب المصائب يأمر بضرب الوجه وشق الجيوب والدعاء بالويل والحرب والأعور وهو صاحب أبواب الزنا ومبسوط وهو صاحب الأخبار يأتي بها فيلقبها في أفواه الناس فلا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر

(5/191)

اسم الله عز وجل بصره من المقايح ما لم يرفع أو لم يحسن موضعه فإذا أكل ولم يذكر اسم الله عليه أكل معه وقال الأعمش ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهره فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم أذكر فأقول داسم داسم وروى مخلد عن الشعبي قال إني لقاعد يوما إذ أقبل حمال ومعه دن حتى وضعه ثم جاءني فقال أنت الشعبي قلت نعم فقال أخبرني هل لإبليس زوجة قلت إن ذلك لعرس ما شهدته قال ثم ذكرت قول الله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني فعلمت أنه لا يكون ذرية إلا من زوجة قلت نعم فأخذ دنه وانطلق قال فرأيت أنه مختاري قال ابن زيد إبليس أبو الجن كما إن آدم عليه السلام أبو الإنس قال الله تعالى لإبليس إني لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرات لك مثلها كلما ولد لآدم قال قتادة إنهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وما ولد لآدم ذرية إلا ولد له مثله فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به بئس للظالمين بدلا أي بئس البديل لإبليس وذريته من الله قال قتادة بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم طاعة إبليس وذريته ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موقفا ورأى المجرمون النار فظنوا صلى الله عليه وسلم أنهم موافعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شىء جدلا وما منع الناس أن يؤمنوا صلى الله عليه وسلم إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا صلى الله عليه وسلم آياتى وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا صلى الله عليه وسلم إذا أبدا وربك

(5/192)

الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ما أشهدتهم ما أحضرتهم يعني إبليس وذريته وقيل يعني الكافرين أجمع قال الكلبي يعني ملائكة السماوات وقرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بالنون والألف على التعظيم خلق السماوات والأرض فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم وأوامرهم فيها ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا أنصارا وأعوانا

ويوم يقول نادوا قرأ حمزة بالنون الباقون بالياء لقوله شركائي ولم يقل شركاءنا شركائي الذين زعمتم أنهم شركائي فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم يعني بين الأوثان وعبدتها وقيل بين أهل الهدى والضلالة موبقا قال عبد الله بن عمر هو واد عميق في جهنم يفرق به يوم القيامة بين أهل لا إله إلا الله وبين من سواهم وقال ابن عباس هو واد في النار وقال مجاهد واد من حميم وقال عكرمة هو نهر في النار يسيل

(5/193)

نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فإذا بادرت إليهم لتأخذوهم استغاثوا بالاحتحام في النار منها وقال الحسن عداوة وقال الضحاك وعطاء مهلكا وقال أبو عبيد موعدا وأصله الهلاك يقال أوبقه يوبقه إيباقا أي أهلكه ووبق يبق وبقا أي هلكة ويقال وبق يوبق وبق ويابق وهو وابق ووبق والمصدر وبق ووبوق ورأى المجرمون المشركون النار فظنوا أنهم مواقعوها داخلوها وقال مجاهد مقتحموها وقيل نازلوها وواقعون فيها وقرأ الأعمش ملاقوها يعني مجتمعين فيها والهاء الجمع ولم يجدوا عنها مصرفا وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنه مواقعها من مسيرة أربعين سنة ولقد صرفنا بينا في هذا القرآن للناس من كل مثل ليتذكروا ويتعظوا وكان الإنسان أكثر شيء جدلا خصومة في الباطل يعني أبي بن خلف الجمحي وقيل إنه عام ليس بخاص واحتجوا بما روى الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه هو وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا تصلون فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك له ولم يرجع شيئا فسمعتة وهو يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلا وما منع الناس أن يؤمنوا يعني من أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى القرآن والإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ويستغفروا ومن أن يستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين يعني سنتنا في إهلاكهم أو يأتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس عيانا قال الكلبي هو السيف يوم بدر قال مجاهد فجأة ومن قرأ قبلا بضمين أراد به أصناف العذاب وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين وبجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا يبطلوا وبزيلوا به الحق قال السدي ليفسدوا وأصل الدحض الزلق يقال دحضت رجله أي زلقته وقال طرفة أبا منذر رمت الوفاء فهبته وحدث كما حاد البعير عن الدحض

(5/194)

واتخذوا آياتي وما أنذروا فيه إضمار يعني وما أنذروا وهو القرآن هزوا استهزاء ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه فأعرض عنها لم يؤمن بها ونسي ما قدمت يدها أي عملت يدها من الذنوب إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه يعني القرآن وفي آذانهم وقرا ثقلا وصمما وإن تدعهم يا محمد إلى الهدى يعني إلى الدين فلن يهتدوا إذا أبدا لن يرشدوا ولن يقبلوه وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم

بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب في الدنيا بل لهم موعد وهو يوم الحساب لن يجدوا من دونه مؤثلاً معدلاً ومنجى قال الأعشى وقد أخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم ما يئثل أي لا ينجو وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا كفروا وجعلنا لمهلكهم موعداً أجلاً وإذ قال موسى لفتاه لا صلى الله عليه وسلم أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً فلما جاوزا قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً فوجدا عبداً من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدني صلى الله عليه وسلم إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قال فإن اتبعتنى فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرجتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً قال إن سألتك عن شيء بعد فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا حتى

(5/195)

إذا أتيا أهل قرية استطعماً أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصياً وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكواة وأقرب رحماً وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً وإذ قال موسى لفتاه الآية قال ابن عباس لما ظهر موسى عليه السلام وقومه علي مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله عز وجل أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه وذكر بما آتاهم الله عز وجل من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الأرض فقال وكلم الله نبيكم تكليماً واصطفاني لنفسه وألقى علي محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه ونبيكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرؤون التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عز وجل عليهم إلا ذكرها وعرفها إياهم فقال له رجل من بني إسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله قال لا فعتب الله عز وجل عليه حين لم يرد العلم إليه فبعث إليه جبرئيل فقال يا موسى وما يدريك أين أضع علمي بل إن لي عبداً بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه أن يريه إياه فأوحى الله عز وجل إليه أن ايت البحر فإنك تجد علي شط البحر حوتا فخذ فادفعه إلى فتاك ثم الزم شط البحر إذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح

وقال ابن عباس في رواية أخرى سأل موسى ربه فقال رب أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني فلا ينساني قال فأبي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال ربي فأبي عبادك أعلم قال الذي يبغي

(5/196)

علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى قال إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فادلني عليه فقال له نعم في عبادي من هو أعلم منك قال من هو قال الخضر قال وأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة وجعل الحوت له آية وقال إذا حي هذا الحوت وعاش فإن صاحبك هناك وكانا قد تزودا سمكا مالحا فذلك قوله عز وجل وإذ قال موسى بن عمران لفتاه صاحبه يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف وقيل فتاه أخو يوشع كان معه في سفره وقيل فتاه عبده ومملوكه لا أبرح لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين قال قتادة بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقال محمد بن كعب طنجة وقال أبي بن كعب أفريقية

(5/197)

أو أمضي حقبا وجمعه أحقاب دهرا أو زمانا وقال عبد الله بن عمر والحقب ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون سنة وقيل البحرين هما موسى والخضر كانا بحرين في العلم فحملا خبزا وسمكة مالحة وسارا حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلا وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئا إلا حي فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكنل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله عز وجل فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما يعني بين البحرين نسيا حوتهما تركا حوتهما وإنما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه فصرف النسيان إليهما والمراد به أحدهما كما قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من المالح دون العذب وإنما جاز ذلك لأنهما كانا جميعا تزودا لسفرهما فجاز إضافته إليهما كما يقال خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا معهم من الزاد كذا وإنما حملهم أحدهم لكنه لما كان ذلك من أمرهم ورأيهم أضيف إليهم فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا أي مسلكا ومذهبا يسرب ويذهب فيه واختلفوا في كيفية ذلك فروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصارت كوة لم تلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس رأى أثر جناحه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت لا يمس شيئا إلا يبس حتى صار صخرة وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رأسيهما فناما واضطرب الحوت في المكنل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا أمسك الله عز وجل عن الحوت جربة الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي فتاه أن يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتها حتى إذا كان من الغد فلما جاوزا قال موسى لفتاه أتنا غدا

وقال قتادة رد الله عز وجل إلى الحوت روحه فسرب من البحر حتى أفضى إلى البحر ثم سلك فجعل لا يسلك منه طريقا إلا صار

(5/198)

ماء جامدا طريقا يبسا وقال الكلبي توضع يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح في المكنل من ذلك الماء فعاش ثم وثب في ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه الماء ولا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب إلا يبس فلما جاوزا يعني ذلك الموضع قال موسى لفتاه أتنا أعطنا غداءنا طعامنا وزادنا وذلك أن يوشع بن نون رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى ليخبره بأمر الحوت فنسي أن يخبره فمكثا يومهما ذلك حتى صليا الظهر من الغد ولم ينصب موسى في سفره ذلك إلا يومئذ حين

(5/199)

جاوز الموضع الذي أمر به فقال لفتاه حين مل وتعب أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا أي شدة وتعبا وذلك أنه ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع إلى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر رأيت إذ أوتينا رجعا إلى الصخرة قال مقاتل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فإني نسيت الحوت أي تركته وفقدته وقيل فيه إضمار معناه نسيت أن أذكر أمر الحوت ثم قال وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره يعني أنسانيه ألا أذكره وقيل فيه تقديم وتأخير مجازه وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان واتخذ سبيله في البحر عجا يجوز أن يكون هذا من قول يوشع يقول اتخذ الحوت سبيله في البحر عجا وقيل إن يوشع يقول إن الحوت طفر إلى البحر فاتخذ فيه مسلكا فعجبت من ذلك عجا ويجوز أن يكون هذا من قول موسى قال له يوشع واتخذ سبيله في البحر فأجابه موسى عجا كأنه قال أعجب عجا وقال ابن زيد أي شيء أعجب من حوت كان دهرًا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال ابن عباس اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجا قال وهب ظهر في الماء من أثر جري الحوت شق وأخدود شبه نهر من حيث دخلت إلى حيث انتهت فرجع موسى حتى انتهى إلى مجمع البحرين فإذا هو بالخضر عليه السلام فذلك قوله قال موسى لفتاه ذلك ما كنا نبغي أي نطلب يعني الخضر فارتدا فرجعا على آثارهما قصصا يقصان الأثر يتبعانه فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر واسمه بليا بن ملكان بن يقطن والخضر لقب له سمي بذلك لما أخبرنا عبد الله بن حامد عن مكّي بن عبدان أخبرنا أبو الأزهر عن عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمي الخضر خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء قال عبد الرزاق فروة بيضاء يعني حشيشة يابسة و فروة قطعة من الأرض فيها نبات وقال مجاهد إنما سمي الخضر لأنه إذا صلى اخضر ما حوله وروى عبد الله بن المبارك عن ابن

(5/200)

جريح عن عثمان بن أبي سلمان قال رأى موسى الخضر عليه السلام على
طنفسة خضراء على وجه الماء فسلم عليه وقال ابن عباس عن أبي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسل
قال انتهى موسى إلى الخضر عليه السلام وهو نائم عليه ثوب مسجى فسلم
عليه فاستوى جالسا قال وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل قال موسى وما
أدراك بي ومن أخبرك أنني نبي بني إسرائيل قال الذي أدراك بي وذلك علي
وقال سعيد بن جبير وصل إليه وهو يصلي فلما سلم عليه قال وأنى بأرضنا
السلام ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء قال
الخضر يا موسى خطر بك أنك أعلم أهل الأرض ما علمك وما علم الأولين
والآخرين في جنب الله إلا أقل من الماء الذي حملته الخطافة فذلك قوله
تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال
له للعالم موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا صوابا قال إنك
لن تستطيع معي صبرا لأنني أعمل بباطن علم علمني ربي عز وجل وكيف
تصبر يا موسى على ما لم تحط به خيرا يعني على ما لم تعلم وقال ابن عباس
وذلك أنه كان رجلا يعمل علي الغيب قال موسى ستجدني إن شاء الله صابرا
ولا أعصي لك أمرا قال فإن أتبعني فلا تسألني عن شيء مما تنكر حتى أحدث
لك منه ذكرا حتى ابتدئ لك بذكره وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يطلبان
سفينة يركبانهما حتى إذا أصابها ركبا في السفينة فقال أهل السفينة هؤلاء
لصوص فأمر وهما بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكني
أرى وجوه الأنبياء وقال أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم
فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما دخلوا إلى البحر أخذ الخضر فأسا فخرق
لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى ثوبه وقال له أخرجتها لتغرق
أهلها وقرأ أهل الكوفة ليغرق بالياء المفتوحة أهلها برفع اللام على أن الفعل
لهم وهي قراءة ابن مسعود لقد جئت

(5/201)

شيئا إمرا أي منكرا قال القتيبي عجا والإمر في كلام العرب الداهية قال
الراجز قد لقي الأقران مني نكرا داهية دهياء إذا إمرا وأصله كل شيء شديد
كثير يقال أمر القوم إذا كثروا واشتد أمرهم قال العالم ألم أقل إنك لن
تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت أخبرنا أبو عبد الله بن
حامد الوراق عن حامد بن محمد قال قال أبو سعد بن موسى المرورودي
بيغداد وأخبرنا محمد بن أبي ناجية الاسكندراني عن سفيان بن عيينة عن عمر
بن

(5/202)

دينار عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت الأولى من أمر النسيان والثانية القدر ولو صبر موسى لقص الله علينا أكثر مما قص وقال أبي بن كعب أما إنه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام وقال ابن عباس معناه بما تركت من عهدك ولا ترهقني تعجلني وقيل لا تغشني من أمري عسرا يقول لا تضيق علي أمري وصحبتني معك فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما قال سعيد بن جبير وجد الخضر غلامنا يلعبون وأخذ غلاما طريفا وضيء الوجه فأضجه ثم ذبحه بالسكين وقال ابن عباس كان لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه وكان اسمه خش بود وقال شعيب الحياتي اسمه حيشور وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمى وقال الكلبي كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبويه ويحلفان دونه فأخذه الخضر فصرعه ثم نزع من جسده رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار فقتله أخبرنا عبد الله بن حامد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن عبد الله بن سليمان عن يحيى بن قيس عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فلما قتله قال له موسى أقتلت نفسا زكية أي طاهرة وقيل مسلمة قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان مثل القاسية والقسية قال أبو عمرو الزاكية التي لم تذب قط والزكية التي أذنت ثم تابت بغير نفس أي من غير أن قتلت نفسا أوجب عليها القود لقد جئت شيئا نكرا منكرا وقال قتادة وابن كيسان النكر أشد وأعظم من الإمر قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شيء بعدها أي هذه المرة فلا تصاحبني فارقتني قد بلغت من لدني عذرا في فراقني أخبرنا عبد الله بن حامد عن مكى بن عبدان عن عبد الرحمن بن بشير عن حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله

(5/203)

عليه وسل
إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب العجاب ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية قال ابن عباس يعني أنطاكية وقال ابن سيرين أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما أي ينزلوهما منزلة الأضياف وذلك أنهما استطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما أخبرنا عبد الله بن حامد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن عبد الله بن سليمان عن يحيى بن قيس عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فأبوا أن يضيفوهما قال كانوا أهل قرية لثاما وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها أي في القرية جدارا قال وهب كان جدارا طوله في السماء مئة ذراع يريد أن ينقض هذا من مجاز الكلام لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من ذلك كقول الله تعالى تكاد السماوات يتفطرن منه قال ذو الرمة قد كاد أو قد هم بالبيود وقال بعضهم إنما رجع إلى

صاحبه لأن هذه الحالة إذا كانت من ربه فهو إرادته كقول الله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب وإنما يسكت صاحبه وقال فإذا عزم الأمر وإنما يعزم أهله قال الحارثي يريد الرمح صدر أبي براء ويرغب عن دماء بني عقيل وقال عقيل

(5/204)

إن دهرا يلف شمل سليمى لزمان يهيم بالإحسان أن ينقض أي يسقط وينهدم ومنه انقضاض الكواكب وهو سقوطها وزوالها عن أماكنها وقرأ يحيى بن عمر يريد أن ينقاض أي ينقلع وينصدع يقال انقضت السن انصدعت من أصلها وقال بعض الكوفيين الانقياض الشق طولاً يقال انقاض الحائط والسن وطى البئر إذا انشقت طولاً فأقامه سواه قال ابن عباس هدمه ثم قعد بينه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار ودفعه بيده فاستقام قال موسى لو شئت لاتخذت وقرأ أبو عمرو لتخذت وهما لغتان مثل قولك اتبع و تبع و اتقى و تقى قال الشاعر وقد تخذت رحلي إلى جنب غرزها نسيفا كأفحوص القطاة المطرق وأنشد الزجاج في قوله لتخذت قول أبي شمام الصبابي تخذوا الحديد من الحديد معاولا سكانها الأرواح والأجساد عليه أي على إصلاحه وإقامته أجرا أي جعلاً وأجرة وقيل قرى وضيافة فقال الخضر عليه السلام هذا فراق بيني وبينك قرأ لاحق بن حميد فراق بالتنوين سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قال كعب كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة منهم يعملون في البحر وفي قوله مساكين دليل على أن المسكين وإن كان ملك شيئاً فلا يزول عنه اسم المسكنة إذا كانت به حاجة إلى ما هو زيادة على ملكه ويجوز له أخذ الزكاة وأخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن علي الحمشادي عن أحمد بن الحسين بن علي الرازي قال أبو الحسن أحمد بن زكريا المقدسي عن إبراهيم بن عبد الله الصنعاني عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال قلت لابن عباس قوله أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر كانوا مساكين والسفينة تساوي ألف دينار قال إن المسافر مسكين ولو كان معه ألف دينار فأردت أن أعيبها وكان وراءهم أي أمامهم وقدامهم كقوله تعالى من وراءه جهنم و من وراءهم برزخ أي أمامهم قال الشاعر أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

(5/205)

وقيل وراءهم خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون بخبره فأعلم الله الخضر عليه السلام بخبره ملك يأخذ كل سفينة غصبا أي كل سفينة صالحة فاكتفى بدلالة الكلام عليه يدل عليه ما روى سفيان عن عمر بن دينار عن ابن عباس أنه يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا فخرقها وعيبها لئلا يتعرض لها ذلك الملك واسمه جلندی وكان كافرا قال محمد بن إسحاق وكان اسمه منواه بن جلندی الأردني وقال شعيب الجبائي اسمه هدد بن بدد وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أي فعلمنا وفي مصحف أبي فخاف ربك أي علم ونظائره كثيرة وقال قطرب معناه فكرهنا كما تقول فرقت بين الرجلين خشية أن يقتلا وليست فيك خشية ولكن كراهة أن يقتلا أن

يرهقهما أي يهلكهما وقيل يغشاهما وقال الكلبي يكلفهما طغيانا وكفرا قال سعيد بن جبير خشينا أن يحملهما حبه على أن يدخلهما معه في دينه فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة صلاحا وإسلاما وأقرب رحما هو من الرحم والقراة وقيل هو من الرحمة يقال رحم ورحم للرحمة مثل هلك وهلك وعمر وعمر قال العجاج ولم تعوج رحم من تعوجا قال ابن عباس وأقرب رحما يعني وأوصل للرحم وأبر بوالديه قال قتادة أقرب خيرا وقال ابن جريح يعني أرحم به منهما بالمقتول وقال الفراء وأقرب أن يرحما له قال الكلبي أبدلها الله جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً فهدى الله عز وجل علي يديه أمة من الأمم وأخبرنا عبد الله بن حامد عن حامد بن أحمد قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن الحرث القاضي عن عبد الوهاب بن فليح عن ميمون بن عبد الله القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه في هذه الآية قال أبدلها جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريح أبدلها بسلام مسلم وكان المقتول كافرا وكذلك هو في حرف أبي فاما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وقال قتادة قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء

(5/206)

الله فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وأما الجدار فكان لعلامين يتيمين في المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما اختلفوا في ذلك الكنز ما هو فقال بعضهم صحف فيها علم مدفونة تحته وهو قول سعيد ابن جبير وقال ابن عباس ما كان الكنز إلا علما وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول مرفوعا في بعض الروايات أنه كان مكتوبا في ذلك اللوح تحت ما ذكر هذه الآيات يا أيها المهتم هما لا تهمة إنك إن تدركك الحمى تحم علوت شاهقا من العلم كيف تويقك وقد جف القلم وقال عكرمة كان ذلك الكنز مالا أخبرنا أبو بكر الحمشادي حدثنا أبو الحسن أحمد ابن محمد بن قيدوس الطرائقي عن عثمان بن سعيد عن صفوان بن صالح الثقفي عن الوليد بن مسلم عن يزيد بن يوسف الصنعاني عن يزيد بن أبي يزيد عن مكحول عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما صالحا واسمه كاشح وكان من الأتقياء ذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء وكان سياحا وأخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد عن بشر بن موسى عن الحميدي عن سفيان عن محمد ابن سوقة عن محمد بن المنكدر قال إن الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وعشيرته التي هو فيها والدويرات حوله فما يزالون في حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان إذا رأى ابنه قال أي بني لأزيدن صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك ويتلو هذه الآية وأخبرنا عبد الله بن حامد عن الحسين بن محمد بن

(5/207)

الحسين البلخي عن أحمد بن الليث بن الخليل عن عمر بن محمد قال حدثني محمد بن الهيثم ابن عبد الله الضبيعي عن العباس بن محمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن يحيى بن إسماعيل بن مسلمة ابن كهيل قال كانت لي أخت أسن مني فاختلطت وذهب عقلها وتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحها فمكثت بذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ باب بيتي يدق في نصف الليل فقلت من هذا قالت بحة قلت أختي قالت أختك فقلت لبيك وقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالبيت منذ أكثر من عشر سنين فقلت لها يا أخته خيرا قالت خير أتيت الليلة في منامي فقبل السلام عليك يا بحة فقلت وعليك السلام فقبل إن الله قد حفظ أباك إسماعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت دعوت الله لك فأذهب ما بك وإن شئت صبرت ولك الجنة فإن أبا بكر وعمر قد تشفعا لك إلى الله عز وجل بحب أبيك وجدك إياهما فقلت إن كان لا بد من اختيار أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة فإن الله عز وجل لواسع لخلقه لا يتعاضمه شيء إن يشأ يجمعهما لي فعلت فقبل لي قد جمعهما الله عز وجل لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر قومي فانزلي قال فأذهب الله ما بها فأراد ربك يا موسى أن يبلغا أشدهما أي يدركا شدتهما وقوتهما وقيل ثمانى عشرة سنة ويستخرجا كنزهما المكنوز تحت الجدار وما فعلته عن أمري برأيي ومن تلقاء نفسي بل فعلت عن أمر الله عز وجل ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا و اسطاع و استطاع بمعنى واحد ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا إنا مكنا له فى الارض وأتيناها من كل شىء سببا فاتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من

(5/208)

أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما أتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال أتونى صلى الله عليه وسلم أفرغ عليه قطرا فما اسطاعو صلى الله عليه وسلم أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هاذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا

(5/209)

ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا اختلفوا في نبوته فقال بعضهم كان نبيا وقال الآخرون كان ملكا عادلا صالحا أخبرنا أبو منصور الحمشادي أبو عبد الله محمد بن يوسف عن وكيع عن العلاء بن عبد الكريم قال سمعت مجاهدا يقول ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسلیمان وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في سبب تسميته بذو القرنين فقال بعضهم سمي بذلك لأنه ملك الروم وفارس وقيل لأنه كان في رأسه شبه القرنين وقيل لأنه رأى في منامه كأنه أخذ بقرني الشمس فكان تأويل رؤياه أنه طاف الشرق والغرب وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسناوان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لأنه كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لأنه إذا كان حارب قاتل بيده وركابه جميعا وقيل لأنه أعطي علم الظاهر الباطن وقيل لأنه دخل النور والظلمة إنا مكنا له في الأرض أوطانا له في الأرض فملكها وهديناه طرقها وأتيناه من كل شيء يحتاج إليه الخلق وقيل من كل شيء يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء سببا علما يتسبب به إليه وقال الحسن بلاغا إلى حيث أراد وقيل قرنا إليه أقطار الأرض كما سخرنا الريح لسليمان عليه السلام فأتبع سلك وسار وقرأ أهل الكوفة فأتبع ثم اتبع بقطع الألف وجزم الثاني لحق سببا قال ابن عباس منزلا وقال مجاهد طريقا بين المشرق والمغرب نظير قوله تعالى لعلني أبلغ الأسباب أسباب السماوات يعني الطرق حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة قرأ العبادلة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير والحسن وأبو جعفر وابن عامر وأيوب وأهل الكوفة حامية بالألف أي حارة ويدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد عن أحمد بن عبد الله بن سليمان

(5/210)

عن عثمان بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن سفيان بن الحسين عن الحكم ابن عيينة عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية

وقال عبد الله بن عمرو نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال في نار الله الحامية في نار الله الحامية فلولا ما يزعمها من أمر الله عز وجل لأحرقت ما على الأرض وقرأ الباقر حمئة مهموزة بغير ألف يعني ذات حمأة وهي الطينة السوداء يدل عليه ما روى سعد بن أوس عن مصرع بن يحيى عن ابن عباس قال أقرأنيها أبي بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغرب في عين حمئة وقال كعب أجدها في التوراة في عين سوداء فوافق ابن عباس أبو أسامة عن عمرو بن ميمون قال سمعت أبا حاضر أو ابن حاضر رجل من الأزدي يقول سمعت ابن عباس يقول إنني لجالس عند معاوية إذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت ما نقرؤها إلا

حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر وكيف تقرأها قال كما قرأتها يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فقلت في بيتي نزل القرآن فأرسل معاوية إلى كعب فجاءه فقال أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب قال أما العربية فأنتم أعلم بها وأما الشمس فإني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين قال فقلت لابن عباس لو كنت عندكما لانشدت كلاما تزداد به نصرة في قولك حمئة قال ابن عباس فإذن ما هو فقلت قول تبع قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا تدين له الملوك وتسجد بلغ المشارق والمغرب بيتغي أسباب أمر من حكيم مرشد فرأى معاد الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد قال فقال ابن عباس ما الخلب قلت الطين بكلامهم قال فما الثأط قلت الحمأة قال وما الحرمد قلت الأسود قال فدعا رجلا أو غلاما فقال اكتب ما يقول هذا وقال أبو العالية بلغني أن الشمس في عين تقذفها العين إلى المشرق ووجد عندها قوما يعني ناسا قلنا يا

(5/211)

ذا القرنين إما أن تعذب إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام وإما أن تتخذ فيهم حسنا أي تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم وتبصرهم الرشاد قال أما من ظلم أي كفر فسوف نعذبه نقتله ثم يرد إلى ربه في الآخرة فيعذبه عذابا نكرا منكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى قرأ أهل الكوفة جزاء نصبا منونا على معنى فله الحسنى جزاء نصب على المصدر وقرأ الباقون بالرفع على الإضافة ولها وجهان أحدهما أن يكون المراد بالحسنى الأعمال الصالحة والوجه الثاني أن يكون معنى الحسنى الجنة فأضيف الجزاء إليهما كما قال ولد دار الآخرة والدار هي الآخرة و ذلك دين القيمة وسنقول له من أمرنا يسرا أي نلين له القول ونهون له الأمر وقال مجاهد يسرا أي معروفا ثم أتبع سببا أي سلك طريقا ومنازل حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال قتادة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليهم بناء وأنهم كانوا في شرب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشتهم وحروثهم وقال الحسن كانت أرضهم أرضا لا تحتل البناء وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تهوروا في الماء فإذا ارتفعت عليهم خرجوا فتراعوا كما تراعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلع عليكم الشمس وأنتم بها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس وقالوا ما هذه العظام قالوا هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ها هنا فماتوا قال فذهبوا هاربين في الأرض قال قتادة ويقال إنهم الزنج وقال الكلبي هم تاريس وتاويل ومنسك عراة حفاة عمارة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم مجتمعون حوله فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقبل لي إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فاستأجرت رجلا فسرت بقية عشيتي وليتني حتى صبحتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه

(5/212)

ويجلس الأخرى قال وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم وقال جئنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فيينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي فوفعت فأفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي على الماء كهيئة الزيت وإذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت أدخلوني سربالهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس فينضج قوله تعالى كذلك اختلفوا فيه فقال بعضهم يعني كما بلغ مغرب الشمس فكذلك بلغ مطلعها وقيل أتبع سببا كما أتبع سببا وقيل كما وجد القبيلتين عند مغرب الشمس

(5/213)

وحكم فيهم كذلك وجد عند مطلع الشمس فحكم فيهم بحكم أولئك وقيل إن الله عز وجل لما قص عليه خبره قال كذلك أي كذلك أمرهم والخبر عنهم كما قصصنا عليك ثم استأنف وقال وقد أحطنا بما لديه يعني عنده ومعه من الملك والجيوش والآلات خبرا علما ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين بفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وعاصم الباقون بالضم قال الكسائي هما لغتان وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم قال عكرمة ما كان صنعة بني آدم فهو سد بفتح السين وما كان من صنع الله عز وجل فهو السد بالضم قال ابن عباس السدان أرمينية وأذربيجان وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف على معنى يفهمون غيرهم وقرأ الباقون يفقهون بفتح الياء والقاف أي ويعلمون ويفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين قيل كلمه عنهم قوم آخرون مترجمة وبيان ذلك في قراءة ابن مسعود لا يكادون يفقهون قولا قال الذين من دونهم يا ذا القرنين وقيل معناه لا يكادون يفقهون خيرا من شر ولا ضللا من هدى إن يأجوج ومأجوج قرأهما عاصم والأعرج مهموزين الباقون بغير همزة وهما لغتان قالوا وأصله من أجيح النار وهو ضوءها وشررها شهبها به في كثرتهم وشدتهم قال وهب بن منبه ومقاتل بن سليمان هم من ولد يافت ابن نوح وقال الضحاك هم جيل من الترك وقال كعب هم نادرة من ولد آدم من غير حواء وذلك أن آدم عليه السلام قال ذات يوم فاحتلم وامتزجت نطفته في التراب فلما انتبه أسف على ذلك الماء الذي خرج منه فخلق الله تعالى من ذلك الماء يأجوج ومأجوج وهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وقوله تعالى مفسدون في الأرض قال سعيد بن عبد العزيز فسادهم في الأرض أنهم كانوا يأكلون الناس قال الكلبي كانوا يخرجون إلى أرضهم أيام الربيع فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا شيئا يابس إلا احتملوه فأدخلوه أرضهم وقد لقوا منهم أذى

(5/214)

شديدا وقتلا وقيل معناه أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان عن عبد الله بن المبارك عن إبراهيم بن عبد الله النسوي محمد بن المصفي يحيى بن سعيد عن محمد بن إسحاق عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمئة ألف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح قيل يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز قيل يا رسول الله وما الأرز قال شجرة بالشام طول الشجر عشرون ومئة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومئة ذراع وصنف منهم يفرش أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمهم بالشام وساقاتهم بخراسان وبشربون أنهار المشرق وبحيرة الطبرية قال وهب بن منبه كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الإسكندر فلما بلغ وكان عبدا صالحا قال الله تعالى يا ذا القرنين إني باعتك إلى أمم الأرض وهي أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع أهل الأرض ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله وأمم وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج وأما اللتان بينهما طول الأرض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأما الأخرى فعند مطلعها يقال لها منسك وأما اللتان بينهما عرض الأرض فامة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين يا إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها بأي قوة أكابرههم وبأي جمع وبأي حيلة أكابرههم وبأي صبر أواسيهم وبأي لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأي سمع أسمع أقوالهم وبأي بصر أنقدهم وبأي حجة أخاصمهم وبأي عقل أعقل عنهم وبأي حكمة أدبر أمرهم وبأي قسط أعدل بينهم وبأي

(5/215)

حلم أصابرههم وبأي معرفة أفصل بينهم وبأي علم أتقن أمورهم وبأي يد أسطو عليهم وبأي رجل أطوهم وبأي طاقة أحصيههم وبأي جند أقاتلهم وبأي رفق أتألفهم وليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم بهم ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم وأنت الرؤوف الرحيم لا تكلف نفسا إلا وسعها ولا تحملها إلا طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها قال الله تعالى إني سأطوفك ما حملتك أشرح لك صدرك فتسمع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفهم كل شيء وأبسط لك لسانك فتتلق بكل شيء وأفتح لك سمعك فتعي كل شيء وأمد لك بصرك فتتقد كل شيء وأحصي لك فلا يفوتك شيء وأشد لك عضدك فلا يهولك شيء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء وأبسط لك من بين يديك فتسطو فوق كل شيء وأشد لك وطأتك فتهد كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك

(5/216)

شيء وأسخر لك النور والظلمة فأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحوصك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك انطلق يؤم الأمم التي عند مغرب الشمس فلما بلغهم وجد جمعا وعددا لا يحصيهم إلا الله عز وجل وقوة وبأسا لا يطيقهم إلا الله وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة فلما رأى ذلك كابرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاط بهم في كل مكان حتى جمعتهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم إلى الله عز وجل وعبادته فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأذانهم وأنوفهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فماجوا فيه وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجدد من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسهم من خلفهم والنور أمامهم يقودهم ويبدله وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل وسخر الله عز وجل له يده وقلبه وعقله ورأيه ونظره فلا يخطئ إذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه فإذا انتهى إلى بحر أو مخاصة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال البغال فنظمها في ساعة ثم حمل فيها جميع من معه من تلك الأمم والجنود فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها ثم دفع إلى كل رجل منهم لوحا فلا يثقله حمله فلم يزل ذلك دابه حتى انتهى إلى هاويل فعمل فيه كفعله في ناسك فلما خرج منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله في الأمتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أخذ ناحية الأرض اليسرى وهو يريد تاويل وهي الأمة التي بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها وجند منها كعمله فيما قبلها فلما فرغ منها عطف منها إلى

(5/217)

الأمم التي في وسط الأرض من الجن والإنس وبأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله تعالى ليس فيهم مشابه الإنس وفيهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحش كما يفترسها السباع ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات والبهائم والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله فليس لله تعالى خلق ينمي نماهم في العالم الواحد ولا يزدادون كزيادتهم فإن أتت مدة على ما ترى من زيادتهم ونمائهم فلا شك أنهم سيملؤون الأرض ويجلون أهلها منها ويظهرون عليها فيفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما أعدوا لي الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم وأعلم علمهم وأقيس ما بين جليلهم ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد ذكرهم وأثاهم يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا قال علي بن أبي طالب منهم من طوله شبر ومنهم من هو

مفرط في الطول لهم مخالبا في موضع الأظفار من بين أيدينا وأنياب
وأضراس كأضراس السباع وأنيابها يسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من
الإبل وكقضم البغل المسن أو الفرس القوي ولهم هلب من الشعر في
أجسادهم ما يواريهما وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم ولكل واحد منهم
أذنان عظيمتان أحدهما وبرة والأخرى زغبة يلتحف إحدهما ويفترش الأخرى
ويصيف في إحدهما وبشتو في الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف
أجله الذي يموت فيه ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى
يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت أنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فإذا
كان ذلك أيقن الموت وهم يرزقون السنين أيام الربيع كما يستمطر الغيث
لحينه

(5/218)

فيقذفون منه كل سنة واحدا فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من القابل فيعمهم
على كثرتهم وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الذئاب ويتسافدون
تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين منهم ذلك ذو القرنين انصرف إلى ما بين
الصدفين فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق
الشمس فوجد بعد ما بينهما مئة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له الأساس
حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخر وطينه
النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علاه
وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار
كأنه برد مخبر من صفرة النحاس وحمرة في سواد الحديد فلما فرغ منه
وأحكمه انطلق عامدا إلى جماعة الإنس فيبينا هو يسير إذ دفع إلى أمة صالحة
يهدون بالحق وبه يعدلون فوجد أمة مقسطة مقتصدة يقيمون بالسوية
ويحكمون بالعدل

ويتراحمون حالتهم واحدة وكلمتهم واحدة وأخلاقهم مشتبهة وطريقتهم
مستقيمة وقلوبهم متألفة وسيرتهم مستوية وقبورهم بأبواب بيوتهم وليس
على بيوتهم أبواب وليس عليهم أمراء وليس بينهم قضاة ولا بينهم أغنياء ولا
ملوك ولا أشراف ولا يختلفون ولا يتفاضلون ولا يتنازعون ولا يستبون ولا
يقتلون ولا يضحكون ولا يحدرون ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس وهم
أطول الناس أعمارا وليس فيهم مسكين ولا فقير ولا فظ ولا غليظ فلما رأى
ذلك من أمرهم عجب وقال أخبروني أيها القوم خبركم فإني قد أحصيت الأرض
كلها برها وبحرها وشرقها وغربها فلم أر أحدا مثلكم فخبروني خبركم قالوا نعم
فسلنا عما تريد قال خبروني ما بال قبوركم على أبواب بيوتكم قالوا عمدا فعلنا
ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا قال فما بال بيوتكم ليس عليها
أبواب قالوا ليس فينا متهم وليس فينا إلا أمين مؤتمن

(5/219)

قال فما بالكم ليس عليكم أمير قالوا لا حاجة لنا إلى ذلك قال فما بالكم ليس
فيكم حكام قالوا لا نختصم قال فما بالكم ليس فيكم أغنياء قالوا لا نتكاثر قال

فما بالكم ليس فيكم ملوك قالوا لا نفتخر قال فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون قالوا من ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال فما بالكم لا تقتتلون قالوا من أجل أنا شبنا أنفسنا بالأحلام قال فما بال كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة قالوا من قبل أنا لا نتكاثر ولا نتخادع ولا يغتال بعضنا بعضا قال فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم واعتدلت سيرتكم قالوا صحت صدورنا فنزع بذلك الغل والحسد من قلوبنا قال فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير قالوا من أجل أنا نقسم بالسوية قال فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ قالوا من قبل الذل والتواضع قال فما جعلكم أطول الناس أعمارا قالوا من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل قال فما بالكم لا تضحكون قالوا لا نغفل عن الاستغفار قال فما بالكم لا تحزنون ولا تحردون قالوا من قبل أنا وطننا أنفسنا للبلاء مذكنا وأحببناه وحرصنا عليه قال فما بالكم لا يصيبكم الآفات كما يصيب الناس قالوا لأننا لا نتوكل على غير الله ولا نعمل الأنواء والنجوم قال وهكذا وجدتم آباءكم يفعلون قالوا نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ويواسون فقراءهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويحلمون عمن جهل عليهم ويصلون أرحامهم ويؤدون أمانتهم ويحفظون وقت صلاتهم ويوفون بعهدهم ويصدقون في مواعيدهم فأصلح الله عز وجل بذلك أمرهم وحفظهم ما كانوا أحياء وكان حقا على الله أن يخلفهم في ذريتهم وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فتحفرونه غدا فيعيده الله عز وجل كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه إن شاء الله

(5/220)

غدا فيعود إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع فيها كهية الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عز وجل نغفا عليهم في أقبائهم فيقتلونهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتسكر سكرًا من لحومهم وروى محمود بن قتادة عن أبي سعيد الخدري أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله عز وجل وهم من كل حذب ينسلون فيغشون الأرض وينحاز المسلمون عنهم إلى حصونهم ومدائنهم حتى إن أولهم يمرون بالنهر من أنهار الأرض قال أبو الهيثم الدجلة فيشربون حتى يصير يابسة فيمر به الذين من بعدهم فيقولون لقد كان بهذا المكان ماء مرة حتى إذا ظهرنا على أهل الأرض قالوا هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم وبقي أهل السماء قال صلى الله عليه وسلم فيهم أحدهم حربته ثم يقذفها إلى السماء فترجع إليه مختنبة دما للفتنة بينا

(5/221)

هم كذلك إذ يبعث الله عز وجل عليهم دودا كنغف الجراد فيموتون موت الجراد فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا فيقولون هل من رجل يشتري لنا نفسه فينظر ما فعل هؤلاء القوم فينزل رجل منهم قد أيقن أنه مقتول فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي أصحابه أبشروا فقد كفاكم الله عز وجل عدوكم فيخرج المسلمون فيرسلون مواشيهم فيهم فما يكون لها رعى غير لحومهم وتكثر عليه كاحسن ما تكثر على شيء من النبات أصابته قط قال وهب إنهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءها ويأكلون دوابها ثم يأكلون الخشب والشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس في قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا لقرأ أهل الكوفة خراجا بالالف الباقون بغير ألف وهما لغتان بمعنى واحد وقال أبو عمرو بن العلاء الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أدأؤه على أن تجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا فلا يصلون إلينا قال لهم ذو القرنين ما مكنتي على الإدغام وقرأ أهل مكة ما مكنتي بنونين بالإظهار فيه ربي وقواني عليه خير ولكن أعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط والسد قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال أتوني زبر الحديد يعني أعطوني قطع الحديد واحدها زبرة فأتوه بها فبناه حتى إذا ساوى بين الصدفين وروى مسلم بن خالد عن سعيد بن أبي صالح قال بلغنا أنه وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى إذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان بضم الصاد والبدال وفتحهما وأمر بالنار فأرسلت فيه ثم قال انفخوا ثم جعل يفرغ القطر عليه فذلك قوله تعالى أتوني أفرغ أصب عليه قطرا وهو النحاس المذاب قال فجعلت النار تأكل الحطب ويصب النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس فما اسطاعوا أن يظهره وبعلاه من فوقه وما استطاعوا له نقبا من أسفله قال قتادة ذكر

(5/222)

لنا أن رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيتك قال ذو القرنين لما فرغ من بنائه يعني هذا السد هذا السد رحمة نعمة من ربي فلذلك لم يقل هذه فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء ملتزقة مستوية بالأرض من قولهم ناقة دكاء أي مستوية الظهر لا سنام لها ومن قرأ دكا بلا مد فمعناه مدكوك يومئذ وكان وعد ربي حقا

وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا عبادى من دونى صلى الله عليه وسلم أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا صلى الله عليه وسلم آياتى ورسلى هزوا إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدون فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مداما

لكلمات ربي لنفد البحر قيل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وتركنا بعضهم يعني الخلق يومئذ يموج يدخل في بعض ويختلط إنسهم جنهم حيارى ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً في صعيد واحد وعرضنا وأبرزنا جهنم يومئذ يعني يوم القيامة للكافرين عرضاً ثم وصفهم فقال الذين كانت أعينهم في غطاء غشاوة وغفلة عن ذكرى يعني الإيمان والقرآن وكانوا لا يستطيعون سمعاً أي لا يطيقون أن يسمعوا كتاب الله عز وجل ويتدبروه ويؤمنوا به لغلبة الشقاء عليهم وقيل لعداوتهم النبي صلى الله عليه وسلم أفحسب أفظن وقرأ عكرمة ومجاهد وعلي أفحسب

(5/223)

أي كفاهم ذلك الذين كفروا أن يتخذوا عبادي يعني عيسى والملائكة من دوني أولياء كلاب لهم أعداء ويتبرؤون منهم قال ابن عباس يعني الشياطين تولوهم وأطاعوهم من دون الله وقال مقاتل يعني الأصنام وسماهم عبادة كما قال في موضع آخر إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً يعني الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يتبعون به رباً فنالوا به هلاكاً وعطياً ولم يدركوا ما طلبوا كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً فخاب رجأؤه وخسر بيعه واختلفوا في الذين عنوا بذلك فقال علي بن أبي طالب هم الرهبان والقسوس الذين حسبوا أنفسهم في الصوامع وقال سعد بن أبي وقاص وابن عباس هم اليهود والنصارى نظيره عاملة ناصبة

(5/224)

تصلى ناراً حامية وروى سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل قال سأل عبد الله بن الكوا علياً عن قوله هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً قال أنتم يا أهل حروراء الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أي يظنون أنهم يفعلهم مطيعون محسنون أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت بطلت وذهبت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً قال أبو سعيد الخدري يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي في العظم عندهم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئاً فذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً حدثنا القاضي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن حبيب إملاء أبو بكر أحمد بن إسحاق ابن أيوب عن محمد بن إبراهيم يحيى بن بكير بن المغيرة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة اقرؤوا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان عن مكى بن عبدان عن عبد الرحمن بن بشر عن مروان ابن معاوية عن المغيرة بن مسلم عن سعيد بن عمرو بن عثمان قال سمعت عثمان بن عفان ح يقول الربا سبعون باباً أهونهن مثل نكاح الرجل أمه قال وأربي الربى عرض أخيك المسلم تشتمه قال ويؤتى يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكل الشروب الذي يشرب الظرف في

المجلس فيوزن فلا يعدل جناح بعوضة خاب ذلك وخسر ثم تلا هذه الآية فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا يعني سخرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا اختلفوا في الفردوس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعلاها الفردوس ومنها تفجر أنهار الجنة وفوقها عرش الرحمن فسלוه الفردوس وأخبرنا عبد الله بن حامد عن مكى بن عبدان عن مسلم بن الحجاج عن نصر بن علي

(5/225)

وإسحاق بن إبراهيم وأبي غسان واللفظ له قالوا قال أبو عبد الصمد قال عمران الجويني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جنات الفردوس أربع جنتان من ذهب أبنيتها وما فيهما وجنتان من فضة أبنيتها وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه وقال شهر خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها في كل يوم خميس فيقول ازدادي حسنا وطيبا لأولياي وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقال أبو أمامة الفردوس سررة الجنة وقال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس وفيها الأمور بالمعروف والناهون عن المنكر وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال كعب هو البستان فيه الأعناب وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الأشجار وقيل هي الروضة المستحسنة وقيل هي الأودية التي تنبت ضروبا من النبات وجمعها فراديس وقال أمية كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل خالدين فيها لا ييغون عنها حولا أي يطلبون عنها تحولا إلى غيرها وهو مصدر مثل الصعر والعوج قال مخلد بن الحسين سمعت بعض أصحاب أنس قال يقول أولهم دخولا إنما أدخلني الله أولهم لأنه ليس أحد أفضل مني ويقول آخرهم دخولا إنما أخرني الله لأنه ليس أحد أعطاه مثل الذي أعطاني قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الآية قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم أنا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم يقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فكيف يكون هذا فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر أي ماؤه قبل أن تنفذ كلمات ربي حكمه وعجائبه وقرأ أهل الكوفة قبل أن ينفذ بالياء لتقدم الفعل ولو جئنا بمثله مددا عونا وزيادة وفي مصحف أبي ولو جئنا بمثله مدادا ونظيرها قوله عز وجل ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآية قل إنما أنا بشر مثلكم قال ابن عباس نزلت في جندب بن

(5/226)

زهير العامري وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنني أعمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال أنس قال رجل يانبي الله

إنني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى مكاني فأنزل الله قل يا محمد إنما أنا بشر مثلكم خلق آدمي مثلكم قال ابن عباس علم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء ربه المصير إليه وقيل معناه يأمل رؤية ربه فالرجاء يتضمن معنيين الخوف والأمل قال الشاعر فلا كل ما ترجو من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع فجمع المعنيين في بيت واحد فليعمل عملاً صالحاً خالصاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً أي ولا يراء قال شهر ابن حوشب جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال أرأيت رجلاً يصلي يتغني وجهه الله عز وجل ويحب أن يحمد عليه ويصوم يتغني وجهه الله عز وجل ويحب أن يحمد ويتصدق يتغني وجهه الله ويحب أن يحمد عليه ويحج يتغني وجهه الله ويحب أن يحمد عليه فقال عبادة ليس له شيء إن الله عز وجل يقول أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كله ولا حاجة لي منه أخبرنا عبد الله بن حامد عن محمد بن عبد الله الجوهري عن حامد بن شعيب البجلي عن شريح بن يونس عن إسماعيل بن جعفر قال أخبرني العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء يوم يجازي الله الناس بأعمالهم أخبرنا عبد الله بن حامد عن مكى بن عبدان عن عبد الله بن هاشم عن عبد الرحمن عن سفيان عن سلمة قال سمعت جندياً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الله به ومن يراء يراء الله به وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال

(5/227)

الرياء يوم يجازي الله الناس بأعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي وإياكم وشرك السرائر فإن الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء ومن صلى يرأى فقد أشرك ومن صام يرأى فقد أشرك ومن تصدق يرأى فقد أشرك قال فشق ذلك على القوم فقال رسول الله أولاً أدلكم على ما يذهب عنكم صغير الشرك وكبيره قالوا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم وقال عمرو بن قيس الكندي سمعت معاوية بن أبي سفيان على المنبر تلا هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه الآية فقال إنها آخر آية نزلت من القرآن وروى سعيد بن المسيب عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى إلي أن من قرأ فمن كان يرجو لقاء ربه الآية رفع له نور ما بين عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة وأخبرني محمد بن القاسم عن محمد بن زيد قال أبو يحيى البراز عن أحمد بن يوسف عن محمد بن العلاء عن زياد بن قايذ عن سهل بن معاذ عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ أول سورة الكهف وأخرها كانت له نورا من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الأرض إلى السماء

(5/228)

سورة مريم
مريم مكية كلها وهي ثمان وتسعون آية تسع تسعون حجازي وسبعمائة واثنان وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة حرف وحرمان أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسن المقرئ غير مرة قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم وأبو الشيخ عبد الله بن محمد قالا قال أبو إسحاق إبراهيم بن شريك عن أحمد بن يونس اليربوعي عن سلام بن سليم المدائني عن عمرو بن كثير عن يزيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي من الأجر حسنة بعدد من صدق بذكرها وكذب به ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنة وبعدد من دعا لله ولدا وبعدد من لم يدع له ولدا بسم الله الرحمن الرحيم ك صلى الله عليه وسلم هب صلى الله عليه وسلم ص صلى الله عليه وسلم ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إنني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالى من ورأى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرابوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا قوله عز وجل كهيعص قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء ضده شامي وحمزة وخلف بكسرهما والكسائي بفتحهما ابن كثير وعاصم ويعقوب واختلفوا في معناها فقال ابن عباس هو اسم من أسماء الله عز وجل وقيل إنه اسم الله الأعظم وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم

(5/229)

السورة وقال علي بن أبي طالب وابن عباس هو قسم أقسم الله تعالى به وقال الكلبي هو ثناء أثنى الله عز وجل به على نفسه أخبرنا عبد الله بن حامد عن حامد بن محمد بن محمد قال أبو عبد الله محمد بن زياد القوقسي قال أبو عمار عن جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله عز وجل كهيعص قال الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقال الكلبي أيضا معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده ذكر رفع بكهيعص وإن شئت قلت هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا وفيه تقديم وتأخير معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته وزكريا فى موضع نصب وقرأ بعضهم عبده زكريا بالرفع على أن الفعل له إذ نادى دعا ربه فى محرابه حيث يقرب القران نداء خفيا دعاء سرا من قومه فى جوف الليل مخلصا فيه لم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل قال رب إنني وهن ضعف العظم مني واشتعل الرأس شيبا شمطا يقول

شخت وضعفت ومن الموت قربت ولم أكن بدعائك رب شقيا يقول يا رب
عودتني الإجابة فيما كنت تجيبني إذا دعوتك ولا تخيبي قوله وإني خفت
الموالي من ورائي قرأ عثمان ويحيى بن يعمر خفت بفتح الخاء والفاء وكسر
التاء مشددا الموالى بسكون الياء بمعنى ذهب الموالى وقلت الباكون خفت
بكسر الخاء وضم التاء من الخوف الموالى نصبا خاف أن يرثه غير الولد وقيل
خاف عليهم تديل دين الله عز وجل وتغيير أحكامه وأن لا يحسنوا الخلافة له
على أمته فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته والموالي بنو العم وقيل الاولي
والولي والمولى في كلام العرب واحد وقال مجاهد العصبه وقال أبو صالح
الكلالة وقال الكلبي الورثة من ورائي من بعد موتي وكانت امرأتي عاقرا لا تلد
فهب لي من لذك أعطني من عندك وليا ابنا يرثني ويرث وقرأ يحيى بن يعمر
ويحيى بن وثاب والأعمش وأبو عمرو والكسائي بالجزم فيهما على جواب
الدعاء وقرأ الباكون بالرفع على الحال والصفة أي وليا وارثا وقرأ

(5/230)

ابن عباس ويحيى بن يعمر يرثني وأرث من آل يعقوب النبوة يعني يرث النبوة
والعلم وقال الحسن معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة
وقال الكلبي هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وليس يعقوب أب يوسف واجعله
رب رضيا أي صالحا برا تقيا مرضيا وقال أبو صالح معناه اجعله نبيا كما جعلت
أباه نبيا أخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهاني وشعيب بن محمد البيهقي قالا
أخبرنا مكى بن عبدان عن أحمد بن الأزهر عن روح بن عباد عن سعيد عن
قتادة عن بشر بن نهيك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه
الآية يرثني ويرث من آل يعقوب يقول عند ذلك رحم الله زكريا ما كان عليه من
ورثة

(5/231)

قوله يا زكريا إنا نبشرك فيه اضمار وإختصار يعني فاستجاب دعاءه فقال يا
زكريا إنا نبشرك بغلام ولد ذكر اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال
قتادة والكلبي لم يسم أحد قبله يحيى وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وقال
سعيد بن جبير وعطاء لم نجعل له شبيها ومثله دليله قوله تعالى هل تعلم له
سميا أي مثلا وعدلا وهي رواية مجاهد عن ابن عباس وتأويل هذا القول أنه لم
يكن له مثل لأنه لم يهم بمعصيته قط وقيل لم يكن له مثل فى أمر النساء لأنه
كان سيذا وحصورا وقال علي بن أبي طالب عن ابن عباس لم تلد العواقر مثله
ولدا وقيل إن الله تعالى اشترط القبل لأنه جل ذكره أراد أن يخلق بعده من هو
أفضل منه وهو محمد عليه السلام وقيل إن الله تعالى لم يرد بهذا القول جميع
الفضائل كلها ليحيى وقيل إنما أراد في بعضها لأن الخليل والكم عليهما السلام
كانا قبله وكانا أفضل منه قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا أي
وامراتي عاقر كقوله كيف نكلم من كان فى المهد صبيا أي من هو فى المهد
صبي وقد بلغت من الكبر عتيا أي يبسا قال قتادة نحول العظم يقال ملك عات
إذا كان قاسي القلب غير لين وقال أبو عبيد هو كل مبالغ فى شر أو كفر فقد

عتا وعسا وقرأ أبي وابن عباس عسيا وقرأ يحيى بن وثاب وحمزة والكسائي
عتيا بكسر العين ومثله جثيا وصليا وبكيا والباقون بالضم فيهما وهما لغتان قال
كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل من قبل يحيى ولم تك شيئا
قال رب اجعل لي آية على حمل امرأتي قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال
سويا أي صحيحا سليما من غير ما بأس ولا خرس وكان الناس من وراء
المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذ خرج عليهم زكريا
متغيرا لونه فأنكروه فقالوا له مالك يا زكريا فأوحى أي أومى إليهم ويقال كتب
في الأرض أن سبحوا وصلوا لله عز وجل بكرة وعشيا والسبحة الصلاة قوله يا
يحيى خذ الكتاب بقوة بجد وأتيناه الحكم يعني الفهم صبيا يعني في حال صباه

(5/232)

وقال معمر جاء صبيان إلى يحيى بن زكريا فقالوا اخرج بنا نلعب فقال ما للعب
خلقت فأنزل الله عز وجل وأتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا رحمة من عندنا
قال الحطيئة لعمر بن الخطاب تحنن على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا
أي ترحم ومنه قوله حنانيك مثل سعديك قال طرفة أبا منذر أفنيت فاستبق
بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض وأصله من حنين الناقة أخبرنا عبد الله
بن حامد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن عبد الله بن سليمان عن عثمان
عن حريز بن عبد الحميد عن أبي خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال ما أدري
ما حنانا إلا أن يكون بعطف رحمة الله عز وجل على عباده وأخبرنا عبد الله بن
حامد عن حامد بن محمد عن بشر بن موسى عن هوزة عن عوف بلغني في
قوله الله عز وجل وحنانا من لدنا قال الحنان المحبة وزكواة قال ابن عباس
يعني بالزكاة طاعة الله عز وجل والإخلاص وقال الضحاك هي الفعل الزاكي
الصالح وقال الكلبي يعني صدقة تصدق والده بها على أبويه وقيل بركة ونماء
وزيادة وقيل جعلناه طاهرا من الذنوب وكان تقيا مسلما مخلصا مطيعا أخبرنا
سعيد بن محمد وعبد الله بن حامد قالا أخبرنا علي بن عبدان حدثنا أبو الأزهر
حدثنا ابن القطيعي قال سمعت الحسن قال إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال والذي نفسي بيده ما من الناس عبد إلا قد هم بخطيئة أو عملها غير
يحيى بن زكريا وبرا بوالديه بارا بهما لا يعصيهما ولم يكن جبارا قالا متكبيرا قال
الحلبي الجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب عصيا شديدا العصيان لربه
وسلام عليه قال الحلبي سلام له منا حين ولد وحين يموت وحين يبعث حيا
أخبرنا أبو محمد الأصفهاني وأبو صالح النيسابوري قالا أنبأنا أبو حاتم التميمي
حدثنا أبو الأزهر السليطي حدثنا رؤبة حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أن
يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى استغفر لي فأنت خير مني
وقال يحيى استغفر لي أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت
على نفسي وسلم الله

(5/233)

عليك واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من
دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت إني صلى الله عليه

وسلم أعود بالرحمان منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فنادها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى صلى الله عليه وسلم إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولى صلى الله عليه وسلم إنى نذرت للرحمان صوما فلن أكلم اليوم إنسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا ياأخت هارون ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال إنى عبد الله ءاتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وإن الله ربى وربكم فاعيدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون إنا نحن نرث الارض ومن عليها وإلينا يرجعون واذكر فى الكتاب القرآن مريم وهى ابنة عمران بن ماثان إذ انتبذت قال قتادة انفردت الكلبي تنحت وأصله من النبذة بفتح النون وضمها وهى الناحية يعنى إنها اعتزلت وجلست ناحية مكانا شرقيا يعنى مشرقا وهى مكان فى الدار مما يلي المشرق

(5/234)

جلست فيها لأنها كانت فى الشتاء قال الحسن اتخذت النصارى المشرق قبلة لأن مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجابا قال ابن عباس سترها قال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها قال عكرمة إن مريم كانت تكون فى المسجد ما دامت طاهرا فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فيبنا هي تغتسل من الحيض إذ عرض لها جبرئيل فى صورة شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق فذلك قوله فأرسلنا إليها روحنا يعنى جبرئيل عليه السلام وقيل روح عيسى ابن مريم إضافة إليه على التخصيص والتفضيل فتمثل فتصور لها بشرا آدميا سويا لم ينقص منه شيء وإنما أرسله فى صورة البشر لتثبت مريم عليها السلام وتقدر على استماع كلامه ولو نزله على صورته التى هو عليها لفرغت ونفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه فلما رآته مريم قالت إنى أعود بالرحمان منك إن كنت تقيا مؤمنا مطيعا

(5/235)

قال علي بن أبي طالب علمت أن التقي ذو نهية وقيل كان تقي رجل من أعدل الناس في ذلك الزمان فقالت إن كنت في الإصلاح مثل التقي فإني أعوذ بالرحمن منك كيف يكون رجل اجنبي وامرأة اجنبية في حجاب واحد قال لها جبرئيل إنما أنا رسول ربك لاهب لك أي يقول لاهب لك وقرأ أبو عمرو ليهب بالياء ولدا غلاما زكيا صالحا تقيا قالت مريم أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم يقربني روح ولم أك بغيا فاجرة وإنما حذفت الهاء منه لأنه مصروف عن وجهه قال جبرئيل كذلك كما قلت يا مريم ولكن قال ربك وقيل هكذا قال ربك هو على هين خلق ولد من غير أب ولنجعله آية علامة هذه للناس ورحمة منا لمن تبعه على دينه وكان ذلك أمرا مقضيا معدودا مسطورا في اللوح المحفوظ فحملته وذلك أن جبرئيل عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبسته وقيل نفخ جبرئيل من بعيد نفخا فوصل الريح إليها فحملت فلما حملت فانتبذت خرجت وانفردت مكانا قصيا بعيدا من أهلها من وراء الجبل ويقال اقصى الدار قال الكلبي قيل لابن عم لها يقال له يوسف إن مريم حملت من الزنا لأن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فأتاها فاحتملها فهرب بها فلما كان ببعض الطريق أراد يوسف ابن عمها قتلها فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له إنه من روح القدس فلا تقتلها فتركها ولم يقتلها فكان معها واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء ومنهم من قال ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعيش مولود وضع لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة قال ابن عباس ما هو إلا أن حملت فوضعت ولم يكن بين الحمل والانتباز إلا ساعة لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا وقال مقاتل بن سليمان حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى فاجاءها المخاض ألجأها وجاء بها المخاض وفي

(5/236)

قراءة عبد الله آواها المخاض يعني الحمل وقيل الطلق إلى جذع النخلة وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة الشتاء ولم يكن لها سعف وروى هلال بن خباب عن أبي عبيد الله قال كان جذعا يابسا قد جيء به ليبنى به بيت يقال له بيت لحم قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا قرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة

نسيا بفتح النون والباقون بالكسر وهما لغتان مثل الوتر والوتر والحجر والحجر والجسر والجسر وهو الشيء المنسي قال ابن عباس يعني شيئا متروكا وقال قتادة شيئا لا يذكر ولا يعرف وقال عكرمة والضحاك ومجاهد حيضة ملقاة قال الربيع هو السقط وقال مقاتل يعني كالشيء الهالك قال عطاء بن أبي مسلم يعني لم أخلق وقال الفراء هو ما تلقى المرأة من خرق اعتلالها وقال أبو عبيد هو ما نسي واغفل من شيء حقير قال الكميت اتجعلنا جسرا لكلب قضاة وولست بنسي في معد ولا دخل أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا حاجب بن محمد قال حدثنا محمد بن حماد قال حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت لوددت أني إذا مت كنت نسيا منسيا فنأداها من تحتها قرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي

من تحتها بكسر الميم وهو جبرئيل عليه السلام ناداها من سفح الجبل وقرأ
الباقون من تحتها بفتح الميم وهو عيسى لما خرج من بطنها ناداها ألا تجزني
قد جعل ربك تحتك سرىا قال الحسن يعني عيسى كان والله عبدا سرىا أي
رفيعا وقال سائر المفسرين هو النهر الصغير وقيل معنى قوله سبحانه تحتك
إن الله تعالى جعل النهر تحت أمرها إن أمرته أن يجري جرى وإن أمرته
بالإمساك أمسك كقوله عز وجل فيما أخبر عن فرعون وهذه الانهار تجري من
تحتي أي من تحت أمري قال ابن عباس فضرب جبرئيل ويقال عيسى برجله
الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى وحييت النخلة بعد يبسها فأورقت
وأثمرت وأرطبت وقيل لمريم وهزي إليك أي حركي بجذع النخلة يقول العرب
هزه وهزه به كما يقال خذ الخطام وخذ

(5/237)

بالخطام وتعلق يزيد وتعلق زيدا وخذ رأسه وخذ برأسه وامدد الحبل وامدد
بالحبل والجذع الغصن والجذع النخلة نفسها تساقط قرأ البراء بن عازب
ويعقوب وأبو حاتم وحماد ونصير يساقط بالياء وقرأ حفص تساقط بضم التاء
وتخفيف السين وكسر القاف وقرأ الأعمش وحمزة وأبو عبيد تساقط بفتح
التاء والقاف وتشديد السين فمن أنث رده إلى النخلة ومن ذكر رده إلى الجذع
والتشديد على الإدغام
والتخفيف على الحذف رطبا جنيا غصنا رطبا ساعة جني وقال الربيع بن خيثم
ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض من العسل وقال عمرو بن
ميمون ما أدري للمرأة إذا عسر عليها ولدها خير من الرطب لقول الله سبحانه
وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقالت عائشة خ إن من السنة
أن يمضغ التمر ويدلك به فم المولود وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة فكلني يا مريم من الرطب واشربي
من النهر وقرني عينا وطيبني نفسا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت
للرحمان صوما أي صمتا ولذلك كان بقراءة ابن مسعود وأنس والصوم في
اللغة هو الإمساك عن الطعام والكلام وفي الآية اختصار فإما ترين من البشر
أحدا فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولي إني نذرت للرحمان صوما يقال إن
الله أمرها أن تقول هذا إشارة ويقال أمرها أن تقوله نطقا ثم تمسك عن
الكلام بعد هذا فلن أكلم اليوم إنسيا يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس
فأنتت به قومها تحمله قال الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وابنها عيسى عليه
السلام إلى غار فأدخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها
فأنتت مريم به بعيسى تحمله بعد أربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال
يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا
وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا فظيعا منكرا
عظيما قال أبو عبيدة كل من عجب أو عمل فهو فري قال النبي صلى الله عليه

(5/238)

وسلم في عمر ح فلم أر عبقر يا يفري فريه أي يعمل عمله قال الراجز قد
أطعمتني دقلا حوليا مسوسا مدودا حجريا قد كنت تفرين به الفريا أي كنت
تكثيرن فيه القول وتعظمينه يا أخت هارون قال النبي صلى الله عليه وسلم
انما عنوا هارون النبي انا موسى لأنها كانت من نسله
وقال قتادة وغيره كان هارون رجلا صالحا من أتقيا بني إسرائيل وليس
بهارون أخي موسى ذكر لنا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون الفا كلهم يسمى
هارون من بني إسرائيل وقال المغيرة بن شعبة قال لي أهل نجران قوله يا
أخت هارون وقد كان بين موسى وعيسى من السنين ما قد كان فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالانبياء
والصالحين من قبلهم وقال الكلبي كان هارون أخا مريم من أبيها ليس من أمها
وكان أمثل رجل في بني إسرائيل وقيل إن هارون كان من أفسق بني إسرائيل
وأظهرهم فسادا فشبهوها به وعلى هذا القول الأخت ها هنا بمعنى الشبه لا
بمعنى النسبة والعرب تسمى شبه الشيء أخته وأخاه قال الله سبحانه وما
نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها أي شبهها ما كان أبوك عمران امرأ سوء
وما كانت أمك حنة بغيا زانية فمن أين لك هذا الولد فأشارت مريم إلى عيسى
أن كلموه فقالوا كيف نكلم من كان في المهدي صيبا أي من هو في المهدي وهو
حجرها وقيل هو المهدي بعينه وقد كان حشوا للكلام ولا معنى له كقوله كنتم خير
أمة أخرجت للناس أي أنتم خير أمة وكقوله هل كنت إلا بشرا رسولا أي هل أنا
وكقول الناس إن كنت صديقي فصلني قال زهير أجرت عليه حرة أرحبية وقد
كان لون الليل مثل الأرنج وقال الفرزدق فكيف إذا رأيت ديار قومي وجيران
لنا كانوا كرام أي وجيران لنا كرام قال وهب فاتها زكريا عند مناظرتها اليهود
فقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها فقال عند ذلك وهو ابن أربعين
يوما وقال مقاتل هو يوم ولد إني عبد الله فأقر على نفسه بالعبودية لله تعالى
أول ما تكلم تكذبا للنصارى والزاما

(5/239)

للحجة عليهم قال عمرو بن ميمون إن مريم لما أتت قومها بعيسى اخذوا لها
الحجارة ليرموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم عيسى بعد هذا
حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خمسة تكلموا قبل إبان الكلام
شاهد يوسف وولد ماشطة بنت فرعون وعيسى وصاحب جريح وولد المرأة
التي أحرقت في الأخدود فأما شاهد يوسف فقد مر ذكره وأما ولد الماشطة
فأخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن قال حدثنا داود
بن سليمان قال حدثنا عبد بن حميد قال حدثنا الحسن بن موسى قال حدثنا
حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به مرت به رائحة طيبة فقال يا
جبرئيل ما هذه الرائحة قال ماشطة بنت فرعون كانت تمشطها فوق المشط
من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنته أبي فقالت لا بل ربي وربك ورب أبيك
فقالت أخبر بذلك أبي قالت نعم فأخبرته فدعا بها فقال من ربك قالت ربي
وربك في السماء فأمر فرعون ببقرة من نحاس فأحميت فدعا بها وبولدها
فقالت إن لي إليك حاجة قال ما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها

جميعا فقال ذلك لك علينا من الحق فأمر بأولادها فألقى واحدا واحدا حتى إذا كان آخر ولدها وكان صبيا مرضعا فقال اصبري يا أماه فإننا على الحق قال ثم ألقيت مع ولدها وأما صاحب جريح فأخبرنا عبد الله بن حامد الاصبهاني قال أخبرنا محمد بن الحسين الزعفراني قال حدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا يونس بن محمد المؤدب قال حدثنا الليث ابن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن قال حدثنا راشد بن سليمان قال حدثنا عبد بن حميد قال حدثنا هاشم بن القاسم قال حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا

(5/240)

يقال له جريح كان راهبا يتعبد في صومعته فأنته أمه لتسلم عليه فنادته يا جريح اطلع إلي انظر إليك فوافقته يصلي فقال أُمي وصلاتي لربي أوثر صلاتي لربي على أُمي فانصرفت ثم جاءت الثانية فنادته يا جريح كلمني فوافقته يصلي فاختر صلته ثم جاءت الثالثة فاختر صلته فقالت إنه أبى أن يكلمني اللهم لا تمته حتى تنظر في وجهه زواني المدينة قال ولو دعت عليه أن يفتن لفتن قال وكان راعي ضان يأوي إلى ديره فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها فحملت فولدت غلاما فقيل لها ممن هذا فقالت من صاحب الصومعة فاتوه وهدموا صومعته وانطلقوا به إلى ملكهم فلما مر على حوانيت الزواني خرجن فتبسم وعرف أنه دعاء أمه فقالوا لم يضحك حين مر على الزواني فلما أدخل على ملكهم قال جريح أين الصبي

(5/241)

الذي ولدت فأتي به فقال له جريح من أبوك قال أبي فلان الراعي فابراً الله سبحانه جريحا وأعظمه الناس وقالوا نبي لك ديرك بالذهب والفضة قال لا ولكن أعيدوه كما كان ثم علاه وأما ولد صاحبة الأخدود فسنذكرها في موضعها إن شاء الله أتاني الكتاب يعني يؤتيني الكتاب لفظه ماض ومعناه مستقبل وقيل إنه أخبر عما كتب له في اللوح المحفوظ كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم متى كتبت نبياً قال كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد وقيل معناه علمني وألهمني التوراة في بطن أُمي وجعلني نبياً وجعلني مباركاً معلماً للخير أين ما كنت وقيل مباركاً على من اتبع ديني وأمرني بأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً أي وجعلني براً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً أخبرنا شعيب بن محمد البيهقي وعبد الله بن حامد قالاً أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن امرأة رأت عيسى ابن مريم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص في آيات أذن الله له فيهن فقالت طوبى للبطن الذي حملك والثدي الذي أرضعت به فقال ابن مريم يحييها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقياً وكان يقول سلوني فإن قلبي لين وإني صغير في نفسي مما أعطاه الله

سبحانه من التواضع والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق يعني هو قول الحق وقيل رفع على التكرير يعني ذلك عيسى ابن مريم وذلك قول الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني ذلك عيسى بن مريم كلمة الله والحق هو الله سبحانه وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب يعني قال قول الحق الذي فيه يمترون يشكون ويقولون غير الحق فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة ثم كذبهم فقال ما كان لله أن يتخذ من ولد أي ما كان من صفته اتخاذ الولد وقيل اللام منقولة يعني ما كان الله ليتخذ من ولد سبحانه نزه نفسه إذا قضى أمرا كان في علمه فإنما يقول له

(5/242)

كن فيكون وإن الله يعني وقضى أن الله وقرأ أهل الكوفة إن الله بالكسر على الاستيناف ربي وربكم فاعبدوه هذا الذي ذكرت صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم يعني النصارى وانما سموا أحزابا لأنهم تجزأوا ثلاث فرق في أمر عيسى النسطورية والملكانية والمار يعقوبية فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يعني يوم القيامة أسمع بهم وأبصر يعني ما أسمعهم وأبصرهم على التعجب وذلك أنهم سمعوا يوم القيامة حين لم ينفعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر قال الكلبي لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله سبحانه وتعالى لعيسى أنت قلت للناس الآية يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت وهم في غفلة من الدنيا أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكي بن عبدان قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح ثم ينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وأشار بيده في الدنيا قال مقاتل لولا ما قضى الله سبحانه وتعالى من تخليد أهل النار وتعميرهم فيها لماتوا حسرة حين رأوا ذلك إنا نحن نرث الأرض ومن عليها أي نمتهم وبيقى الرب عز وجل فيرثهم وإلينا يرجعون فنجزهم بأعمالهم واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لآبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني

(5/243)

صلى الله عليه وسلم أهدك صراطا سويا
يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمان عصيا يا أبت إني صلى الله
عليه وسلم أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان وليا قال

أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي صلى الله عليه وسلم إنه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوربي عسى صلى الله عليه وسلم ألا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقريناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا مؤمنا موقنا صدوقا نبيا رسولا رفيعا إذ قال لأبيه أزر وهو يعبد الأوثان لم تعبد ما لا يسمع صوتا ولا يبصر شيئا ولا يغني عنك لا ينفعك ولا يكفيك شيئا يعنى الأصنام يا أبت إنى قد جاءني من العلم والبيان بعد الموت و أن من غيره عذبه ما لم يأتك فاتبعني على ديني أهدك صراطا سويا مستويا يا أبت لا تعبد الشيطان لا تطعه لم تصل له ولم تصم وإن من أطاع شيئا فقد عبده إن الشيطان كان للرحمان عصيا عاصيا عاتيا وكان بمعنى الحال أي هو وقيل بمعنى صار يا أبت إنى أخاف أعلم أن يمسك يصيبك عذاب من الرحمن لقوله إلا أن يخافا وقوله فإن خفتم ألا يقيما وقيل معناه إنى أخاف أن ينزل عليك عذابا في الدنيا فتكون للشيطان وليا قرينا في النار فقال له أبوه مجيبا له أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم تارك عبادتهم وزاهد فيهم لئن لم تنته لئن لم تسكت وترجع عن مقالتك لأرجمنك قال الضحاك ومقاتل والكلبي لأشتمنك وقال ابن عباس لأضربنك وقيل لأظهرن أمرك واهجرني مليا قال

(5/244)

الحسن وقتادة وعطاء سالما وقال ابن عباس واعتزلني سالم العرض لا يصيبنك مني معرة وقال الكلبي اتركني واجتنبني طويلا فلا تكلمني وقال سعيد بن جبیر دهرأ وقال مجاهد وعكرمة حينا وأصل الحرف المكث ومنه يقال تمليت حينا والملوان الليل والنهار قال إبراهيم سلام عليك أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا قال ابن عباس ومقاتل لطيفا رحيفا وقيل بارأ وقال مجاهد عوده لإجابة وقال الكلبي عالما يستجيب لي إذا دعوته

(5/245)

وأعتزلكم وما تدعون من دون الله يعني وأعتزل ما تعبدون من دون الله قال مقاتل كان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من كوثرى فهاجر منها إلى الأرض المقدسة وأدعوربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا يعني عسى أن يجيبني ولا يخيبني وقيل معناه عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام فلما اعتزلهم ما تدعون تعبدون من دون الله يعني الأصنام فذهب مهاجرا وهبنا له بعد الهجرة إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب ووهبنا لهم من رحمتنا نعمتنا قال الكلبي المال والولد وقيل النبوة والكتاب

بيانه قوله أنهم يقسمون رحمة ربك وجعلنا لهم لسان صدق عليا يعني ثناء حسنا رفيعا في كل أهل الأديان وكل أهل دين يتولونهم ويشنون عليهم واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا يعني غير مرائي قال مقاتل مسلما موحدا وقرأ أهل الكوفة مخلصا بفتح اللام يعني أخلصناه واخترناه وكان رسولا نبيا وناديته دعواته وكلمناه ليلة الجمعة من جانب الطور الايمن يعني يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين وقربناه نجيا يعني رفعناه من سماء إلى سماء ومن حجاب إلى حجاب حتى لم يكن بينه وبينه إلا حجاب واحد وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا أبو الأزهر قال حدثنا أسباط عن عطاء بن السائب عن ميسرة وقربناه نجيا قال قربه حتى سمع صريف القلم والنجي المناجي كالجليس والنديم ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا وذلك حين سأل موسى ربه عز وجل فقال واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي وحين قال فارسل إلى هارون فأجاب الله دعاءه واذكر في الكتاب إسماعيل يعني ابن إبراهيم إنه كان صادق الوعد كان إذا وعد أنجز وذلك أنه وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى يرجع إليه الرجل قاله مقاتل وقال الكلبي انتظره حتى حال الحول عليه وكان رسولا إلى قومه نبيا مخبرا عن الله سبحانه

(5/246)

وكان يأمر أهله يعني قومه وكذلك هو في حرف ابن مسعود بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا صالحا زاكيا واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمان خروا سجدا وبكيا فخلق من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمان عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السماوات والأرض وما بينهما فأعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الإنسان إذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشیاطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شعبة أيهم أشد على الرحمان عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا واذكر في الكتاب إدريس وهو جد أبي نوح فسمي إدريس لكثرة درسه الكتب واسمه أخنوخ وكان خياطا وهو أول من كتب بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من تكلم في علم النجوم والحساب إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني الجنة وقال الضحاك رفع إلى السماء السادسة وقيل الرابعة أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني وشعيب بن محمد البيهقي قالا أخبرنا مكى بن عبدان التميمي قال حدثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا روح قال حدثنا سعيد عن قتادة في قوله ورفعناه مكانا عليا قال حدثنا أنس بن مالك بن صعصعة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج به إلى السماء قال أتيت على

إدريس في السماء الرابعة وكان سبب رفعه على ما قاله ابن عباس وكعب
وغيرهما أنه

(5/247)

سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يا رب أنا مشيت يوما
فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها
واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف
فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه قال أما إن عبدي
إدريس سألتني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبتة فقال يا رب اجمع بيني
وبينه واجعل بيني وبينه
خلة فأذن له حتى أتى إدريس وكان يسأله إدريس فكان مما سأله أن قال له
أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي إليه ليؤخر
أجلي فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها قال قد
علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسني فقال نعم أنا مكلمه لك فما كان يستطيع أن
يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك ثم حمله ملك الشمس على جناحه
فرفعه إلى السماء ووضع عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال حاجة
لي إليك فقال أفعل كل شيء أستطيعه قال صديق لي من بني آدم تشفع بي
إليك لتؤخر أجله قال ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت أعلمته أجله متى يموت
فيقدم في نفسه قال نعم فنظر في ديوانه وأخبر باسمه فقال إنك كلمتني في
إنسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف قال لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس
قال إني إيتيك وتركته هناك قال انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات فوالله ما
بقي من أجل إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان يرفع
لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجبت
منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فاتاه
في صورة بني آدم وكان إدريس صائما يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره
دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس فقال
له الليلة الثالثة إنى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن
أصحبك فأذن لي قال فلي إليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فأوحى
الله عز وجل إليه أن اقبض روحه فقبض روحه وردها

(5/248)

الله عليه بعد ساعة قال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال
لأذوق كرب الموت وغمته فأكون له أشد استعدادا ثم قال إدريس له لي إليك
حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة وإلى
النار فأذن الله له في رفعه إلى السماوات فلما قرب من النار قال حاجة قال
وما تريد قال تسأل مالكا حتى يفتح لي بابها فأردها ففعل ثم قال فكما أريتني
النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم
قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها
فبعث الله ملكا حكما بينهما ينظر في قولهما فقال له الملك ما لك لا تخرج

قال لأن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وإن منكم إلا
واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله
سبحانه إلى ملك الموت دخل الجنة وبأمري يخرج فهو حي هناك فذلك قوله
ورفعناه مكانا عليا

(5/249)

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح في
السفينة ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا إلى الإسلام واجتنبنا على
الأنام إذا تتلى عليهم آيات الرحمان يعني القرآن خروا سجدا وبكيا جمع باك
تقديره من الفعل فعول مثل ساجد وسجود وراكع وركوع وقاعد وقعود جمع
على لفظ المصدر نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله سلام وأصحابه
فخلف من بعدهم يعني من بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء
والخلف بالفتح الصالح والخلف بالحزم الطالح والخلف بسكون اللام الرديء
من كل شيء وهم في هذه الآية اليهود ومن لحق بهم وقال مجاهد وقتادة في
هذه الأمة أضاعوا الصلاة أي تركوا الصلوات المفروضة قال ابن مسعود
وإبراهيم والقاسم بن مخيمرة أخروها عن مواقيتها وصلوها بغير وقتها وقال
قرة بن خالد استبطأ الضحاك مرة امتراء في صلاة العصر حتى كادت الشمس
تغرب فقرأ هذه الآية أضاعوا الصلاة ثم قال والله لئن أدعها أحب إلى من أن
أضيعها وقرأ الحسن أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات قال مقاتل استحلوا
نكاح الأخت من الأب وقال الكلبي يعني اللذات و شرب الخمر وغيره قال
مجاهد هذا عند اقتراب الساعة وذهب صالح بن أبي حمزة عن محمد بن علي
وسلم ينزو بعضهم على بعض في السكك والأزقة زناة وروى أبو سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية قال يكون خلف من بعد
ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات الآية وقال علي بن أبي طالب هذا
إذا بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وقال وهب فخلف من بعدهم
خلف شرابون للقهوات لعابون بالكعبات ركابون للشهوات متبعون للذات
تاركون للجمعات مضيعون للصلوات وقال كعب يظهر في آخر الزمان أقوام
بأيديهم سياط كأذنان البقر يضربون الناس ثم قرأ فخلف من بعدهم خلف
أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال عبد الله بن مسعود
الغي نار في جهنم وقال ابن عباس الغى واد في جهنم وإن أودية جهنم لتستعيز
من

(5/250)

حرها أعد ذلك الوادي للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولاكل
الربا الذي لا ينزع عنه ولأهل العقوق ولشاهد الزور
ولامرأة أدخلت على زوجها ولدا وقال عطاء الغى واد في جهنم يسيل قيحا
ودما وقال وهب الغى نهر في النار بعيد قعره خبيث طعمه وقال كعب هو واد
في جهنم أبعدا قعرا وأشدّها حرا فيه بئر تسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح
الله تلك البئر فسعربها جهنم وقال الضحاك خسارنا وقيل عذابا وقيل ألما

وقيل كفرا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمان عباده بالغيب ولم يروها إنه كان وعده مأثيا يعني آثيا قال الأعشى وساعت معصيا إليها وشتاتها أي عاصيا لا يسمعون فيها في الجنة لغوا باطلا وفحشا وفضولا من الكلام قال مقاتل يمينا كاذبة إلا سلاما استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سلاما أي قولا يسلمون منه وقال المفسرون يعني تسليم بعضهم على بعض تسليم الملائكة عليهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقدار طرفي النهار أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جعفر بقراءتي عليه قال حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سختهويه قال حدثنا موسى بن هارون قال حدثنا بشر بن معاذ الضيرير قال حدثنا عامد بن سياق عن يحيى بن أبي كثير قال كانت العرب في زمانها من وجد غداء مع عشاء فذلك هو الناعم فأنزل الله سبحانه ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قدر ما بين غدائهم وعشائهم أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر قال حدثنا علي بن محمد بن سختهويه قال حدثنا موسى ابن هارون قال حدثنا داود بن رشيد قال حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله سبحانه ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب ومقدار النهار برفع الحجب تلك الجنة التي نورث من عبادنا وقرأ يعقوب نورث بالتشديد والاختيار التخفيف لقوله ثم أورثنا من كان تقيا وما ننزل إلا بأمر

(5/251)

ربك الآية أخبرنا عبد الله بن حامد وشعيب بن محمد قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا أبو الأزهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فأنزل الله سبحانه وما ننزل إلا بأمر ربك وقال مجاهد أبطأت الرسل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه جبرئيل فقال

ما حبسك فقال وكيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون فأنزل الله سبحانه وما ننزل إلا بأمر ربك الآية وقال عكرمة والضحاك ومقاتل وقتادة والكلبي احتبس جبرئيل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذوي القرنين والروح فلم يدر ما يجيبهم ورجا أن يأتيه جبرئيل بجواب ما سأله فابطأ عليه قال عكرمة أربعين يوما وقال مجاهد اثنتي عشرة ليلة وقيل خمس عشرة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما أنزل جبرئيل قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك فقال له جبرئيل إني كنت أشوق إليك ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما ننزل إلا بأمر ربك وأنزل والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى وقيل هذا إخبار عن أهل الجنة أنهم يقولون عند دخولها ما تتنزل هذه الجنان إلا بأمر الله له ما بين أيدينا قال مقاتل له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك يعني بين النفختين وبينهما أربعون سنة وقيل كان له ابتداء خلقنا وله كان منتهى أجالنا وله كان مدة حياتنا ويقال ما بين أيدينا من الثواب

والعقاب وأمور الآخرة وما خلفنا ما مضى من أعمالنا في الدنيا وما بين ذلك أي ما يكون منا إلى يوم القيامة ويقال له ما بين أيدينا قيل أن يخلقنا وما خلفنا بعد أن يميتنا وما بين ذلك ما هو فيه من

(5/252)

الحياة ويقال له ما بين أيدينا إلى الأرض إذا أردنا النزول إليها وما خلفنا أي السماء إذا نزلنا منها وما بين ذلك يعني السماء والأرض يريد أن كل ذلك لله سبحانه فلا تقدر على فعل إلا بأمره وما كان ربك نسيا أي ناسيا إذا شاء أن يرسل إليك أرسل رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته أي واصبر على عبادته هل تعلم له سميا قال ابن عباس مثلا وقال سعيد بن جبير عدلا وقال الكلبي هل تعلم أحدا يسمى الله غيره ويقول الانسان يعني أبى بن خلف الجمحي أنذا ما مت لسوف أخرج من القبر حيا استهزاء وتكذيبا منه بالبعث قال الله سبحانه أولا يذكر أي يتذكر ويتفكر والأصل يتذكر وقرأ ابن عامر ونافع

(5/253)

وعاصم ويعقوب يذكر بالتخفيف والاختيار التشديد لقوله سبحانه إنما يتذكر أولوا الألباب وأخواتها يدل عليه قراءة أبي يتذكر الانسان يعني أبى بن خلف الجمحي أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا ثم أقسم بنفسه فقال فوربك لنحشرنهم لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث والشياطين مع الشياطين يعني قرناءهم الذين أضلوهم يقرون كل كافر مع شيطان في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم يعني في جهنم جثيا قال ابن عباس جماعات جماعات وقال مقاتل جميعا وهو على هذا القول جمع جثة وقال الحسن والضحاك جاثية على الركب وهو على هذا التأويل جمع جاث قال الكميت هم تركوا سراتهم جثيا وهم دون السراة مقرنينا ثم لننزعن من كل شيعة لنخرجن من كل أمة وأهل دين أيهم أشد على الرحمان عتيا قال ابن عباس يعني جرة وقال مجاهد فجورا وكذبا قال مقاتل علوا وقيل غلوا في الكفر وقيل كفرا وقال الكلبي قائدهم رأسهم في الشر أخبرنا عبد الله بن حامد قال حدثنا محمد بن يعقوب قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن علي بن الأرقم عن أبي الأحوص قال نبدأ بالأكابر فالأكابر ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي أحق بدخول النار يقال صلي يصلي صليا مثل لقي يلقي لقييا وصلي يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا صلى الله عليه وسلم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاتا ورعيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مدا حتى إذا رآوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والبيقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت

الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمان عهدا
كلا سنكتب ما يقول

(5/254)

ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وبأتيننا فردا واتخذوا من دون الله ءالهة
ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا
الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا يوم
نحشر المتقين إلى الرحمان وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يملكون
الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمان عهدا وإن منكم إلا واردها قيل في الآية
إضمار مجازة والله إن منكم يعني ما منكم من
أحد ألا واردها يعني النار واختلف الناس في معنى الورد حسب اختلافهم في
الوعيد فأما الوعيد فإنهم قالوا إن من دخلها لم يخرج منها وقالت المرجئة لا
يدخلها مؤمن واتفقوا على أن الورد هو الحضور والمرور فأما أهل السنة
فإنهم قالوا يجوز أن يعاقب الله سبحانه العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم
منها وقالوا معنى الورد الدخول واحتجوا بقول الله سبحانه حكاية عن فرعون
يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود وقال في الأصنام
وعبدتها إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها فلو لم يكن الورد في هذه الآيات بمعنى الدخول لوجب
أن يدخل الأصنام وعبدتها وفرعون وقومه الجنة لأن من مر على النار فلا بد له
من الجنة لأنه ليس بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار والذي يدل على أن الورد هو
الدخول قوله في سياق الآية ثم تنجي الذين اتقوا والنجاة لا تكون إلا مما دخلت
فيه وأنت ملقى فيه قال الله سبحانه فنجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين
واللغة تشهد لهذا تقول العرب ورد كتاب فلان ووردت بلد كذا لا يريدون جرت
عليها وإنما يريدون دخلتها ودليلنا أيضا من السنة وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن
حامد الفقيه قال حدثنا أحمد بن عبد الله المزني قال حدثنا محمد بن نصر بن
منصور الصائغ الشيخ الصالح قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا أبو صالح
غالب بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية

(5/255)

قال اختلفنا في الورد ها هنا بالبصرة فقال قوم لا يدخلها مؤمن وقال آخرون
يدخلونها جميعا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأهوى بإصبعيه إلى أذنيه وقال
صمنا إن لم أكن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الورد الدخول لا
يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على
إبراهيم حتى أن للنار أو لجهنم ضجيجا لمن تردهم ثم تنجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا وأخبرنا شعيب بن محمد وعبد الله بن حامد قالا أخبرنا مكى
بن عبدان قال حدثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا روح بن عبدان قال حدثنا ابن
عبيدة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق ما رأى ابن عباس يقول ابن عباس
الورد الدخول ويقول نافع ليس الورد الدخول فتلا

ابن عباس حصب جهنم أنتم لها واردون أدخل هؤلاء أم لا فأوردتهم النار وبئس الورد المورد أدخل هؤلاء أم لا والله أنا وأنت فسنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك وبإسناده عن ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله عليه السلام ما من مسلم يموت له ثلاث من الولد إلا لم يلج النار إلا تحلة القسم ثم قرأ وإن منكم إلا واردها بإسناده عن روح قال حدثنا شعبة قال أخبرني إسماعيل السدي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود في قوله وإن منكم إلا واردها قال يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم وبه عن روح عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال الصراط على جهنم مثل حد السيف تمر الطائفة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الاصبهاني قال أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الهروي قال حدثنا الحسين بن إدريس قال حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن رجل عن الحسن قال قال رجل لأخيه أي أخ هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك إذا قال فما رأي ضاحكا حتى مات وإسناده عن عبد الله بن المبارك عن مالك بن معول عن أبي إسحاق عن ابن ميسرة أنه أوى إلى فراشه فقال يا ليت أمتي لم تلدني فقالت امرأته يا أبا ميسرة إن الله سبحانه قد أحسن إليك هداك إلى الإسلام فقال أجل ولكن الله قد بين لنا أننا واردو النار ولم يبين لنا صادرون منها وأنشد في معناه لقد أتانا ورود النار ضاحية حقا يقينا ولما يأتنا الصدر فإن قيل فخبرونا عن الأنبياء هل يدخلون النار يقال لهم لا تطلق هذه اللفظة بالتخصيص فيهم بل نقول إن الخلق جميعا يردونها فإن احتجوا بقوله ولما ورد ماء مدين يقال لهم إن موسى لم يمر على تلك البئر

وإنما استقي لابتني شعيب وروى الأغنام وأقام وهو معنى الدخول والعرب تعبر عن الحي وأماكنهم بذكر الماء فتقول ماء بني فلان فإن قيل فكيف يجوز أن يدخلها من قد أخبر الله سبحانه أنه لا يسمع حسيستها ولا يدخلها قيل إن الله سبحانه أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيستها فيجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لأن الله سبحانه لم يقل لم يسمعوا حسيستها ويجوز أن لا يسمعوا حسيستها عند دخولهم إياها إذ الله عز وجل قادر على أن يجعلها عليهم بردا وسلاما وكذلك تأويل قوله لا يدخلون النار أي لا يخلدون فيها أو لا يتألمون ويتأذون بها يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا أبو الأزهر قال حدثنا مؤمل بن إسماعيل عن أبي هلال عن قتادة عن أنس في قول الله سبحانه إنك من تدخل النار فقد أجزيت فقال إنك من تخلد في النار فقد أجزيت والدليل على أن الخلق جميعا يدخلون النار ثم ينجي الله المؤمنين بعضهم سالمين غير المين

وبعضهم معذبين معاقبين ثم يدخلهم جميعا الجنة برحمته ما أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا حاجب بن محمد قال حدثنا محمد بن حامد الأبيوردي قال حدثنا أبو سعيد عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية قالت قلت يا رسول الله أليس قد قال الله سبحانه وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا قال أفلم تسمعيه يقول ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

(5/258)

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان قال أخبرنا جبغوية بن محمد قال أخبرنا صالح بن محمد بن عبد العزيز بن المسيب عن الربيع بن بدر عن أبي مسعود عن العباس عن كعب أنه قال في هذه الآية وإن منكم إلا واردها قال ترفع جهنم يوم القيامة كأنها متن اهالة وتستوي أقدام الخلائق عليها فينادي مناد أن خذي أصحابك ودعي أصحابي فتخسف بهم وهي أعرف بهم من الوالدة بولدها ويامر أولياء الله عز وجل بندي ثيابهم وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وروى خالد بن أبي الدريك عن يعلى بن منبه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وأخبرنا عبد الله بن حامد قال حدثنا محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد عن يحيى بن يمان عن عثمان الأسود عن مجاهد في قوله وإن منكم إلا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وأخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة ثم نجى الذين اتقوا يعني اتقوا الشرك وهم المؤمنون وفي مصحف عبد الله ثم نجى بفتح الثاء يعني هناك ونذر الظالمين أي الكافرين فيها في النار جثيا جميعا وقيل على الركب أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن قال حدثنا داود بن سليمان قال حدثنا عبد بن حميد قال حدثنا سعيد بن عامر عن حشيش أبي محرز قال سمعت أبا عمران الجوني

(5/259)

يقول هبك ننجو بعد كم ننجو وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا يعني النضر بن الحرث ودونه من قريش للذين آمنوا يعني فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما منزلا ومسكنا وقرأ أهل مكة

مقاما بالضم أي إقامة وأحسن نديا يعني مجلسا ومثله النادي ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يجلسون فيها ويتشاورون في أمورهم قال الله تعالى مجيبا لهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا أي متاعا وقال ابن عباس هيئة وقال مقاتل ثيابا ورثيا أي منظرًا وقرأ أبي وزيا بالزاي وهو الهيئة قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مدا أي فليدعه في طغيانه ويمهله في كفره حتى إذا رأوا ما يوعدون من العذاب إما العذاب في الدنيا وإما الساعة يعني القيامة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا أهم أم المؤمنون ويزيد الله الذين اهتدوا هدى أي إيمانًا وبقينا يعني المؤمنين يقال ويزيد الله الذين

(5/260)

اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا عاقبة ومرجعا أفرأيت الذي كفر بآياتنا أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال كان لي دين على العاص فأتيته أتقاضاه فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فإني إذا مت ثم بعثت جنتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك فأنزل الله سبحانه هذه الآية وقال الكلبي ومقاتل كان خباب بن الأرت قينا وكان يعمل للعاص بن وائل السهمي وكان العاص يؤخر حقه الشيء بعد الشيء إلى الموسم فكان حسن الطلب فصاغ له بعض الحلبي فأتاه يتقاضاه الأجرة فقال العاص ما عندي اليوم ما أقضيك فقال له الخباب لست مفارقك حتى تقضي فقال له العاص يا خباب مالك ماكنت هكذا وإن كنت حسن الطلب والمخالطة فقال خباب ذلك أني كنت على دينك فأما اليوم فأنا على الإسلام مفارق لدينك فلا قال أفلستم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا قال الخباب بلى قال فأخبرني حتى أقضيك في الجنة استهزاء فوالله لئن كان ما تقول حقا فإني لأفضل فيها نصيبا منك فأنزل الله سبحانه أفرأيت الذي كفر بآياتنا يعني العاص وقال لأوتين لأعطين مالا وولدا أطلع الغيب قال ابن عباس أنظر في اللوح المحفوظ وقال مجاهد أعلم علم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا أم اتخذ عند الرحمان عهدا يعني أم قال لا إله إلا الله وقال قتادة يعني عملا صالحا قدمه وقال الكلبي عهد إليه أنه يدخله الجنة كلا رد عليه يعني لم يفعل ذلك سنكتب سنحفظ عليه ما يقول يعني المال والولد ويأتينا فردا في الآخرة ليس معه شيء واتخذوا يعني مشركي قريش من دون الله آلهة يعني الأصنام ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم في الآخرة ويتبرأون منهم ويكونون عليهم ضدا أعداء وقيل أعوانا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على

(5/261)

الكافرين يعني سلطناهم عليهم وذلك حين قال لإبليس واستغفرزمن استطعت منهم بصوتك الآية تؤزهم أزا قال ابن عباس تزعجهم ازعاجا من

الطاعة إلى المعصية وقال الضحاك
بأمرهم بالمعاصي أمراً وقال سعيد بن جبير تغريبهم إغراء وقال مجاهد تشليهم
أشلاء وقال الأخفش توهجهم وقال المؤرخ تحركهم وقال أبو عبيد تغويهم
وتهيجهم وقال القتيبي تخرجهم إلى المعاصي وأصله الحركة والغليان ومنه
الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولجوفه أزيز كأزيز المرجل فلا تعجل
عليهم بالعذاب إنما نعد لهم عدا قال الكلبي يعني الليالي والأيام والشهور
والسنين وقيل الأنفاس يقال إن المأمون كان يقرأ سورة مريم وعنده الفقهاء
فلما انتهى إلى هذه الآية التفت إلى محمد بن السماك مشيراً عليه بأن يعظه
فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفذ يوم نحشر
المتقين يعني الموحدون إلى الرحمان وفدا أي جماعات وهو جمع وافد مثل
راكب وركب وصاحب وصحب أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا عبد الله بن
محمد قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن
إسماعيل بن أبي خالد عن رجل عن أبي هريرة يوم نحشر المتقين إلى
الرحمان وفدا قال علي الإبل وقال ابن عباس ركبانا يؤتون بنوق عليها رحال
الذهب وأزمتها الزبرجد فيحملون عليها وقال علي بن أبي طالب ما يحشرون
والله على أرجلهم ولكن على نوق رجالها ذهب ونجائب سرجها يواقيت إن
هموا بها سارت وإن هموا بها طارت أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن
شاذان عن صعوبة بن محمد حدثنا صالح ابن محمد عن إبراهيم بن صالح
بن صدقة أن علي بن أبي طالب ح قال لما نزلت هذه الآية يوم نحشر المتقين
إلى الرحمن وفدا قال قلت يا رسول الله إنني رأيت وفود الملوك فلم أر وفدا
إلا ركبانا فما وفد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي إذا كان
المنصرف من بين يدي الله تلت الملائكة المؤمنين بنوق بيض رحالها وأزمتها
الذهب على كل مركب

(5/262)

حلة لا تساويها الدنيا فيلبس كل مؤمن حلته ثم يستوون على مراكبهم فتهدى
بهم النوق حتى تنتهي بهم إلى الجنة تتلقاهم الملائكة سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين

وقال الربيع يوم نحشر المتقين إلى الرحمان وفدا قال يفدون إلى ربهم
فيكرمون ويعطون ويحيون ويشفعون ونسوق المجرمين يعني الكافرين إلى
جهنم وردا قال المفسرون عطاشى مشاة على أرجلهم قد تقطعت أعناقهم
من العطش والورد جماعة يردون الماء اسم على لفظ المصدر لا يملكون
الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمان عهدا يعني لا إله إلا الله ومن في موضع
النصب على الاستثناء قال ابن عباس يعني لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا
الله تبرأ من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عز وجل وقال بعضهم معناه إلا لمن
اتخذ نظيره ولا يشفعون إلا لمن ارتضى قال مقاتل إلا من اتخذ عند الرحمان
عهدا يعني اعتقد بالتوحيد وقال قتادة عمل بطاعة الله وروى أبو وائل عن عبد
الله بن مسعود قال سمعت رسول الله علائم يقول لأصحابه ذات يوم أيعجز
أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا كيف ذاك قال يقول كل
صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد
إليك في هذه الحياة الدنيا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن

محمدا عبدك ورسولك وأنت إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وإنني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيهِ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقالوا اتخذ الرحمان ولدا لقد جئتم شيئا إذا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمان ولدا وما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولدا إن كل من فى السماوات والأرض إلا أتى الرحمان عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات سيجعل

(5/263)

لهم الرحمان ودا وإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وقالوا اتخذ الرحمان ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعموا أن الملائكة بنات الله وقرأ حمزة والكسائي ولدا بضم الماوا وجزم اللام وهي أربعة مواضع ها هنا وحرف في

سورة الزخرف وحرف في سورة نوح والباقون بالفتح وهما لغتان مثل العرب والعرب والعجم والعجم قال الشاعر فليت فلانا كان في بطن أمه وليت فلانا كان ولد حمار مخففا وقيس بجعل الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا لقد جئتم شيئا إذا قال ابن عباس منكرنا وقال قتادة ومجاهد عظيما وقال الضحاك فظيما وقال مقاتل معناه لقد قلت قولا عظيما نظيره قوله أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما وإلاد في كلام العرب أعظم الدواهي قال رؤبة نطح شى أد رؤوس الأداد وفيه ثلاث لغات إد بالكسر وهي قراءة العامة وأد بالفتح وهي قراءة السلمي وأد مثل ماد وهي لغة بعض العرب تكاد السموات قرأ نافع والكسائي بالياء لتقديم الفعل وقرأ الباقر بالتاء لتأنيث السموات يتفطرن يتشققن منه وقرأ أبو عمرو ينفطرن بالنون من الانفطار وهو اختيار أبي عبد الله لقوله عز وجل إذا السماء انفطرت وقوله السماء منفطر به الباقر بالتاء من التفطر وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا قال ابن عباس وقرأ مقاتل وقطعا وقال عطاء هدمأ أبو عبيد سقوفا أن دعوا للرحمان ولدا يعني لأن دعوا ومن قرأ جعلوا وقالوا للرحمن ولدا قال ابن عباس وأبي بن كعب فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم وقالوا لله عز وجل ولد ثم نفى سبحانه عن نفسه الولد فقال وما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولدا يعني انه لا يفعل ذلك ولا يحتاج إليه ولا يوصف به إن كل من فى السموات والأرض إلا أتى الرحمان عبدا لا ولدا لقد أحصاهم وعدهم عدا أنفاسهم وأيامهم

(5/264)

فلا يخفى عليه شيء وكلهم آتية جائيهِ يوم القيامة فردا وحيدا فريدا بعمله ليس معه شيء من الدنيا وأخبرنا عبد الله بن حامد حدثنا محمد بن جعفر بن يزيد

حدثنا أحمد بن عبيد
المؤدب حدثنا عبد الرزاق وحدثنا عبد الله بن محمد بن الحسن بن أحمد بن
يوسف السلمى بن عبد الرزاق حدثنا معمر بن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا
أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبتني
عدي وشتمني ولم يكن له ذلك أما تكذبه إياي فإن يقول لن يعيدنا كما بدأنا
وأما شتمه إياي فإن يقول اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم
يكن لي كفؤاً أحد إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
أي حبا يحبهم ويحبهم إلى عباده المؤمنين من أهل السموات والأرضين أخبرنا
عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق أبو القاسم العاصي أنبأ أبو علي محمد بن
أحمد بن حمزه عن الحسن الصواف ببغداد قال أبو جعفر الحسن بن علي
الفارسي عن إسحاق بن بشر الكوفي عن خالد بن يزيد عن يزيد الزيات عن
أبي إسحاق السبيعي عن البراء عن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعلي بن أبي طالب يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي
في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
الآية وأخبرنا عبد الله بن حامد أنبأ عبدوس بن الحسين بن أبي حاتم بن أبي
أويس حدثني مالك بن أنس عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله العبد قال لجبرئيل
يا جبرئيل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في أهل السماء إن
الله عز وجل قد أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يضع له المحبة في
الأرض وإذا أبغض العبد قال مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك وأخبرنا
عبد الله بن حامد عن محمد بن يعقوب عن يحيى بن أبي طالب عن عبد
الوهاب عن سعيد عن قتادة في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال

(5/265)

أي والله ود في قلوب أهل الإيمان وان هرم بن حيان يقول ما أقبل عبد بقلبه
إلى الله عز وجل إلا أقبل الله عز وجل بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يورثه
مودتهم ورحمتهم
فإنما يسرناه سهلناه يعني القرآن بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعني
المؤمنين وتندبر به قوما لدا قال ابن عباس شدادا في الخصومة وقال الضحاك
جدلا بالباطل وقال مقاتل خصما وقال الحسن صما وقال الربيع صم أذان
القلوب وهو جمع ألد يقال رجل ألد إذا كان من عادته مخاصمة الناس وقال
مجاهد الألد الظالم الذي لا يستقيم وقال أبو عبيد الألد الذي لا يقبل الحق
ويدعي الباطل قال الله تعالى وهو ألد الخصام أخبرنا عبد الله بن حامد أنبأ
أحمد بن محمد بن الحسين بن السوقي بن أبو الأزهر بن أبو أسامة عن ابن
جريح عن ابن أبي مليكة عن عائشة خ قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم ثم خوف أهل مكة فقال
وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس هل ترى وقيل تجد منهم من أحد أو تسمع
لهم ركزا وهو الصوت الخفي قال ذو الرمة وقد توجس ركزا من سناكبها إذ
كان صاحب أرض أو به الموم قال أبو عبيدة الركب الصوت والحركة الذي لا
يفهمه كركب الكتبية وأنشد بيت لبيد وتوجست ركز الأنيس فراعها عن ظهر
غيب والأنيس سقامها

سورة طه

وهي خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفاً وثلاثمائة وإحدى وأربعون كلمة ومائة وخمسة وثلاثون آية أخبرنا أبو الحسن عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد العدل نبأ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي قال أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي وخشنام بن بشر بن العنبر قال قال إبراهيم بن المنذر الحرامي عن إبراهيم بن المهاجر قال حدثني عمر بن حفص ابن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قرأ طه وباسين قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى لأمة تقول عليها هذا طوبى لألسن تتكلم بهذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وأخبرنا أبو عمرو الفراتي قال أبو نصر منصور بن عبد الله السرخسي عن محمد بن الفضل عن إبراهيم بن يوسف عن المسيب عن زياد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطه بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمان على العرش استوى له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا صلى الله عليه وسلم إله إلا هو له الاسماء الحسنى قوله عز وجل طه قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء وقرأ أهل المدينة والشام بين

الكسر والفتح فيهما وقرأ الأعمش وحمزه والكسائي بكسر الهاء والطاء وقرأ عاصم وابن كثير بالتفخيم فيهما وكلها لغات صحيحة أخبرنا عبد الله بن حامد عن محمد بن عمر بن حميد الأزدي عن محمد بن الجهم السمرى عن يحيى بن زياد الفراء عن عيسى بن الربيع عن زر بن حبیش قال قرأ رجل على عبد الله بن مسعود طه فقال له عبد الله طه فقال له الرجل يا أبا عبد الرحمن أليس أمر أن يطاء قدميه فقال عبد الله طه هكذا قرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في تفسيره فروى عبد الله بن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس هو كقولك افعل وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك معناه يا رجل وقال عكرمة هو كقولك يا رجل بلسان الحبشة يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هو يا رجل بالسريانية وقال سعيد بن جبیر يا رجل بالنبطية وروى السدي عن أبي مالك وعكرمة طه قالوا يا فلان وقال الكلبي هو بلغة عك يا رجل قال شاعرهم ان السفاهة طه في خلائكم لا قدس الله أرواح الملاعين وقال آخر هتفت بطه في القتال فلم يجب فخفت لعمرك أن يكون موائلاً مقاتل بن حيان معناه طئ الأرض بقدميك يريد في التهجد وقال محمد بن كعب القرظي أقسم الله تعالى بطوله وهدايته وموضع القاسم قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقال جعفر بن محمد الصادق ح طه طهارة أهل

بيت محمد صلى الله عليه وسلم ثم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقيل الطاء شجرة طوبى والهاء هاويه والعرب تعبر ببعض الشيء عن كله فكانه أقسم بالجنة والنار

(5/268)

وقال سعيد بن جبير الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل الطاء يا طامع الشفاعة للأمم والهاء يا هادي الخلق إلى الملة وقيل الطاء من الطهارة والهاء من الهداية وكأنه تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم يا طاهرا من الذنوب ويا هاديا إلى علام الغيوب وقيل الطاء طبول الغزاة والهاء هيبتهم في قلوب الكفار قال الله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقال وقذف في قلوبهم الرعب وقيل الطاء طرب أهل الجنة والهاء هوان أهل النار في النار وقيل الطاء تسعة في حساب الجمل والهاء خمسة أربعة عشر ومعناها يا أيها البدر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة بالليل ذلك بالفرض وأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الكلبي لما نزل على رسول الله الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتدت عبادته فجعل يصلي الليل كله فكان بعد نزول هذه الآية ينام ويصلي أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الهروي عن بشر بن موسى الحميدي عن سفيان بن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وقيل له يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وسلم أفلا أكون عبدا شكورا وقال مقاتل قال أبو جهل بن هشام والنصر بن الحرث للنبي صلى الله عليه وسلم إنك لتسعى بترك ديننا وذلك لما رآوا من طول عبادته وشدة اجتهاده فإننا نراه أنه ليس لله وأنك مبعوث إلينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين قالوا بل أنت شقي فأنزل الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وأصل لكن أنزلناه عظة لمن يخشى قال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير مجازه ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى ولئلا تشقى تنزيلا بدل من قوله تذكرة

(5/269)

وقرأ أبو الشامى تنزيل بالرفع يعني هذا تنزيل ممن خلق الأرض والسموات العلى يعني العالية الرفيعة وهو جمع العليا كصغرى وصغر وكبرى وكبر الرحمان على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى يعني التراب الذي تحت الأرضين وهو التراب الندي تقول العرب شبر ندى وسهر ندى وسهر مرعى قال ابن عباس الأرض على ظهر النون والنون على بحر وإن طرفي النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش على صخرة خضراء وخضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن في قصة لقمان فتكن في صخرة الصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله عز وجل وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله عز وجل البحار بحرا واحدا سألت في جوف ذلك الثور فإذا وقعت في

جوفه ببست وإن تجهر بالقول تعلن فإنه يعلم السر وأخفى أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا حامد أخبرنا بشر بن موسى عن عبد الله بن صالح العجلي حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله يعلم السر وأخفى قال وأخفى حديث نفسك نفسك وأخبرني عبد الله بن حامد عن أبي الطاهر محمد بن الحسن حدثنا إبراهيم بن أبي طالب عن محمد بن النعمان بن مسيل حدثنا يحيى بن أبي روق عن أبيه عن الضحاك عن ابن عباس قال السر ما أسررت في نفسك وأخفى من السر ما ستحدث به نفسك ما لا تعلم أنك تحدث به نفسك وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال السر ما تسر في نفسك وأخفى من السر ما لم يكن وهو كائن قال وأنت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله عز وجل يعلم ما أسررت اليوم وما تسر غدا وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال السر ما أسر ابن آدم في نفسه وأخفى ما خفي على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه فإله يعلم ذلك كله فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة وقال مجاهد السر العمل الذي يسرون من الناس وأخفى الوسوسة وقال زيد بن

(5/270)

أسلم معناه يعلم أسرار العباد وأخفى سره فلا يعلم وقال الحسن السر ما أسر الرجل إلى غيره وأخفى من ذلك ما أسره في نفسه
ثم وحد نفسه فقال لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا صلى الله عليه وسلم إني صلى الله عليه وسلم ءانست نارا لعلى صلى الله عليه وسلم آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني صلى الله عليه وسلم أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى صلى الله عليه وسلم إني صلى الله عليه وسلم أنا الله لا صلى الله عليه وسلم إلا صلى الله عليه وسلم أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى صلى الله عليه وسلم إن الساعة ءاتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصا أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مارب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سو صلى الله عليه وسلم ء ءاية أخرى لنريك من ءاياتنا الكبرى وهل أتاك يا محمد حديث موسى قال أهل المعاني هو استفهام اثبات مجازه أليس قد أتاك وقال بعضهم معناه وقد أتاك وقال لم يكن قد أتاها ثم أخبره إذ رأى نارا ليلة الجمعة وقال وهب بن منبه استأذن موسى شعيبا في الرجوع إلى والدته فأذن له فخرج بأهله فولد له ابن في الطريق في ليلة شاتية مثلجة وقد جاد عن الطريق ففقد موسى النار فلم تور المقدحة فبينما هو في مزاولة ذلك أبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق فقال لأهله لامرأته امكثوا أقيموا مكانكم إني آنست أبصرت نارا لعلي آتيكم منها بقبس يعني شعلة من النار والقبس ما اقتبس من خشب أو قصب أو غير ذلك أو أجد على النار هدى يعني من يدلني على الطريق فلما أتاها رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كانها نار بيضاء تتقدم

وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وتعجب فألقيت عليه السكينة ثم نودي يا موسى إني أنا ربك وإنما كرر الكناية لتوكيد الدلالة وإزالة الشبهة وتحقيق المعرفة ونظيره قوله للرسول عليه السلام وقل إني أنا النذير المبين فاخلع نعليك وكان السبب في أمره بخلع نعليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن يحيى العبيدي قال حدثنا أحمد بن نجدة قال حدثنا الحماني قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد بن عبد الله عن عبد الله بن الحرث العنيسي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفي بعض الأخبار غير مدبوغ وقال الحسن ما بال خلع النعلين في الصلاة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه وإنما أمر موسى عليه السلام أن يخلع نعليه إنهما كانتا من جلد حمار وقال أبو الأحوص أتى عبد الله أبا موسى في داره فأقيمت الصلاة فقال لعبد الله تقدم فقال له عبد الله تقدم أنت في دارك فتقدم فنزع نعليه فقال له عبد الله أبالواد المقدس أنت وقال عكرمة ومجاهد إنما قال له اخلع نعليك كي تمس راحة قدميك الأرض الطيبة وينالك بركتها لأنها قدست مرتين وقال بعضهم أمر بذلك لأن الحفوة من أمارات التواضع وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت قال سعيد بن جبير قيل له طأ الأرض حافيا كيما يدخل كعبه من بركة الوادي وقال أهل الإشارة معناه فرغ قلبك من شغل الأهل والولد قالوا وكذلك هو في التعبير من رأى عليه نعلين تزوج فخلعهما موسى وألقاهما من وراء الوادي إنك بالوادي المقدس المطهر طوى اسم الوادي وقال الضحاك مستدير عميق مثل الطوى في استدارته وقيل أراد به إنك تطوي الوادي وقيل هو الليل يقال أتينك طوى من الليل وقيل طويت عليه البركة طيا وقرأ عكرمة طوى بكسر الطاء وهما لغتان وقرأ أهل الكوفة والشام طوى بالتبوين وإلا جرت لتذكيره وتحقيقه الباكون من غير تبوين قال لأنه معدول عن طاو أو مطوى فلما كان

معدولا عن وجهه كان مصروفا عن إعرابه مثل عمر وزفر وقثم وأنا اخترتك اصطفتيك وقرأ حمزة وأنا اخترناك بلفظ الجمع على التعظيم فاستمع لما يوحى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ولا تعبد غيري وأقم الصلاة لذكري قال مجاهد أقم الصلاة لتذكرني فيها وقال مقاتل إذا تركت الصلاة ثم ذكرتها فأقمها يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن يعقوب قال حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها إن الله سبحانه يقول وأقم الصلاة لذكري وقيل هو مردود على الوحي يعني فاستمع لما يوحى واستمع لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها فأكاد صلة كقول الشاعر سريع إلى الهيجاء شاك سلاحه فما أن يكاد قرنه يتنفس يعني فما يتنفس من

خوفه والفائدة في الإخفاء التخويف والتهويل قال ابن عباس وأكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسي وكذلك هو في مصحف أبي وفي مصحف عبد الله أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراءات فكيف أظهرها لكم قال قطرب فإن قيل كيف يخفي الله من نفسه وهو خلق الإخفاء قلنا إن الله سبحانه كلم العرب بكلامهم الذي يعرفونه ألا ترى أن الرجل يعذل أخاه فيقول له أذعت سري فيقول مجيباً له معذراً إليه والله لقد كتمت سرك نفسي فكيف أذعته معناه عندهم أخفيته الإخفاء كله وقال الشاعر أيام تعجيني هند وأخبرها ما أكتم النفس من حاجي وإسراري فكيف يخبرها ما يكتم عن نفسه فمجاز الآية على هذا وقرأ الحسن وسعيد بن جبير أخفيها بفتح الألف أي أظهرها وأبرزها يقال خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته قال امرؤ القيس خفاهن من إنفاقهن كأنما خفاهن ودق من سحاب مركب أي اخرجهن لتجزي كل نفس بما تسعى أي تعمل من خير وشر فلا يصدنك يصدنك عنها يعني عن الإيمان بالساعة من لا يؤمن بها واتبع هواه مراده فتردى فتهلك وما تلك بيمينك يا

(5/273)

موسى قال هي عصاي وكانت لها شعبتان وفي أسفلها سنان واسمها نبعة في قول مقاتل أتوكأ اعتمد عليها إذا مشيت وإذا أعبيت وعند الوثبة والطفرة وأهش وأخبط بها الشجر ليتناثر ورقها فتأكل غنمي وقرأ عكرمة وأهس بالسين يعني وازجر بها الغنم وذلك أن العرب تقول هس هس وقال النضر بن شميل سألت الخليل عن قراءة عكرمة فقال العرب تعاقب بين الشين والسين في كثير من الكلام كقولهم شممت العاطس وسمته وشن عليه الدرع وسن والروشم والروسم للختم ولى فيها مارب حوائج ومنافع واحدها ماربة وماربة بفتح الراء وضمها أخرى ولم يقل آخر لرؤوس الآي قال ابن عباس كان موسى عليه السلام يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحذته وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء وكان يرد بها غنمه وتقيه الهوام بإذن الله وإذا ظهر له عدو حاربت وناضلت عنه وإذا أراد الإسقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كالذلو حتى يستقي وكان يظهر على شعبتها كالشمعتين بالليل تضيء له ويهتدي بها وإذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها في الأرض فتغصنت غصن تلك الشجرة وأورقت ورقها وأثمرت ثمرها فهذه المارب قال الله سبحانه ألقها يا موسى فألقاها من يده فإذا هي حية تسعى تمشي مسرعة على بطنها قال ابن عباس صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى صارت ثعباناً وهو أكبر ما يكون من الحيات فلذلك قال في موضع كأنها جان وهو أصغر الحيات وفي موضع ثعبان وهو أعظمها فالجان عبارة عن ابتداء حالها والثعبان إخبار عن انتهاء حالها وقيل أراد أنها في عظم الثعبان وسرعة الجان فأما الحية فإنها تجمع الصغر والكبر والذكر والأنثى قال فرقد السخي كان ما بين جنبيها أربعين ذراعاً فلما ظهر في موسى من الخوف ونفار الطبع لما رأى من العجوبة قال الله تعالى له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها أي إلى سيرتها وهيئتها الأولى نردها عصا كما كانت واضمم يدك إلى

جناحك يعني إبطك وقال الكلبى أسفل من الإبط وقال مجاهد تحت عضدك وقال مقاتل يعني مع جناحك وهو عضده تخرج بيضاء من غير سوء برص ولا داء آية أخرى سوى العصا فأخرج يده من مدرعة له مضرية بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر لنريك من آياتنا الكبرى وكان من حقه الكبر وإنما قال الكبرى وفاقا لرؤس الآي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من آياتنا الآية الكبرى دليله قول ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته

أذهب إلى فرعون إنه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي صلى الله عليه وسلم أمرى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى صلى الله عليه وسلم أمرى كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً قال قد أوتيت سؤالك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقدفيه فى التابوت فاقدفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني صلى الله عليه وسلم إذ تمشى صلى الله عليه وسلم أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى صلى الله عليه وسلم أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بنىأتى ولا تنيا فى ذكرى اذهباً إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى قالاً ربنا إنما نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافاً إننى معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا صلى الله عليه وسلم إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى صلى الله عليه وسلم وإسراييل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى صلى الله عليه وسلم أعطى كل شىء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى اذهب إلى فرعون إنه طغى عصى وعلأ

وتكبر وكفر فادعه إلى عبادتي واعلم بأنى قد ربطت على قلبه قال فكيف تأمرنى أن أتبه وقد ربطت على قلبه فأتاه ملك من خزان الريح فقال انطلق فإننا اثنا عشر من خزان الريح منذ خلقنا الله سبحانه نحن فى هذا فما علمناه فأمض لأمر الله فقال موسى عند ذلك رب اشرح لي صدري وسع ولين قلبي بالإيمان والنبوة ويسر لي أمري وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون واحلل وابسط وافتح عقدة من لساني قال ابن عباس كانت فى لسانه رتة وذلك أنه كان فى حجر فرعون ذات يوم فلطمه لطمه وأخذ بلحيتة فقال فرعون لآسية امرأته ان هذا عدوي فقالت آسية على رسلك إنه صبي لا يفرق بين الأشياء ولا يميز ثم جاءت بطستين فجعلت فى أحدهما الجمر وفى الأخرى الجوهر ووضعتهما بين يدي موسى فأخذ جبرئيل بيد موسى فوضعهما

على النار حتى رفع جمرة ووضعها على لسانه فتلك الرثة يفقهوا قولي كي يفهموا كلامي واجعل لي وزيرا معيناً وظهيراً من أهلي ثم بين من هو فقال هارون أخي أشدد به أزري قو به ظهري وأشركه في أمري يعني النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيراً نصلي لك ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وابن عامر أشدد به أزري بفتح الألف وأشركه بضم الألف

(5/276)

على الجزاء والجواب حكاية عن موسى أني أفعل ذلك قال الله سبحانه قد أوتيت سؤالك يا موسى قد أعطيت مرادك وسؤالك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى قبل هذا وهي إذ أوحينا إلى أمك وحي إلهام مثل وحي النحل ما يوحي أن اقدفيه أن اجعليه في التابوت قال مقاتل والمؤمن الذي صنع التابوت من آل فرعون اسمه خربيل وقيل إنه كان من بردي فاقدفيه في اليم يعني نهر النيل فليلقه اليم بالساحل يعني شاطئ النهر لفظه أمر ومعناه خبر مجازه حتى يلقيه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعته فيه موسى وقيرت رأسه وخصاصه يعني شقوقه ثم ألقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما هو جالس على رأس البركة مع امرأته أسية إذا بتابوت يحيى به الماء فلما رأى ذلك أمر الغلمان والجواري بإخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك فذلك قوله سبحانه وألقيت عليك محبة مني قال ابن عباس أحبه وحببه إلى خلقه قال عطية العوفي جعل عليه مسحة من جمال لا تكاد يصر عنه من رآه قال قتادة ملاحه كانت في عيني موسى ما رآه أحد إلا عشقه ولتصنع على عيني أي ولتربي وتغذي بمرأى ومنظر مني إذ تمشي أختك واسمها مريم متعرفة خبره فتقول هل أدلكم على من يكفله يرضعه وبضمه إليه وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله فرجعناك فرددناك إلى أمك وفي مصحف أبي فرددناك إلى أمك كي تقر عينها بلقائك وبقائك ولا تحزن وقتلت نفسها قال ابن عباس قتل قبطيا كافرا قال كعب الأحبار كان إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة فنجيناك من الغم أي من غم القتل وكريته وفتناك فتونا قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقال الضحاك وقتادة ومقاتل ابتليناك ابتلاء وقال مجاهد أخلصناك إخلاصا فلبثت سنين يعني عشر سنين في أهل مدين وهي بلدة شعيب على ثلاث مراحل من مصر

(5/277)

قال وهب لبث عند شعيب ثمان وعشرين سنة عشر سنين منها مهر امرأته صفيرا بنت شعيب وثمانية عشرة سنة أقام عنده حتى ولد له ثم جئت على قدر يا موسى قال مقاتل على موعد قال محمد بن كعب ثم جئت على القدر الذي قدرت أنك تجيء قال عبد الرحمن بن كيسان على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحي فيه

إلى الأنبياء قال الكلبى وافق الكلام عند الشجرة واصطنعتك لنفسى اخترتك واصطفيتك واختصصتك بالرسالة أو النبوة اذهب أنت وأخوك بآياتي اليد والعصا ولا تنيا قال ابن عباس لا تضعفا وقال السدي لا تفترا وقال محمد بن كعب لا تقصرا وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تبطنأ وقي قراءة ابن مسعود ولا تهنا اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولنا قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما ولا تغلظا وقال السدي وعكرمة كنياه قولاً له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقال مقاتل يعني بالقول اللين هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى وقال أهل المعاني معناه الطفا له في قولكما فإنه ربك وأحسن تربيتك وله عليك حق الأبوة فلا تجبهه بمكروه في أول قدومك عليه يقال وعده على قبول الإيمان شباباً لا يهرم وملكا لا ينزع عنه إلا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته قال المفسرون وكان هارون يومئذ بمصر فأمر الله عز وجل أن يأتي هو وهارون وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحى إليه فقال له موسى إن الله سبحانه أمرني أن أتى فرعون فسألت ربي عز وجل أن يجعلك معي وقوله لعله يتذكر أو يخشى أي يسلم فإن قيل كيف قال لعله يتذكر أو يخشى وعلمه سابق في فرعون أنه لا يتذكر ولا يخشى قال الحسين بن الفضل هو مصروف إلى غير فرعون ومجازه لكي يتذكر متذكر أو يخشى خاش إذا رأى بري وإطافي بمن خلقته ورزقته وصححت جسمه وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية دوني وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق لعل ها هنا من الله واجب ولقد تذكر فرعون حيث لم تنفعه

(5/278)

الذكرى والخشية وذلك قوله حين الجمه الغرق في البحر آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن حبيب يقول سمعت أبي يقول سمعت على بن محمد الوراق يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول وقرأ هذه الآية هذا رفك بمن يقول أنا الإله فكيف رفك بمن يقول أنت الإله قال أبو القاسم الحسين فبنت عليه ألفاظا اقتديت به فيها فقلت هذا رفك بمن ينافيك فكيف رفك بمن يصافيك هذا رفك بمن يعاديك فكيف رفك بمن يواليك هذا رفك بمن يسبك فكيف رفك بمن يحبك هذا رفك بمن يقول لك ندا فكيف رفك بمن يقول فردا هذا رفك بمن صل فكيف رفك بمن ذل هذا رفك بمن اقترف فكيف رفك بمن اعترف هذا رفك بمن أصر فكيف رفك بمن أقر هذا رفك بمن استكبر فكيف رفك بمن استغفر قال يعني موسى وهارون ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا قال ابن عباس يعجل بالقتل والعقوبة وقال الضحاك تجاوز الحد وقيل يغلبنا أو أن يطغى يتكبر ويستعصي علينا قال لا تخافا إنني معكما بالدفع عنكما أسمع قولكما وقوله وأرى فعله وفعلكما فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم أي ولا تتعبهم في العمل وكانت بنو إسرائيل عند آل فرعون في عذاب شديد يقتل أبناءهم ويستخدم نساءهم ويكلفهم من العمل واللبن والطين وبناء المدائن ما لا يقدرون عليه قال موسى قد جئناك بآية من ربك قال فرعون وما هي قال فأدخل يده في جيب قميصه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس غلبت نور

الشمس فعجب منها ولم يره العصا إلا بعد ذلك يوم الزينة والسلام على من اتبع الهدى يعني من أسلم إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب أنبياء الله وتولى أعرض عن الإيمان ورأيت في بعض التفاسير أن هذه أرجى آية للموحدين في القرآن قال فمن ربكما يا موسى يعني يا موسى وهارون فذكر موسى دون هارون لرؤوس الآي قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه قال الحسين وقتادة أعطى كل

(5/279)

شئ صلاحه وهداه لما يصلحه وقال مجاهد لم يجعل الإنسان في خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا وقال عطية أعطى كل شئ خلقه يعني صورته وقال الضحاك أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للبصر والأذن للسمع وأخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزهري قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا سعيد بن سليمان عن إسماعيل بن زكريا عن إسماعيل بن أبي صالح أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال هداه لمعيشته وقال ابن عباس وسعيد بن جبير أعطى كل شيء خلقه يعني شكله للإنسان الزوجة وللبعير الناقة وللفرس الرمكة وللحمار الأتان ثم هدى أي عرف وعلم وألهم كيف يأتي الذكر الأنثى في النكاح وقرأ نصير خلقه بفتح اللام على الفعل قال فرعون فما بال القرون الأولى وإنما قال هذا فرعون لموسى حين قال موسى إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم فقال فرعون حينئذ له فما بال القرون الأولى التي ذكرت فقال موسى علمها عند ربي في كتاب يعني اللوح المحفوظ وإنما رد موسى علم ذلك إلى الله سبحانه لأنه لم يعلم ذلك وإنما نزلت التوراة عليه بعد هلاك فرعون وقومه لا يضل ربي أي لا يخطئ ولا ينسى فيتذكر وقال مجاهد هما شيء واحد الذي جعل لكم الأرض مهذا قرأه أهل الكوفة بغير ألف أي فرشاً وقرأ الباقون مهادا أي فراشا واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله ألم نجعل الأرض مهادا ولم يختلفوا فيه أنه بالألف وسلك لكم فيها سبلا أي أدخل وبين وطرق لكم فيها طرقا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا أصنافا من نبات شتى مختلف الألوان والطعوم والمنافع من بين أبيض وأحمر وأخضر وأصفر ووهب كل صنف زوجا ومنها للدواب ومنها للناس ثم قال كلوا وارعوا أي ارتعوا أنعامكم يقول العرب رعيت الغنم فرعت لازم ومتعد إن في ذلك الذي ذكرت آيات لاولي النهي أي لذوي العقول واحدها نهية سميت بذلك

(5/280)

لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والفضائح وارتكاب المحظورات والمحرمات وقال الضحاك لاولي النهي يعني الذين ينتهون عما حرم عليهم وقال قتادة لذوي الورع وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لذوي التقى الذي جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا

من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لاولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناها آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجتتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيدته ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري فتنازعو صلى الله عليه وسلم أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالو صلى الله عليه وسلم إن هاذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعو صلى الله عليه وسلم إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقى السحرة سجدا قالو صلى الله عليه وسلم أمانا برب هارون وموسى قال ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلينكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحيوة الدنيا إنا أمانا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأتته مؤمنا قد عمل

(5/281)

الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى منها أي من الأرض خلقناكم يعني أباكم آدم وقال عطاء الخراساني إن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة فذلك قوله سبحانه منها خلقناكم وفيها نعيدكم أي عند الموت والدفن قال علي إن المؤمن إذا قبض الملك روحه انتهى به إلى السماء وقال يا رب عبدك فلان قبضنا نفسه فيقول ارجعوا فإني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم فإنه يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين ومنها نخرجكم تارة أخرى مرة أخرى بعد الموت عند البعث

(5/282)

ولقد أريناها يعني فرعون آياتنا كلها يعني اليد والعصا والآيات التسع فكذب بها وزعم أنها سحر وأبى أن يسلم قال فرعون أجتتنا لتخرجنا من أرضنا يعني مصر بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا فاضرب بيننا وبينك أجلا وميقاتا لا نخلفه لا نجاوزه نحن ولا أنت مكانا سوى مستويا قرأ الحسن وعاصم والأعمش وحمزة سوى بضم السين الباقون بكسر وهما لغتان مثل عدي وعدي وطوى وطوى قال قتادة ومقاتل مكانا عدلا بيننا وبينك وقال ابن عباس صفا وقال الكلبي يعني سوى هذا المكان وقال أبو عبيد والقيسي

وسطا بين الفريقين وقال موسى بن جابر الحنفي وإن أبانا كان حل ببلدة سوى بين قيس قيس عيلان والفرز الفرز سعد بن زيد مناة قال موعدكم يوم الزينة قال ابن عباس وسعيد بن جبير يعني يوم عاشوراء وقال مقاتل والكلبي يوم عيد لهم في كل سنة يتزينون ويجمعون فيه وروى جعفر عن سعيد قال يوم سوق لهم وقيل هو يوم النيروز وقرأ الحسن وهبيرة عن حفص يوم الزينة بنصب الميم أي في يوم وقرأ الباقر بالرفع على الابتداء والخبر وأن يحشر الناس ضحى وقت الضحوة يجتمعون نهارا جهارا ليكون أبلغ في الحجة وأبعد من الريبة فتولى فرعون فجمع كيده حيله وسحرته ثم أتى الميعاد قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعون ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقيل كانوا أربعمئة قال موسى للسحرة لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم قرأ أهل الكوفة فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء وقرأ الباقر بفتح الياء والحاء وهما لغتان سحت وأسحت قال مقاتل والكلبي فيهلككم وقال قتادة فيستأصلكم وقال أبو صالح يذبحكم قال الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف

(5/283)

فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرروا النجوى أي المناجاة تكون اسما ومصدرا قالوا إن هذان لساحران قرأ عبد الله وأسرروا النجوى إن هذان ساحران بفتح الألف وجزم نونه ساحران بغير لام وقرأ ابن كثير وحفص إن بكسر الالف وجزم النون هذان بالالف على معنى ما هذان إلا ساحران نظيره قوله وإن نظنك لمن الكاذبين قال الشاعر ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة الرحمن يعني ما قتلت إلا مسلما يدل على صحة هذه القراءة قراءة أبي بن كعب إن هذان ساحران وقرأ عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمر بن علاء إن هذين لساحران بالياء على الأصل قال أبو عمرو واني لإستحي من الله أن أقرأ إن هذان وقرأ الباقر إن بالتشديد هذان بالالف واختلفوا فيه فقال قوم بما أخبرنا أبو بكر بن عبدوس وعبد الله بن حامد قالا حدثنا أبو العباس الأصم قال حدثنا محمد بن الجهم السمرى قال حدثنا الفراء قال حدثني أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها سئلت عن قوله سبحانه في النساء لكن الراسخون والمقيمون وعن قوله في المائدة إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وعن قوله إن هذان لساحران فقالت يا بن أخي هذا خطأ من الكاتب وقال عثمان بن عفان إن في المصحف لحنا ويستقيمه العرب بالسنتهم وقال أبان قرئت هذه الآية عند عثمان فقال لحن وخطأ فليل له ألم تغيره فقال دعوه فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وقال آخرون هذه لغة الحارث بن كعب وختعم وزيد وكنانة يجعلون الأسين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف قال الفراء أنشدني رجل من بني الأسد وما رأيت أفصح منه وأطرق إطراق الشجاع ولو ترى مساعغا لناباه الشجاع لصمما

(5/284)

ويقولون كسرت يدها وركبت علاه بمعنى يديه وعليه وقال الشاعر تزود منا بين أذناه ضربة دعته إلى هابي التراب عقيم أراد بين أذنيه وقال آخر أي قلوب راكب نراها طاروا علاهن فطر علاها أي عليهن وعليها وقال آخر إن أباه وأبا أباه قد بلغا في المجد غايتها وروي أن أعرابيا سأل ابن الزبير شيئا فحرمه فقال لعن الله ناقة حملتني إليك فقال ابن الزبير إن صاحبها يعني نعم وقال الشاعر بكرت علي عواذلي يلحيني وألو مهنة ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت إنه أي نعم وقال الفراء وفيه وجه آخر وهو أن يقول وجدت الألف دعامة من هذا على حالها لا تزول في كل حال كما قالت العرب الذي ثم زادوا نونا يدل على الجمع فقالوا الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم وكناية تقول اللذون يريدان أن يخرجكم من أرضكم مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى حدث الشعبي عن علي قال يصرفا وجوه الناس إليهما وهي بالسريانية وقال ابن عباس يعني بسراة قومكم وأشرافكم وقال مقاتل والكلبي يعني الأمثل فالأمثل من ذوي الرأي والعقول وقال عكرمة يعني يذهب أخباركم وقال قتادة طريقتكم المثلى يومئذ بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عددا يومئذ وأموالا فقال عدو الله إنما يريدان أن يذهبا به لأنفسهما وقال الكسائي بطريقتكم يعني بسنتكم وهديكم وسمتكم والمثلى نعت للطريقة كقولك امرأة كبرى تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعني على الهدى المستقيم قال الشاعر فكم متفرقين منوا بجهل حدى بهم إلى زيغ فراغوا وزيغ بهم عن المثلى فتاهوا وأورطهم مع الوصل الرداغ

(5/285)

فزلت فيه أقدام فصارت إلى نار غلا منها الدماغ والمثلى تأنيث الأمثل فأجمعوا كيدكم قرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الألف وفتح الميم من الجمع يعني لا تدعوا شيئا من كيدكم إلا جئتم به وتصديقه قوله فجمع كيده وقرأ الباقون فأجمعوا بقطع الألف وكسر الميم وله وجهان أحدهما بمعنى الجمع يقول العرب أجمعت الشيء وجمعته بمعنى واحد قال أبو ذؤيب فكأنه بالجزع جزع يتابع وأولاه ذي العرجاء تهب مجمع والثاني بمعنى العزم والأحكام يقول أجمعت الأمر وأزمعته وأجمعت على الأمر وأزمعته عليه إذا عزمته عليه قال الشاعر ياليت شعري والمنى لا تنفع هل أغدون يوما وأمري مجمع أي محكم وقد عزم عليه كيدكم ومكركم وسجركم وعلمكم ثم اتوا صفا قال مقاتل والكلبي جميعا وقيل صفوفا وقال أبو عبيد يعني المصلى والمجتمع وحكي عن بعض العرب الفصحاء ما استطعت أن أتى الصف أمس يعني المصلى وقد أفلح اليوم من استعلى يعني فاز من غلب قالوا يعني السحرة يا موسى إما أن تلقى عصاك من يدك وإما أن تكون أول من ألقى عصاه قال موسى بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيتهم وهو جمع العصا يخيل إليه قرأ ابن عامر بالتاء رده إلى الحبال والعصي وقرأ الباقون بالياء رده إلى الكيد أو السحر ومعناه شبه إليه من سحرهم حتى ظن أنها تسعى أي تمشي وذلك أنهم كانوا لطحوا حبالهم وعصيتهم بالزئبق فلما أصابه حر الشمس ارتهشت واهتزت فظن موسى أنها تقصده فأوجس أي أحس ووجد وقيل أضمر في نفسه خيفة موسى قال مقاتل إنما خاف موسى إذ صنع القوم مثل صنيعه ان يشكو فيه فلا يتبعوه وبشك فيه من تابعه قلنا لموسى لا تخف إنك أنت الأعلى الغالب وألق ما في يمينك يعني

العصا تلقف تلتقم وتلتهم ما صنعوا إنما صنعوا يعني إن الذي صنعوا كيد ساحر
قرأ أهل الكوفة بكسر السين من غير ألف وقرأ الباقون ساحر بالألف على
فاعل واختاره أبو عبيد

(5/286)

قال لأن إضافة الكيد إلى الرجل أولى من إضافته إلى السحر وإن كان ذلك لا
يتمتع في العربية ولا يفلح الساحر حيث أتى من الأرض وقيل معناه حيث احتال
فألقي السحرة سجدا قالوا أمنا برب هارون وموسى قال أمنتكم له يعني به
كقوله فآمن له لوط قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم لرئيسكم ومعلمكم الذي
علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف يعني الرجل اليسرى واليد
اليمنى ولأصلبكنم في جذوع النخل يعني جذوع النخل قال سويد بن أبي كاهل
وهم صلبوا العيدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا وتعلمن أينا
أشد عذابا أنا أو رب موسى وأبقى قالوا يعني السحرة لن نؤثرك على ما جاءنا
من البيئات قال مقاتل يعني اليد والعصا وأخبرنا البيهقي والاصفهاني قال
أخبرنا مكي بن عبدان قال حدثنا أبو الأزهر قال حدثنا روح قال حدثنا هشام بن
أبي عبد الله عن القاسم بن أبي برزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر
فألحقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا حتى جعل موسى يخيل إليه من
سحرهم أنها تسعى فأوحى الله سبحانه أن ألق عصاك فألقى عصاه فإذا هي
ثعبان مبين فاغرفاه فابتلع حبالهم وعصيهم وألقى السحرة عند ذلك سجدا فما
رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها عند ذلك قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البيئات يعني الجنة والنار وما رأوا من ثوابهم ودرجاتهم قال
وكانت امرأة فرعون تسأل من غلب فيقال غلب موسى فتقول أمنت برب
موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فأتوها
فإن هي رجعت عن قولها فهي امرأته وإن هي مضت على قولها فألقوا عليها
الصخرة فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأرابت بيتها في الجنة فمضت
على قولها وانتزعت روحها والقيت على جسد لا روح فيه والذي فطرنا يعني
وعلى الذي خلقنا وقيل هو قسم فاقض ما أنت قاض فاحكم

(5/287)

ما أنت حاكم واصنع ما أنت صانع من القطع والصلب إنما تقضي هذه الحياة
الدنيا يقول إنما تملكنا في الدنيا ليس لك علينا سلطان إلا في الدنيا إنا أمنا
بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر قال مقاتل كانت السحرة
أثنين وسبعين ساحرا اثنان منهم من القبط وهما رأسا القوم وسبعون منهم
من بني إسرائيل وكان فرعون أكره أولئك السبعين الذين هم من بني إسرائيل
على تعلم السحر وقال عبد العزيز بن أبان إن السحرة قالوا لفرعون أرنا
موسى إذا نام فأراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون ان هذا ليس
بسحر إن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم إلا أن تعملوا فذلك قوله وما
أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى منك لأنك فان هالك إنه من يأت ربه
في الآخرة مجرما مشركا يعني بات على الشرك فإن له جهنم لا يموت فيها

فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه ومن يآته مؤمنات على الإيمان قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى الرفيعة في الجنة جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى أي صلح وقيل تطهر من الكفر والمعاصي وقال الكلبي يعني أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يابني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وإنى لغفار لمن تاب وأمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولا صلى الله عليه وسلم ء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا

(5/288)

ما أخلفنا موعداك بملكنا ولا كنا حملنا أوزارا من زينة القوم فخذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإلاه موسى فنسى أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان فاتبعوني وأطيعوا صلي الله عليه وسلم أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا صلي الله عليه وسلم ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال بينوم

(5/289)

لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى صلي الله عليه وسلم إسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى قال فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي أي سر بهم أول الليل من أرض مصر فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا يبسا ليس فيه ماء ولا طين لا تخاف دركا من فرعون خلفك ولا تخشى غرقا من البحر أمامك وقرأ حمزة لا تخف بالجزم على النهي الباكون بالألف على النفي واختاره أبو عبيد لقوله ولا تخشى رفعا ودليل قراءة حمزة قوله يولوكم الأديار ثم لا تنصرون فاستأنف قال الفراء ولو نوى حمزه بقوله ولا تخشى الجزم لكان صوابا وقال الشاعر هجوت زمانا ثم ملت معذرا من سب زمان لم يهجو ولم يذع وقال آخر ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبوت بني زياد فأتبعهم فلحقهم فرعون بجنوده فغشيهم أصابهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى أي وما هداهم إلى مرشدهم

وهذا جواب قول فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد فكذبه الله تعالى فقال بل أضلهم وما هداهم قال وهب استعار بنو إسرائيل حليا كثيرا من القبط ثم خرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا فأخبر فرعون بذلك فركب في ستمائة ألف من القبط يقص أثر موسى فلما رأى قوم موسى رهج الخيل قالوا إنا لمدركون فقال موسى كلا إن معي ربي سيهدين فلما قربوا قالوا يا موسى أين نمضي البحر أمامنا وفرعون خلفنا فضرب موسى بعصاه البحر فانفلق فصار فيه اثنتا عشرة طريقا يابسة لكل سبط طريق وصار بين كل طريقين كالطود العظيم من الماء وكانوا يمرون فيه وكلهم بنو أعمام فلا يرى هذا السبط ذاك ولا ذاك هذا فاستوحشوا وخافوا فأوحى الله سبحانه إلى أطواد الماء أن تشبكي فصارت شبكات

(5/290)

يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض فلما أتى فرعون الساحل وجد موسى وبنى إسرائيل قد عبروا فقال للقبط قد سحر البحر فمر فقالوا له إن كنت ربا فادخل البحر كما دخل فجاء جبرئيل على رمكة وديق وكان فرعون على حصان وهو الذكر من الأفراس فأقحم جبرئيل الرمكة في الماء فلم يتمالك حصان فرعون واقتحم البحر على أثرها ودخل القبط عن آخرهم فلما تلججوا أوحى الله سبحانه إلى البحر أن غرقهم فعلاهم الماء وغرقهم قال كعب فعرف السامري فرس جبرئيل فحمل من أثره ترابا وألقاه في العجل حين اتخذه يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم فرعون وواعدناكم جانب الطور الأيمن وقد مر ذكره ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم هذه قراءة العامة بالنون والألف على التعظيم وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي أنجيتكم ووعدتكم ورزقتكم من غير ألف على التوحيد والتفريد كلوا من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تطغوا فيه قال ابن عباس ولا تظلموا وقال مقاتل ولا تعصوا وقال الكلبي ولا تكفروا النعمة وقيل ولا تحرموا الحلال وقيل ولا تنفقوا في معصيتي وقيل ولا تدخروا وقيل ولا تتقووا بنعمي على معاصي فيحل يجب عليكم غضبي ومن يحلل يجب عليه غضبي وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي فيحل ومن يحلل بضم الحاء واللام أي ينزل فقد هوى هلك وتردى في النار وإني لغفار لمن تاب من دينه وأمن بربه وعمل صالحا فيما بينه وبين الله ثم اهتدى قال قتادة وسفيان الثوري يعني لزم الإسلام حتى مات عليه وقال زيد بن أسلم تعلم العلم ليهتدي كيف يعمل وقال الشعبي ومقاتل والكلبي علم أن لذلك ثوابا وقال فضيل الناجي وسهل التستري أقام على السنة والجماعة وقال الضحاك يعني استقام وما أعجلك يعني وما حملك على العجلة عن قومك يعني عن السبعين الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه إلى الطور ليأخذ التوراة من ربه فلما سار عجل موسى شوقا إلى

(5/291)

ربه وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله سبحانه له وما أعجلك عن قومك يا موسى فقال مجيباً لربه هم أولاء يعني على أثري هؤلاء يجيئون وعجلت إليك رب لترضى لتزداد رضا قال الله سبحانه فإنما قد فتننا ابتلينا قومك الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً من بعدك من بعد انطلاقك إلى الجبل وأضلهم السامري يعني دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل وحملهم عليها فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا حزينا جزعا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا صدقا أنه يعطيكم التوراة أفضال عليكم العهد مدة مفارقتي إياكم أم أردتم أن يحل يجب عليكم غضب من ربكم فأخلفتكم موعدتي وذلك أن الله سبحانه كان قد وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري قال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان فقال لهم إنما اصابكم هذا عقوبة لكم بالحلي التي معكم وكانت حليا استعاروها من القبط فهلموا بها واجمعوها حتى يجيء موسى فيقضي فيه فجمعت ودفعت إليه فصاغ منها عجلا في ثلاثة أيام ثم قذف فيه القبضة التي أخذها من أثر فرس جبرئيل فقال قوم موسى له قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا قرأ أهل المدينة وعاصم بملكنا بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الميم الباقون بكسرهما ومعناها بسطاننا وطاقتنا وقدرتنا قال مقاتل يعني ونحن نملك أمرنا وقيل باختيارنا ولكننا حملنا قرأ أهل الحجاز والشام وحفص حملنا بضم الحاء وتشديد الميم الباقون حملنا بفتح الحاء والميم مخففة أوزارا أثقالا وأحمالا من زينة القوم من حلي قوم فرعون فخذفناها فجمعناها ودفعتها إلى السامري فألقاها في النار لترجع أنت فتري فيه رأيك فكذلك ألقى السامري ما معه من الحلي معنا كما ألقينا فأخرج لهم عجلا جسدا لا روح فيه صاغ لهم عجلا من ذهب مرصع بالجواهر له خوار صوت وذلك أنه خار خورة واحدة ثم لم يعد قال ابن عباس أتى هارون على السامري وهو يصنع

(5/292)

العجل فقال ما تصنع قال أصنع ما ينفع ولا يضر فقال اللهم أعطه ما سألك على ما في يقينه فلما قال اللهم إني أسألك أن يخور فخار فسجد وإنما خار لدعوة هارون فقالوا هذا إلهكم وإلاه موسى فنسي أي ضل وأخطأ الطريق وقيل معناه فتركه ها هنا وخرج يطلبه قال الله سبحانه أفلا يرون ألا يرجع يعني أنه لا يرجع إليهم قولا أي لا يكلمهم العجل ولا يجيبهم وقيل يعني لا يعود إلى الخوار والصوت ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يعني من قبل رجوع موسى يا قوم إنما فتنتم به

(5/293)

ابتليتكم بالعجل وإن ربكم الرحمان فأتبعوني على ديني وأطيعوا أمري فلا تعبدوه قالوا لن نبرح عليه عاكفين لن نزال على عبادته مقيمين حتى يرجع إلينا موسى فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال السبعون الذين

معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعره بيمينه ولحيته بشماله وقال له يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أخطأوا وأشركوا ألا تتبعني يعني أن تتبع أمري ووصيتي ولا صلة وقيل معناه ما منعك من اللحوق بي وإخباري بضلاتهم فتكون مفارقتك إياهم تقريبا وزجرا لهم عما أتوه وقيل معناه هلا قاتلتهم إذ علمت أنني لو كنت فيما بينهم لقاتلتهم على كفرهم أفعصيت أمري فقال هارون يا ابن أم قال الكلبي وغيره كان أخاه لأبيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم أن يرفقه ويستعطفه عليه فيتركه وقيل كان أخاه لأمه دون أبيه وقيل لأن كون الولد من الأم على التحقيق والأب من جهة الحكم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي يعني ذؤابتي وشعر رأسي إذ هما عضوان مصونان يقصدان بالإكرام والإعظام من بين سائر الأعضاء إني خشيت لو أنكرت عليهم لصاروا حزينين يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني إسرائيل وأوقعت الفرقة فيما بينهم ولم ترقب قولي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح قال قتادة في هذه الآية فذكر الصالحون الفرقة قبلكم ثم أقبل موسى على السامري فقال له فما خطبك أمرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت يا سامري قال قتادة كان السامري عظيما من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق بعدما قطع البحر مع بني إسرائيل فلما مرت بنو إسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم إلهة فاغتنمها السامري فاتخذ العجل فقال السامري مجيبا لموسى بصرت بما لم يبصروا به رأيت ما لم يعرفوا ما لم يعرفوا وفطنت ما لم يفطنوا وقرأ يحيى بن

(5/294)

وثاب والأعمش وحمزة والكسائي تبصروا بالتاء على الخطاب الباكون بالياء على الخبر فقبضت قبضة من أثر الرسول يعني فأخذت ترابا من أثر فرس جبرئيل وقرأ الحسن فقبضت قبضة بالصاد فيهما والفرق بينهما أن القبض بجمع الكف والقبض بأطراف الأصابع فنبذتها فطرحتها في العجل وكذلك سولت زينب لي نفسي قال له موسى فاذهب فإن لك في الحياة ما دمت حيا أن تقول لا مساس لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه قال قتادة إن بقاياهم اليوم يقولون ذلك لا مساس ويقال بأن موسى هم بقتل السامري فقال الله لا تقتله فإنه سخي وفي بعض الكتب إنه إن يمسه واحد من غيرهم أحدا منهم حم كلاهما في الوقت

(5/295)

وإن لك يا سامري موعدا لعذابك لن تخلفه قرأ الحسن وقتادة وأبو نهيك وأبو عمرو بكسر اللام بمعنى لن تغيب عنه بل توافيه وقرأ الباكون بفتح اللام بمعنى لن يخلفك الله وانظر إلى إلهك بزعمك وإلى معبودك الذي ظلت عليه دمت عليه عاكفا مقيما تعبه يقول العرب ظلت أفعل كذا بمعنى ظلت ومست بمعنى مسست وأحست بمعنى أحسست قال الشاعر خلا أن العتاق من المطايا أحسن به فهن إليه شوس أي أحسسن لنحرقنه قرأه العامة بضم

النون وتشديد الراء بمعنى لنحرقنه بالنار وقرأ الحسن بضم النون وتخفيف الراء من الإحراق بالنار وتصديقه قول ابن عباس فحرقه بالنار ثم ذراه في اليم وقرأ أبو جعفر وابن محيص وأشهب العقيلي لنحرقنه بفتح النون وضم الراء خفيفة بمعنى لنبردنه بالمبارد يقال حرقه يحرقه ويحرقه إذا برده ومنه قيل للمبرد المحرق ودليل هذه القراءة قول السدي أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه في اليم نسفا يقال نسف الطعام بالمنسف إذا ذراه فطير عنه قشوره وترايه إنما إلهكم الله الذي لا صلى الله عليه وسلم إلا هو وسع كل شىء علما كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد أتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا صلى الله عليه وسلم أمتا يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمان فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما

(5/296)

ولا هضما وكذلك أنزلناه قرءانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرءان من قبل إن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو لا العجل وسع ملاً كل شىء علما فعلمه ولم يضق عليه يقال فلان يسع لهذا الأمر إذا أطاقه وقوي عليه كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق من الأمور وقد أتيناك من لدنا ذكرا يعني القرآن من أعرض أدبر عنه فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا إنما عظيما وحملا ثقيلًا خالدين فيه لا يكفره شىء وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ فى الصور قرأه العامة بياء مضمومة على غير تسمية الفاعل وقرأ أبو عمرو بنون مفتوحة لقوله ونحشر المجرمين المشركين يومئذ زرقا والعرب تتشاءم بزرقه العيون قال الشاعر يهجورجلا لقد زرقت عيناك يا بن مكعب كما كل ضبي من اللؤم أزرق وقيل أراد عميا يتخافتون يتسارون فيما بينهم إن لبثتم ما مكثتم في الدنيا وقيل في القبور إلا عشرا أي عشر ليال قال الله سبحانه نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة أي أوفاهم عقلا وأصوبهم رأيا إن لبثتم إلا يوما قصر ذلك في أعينهم في جنب ما يستقبلهم من أهوال يوم القيامة ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها يقلعها من أماكنها ويطحرها في البحار حتى تستوي فإن قيل ما العلة الجالبة للفاء التي في قوله فقل خلافا لأخواتها في القرآن فالجواب أن تلك أسئلة تقدمت سألوا عنها رسول الله فجاء الجواب عقيب السؤال وهذا سؤال لم يسألوه بعد وقد علم الله سبحانه أنهم سألوه عنه فأجاب قبل السؤال ومجازها وإن سألوك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا أرضا ملساء لا نبات فيها لا ترى فيها

عوجا ولا أمتا قال ابن عباس العوج الأودة والأمت الروابي والنشوز مجاهد
العوج الانخفاض والأمت الارتفاع ابن زيد الأمت التفاوت والتعادي ويقول
العرب ملأت القرية ماء لا أمت فيه أي لا

(5/297)

استرخاء يمان الأمت الشقوق في الأرض
يومئذ يتبعون الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة وهو إسرافيل لا عوج له
أي لدعائه وقال أكثر العلماء هو من المقلوب أي لا حرج لهم عن دعائه لا
يزيغون عنه بل يتبعونه سراعا وخشعت وسكنت الاصوات للرحمن فوصف
الاصوات بالخشوع والمعنى لأهلها فلا تسمع إلا همسا يعني وطء الأقدام ونقلها
إلى المحشر وأصله الصوت الخفي يقال همس فلان بحدثه إذا أسرته وأخفاه
قال الراجز وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير نك لميسا يعني بالهمس
صوت أخفاف الإبل وقال مجاهد هو تخافت الكلام وخفض الصوت يومئذ لا تنفع
الشفاعة إلا من أذن له الرحمان في الشفاعة ورضي له قولا أي ورضي قوله
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الكناية مردودة إلى الذين يتبعون الداعي ولا
يحيطون به علما لا يدركونه ولا يعلمون ما هو صانع بهم وعنت الوجوه للحي
القيوم أي ذلت وخضعت واستسلمت ومنه قيل للأسير عان وقال أمية بن أبي
الصلت مليك على عرش السماء مهيم لعزته تعنو الوجوه وتسجد وقال طلق
بن حبيب هو السجود وقد خاب خسر من حمل ظلما شركا ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف قرأ ابن كثير على النهي جوابا لقوله ومن يعمل
من الصالحات والباقون فلا يخاف على الخبر ظلما ولا هضمنا قال ابن عباس لا
يخاف أن يزداد عليه في سيئاته ولا ينقص من حسناته الحسن وأبو العالية لا
ينقص من ثواب حسناته شيئا ولا يحمل عليه ذنب مسيء الضحاك لا يؤخذ
بذنب لم يعمل ولا يبطل حسنة عملها وأصل الهضم النقص والكسر يقال
هضمت لك من حنك أي حططت وهضم الطعام وامرأة هضم الكشح أي
ضامرة البطن

(5/298)

وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا بينا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون أو يحدث
لهم القرآن ذكرا عظة وعبرة وقال قتادة جدا وورعا فتعالى الله الملك الحق
ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه قرأ يعقوب بفتح النون والياءين
وقرأ الآخرون بضم الياء الأولى والأخرى وسكون الوسطى قال مجاهد وقتادة
لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه نهى عن تلاوة الآية التي
تنزل عليه وإملائه على أصحابه قبل بيان معناها وهذه رواية العوفي عن ابن
عباس وقال في سائر الروايات كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل
جبرائيل بالوحي يقرأه مع جبرائيل ولا يفرغ جبرائيل مما يريد من التلاوة حتى
يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بأوله حرصا منه على ما كان ينزل عليه
وشفقة على القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله سبحانه عن ذلك وقال
ولا تعجل بالقرآن أي بقراءة القرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه من قبل أن

يفرغ جبرئيل من تلاوته عليك وقل رب زدني علما بالقرآن أي فهما وقيل حفظا ونظيرها قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به الآية ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا صلى الله عليه وسلم إلا إبليس أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني صلى الله عليه وسلم أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب

(5/299)

الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلواة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بثأية من ربه أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا صلى الله عليه وسلم أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل الآية يقول الله سبحانه وإن يضع هؤلاء الذين نصرف لهم فى القرآن الوعيد عهدي وبخالفوا أمري ويتركوا طاعتي فقد فعل ذلك أبوهم آدم عليه السلام حيث عهدنا إليه أي أمرناه وأوصينا إليه فنسى فترك الأمر والعهد نظيره قوله نسوا الله فنسيهم أي تركوا أمر الله فتركهم الله فى النار هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن زيد نسي ما عهد الله إليه فى ذلك ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس الذى حسده وأبى أن يسجد له وعصى الله الذى كرمه وشرفه وعلى هذا القول يحتمل أن يكون آدم فى ذلك القول بالنسيان مأخوذ وإن كان هو اليوم عنا مرفوعا ولم نجد له عزم ما قال ابن عباس حفظا لما أمر به قتادة ومقاتل صبوا ابن زيد محافظة على أمر الله وتمسكا به الضحاك صريمة أمر عطية رأيا وقيل جزما ابن كيسان إصرارا وإضمارا على العود إلى الذنب ثانيا وأصل العزم النية واعتقاد القلب على الشيء قال أبو أمامة لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ يوم خلق الله سبحانه آدم إلى يوم تقوم الساعة ووضعت فى كفة ميزان ووضع حلم آدم فى الكفة الأخرى لرجح حلمه بأحلامهم وقد قال الله تعالى ولم

(5/300)

نجد له عزما وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى أن يسجد له
فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك حواء فلا يخرجكما من الجنة فتتعب
ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك قال سعيد بن جبير أهبط إلى آدم ثور
أحمر وكان يحرق عليه ويمسح العرق عن جبينه فهو شقاؤه الذي قال الله
سبحانه وكان حقه أن يقول فيشقى ولكن غلب المذكر رجوعا به إلى آدم لأن
تعبه أكثر وقيل لأجل رؤوس الآي إن لك ألا تجوع فيها أي في الجنة ولا تعرى
وأنت قرأ نافع بكسر الألف على

(5/301)

الاستئناف ومثله روى أبو بكر عن عاصم وقرأ الباقون بالفتح نسفا على قوله
أن لا تجوع لا تظمؤا بعطش فيها ولا تضحى تبرز للشمس فيؤذيك حرها قال
عمر بن أبي ربيعة رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي
فيحصر أخبرنا أبو بكر بن عبدوس المزكى قال أخبرنا أبو الحسن المحفوظي
قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن
خفيف عن عكرمة ولا تضحى ولا تصيبك الشمس فوسوس إليه الشيطان قال
يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت خالدا
مخلدا وملك لا يبلى لا يبيد ولا يفنى فأكلا يعني آدم وحواء منها أي من شجرة
المحنة فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفاً عليهما من ورق الجنة وعصى آدم
ربه فغوى أي تعدى إلى ما لم يكن له فعله وقال أكثر المفسرين فغوى أي
أخطأ وضل ولم ينل مراده مما أكل ثم اجتباه ربه اختاره واصطفاه فتاب عليه
وهدى هداه إلى التوبة ووقفه بها قال أهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما
يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي يعني الكتاب والرسول فلا يضل ولا يشقى
أخبرنا أبو عمرو أحمد بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا محمد بن إسحاق
قال حدثنا سعيد بن عيسى قال حدثنا فارس بن عمر وحدثنا صالح بن محمد
قال حدثنا يحيى بن الضريس عن سفيان عن رجل عن الشعبي عن ابن عباس
في قوله سبحانه فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال أجاز الله تعالى تابع
القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة وأخبرني محمد بن القاسم
قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا أبو بكر بن
أبي شيبة وأخبرني ابن المقرئ قال حدثنا محمد بن أحمد بن سنان قال حدثنا
الحسن بن سفيان قال حدثنا ابن شيبة قال حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن
قيس عن عكرمة عن ابن عباس

(5/302)

قال ضمن الله لمن قرأ القرآن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وبإسناده عن أبي بكر بن أبي شيبة قال
حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال
من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء

الحساب وذلك بأن الله يقول فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري يعني عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه فإن له معيشة ضنكا ضيقا يقال منزل ضنك وعيش ضنك يستوي فيه الذكر والأنثى والواحد والاثان والجمع قال عنتره وإذا هم نزلوا بطنك فانزل واختلف المفسرون في المعيشة الضنك فآخبرني أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد الحيري قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد المفيد قال حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال حدثنا أبو الوليد الطيالسي قال حدثنا حماد بن سلمة عن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله سبحانه ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا قال عذاب القبر وقال ابن عباس الشقاء مجاهد الضيق الحسن وابن زيد الزقوم والغسلين والضريع قتادة يعني في النار عكرمة الحرام قيس بن أبي حازم الرزق في المعصية الضحاك الكسب الخبيث عطية عن ابن عباس يقول كل مال أعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وإن قوما ضللا أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا أكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس بمخلف لهم معائشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب به فإذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك أبو سعيد الخدري يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويسلط عليه في قبره تسعة وتسعون تينا لكل تين سبعة رؤوس تنهشه وتخدش لحمه حتى يبعث ولو أن تينا منها ينفخ في الأرض لم تنبت زرا مقاتل معيشة سوء لأنها في معاصي الله سعيد بن جبير سلبه القناعة حتى لا يشبع

(5/303)

ونحشره يوم القيامة أعمى قال ابن عباس أعمى البصر مجاهد أعمى عن الحجة
قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا بعيني وقال مجاهد عالما بحجتي قال كذلك يقول كما أتتك آياتنا فنسيتها فتركها وأعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى تترك في النار وكذلك أي وكما جزينا من أعرض وكذلك نجزي من أسرف أشرك ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد مما يعذبهم به في الدنيا والقبر وأبقى وأدوم وأثبت أفلم يهد لهم يتبين لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ومنازلهم إذا سافروا واتجروا إن في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك نظم الآية ولولا كلمة سبقت من ربك في تأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزاما لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون نسختها آية القتال وسبح بحمد ربك وصل بأمر ربك وقيل بثناء ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الصبح وقبل غروبها يعني صلاة العصر ومن أناةي الليل صلاة العشاء الآخر فسبح وأطراف النهار صلاة الظهر والمغرب وإنما قال أطراف لهاتين الصلاتين لأن صلاة الظهر في آخر الطرف الأول من النهار وفي أول الطرف الآخر من النهار فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك يصلي المغرب فلذلك قال أطراف ونصب عطفا على قوله قبل طلوع الشمس لعلك ترضى بالشفاعة والثواب قرأه العامة بفتح التاء ودليله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقرأ الكسائي وعاصم برواية

أبي بكر بضم التاء ولا تمدن عينيك الآية قال أبو رافع أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي يستسلفه فأبى أن يعطيه إلا برهن فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله سبحانه ولا تمدن عينيك ولا تنظر إلى ما متعنا به أزواجاً منهم أي أعطيناهم أصنافاً من نعيم الدنيا زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وبهجتها قرأه العامة بحزم الهاء وقرأ يعقوب بفتحها وهما لغتان مثل جهرة وجهرة وإنما نصبها على القطع

(5/304)

والخروج من الهاء في قوله متعنا به ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً وإنما نكلفك عملاً نحن نرزقك والعاقبة الجميلة المحمودة للتقوى أي لأهل التقوى قال هشام بن عروة كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره وقال ولا تمدن عينيك إلى قوله والعاقبة للتقوى ثم ينادي الصلاة الصلاة يرحمكم الله وقال مالك بن دينار كان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خاصة يقول قوموا فصلوا ثم يقول بهذا أمر الله رسوله ويتلو هذه الآية وقالوا يعني هؤلاء المشركين لولا يأتينا محمد بأية من ربه كما أتى بها الأنبياء من قبله قال الله سبحانه أولم تأتهم بالتاء قرأه أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة لتأنيث البينة وقرأ الآخرون بالياء لتقديم الفعل ولأن البينة هي البيان فرده إلى المعنى بينة ما في الصحف الكتب الأولى أي بيان ما فيها يعني القرآن أقوى دلالة وأوضح آية وقال بعض أهل المعاني يعني ألم يأتهم بيان ما في الكتب الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما من أنباء الأمم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فأتتهم فكفروا بها كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك بكفرهم بها فما تؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله أي من قبل نزول القرآن ومجيء محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا ربنا لولا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعوننا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى بالعذاب قل يا محمد لهم كل متربص منتظر دوائر الزمان وما يكون من الحدثان ولمن يكون الفلح والنصر فتربصوا فستعلمون إذا جاء أمر الله تعالى وقامت القيامة من أصحاب الصراط السوي المستقيم ومن اهتدى من الضلالة أنحن أم أنتم

(5/305)

سورة الأنبياء وهي أربعة آلاف وثمان مائة وتسعون حرفاً وألف ومائة وثمان وستون كلمة ومائة واثنى عشرة آية أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الجرجاني المقرئ قال حدثنا أبو علي بن حبش الدينوري المقرئ قال حدثنا أبو العباس محمد بن موسى الدقاق الرازي قال حدثنا عبد الله بن روح المدائني قال حدثنا ظفران قال حدثنا ابن أبي داود قال حدثنا محمد بن عاصم قال حدثنا شبابة بن سوار الفزاري قال حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه

وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول فى السماء والأرض وهو السميع العليم بل قالو صلى الله عليه وسلم أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ما ءامنت قلوبهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى صلى الله عليه وسلم إليهم فاستلوا صلى الله عليه وسلم أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نשא وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون اقترب للناس قيل اللام بمعنى من أي اقترب من الناس حسابهم محاسبة الله

(5/306)

إياهم على أعمالهم وهم واو الحال فى غفلة عنه معرضون عن التفكير فيه والتأهب له نزلت فى منكري البعث ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث يعنى ما يحدث الله تعالى من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به إلا استمعوه وهم يلعبون لا يعتبرون ولا يتعظون قال مقاتل يحدث الله الأمر بعد الأمر وقال الحسن بن الفضل الذكر هاهنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل عليه قوله فى سياق الآية هل هذا إلا بشر مثلكم ولو أراد الذكر بالقرآن لقال هل هذا إلا أساطير الأولين ودليل هذا التأويل أيضا قوله ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين يعنى محمدا عليه السلام لاهية ساهية قلوبهم معرضة عن ذكر الله من قول العرب لهيت عن الشيء إذا تركته ولاهية نعت تقدم الاسم ومن حق النعت أن يتبع الاسم فى جميع الإعراب فإذا تقدم النعت الاسم فله حالتان فصل ووصل فحاله فى الفصل النصب كقوله سبحانه خشعا أبصارهم ودانية عليهم ظلالها و لاهية قلوبهم قال الشاعر لعزة موحشا طلال يلوح كأنه خلل أراد طلل موحش وحاله فى الوصل حال ما قبله من الإعراب كقوله تعالى ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها قال ذو الرمة قد أعسف النازح المجهول معسفة فى ظل أخضر يدعو هامه اليوم أراد معسفه مجهول وإنما نصب لانتصاب النازح وقال النابغة من وحش وجره موشي أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد أراد أن أكارعه موشية وأسروا النجوى الذين ظلموا كان حقه وأسر لأنه فعل تقدم الاسم فاختلف النحاة فى وجهه فقال الفراء الذين ظلموا فى محل الخفض على أنه تابع للناس فى قوله اقترب للناس حسابهم وقال الكسائي فيه تقديم وتأخير أراد والذين ظلموا أسروا النجوى

(5/307)

وقال قطرب وهذا سائغ فى كلام العرب وحكى عن بعضهم أنه قال سمعت بعض العرب يقول أكلوني البراغيث قال الله سبحانه ثم عموا وصموا كثير منهم وقال الشاعر بك نال النصال دون المساعي فاهتدين النبال للأغراض

ويحتمل أن يكون محل الذين رفعا على الابتداء ويكون معناه وأسروا النجوى ثم قال هم الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون أنه سحر قال ربي قرأ أكثر أهل الكوفة قال على الخبر عن محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الباقر قل على الأمر له يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع لأقوالهم العليم بأفعالهم بل قالوا أضغاث أحلام أي أباطيلها وأهاويلها بل افتراه بل هو شاعر يعني أن المشركين اقتسموا القول فيه فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل افتراه وقال بعضهم بل محمد شاعر وهذا الذي جاءكم به شعر لأن بل تأتي لتدارك شيء ونفي آخر فليأتنا بآية إن كان صادقا كما أرسل الأولون من الرسل بالآيات قال الله سبحانه مجيبا لهم ما آمنت قبلهم من قرية أهل قرية أتتها الآيات فأهلكناهم أفهم يؤمنون إن جاءهم آية وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم وهذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم فاسألوا أهل الذكر أي التوراة والإنجيل يعني علماء أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون وقال ابن زيد أراد بالذكر القرآن يعني فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن قال جابر الجعفي لما نزلت هذه الآية قال علي نحن أهل الذكر وما جعلناهم يعني الرسل الأولين جسدا قال الفراء لم يقل أجسادا لأنه اسم الجنس لا يأكلون الطعام يقول لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا محتاجين إلى الطعام وهذا جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم هلاك أعدائهم ومخالفيهم وإنجائهم ومتابعيهم فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين المشركين لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم قال مجاهد حديثكم وقيل شرفكم أفلا تعقلون وكم قصمنا

(5/308)

من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا صلى الله عليه وسلم إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لالعيب لو أردنا أن نتخذ لها لاتخذناه من لدنا إنا كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من فى السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذو صلى الله عليه وسلم آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هاذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى صلى الله عليه وسلم إليه أنه لا صلى الله عليه وسلم إلا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمان ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني صلى الله عليه وسلم إلاه من دونه فذالك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة أي أهلكنا والقصم الكسر يقال قصمت ظهر فلان وانقصمت سنة إذا انكسرت وأنشأنا وأحدثنا بعدها بعد إهلاك أهلها قوما آخرين فلما أحسوا رأوا بأسنا عذابنا إذا هم منها يركضون يسرعون هاربين يقال منه ركض

فلان فرسه إذا كده بالرجل وأصله التحريك لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه نعمتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون عن نبيكم مجاهد لعلكم تفقهون بالمسألة قتادة لعلكم تسألون من ديناكم شيئاً استهزاء بهم نزلت هذه الآيات في أهل حصورا وهي قرية باليمن وكان أهلها العرب فبعث الله إليهم نبياً يدعوهم إلى

(5/309)

الله سبحانه فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم ونكل بهم فلما استحر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهمزوا فقالت الملائكة لهم على طريق الاستهزاء لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه إلى مساكنكم وأموالكم فأتبعهم بخت نصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء بالثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم فقالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم قولهم وهجيراهم حتى جعلناهم حصيدا بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين ميتين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعين عبثا وباطلا لو أردنا أن نتخذ لهمو قال قتادة اللهم بلغه أهل اليمن المرأة

(5/310)

وقال عقبة بن أبي جسر شهدته الحسن بمكة وجاءه طاووس وعطاء ومجاهد فسألوه عن هذه الآية فقال الحسن اللهم المرأة وقال ابن عباس الولد لاتخذناه من لدنا من عندنا وما اتخذنا نساء وولدا من أهل الأرض نزلت في الذين قالوا اتخذ الله ولدا إن كنا فاعلين بل نقذف ناتى ونرمي وتنزل بالحق بالإيمان على الباطل الكفر فيدمغه فيهلكه وأصل الدماغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ فإذا هو زاهق ذاهب وهالك ولكم الويل يا معشر الكفار مما تصفون لله بما لا تليق به من الصاحبة والولد وقال مجاهد مما تكذبون ونظيره قوله سيجزيهم وصفهم أي تكذبيهم وله من في السموات والأرض عبدا وملكا ومن عنده يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون قال ابن عباس لا يستنكفون مجاهد لا يجسرون قتادة ومقاتل والسدي لا يعيون الوالبي عن ابن عباس لا يرجعون ابن زيد لا يملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا يضعفون ولا يسأمون قد ألهموا التسبيح كما تلهمون النفس أم اتخذوا آلهة من الأرض يعني الأصنام هم ينشرون يحيون الإموات ويخلقون الخلق لو كان فيهما أي في السماء والأرض آلهة إلا الله غير الله لفسدتا وهلك من فيهما فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل لأنه الرب وهم يسألون عما لا يعلمون لأنهم عبده أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم على ذلك ثم قال مستأنفا هذا يعني القرآن ذكر خبر من معي بيان الحدود والأحكام والثواب والعقاب وذكر من قبلي من الأمم السالفة وما فعل الله بهم في الدنيا وما هو فاعل بهم في الآخرة بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون عن القرآن وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه قرأ أكثر أهل الكوفة بالنون وكسر الحاء

(5/311)

على التعظيم لقوله أرسلنا وقرأ الباقون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه بل عباد مكرمون يعني الملائكة لا يسبقونه لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى قال ابن عباس هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله وقال مجاهد لمن ح وهم من خشيته مشفقون خائفون ومن يقل منهم إني إله من دونه قال قتادة عنى بهذه الآية إبليس لعنه الله حيث ادعى الشركة ودعا إلى عباده نفسه وأمر بطاعته قال لأنه لم يقل أحد من الملائكة إني إله من دون الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها أولم ير الذين كفروا صلى الله عليه وسلم أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ ء حتى أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلمهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفرين مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون وإذا رآك الذين كفروا صلى الله عليه وسلم إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمان هم كافرون خلق الإنسان من عجل ساوريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبتهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزى ء برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمان بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا

(5/312)

يصحبون بل متعنا هاؤلا صلى الله عليه وسلم ء وءآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل إنما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يندرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون

(5/313)

أولم ير قرأه العامة بالواو وقر ابن كثير ألم وكذلك هو في مصاحفهم ير يعلم الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما قال ابن عباس والضحاك وعطاء وقتادة يعني كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله سبحانه

بينهما بالهواء قال كعب خلق الله سبحانه السموات والأرضين بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتها ففتحتها بها وقال مجاهد وأبو صالح والسدي كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقتها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرضون كانت مرتقة طبقا واحدا ففتقتها فجعلها سبع أرضين عكرمة وعطية وابن زيد كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات نظيره قوله سبحانه والسماء ذات الارجع والأرض ذات الصدع وأصل الرتق السد ومنه قيل للمرأة التي فرجها ملتحم رتقا وأصل الفتق الفتح وإنما وحد الرتق وهو من نعت السموات والأرض لأنه مصدر وضع موضع الاسم مثل الزور والصوم والفطر والعدل ونحوها وجعلنا من الماء كل شيء حي يعني أن كل شيء حي فإنه خلق من الماء نظيره قوله سبحانه والله خلق كل دابة من ماء أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها أي في الرواسي فجاءا طرقا ومسالك واحدا فح ثم فسر فقال سبلا لعلمهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا من أن تسقط دليه قوله سبحانه وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وقيل محفوظا من الشياطين دليه قوله سبحانه وحفظناها من كل شيطان رجيم وهم عن آياتها معرضون فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها يعني الكفار وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون يجرون ويسيرون والفلك مدار النجوم الذي يضمها ومنه فلكة المغزل قال مجاهد كهيئة حديدة الرجا الضحاك فلكها مجراها وسرعة سيرها

(5/314)

وقال آخرون الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه وقال بعضهم الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب وكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وهو بمعنى قول قتادة وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد دوام البقاء في الدنيا أفان مت فهم الخالدون أي أفهم الخالدون كقول الشاعر رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم أي أهم نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون كل نفس منفوسة ذائقة الموت ونبلوكم نختبركم بالشر والخير فتنة ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وكيف صبركم فيما تكرهون وإلينا ترجعون وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك ما يتخذونك إلا هزوا سخريا ويقول بعضهم لبعض أهذا الذي يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها قال عنتره لا تذكرني فرسي وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجر أي لا تعيبي مهري خلق الانسان يعني آدم قرأ العامة بضم الخاء وكسر اللام على غير تسمية الفاعل وقرأ حميد والأعرج بفتح الخاء واللام يعني خلق الله الانسان من عجل اختلفوا فيه فقال بعضهم يعني أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع نظيره قوله وكان الإنسان عجولا قال سعيد بن جبير والسدي لما دخل الروح في عيني آدم نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الإنسان من عجل وقال آخرون معناه خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه وقالوا خلقه في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل مغيبها قال مجاهد خلق الله آدم بعد كل شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق فلما أحيا الروح رأسه ولم يبلغ أسفله قال يا رب استعجل بخلقني

قبل غروب الشمس وقال بعضهم هذا من المقلوب مجازه خلق العجل من
الإنسان كقول العرب عرضت

(5/315)

الناقة على الحوض يريدون عرضت الحوض على الناقة وكقولهم إذا طلعت
الشمس الشعري واستوى العود على الحربا أي استوى الحربا على العود وقال
ابن مقبل حسرت كفي عن السربال آخذه فردا يجر على أيدي المفدينا يريد
حسرت السربال عن كفي ونحوها كثير وقال أبو عبيد وكثير من أهل المعاني
يقولون العجل الطين بلغة حمير وانشدوا النبع تنبت بين الصخر ضاحية والنخل
ينبت بين الماء والعجل أي الطين سأريكم آياتي فلا تستعجلون بالعذاب وسؤال
الآيات ويقولون متى هذا الوعد الذي تعدنا من العذاب وقيل القيامة وتقديره
الموعود إن كنتم صادقين قال الله سبحانه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
يمنعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم السياط ولا هم ينصرون وفي الآية
اختصار يعني لما أقاموا على كفرهم ولم يتوبوا بل تأتيهم يعني الساعة بغتة
فجأة فتبتهتهم قال ابن عباس تفجأهم وقال الفراء تحيرهم فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما
كانوا به يستهزؤون قل من يكلؤكم يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من
الرحمان إذا انزل بكم عذابه ومعنى الآية من أمر الرحمن وعذابه ثم قال
سبحانه بل هم عن ذكر ربهم كتاب ربهم معرضون أم لهم الميم صلة فيه وفي
أمثاله آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم فكيف ينصرون
عابديهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون عطية عنه يجارون يقول
العرب أنا لك جار وصاحب من فلان أي مجير عنه مجاهد ينصرون ويحفظون
قتادة لا يصحبون من الله بخير بل متعنا هؤلاء الكفار وأبائهم في الدنيا حتى
طال عليهم العمر أفلا يرون أنا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها يعني ما ننقص
من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين أفهم الغالبون أم نحن قل
إنما أنذركم بالوحي بالقرآن ولا يسمع الصم الدعاء

(5/316)

قرأ أبو عبد الرحمن السلمي بضم الياء وفتح الميم الضم رفع بمعنى أنه لا
يفعل بهم ذلك على مذهب ما لم يبين فاعله وقرأ ابن عامر تسمع بتاء
مضمومة وكسر الميم والصم نصبا جعل الخطاب للنبي عليه السلام وقرأ
الآخرون يسمع بياء مفتوحة وفتح الميم الضم رفع على أن الفعل لهم إذا ما
ينذرون يخوفون ويحذرون ولئن مستهم أصابتهم نفة من عذاب ربك قال ابن
عباس طرف مقاتل وقتادة عقوبة ابن كيسان قليل ابن جريح نصيب من قولهم
نفع فلان لفلان إذا أعطاه قسما وحظا منه بعضهم ضربة من قول العرب
نفتحت الدابة برجلها إذا ضربت بها قال الشاعر وعمرة من سروات النساء تنفح
بالمسك أردانها ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط العذاب
وإنما وحد القسط وهو جمع الموازين لأنه في مذهب عدل ورضى قال مجاهد
هذا مثل وإنما أراد بالميزان العدل فلا تظلم نفس شيئا لا ينقص من حسناته ولا

يزاد على سيئاته يروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فان قيل كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فالجواب إن المعنى فيه لا نقومها ولا تستقيم على الحق من ناقصه سائله لأنها باطلة وإن كان مثقال حبة من خردل رفع أهل المدينة المثقال بمعنى وإن وقع وحينئذ لا خير له ونصبها الباقيون على معنى وإن كان ذلك الشيء مثقال ومثله في سورة لقمان أتينا بها أحضرناها وقرأ مجاهد أتينا بالمد أي جازينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد أتينا موسى وهارون الفرقان يعني الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة

(5/317)

وقال ابن زيد النصر على الأعداء دليله قوله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر وهذا القول أشبه بظاهر الآية لدخول الواو في الضياء والذكر للمتقين وعلى هذا التأويل تكون الواو مقحمة زائدة كقوله سبحانه وتعالى يزينة الكواكب وحفظا ويروى أن عكرمة كان يقول في هذه الآية معناها ولقد أتينا موسى وهارون الفرقان ضياء ويقولون انقلوا هذه الواو إلى قوله سبحانه وتعالى الذين يحملون العرش ومن حوله الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخافونه ولم يروه وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك يعني القرآن أنزلناه أفانتم له منكرون جاحدون ولقد أتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لآبيه وقومه ما هذه التماثيل التي صلى الله عليه وسلم أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالو صلى الله عليه وسلم أأجئنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بئلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالو صلى الله عليه وسلم أأنت فعلت هذا بئلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاستلوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا صلى الله عليه وسلم إلى أنفسهم فقالو صلى الله عليه وسلم إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هاؤلا صلى الله عليه وسلم ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وأنصروا صلى الله عليه وسلم أألهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرسين ونجيناهم ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له

(5/318)

إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ولقد أتينا إبراهيم رشده توفيقه القرظي صلاحه من قبل أي من قبل موسى وهارون قال المفسرون يعني

هديناه صغيرا كما قال ليحيى وآتيناه الحكم صبيا
وكننا به عالمين بأنه أهل الهداية والنبوة إذ قال لآبيه وقومه ما هذه التماثيل
والصور يعني الأصنام التي أنتم لها عاكفون على عبادتها مقيمون قالوا وجدنا
آباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم قال إبراهيم لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين
بعبادتكم إياها قالوا أجتنا بالحق أم أنت من اللاعبين يعنون أجاد أنت فيما تقول
أم لآعب قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن خلقهن وأنا على
ذلكم من الشاهدين وتالله لا أكيدن أصنامكم لأمكرن بها بعد أن تولوا مدبرين
قال مجاهد وقتادة إنما قال إبراهيم هذا في سر من قومه ولا يسمع ذلك إلا
رجل واحد منهم وهو الذي أفشاه عليه وقال سمعنا فتى يذكرهم يقال له
إبراهيم قال السدي كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من
عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك
العيد قال أبو إبراهيم له يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج
معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم يقول
أشتكي رجلي فتواطؤوا رجله وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي
ضعف الناس تالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوها منه ثم رجع
إبراهيم إلى الآلهة فإذا هن في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى
جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه إلى باب البهو
وإذا هم قد جعلوا طعاما فوضعه بين يدي الأصنام قالوا إذا كان حين نرجع
رجعنا وقد بركت الآلهة في طعامنا فاكلنا فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين
أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجبه أحد
قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في
يده حتى إذا لم يبق إلا

(5/319)

الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله سبحانه فجعلهم جذاذا
قرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي بكسر الجيم أي كسرا وقطعا جمع
جذيد وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وكريم وكرام وقرأ الباقون بضمه أي
الحطام والدقاق إلا كبيرا لهم أي عظيما للآلهة فإنه لم يكسره ووضع الفأس
على عنقه لعلهم إليه يرجعون فيذكرون ويعلمون ضعفها وعجزها وقيل لعلهم
إليه يرجعون فيسألونه فلما جاء القوم من عيدهم إلى
بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين قالوا
يعني الذين سمعوا إبراهيم يقول تالله لا أكيدن أصنامكم سمعنا فتى يذكرهم
يعيهم ويسبهم ويستهزئ بهم يقال له إبراهيم هو الذي صنع هذا فبلغ ذلك
نمرود الجبار وأشرف قومه فقالوا فاتوا به على أعين الناس يراد بأعين الناس
لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذي فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله
قتادة والسدي وقال الضحاك والسدي لعلهم يشهدون ما يصنع به ويعاقبه أي
يحضرون فلما أتوا به قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم قال إبراهيم بل
فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن
قاله ابن إسحاق وإنما أراد إبراهيم بذلك إقامة الحجة عليهم فذلك قوله
سبحانه فاسألوهم إن كانوا ينطقون حتى يخبروكم بمن فعل هذا بهم وروي عن
الكسائي أنه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه فعله من فعله ثم بيتي

كبيرهم هذا وقال القتيبي جعل إبراهيم النطق شرطا للفعل فقال فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون والمعنى إن قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق والفعل وفي ضمنه أنا فعلت ذلك والذي تظاهرت به الأخبار في هذه الآية قول ابن إسحاق يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها في الله عز وجل قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي وغير مستحيل أن يكون الله سبحانه أذن لرسوله وخليه في ذلك ليقرع قومه ويوبخهم ويحتج

(5/320)

عليهم ويعرفهم موضع خطئهم كما أذن ليوسف حين أمر مناديه فقال لأخوته أيتها العير إنكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا شيئا فرجعوا إلى أنفسهم يقول فتفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم فقالوا ما نراه إلا كما قال إنكم أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم إياه وهذه ألتهكم التي فعل بها ما فعل حاضرة فسلوها وقيل إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الأوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤوسهم متحيرين مشورين وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليهم قال لهم أفتعبدون من دون

(5/321)

الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا ألتهكم إن كنتم فاعلين قال ابن عمر إن الذي أشار عليهم بتحريق إبراهيم رجل من الأكراد قال شعيب الجبائي اسمه هيزن فحسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة قالوا فلما جمع نمرود قومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة فذلك قوله قالوا ابنوا له بنيانا فلقوه في الجحيم ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني لأجمعن حطباً لإبراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض مما تطلب مما تحب أن تدرك لئن أصابته لتحتطين في نار إبراهيم التي يحرق بها احتساباً في دينها قال ابن إسحاق كانوا يجمعون الحطب شهراً قالوا حتى إذا أكثروا وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب فاشتعلت النار واشتدت حتى أن كان الطير لتمر بها فتحرق من شدة وهجها ثم عمدوا إلى إبراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السموات والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا إبراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره يحرق فيك فإذن لنا في نصرته فقال الله سبحانه وتعالى لهم إن استغاث بشيء منكم أودعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال إن أردت أخدمت النار فإن خزائن الأمطار بيدي وأتاه خازن الرياح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال إبراهيم لا حاجة لي إليكم ثم رفع رأسه إلى

السماء فقال اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروى المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم أن إبراهيم قال حين أوتقوه ليلقوه في النار لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين

(5/322)

لك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال ثم رموه في المنجنيق إلى النار من مضرب شاسع فاستقبله جبرئيل فقال يا إبراهيم ألك حاجة قال أما إليك فلا قال جبرئيل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله سبحانه يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم قال السدي كان جبرئيل هو الذي ناداها قال ابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من بردها فلم تبقى يومئذ نار في الأرض إلا طفئت ظنت أنها هي تعنى قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأفعدوه على الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه قالوا وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمر قال إبراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار قال ابن يسار وبعث الله جل اسمه ملك الظل في صورة إبراهيم فقعدها فيها إلى جنب إبراهيم وهو يؤنسه قالوا وبعث الله بقميص من حرير الجنة وأتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائي ثم نظر نمرود من صرح له وأشرف على إبراهيم وما شك في موته فرأى إبراهيم جالسا في روضة ورأى الملك قاعدا إلى جنبه وما حوله نار تحرق ما جمعوا له من الحطب فناداه نمرود يا إبراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين ما أرى لم يضرك يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فخرج منها فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج إليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثل صورتك قاعدا إلى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله إلي ربي ليؤنسني فيها فقال نمرود يا إبراهيم إنني مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده إنني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له إبراهيم إذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه إلى ديني فقال يا

(5/323)

إبراهيم لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها له نمرود ثم كف عن إبراهيم ومنعه الله سبحانه منه قال أبو هريرة إن أحسن شيء قاله إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار يرشح جبينه فقال نمرود عند ذلك نعم الرب ربك يا إبراهيم قال كعب وقتادة والزهرى ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار ولا أحرقت النار شيئا يومئذ إلا وثاق إبراهيم ولم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال شعيب الجبائي ألقى إبراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست

عشرة سنة وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين وولدتها سارة وهي بنت تسعين سنة وكان مذبحة من بيت ايليا على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحاق بطنت يومئذ وماتت اليوم الثالث قال الله سبحانه وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا من نمرود وقومه من أرض العراق إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام

(5/324)

قال أبي بن كعب سماها مباركة لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقال قتادة كان يقال الشام أعقاب دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد في الشام وما نقص عن الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر وبها مجمع الناس وبها ينزل عيسى ابن مريم وبها يهلك الله الدجال وحدث أبو قلابة أن رسول الله عليه السلام قال رأيت فيما يرى النائم كأن الملائكة حملت عمود الكتاب فوضعت بالشم فأولته أن الفتن إذا وقعت فإن الإيمان بالشام وذكر لنا أن عمر بن الخطاب ح قال لكعب ألا تتحول إلى المدينة فإنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره فقال له كعب يا أمير المؤمنين إنني أجد في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده قال محمد بن إسحاق بن يسار استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله سبحانه به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملثهم فأمن له لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو أخ إبراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له باحورين تارخ فهاران أبو لوط وناحورا أبو تبويل وتبويل أبو لأن ورتقا بنت تبويل امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب وليا وزاجيل روحيا يعقوب ابنتا لايان وأمنت به أيضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت ملك حران وذلك أن إبراهيم ولوطا انطلقا قبل الشام فلقي إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها إبراهيم على أن يغيرها قال ابن إسحاق خرج إبراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجرا إلى ربه وخرج معه لوط وسارة كما قال الله سبحانه فأمن له لوط وقال إنني مهاجر إلى ربي فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة الله حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام ونزل السبع من أرض فلسطين وهي

(5/325)

برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم و ليلة وأقرب من ذلك فبعثه الله سبحانه نبيا فذلك قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام وبركتها أن منها بعث أكثر الأنبياء وهي أرض خصبة كثيرة الأشجار والأنهار والثمار يطيب فيها عيش الفقير والغنى وروى العوفي عن ابن عباس في قوله إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين قال يعني

مكة ونزول إسماعيل ألا ترى أنه يقول إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين والقول الأول أصوب ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة أي عطاء عن مجاهد الحسن والضحاك فضلا قال ابن عباس وأبي بن كعب وابن زيد وقتادة سأل واحدا فقال رب هب لي من الصالحين فأعطاه الله إسحاق ولدا وزاده يعقوب ولد الولد فهو النافلة قال مجاهد وعطاء معنى النافلة العطية وهما جميعا من عطاء الله سبحانه أعطاهما إياه وكلا جعلنا صالحين يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا أتينا حكما وعلمنا ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلاء أتينا حكما وعلمنا وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم جافظين وجعلناهم أئمة يقتدى بهم في الخير يهدون يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا وأوحينا

(5/326)

إليهم فعل الخيرات وإقام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا أي وأتينا لوطا وقيل واذكر لوطا أتينا حكما أي الفصل بين الخصوم بالحق وعلمنا ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني سد وما كان أهلها يأتون الذكران في أديارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء آخر كانوا يعملونها من المنكرات إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ونوحا إذ نادى دعا من قبل أي من قبل إبراهيم ولوط فاستجبنا له فنجيناه وأهله أتباعه من الكرب العظيم الطوفان والكرب أشد الغم ونصرناه منعناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أن يصلوا إليه بسوء وقال أبو عبيد أي على القوم

(5/327)

إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث قال مرة وقتادة كان الحرث زرعاً وقال ابن مسعود وشريح كان كرماً قد نبتت عنقايد إذ نفشت فيه غنم القوم أي رعته ليلاً فأفسدته والنفس بالليل والهمل بالنهار وهما الرعي بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شيء ولا يغيب عنا علمه ففهمناها أي علمناها وألهمناها يعني القضية سليمان دون داود وكلا يعني داود وسليمان أتينا حكما وعلمنا قال ابن عباس وقتادة والزهرى ومرة وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم

فقال صاحب الزرع هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئا فقال له داود اذهب فإن الغنم لك فأعطاه رقاب الغنم بالحرث فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمرهم لقضيت بغيره فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي بينهما قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له نسلها ورسلها وحرثها وعوارضها ومنافعها ويبدر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه وقال ابن مسعود وشريح ومقاتل إن راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الأغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد إلى داود فقضى بالأغنام لصاحب الكرم لأنه لم يكن بين ثمن الكرم وثمر الأغنام تفاوت فمروا بسليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة فقال ما قضى الملك في أمركم فقصوا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعادوا إلى داود فأخبروه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الأغنام إلى صاحب الكرم حتى يرتفق برسلسها ونسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في إصلاح الكرم إلى أن يعود كهيئته ثم يرد الأغنام إلى صاحبها فقال القضاء ما قضيت وحكم بذلك قال الحسن كان الحكم بما قضى به سليمان

(5/328)

ولم يعنف الله داود في حكمه وهذا يدل على أن كل مجتهد مصيب وروى الزهري عن حرام بن محيصة قال دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الأنصار فأفسدته فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا هذه الآية ثم قضى على البراء بما أفسدت الناقة وقال على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل وعلى أصحاب الحوائط حفظ حيطانهم وزروعهم بالنهار وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير أي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح قال وهب كان داود يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وكذلك الطير قتادة يسبحن أي يصلين معه إذا صلى وكنا فاعلين ذلك وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس عند العرب السلاح كله درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا يدل عليه قول الهذلي يصف رمحا ومعني لبوس للبييس كأنه روق بجبهة ذي نعاج مجفل يريد باللبوس الرمح وإنما عنى الله سبحانه في هذا الموضع الدرع وهو بمعنى الملبوس كالحلوب والركوب قال قتادة أول من صنع الدرع داود عليه السلام وإنما كانت صفائح فهو أول من سردها وحلقها لتحصنكم لتحركم وتمنعكم من بأسكم حربكم واختلف القراء فيه فقرا شيبه وعاصم برواية أبي بكر ويعقوب برواية رويس لتحصنكم بالنون لقوله وعلمناه وقرا أبو جعفر وابن عامر وحفص وروح بالتاء يعني الصنعة وللسليمان أي وسخرنا لسليمان الريح وهو هواء محرك وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر الحسن بحركته والريح تذكر وتؤنث عاصفة شديدة الهبوب تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها يعني الشام وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان ثم تعود به إلى منزله بالشام قال وهب بن منبه كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الإنس والجن حتى يجلس على سريره وكان إمرا غزا قل ما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض

بملك إلا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو أمر بمعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب

(5/329)

وآلة الحرب كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى إذا استقلت أمر الرخاء فمدته شهرا في روحته وشهرا في غدوته إلى حيث أراد قال فذكر لي منزل بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان إما من الجن وإما من الإنس نحن نزلناه وما بنينا ومبينا وجدناه غزونا من اصطخر فقلناه ونحن راثون منه إن شاء الله فأتون الشام قال الله سبحانه وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين يعني وسخرنا لسليمان أيضا من الشياطين من يغوصون له أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له الجواهر من البحر ويعملون عملا دون ذلك يعني دون الغوص وكنا لهم حافظين حتى لا يخرجوا من أمره وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وءاتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجى المؤمنين وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتى صلى الله عليه وسلم أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا صلى الله عليه وسلم أمرهم بينهم كل إلينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون وأيوب إذ نادى ربه الآية قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكانت له البثينة من أرض الشام كلها سهلها

(5/330)

وجبلها بما فيها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والخيول والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له كل فدان أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك وكان الله سبحانه أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيفا بالمساكين يكفل الأراامل والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لأنعم الله سبحانه مؤديا لحق الله تعالى قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من العزة والغفلة والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا

وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما بلدد وللآخر صافر وكانوا كهولا

(5/331)

قال وهب إن لجبرئيل عليه السلام بين يدي الله سبحانه مقاما ليس لأحد من الملائكة في القربة والفضيلة وإن جبرئيل هو الذي يتلقى الكلام فإذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرئيل ثم لقيه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش فإذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فإذا صلت عليه ملائكة السموات هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض وكان إبليس لعنه الله لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيث ما أراد ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد في السموات حتى رفع الله سبحانه عيسى ابن مريم فحجب من أربع وكان يصعد في ثلاث فلما بعث الله تعالى محمدا عليه السلام حجب من الثلاث الباقية فهو وجنوده محجوبون من جميع السموات إلى يوم القيامة إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبین قال فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله سبحانه وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد وصعد سريعا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه فقال يا إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربته بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله سبحانه وتعالى له انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى وقع إلى الأرض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم وقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فإني قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال قال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من النار وأحرقت كل شيء أتى عليه قال له إبليس فات الإبل ورعاها فانطلق يؤم الإبل وذلك حين وضعت رؤوسها وبثت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار ينفخ منها أرواح السموم لا يدنو منها أحد إلا احترق فلم يزل يحرقها ورعاها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس على

(5/332)

قعود منها يراعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال يا أيوب قال لبيك قال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بإبلك ورعاها قال أيوب انها ماله أعارنيه وهو أولى به إذا شاء نزعه وقدima وطنت مالي ونفسي على الفناء قال إبليس فإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاؤها كلها فتركت الناس مبهورين وقفا عليها يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور ومنهم من قال لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه قال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من

بطن أمني وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر إلى الله سبحانه ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريتي الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لتقبل روحك مع تلك الأرواح فأجر لي فيك وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فأخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع إبليس لعنه الله إلى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلبه قال عفريت من عظمائهم عندي من القوة اما إذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه قال له ابليس فأت الغنم ورعاها فانطلق يأتي الغنم ورعاها حتى إذا توسطها صاح صوتا جثمت أمواتا من عند آخرها ومات رعاؤها ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الرعاء حتى إذا جاء أيوب وهو قائم يصلي فقال له القول الأول ورد عليه أيوب الرد الأول ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه فقال لهم ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه حتى لا أبقى شيئا قال له إبليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم وذلك حين قرنوا الفدادين وأنسؤوا في الحرث وأولادها رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك

(5/333)

حتى كأنه لم يكن ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الأول ورد عليه أيوب مثل رده الأول فجعل إبليس يصيب ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضي بالقضاء ووطن نفسه للصبر على البلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعا حتى وقف الموقف الذي كان يقفه فقال إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فإنها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم

(5/334)

قال الله سبحانه انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل يناطح جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى إذا مثل بهم كل مثلة رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين وانطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه فأخبره بذلك وقال يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلبوا فكانوا منكسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأشفارهم وأجوافهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه ويرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتم إبليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم

يلبث أيوب أن فاء وأبصر فاستغفر وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا إبليس إلى الله سبحانه وهو أعلم فوقف إبليس خازيا ذليلا فقال يا إلهي إنما هون على أيوب خطر المال والولد إنه يرى أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فأنى لك زعم لئن ابتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك ولجحدنك نعمتك فقال الله سبحانه انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله وكان الله تعالى هو أعلم به لم سلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب وانقض عدو الله إبليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فاتاه من قبل الأرض في موضع وجهه فنفيخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من قرنه إلى قدمه ثأليل مثل أليات الغنم وقعت فيه حكة لا يملكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل حكها حتى نفل لحمه وتقطع وتغير وانتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة

(5/335)

وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب وكانت تختلف إليه بما يصلحه ويلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم أليفرون وبلدد وصافر ما إبتلاه الله سبحانه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا إليه وهو في بلاءه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب إلى الله سبحانه من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال لهم إنكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لأسنانكم ولكن قد تركتم من القول

(5/336)

أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لا يؤت عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا ثم لم تعلموا أو لم يطلعكم الله على أنه قد سخط شيئا من أمره منذ أتاه ما أتاه إلى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها ولا أن أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا وإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله سبحانه يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا هوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله تعالى بهذه المنزلة إلا أنه أخ اجتبيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب جرين ولكنه يرحمه ويكي معه ويستغفر له ويحزن بحزنه ويدله

على مرأشده أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول
وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم
ألم تعلموا أن لله عبادا أسكتتهم خشية من غير عي ولا بكم وأنهم لهم الفصحاء
البلغاء النبلاء الأولياء العالمون بالله وبأيامه ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله
انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم
إعظاما لله وإعزازا وإجلالا فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال
الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين وإنهم لأنزاه برآء ويعدون
أنفسهم مع المقصرين المفرطين وإنهم لأكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون
لله الكثير ولا يرضون لله بالقليل ولا يدلون عليه بالأعمال فهم مروعون
مفرعون خاشعون مستكينون فقال أيوب إن الله سبحانه يزرع الحكمة
بالرحمة في قلب

(5/337)

الصغير والكبير فمتى تثبت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون
الحكمة من قبل السن والشبية ولا طول التجربة ولئن جعل الله تعالى العبد
حكيمًا في الصبا لم يسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه
عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة فقال أيتيموني غصبا رهبتم قبل أن
تسترهبوا وبكيتم من قبل أن تضربوا كيف بي لو قلت لكم تصدقوا عني
بأموالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا عني قربانا لعل الله يتقبله ويرضى عني
وإنكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم عوقبتكم بإحسانكم فهالك بغيتم
وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبًا سترها
الله بالعافية التي ألبسكم وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا مسموع
كلامي معروف حقي منصف من خصمي فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا
كلام معكم فإنكم كنتم على أشد من مصيبتني ثم أعرض عنهم وأقبل على ربه
مستعينا به متضرعا إليه فقال رب لا شيء خلقتني

(5/338)

ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني كنت حيضة ألقنتني أمي أو يا ليتني عرفت
الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت
أمتني فألحقتني بأبائي فالموت كان أجمل لي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين
قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما الهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمن لك وإن
أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي بلاء لو
سلطته على جبل ضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي إلهي تقطعت أصابعي
فإني لأرفع الأكلة من الطعام بيدي جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني
تساقطت لهواتي ولحم رأسي فما بين أذني من سداد حتى أن إحداهما ترى
من الأخرى وإن دماغني يسيل من فمي تساقط شعر عيني فكانما حرق بالنار
وجهي وحدقتاي هما متدليتان على خدي ورم لساني حتى ملأ فمي فما أدخل
منه طعاما إلا غصني ورمت شففتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلي ذقني
تقطعت أمعائي في بطني فإني لأدخله الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا

ينفعني ذهب قوة رجلي فكأنهما قربتا ماء أطبق حملهما ذهب المال فرصت
أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني
هلك أولادي ولو بقي أحد منهم أعانني على بلائي ونفعني قد ملني أهلي
وعقني أرحامي وتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي
وجحدت حقوقي ونسيت صنایعي أصرخ فلا يصرخونني وأعتذر فلا يعذرونني
ودعوت غلامي فلم يجبنني وتضرعت لأمتي فلم ترحمني وأنحل جسمي ولو أن
ربى نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي ثم كان
ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه
ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه لا نظر إلى
فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال
ذلك أيوب وأصحابه أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودي منه يا
أيوب إن الله يقول ها أنا دنوت منك ولم أزل منك قريبا فقم فأدل بعذرک
وتكلم ببراءتك

(5/339)

وخاصم عن نفسك واشدد إزارك وقم مقام جبار فإني لا ينبغي لي أن
يخاصمني إلا جبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمار في فم
الأسد والسخال في فم العنقاء واللجام في فم التين ويكتال مكيالا من النور
ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لقد منتك نفسك
أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت إذ منتك ذلك ودعتك إليه تذكرت أي مرام
رامت بك
أردت أن تخاصمني بفيك أم أن تحاجني بخطابك أم أردت ان تكابرني بضعفك
أبن أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل علمت بأي مقدار
قدرتها أم كنت معي تمد بأطرافها أم تعلم ما بعد زواياها أم علي أي شيء
وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء
غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق سببت ولا
يحملها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو
يختلف بأمرک ليلها ونهارها أين أنت مني يوم سخرت البحار ونبتت الأنهار
أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت
مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل
لك من ذراع يطبق حملها أم هل تدري كم من مثقال فيها أم أين الماء الذي
أنزلت من السماء هل تدري أم تلده أو أب يولده أحكمتك أحصت القطر
وقسمت الأرزاق أم قدرتك تثير السحاب وتغشيه الماء هل تدري ما أصوات
الرعود أم من أي شيء لهب البرق وهل رأيت عمق البحر أم هل تدري ما بعد
الهواء أم هل خزنت أرواح الأموات أم هل تدري أين خزنة الثلج أو أين خزائن
البرد أم أين جبال البرد أم هل تدري أين خزنة الليل بالنهار وأين خزنة النهار
بالليل وأين طريق النور وبأى لغة تتكلم الأشجار وأين خزنة الريح وكيف
تحبسه الأغلاق ومن جعل العقول في الرجال ومن شق الأسماع ومن ذلت
الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدواب بحكمته من قسم
للأسد رزقها وعرف الطير معاشها وعطفها على أفراسها من

أعتق الوحش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات ولا تهاب
المسلطين أم حكمتك عطفت أمهاتها عليها حتى أخرجت لها الطعام من
بطونها وأثرتها بالعيش على نفوسها أم من حكمتك تبصر العقاب الصيد البصر
البعيد وأصبح في أماكن القتلى أين أنت مني يوم خلقت يهيموت مكانه في
مقطع التراب والوثبان يحملان الجبال والقرى والعمران أذانهما كأنها شجر
الصنوبر الطوال ورؤسهما كأنها كوم الجبال وعروق أفخاذها كأنها عمد النحاس
أنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا هل لك في خلقهما من
شرك أم لك بالقوة التي غلبتها يدان هل تبلغ من قوتك أن تضع يدك على
رؤسهما أو تقعد لهما على طريق فتحسهما أو تصدهما من قوتهما أين أنت
يوم خلقت للثنين رزقه في البحر ومسكنه في السحاب عيناه توفدان نارا
ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كأنه إعصار
العجاج جوفه يحترق ونفسه تلتهب وزبده جمر كامثال

الصخور وكأن صريف أسنانه أصوات الصواعق وكأن نظر عينيه لهب البرق
وتمر به الجيوش وهو متكئ لا يفرعه شيء ليس فيه مفصل الحديد عنده مثل
الطين والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفرع من النشاب ولا يحس وقع الصخور
على جسده ويسير في الهواء كأنه عصفور ويهلك كل شيء يمر به هل أنت
أخذه بأحبولتك أو واضع اللجام في شذقه هل تحصي عمره أم هل تعرف تقوت
رزقه أم هل تدري ماذا خرب من الأرض وماذا يخرب فيما بقي من عمره
أنطبق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله وتعالى فقال أيوب
قصرت عن هذا الأمر الذي يعرض على ليت الأرض انشقت فذهبت فيها ولم
أتكلم بشيء يسخط ربي اجتمع علي البلاء إلهي فجعلتني مثل العدو وقد كنت
تكرمني وتعرف نصحي وقد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يدك وتديبر
حكمتك وأعظم من هذا ما شئت عملت لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية
ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر
على القلوب وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم وخفت حين بلوت
أمرك أكثر مما كنت أخاف إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا فأما الآن فهو نظر
العين إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة
زلت فلن أعود قد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت
بالتراب خدي ودسست فيه وجهي لصغاري وسكت كما أسكتتني خطيئتي
فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني فقال الله سبحانه يا أيوب فقد
نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي إذ خطئت فقد غفرت لك ورددت عليك
أهلك ومالك ومثلهم معهم ليكون لمن خلفك آية ويكون عبرة لأهل البلاء وغزاء
للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن
صحابتك قربانا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له
عين فدخل فيها فاعتسل فأذهب الله عنه كلما كان به من البلاء ثم خرج فجلس

وأقبلت امرأته فقامت تلتمسسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالواله مترددة متحيرة ثم قالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى

(5/342)

الذي كان هاهنا فقال لها وهل تعرفينه إذا رأيتَه قالت نعم ومالي لا أعرفه فتبسم وقال أنا هو فعرفته بمضحكه فاعتنقته قال ابن عباس فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقتَه من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد فذلك قوله وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر واختلف العلماء في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله أني مسني الضر وفي مدة بلائه فحدثنا الإمام أبو الحسن علي بن سهل الماسرخسي إملاء يوم الجمعة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر قال حدثنا يحيى بن أيوب العلاف قال حدثنا سعيد بن أبي مريم قال حدثنا نافع بن يزيد عن عقيل عن شهاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أيوب نبي الله لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ما أدري ما يقولان غير أن الله سبحانه يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله سبحانه وتعالى فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق قال فكان يخرج بجأته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى إلى أيوب في مكانه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبطاته فتلقته تنظر وأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رآته قالت هل رأيت نبي الله هذا المبتلى قال إني أنا هو وكان له اندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سبحانه سحابتين فلما كانت أحدهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين

(5/343)

وأشهرها تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بأيوب أكلة إنما كان يخرج منه مثل ثدي النساء ثم يتفقا قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة صبرت معه تصدق وتأتيه وتحمد الله إذا حمد وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله سبحانه والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ عدو الله إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعا من صبر أيوب فلما اجتمعوا إليه قالوا ما جزعك قال أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلمني على ماله وولده فلم أدع له مالا وولدا فلم يزد بذلك إلا صبورا وثناء على الله سبحانه ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة بني

إسرائيل لا تقربه إلا إمرأته فقد افتضحت بربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه
قالوا له أين مكرك أين عملك الذي أهلكك به من مضى

(5/344)

قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك أرأيت آدم حين
أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه
لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى
امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله قالت
هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمعها طمع أن يكون
كلمة جزع فوسوس إليها فذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال
أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا قال الحسن
فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاها بسخلة فقال ليذبح هذا لي
أيوب ويبرأ قال فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك ألا يرحمك أين
المال أين الماشية أين الولد أين الصديق إن لونك الحسن قد تغير وصار مثل
الرماد أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة
واسترح قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك وأجبتته ويلك أرأيت ما تبكين عليه
مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال
فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذكم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ
سبع سنين وأشهر قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت يكون
في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة
والله لئن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله طعامك
وشرابك الذي أتيت به علي حرام أن أذوق شيئا مما تأتيني به بعد إذ قلت لي
هذا فاغربي عني فلا أراك فطردها فذهبت فلما نظر أيوب إلى إمرأته قد
طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال رب مسني
الضر ثم رد ذلك إلى ربه فقال وأنت أرحم الراحمين فقبل له إرفع رأسك فقد
استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق
عليه من دابة شيء ظاهر إلا سقط فاذهب الله كل ألم وكل سقم وعاد إليه
شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان ثم

(5/345)

ضرب رجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج
فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من أهل
ومال إلا وقد أضعفه الله له حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير
على صدره جرادا من ذهب قال فجعل يضمه بيده فأوحى إليه يا أيوب ألم
أغتك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشيع منها قال فخرج حتى جلس على مكان
مشرف ثم إن امرأته قالت أرأيت إن كان طردني إلى من أكله أدعه يموت
جوعا وتأكله السباع لأرجعن إليه فرجعت إليه فلا كناسة ترى ولا تلك الحال
التي كانت وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي
وذلك بعين أيوب

قال وهابت صاحب الحلة أن تأتبه فتسأله عنه فأرسل إليها أيوب فدعاها فقال ما تريد يا أمة الله فيكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل فقال لها أيوب ما كان منك فيكت وقالت أردت بعلي فهل رأيت قال وهل تعرفينه إذا رأيت قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا قال فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه وتعالى فرد علي ماترين وقال كعب كان أيوب في بلائه سبع سنين وقال وهب لبث أيوب في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليس كهية بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال فأنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعلى كل ما كان لكما من مال وولد فإنه عندي ثم أراها إياهم فيما ترى ببطن الوادي الذي لقيها فيه قال وهب وقد سمعت أنه إنما قال لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي مما به من البلاء والله أعلم وأراد إبليس لعنه الله أن يأتيه من قبلها ورأيت في بعض الكتب أن إبليس قال لرحمة وإن شئت فاسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والأولاد وأعافي زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال قد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع إبليس في سجد حرمتي له ودعائه إياها وإيائي إلى الكفر قالوا ثم الله سبحانه رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبرئ يمين أيوب فأمره أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها بها ضربة

واحدة كما قال الله سبحانه وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقال وهب وغيره كانت امرأة أيوب تكسب له وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليهما البلاء وسئماها الناس فلم يستعملها التمسست له يوما من الأيام ما تطعمه فما وجدت شيئا فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها أين قرنك فأخبرته بذلك فحينئذ قال مسني الضر وقال قوم إنما قال مسني الضر حين قصدت الدود إلى قلبه ولسانه فخشي أن يعيى عن الذكر والفكر وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ربحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما نرى قال فلم يسمع أيوب شيئا كان عليه أشد من هذه الكلمة وما جزع من شيء أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم إن كنت تعلم

أني لم أبت ليلة شبهان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم قال اللهم إن كنت تعلم أنني لم أتخذ قميصين قط وأنا أعلم مكانا عار فصدقني فصدق وهما يسمعان فخر ساجدا وقيل معناه مسني الضر من شماتة الأعداء يدل عليه ما روي أنه قيل له بعدما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء وقيل إنما قال ذلك حين وقعت دودة من فخذة فرفعها وردّها إلى موضعها وقال كلي فقد جعلني الله طعامك فعضته عضه زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان وسمعت أبا عبد الله بن محمد بن جعفر الأبيوردي يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عباد البغدادي يقول سئل أبو القاسم جنيد عن هذه الآية فقال عرفه فاقه السؤال ليمن عليه بكرم النوال وسمعت استاذنا أبا القاسم بن حبيب يقول حضرت مجلسا غاصا بالفقهاء والأدباء في دار سلطان فسلّت عن هذه الآية بعد إجماعهم على أن قول أيوب مسني الضر شكاية وقد قال الله سبحانه إنا وجدناه صابرا فقلت ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء بيانه قوله سبحانه فاستجبنا له والإجابة تعقب الدعاء لا الاشتكاء

(5/348)

فاستحسنوه وارتضوه فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم واختلفوا في كيفية ذلك فقال قوم إنما أتى الله سبحانه أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا فأما الذين هلكوا فإنهم لم يردوا عليه وإنما وعد الله أيوب أن يؤتبه إياهم في الآخرة وروى عبد الله بن إدريس عن ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن هذه الآية فقال قيل له إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة وأوتي مثلهم في الدنيا قال فرجع إلى مجاهد فقال أصاب ويكون معنى الآية على هذا التأويل وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد قال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وقال ابن يسار كان له سبع بنين وسبع بنات وقال آخرون بل ردهم الله سبحانه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قال أحياهم الله وأوتي مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية وقال الحسن أتاه الله المثل من نسل ماله الذي رد عليه وأهله فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه بأعيانهما رحمة من عندنا وذكرى للعابدين عظة لهم وإسماعيل يعني ابن إبراهيم وإدريس وهو أخنوخ وذا الكفل كل من الصابرين على أمر الله واختلفوا في ذي الكفل فأخبرني ابن فنجويه بقراءتي عليه في داري قال حدثنا عمر بن الخطاب قال حدثنا عبد الله الرازي عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال سمعت حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين لم أحدث به سمعته منه أكثر من سبع مرات قال صلى الله عليه وسلم كان في بني إسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فأعطاه ستين ديناراً على أن تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أرعدت وبكت فقال ما يبكيك قالت من هذا العمل ما عملته قط قال أكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة قال اذهبي فهو لك ثم قال

(5/349)

والله لا أعصي الله أبدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا إن الله قد غفر لذي الكفل وروى الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث أن نبيا من الأنبياء قال من يكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال اجلس ثم عاد فقال من يكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال اجلس ثم عاد فقام الشاب فقال أنا فقال تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم

(5/350)

فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل معه رجلا فرجع فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى بهذا فخرج إليه فأخذ بيده فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب فسمي ذا الكفل وقال مجاهد لما كبر اليسع عليه السلام قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل تزدر به العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال دعوني وإياه فأتاه في صورة شيخ فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ فقير كبير مظلوم فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا فجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة قال إذا رحمت فإنني أخذ لك بحقك فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ المظلوم ففتح له فقال ألم أقل إذا قعدت فأنتي قال إنهم أخب قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نعطيك حقك وإذا قمت جحدوني قال فانطلق فإذا رحمت فأنتي ففانتته القائلة فراح فجعل ينظر ولا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإني قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت وإذا هو يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم

(5/351)

آمرك فقال أما من قبلي فلم تؤت والله فانظر من أين أتيت فقام إلى الباب فهو مغلق كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به وقال أبو موسى الأشعري إن ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلي لله سبحانه وتعالى كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عز وجل عليه الثناء وقيل كان رجلا تكفل بشأن رجل وقع في بلاء فأجابه الله على يديه

(5/352)

وقيل ذو الكفل إلياس وقيل هو زكريا والله أعلم وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وذا النون واذكر صاحب النون وهو يونس بن متى إذ ذهب مغاضبا اختلفوا في معنى الآية ووجهها فقال الضحاك ذهب مغاضبا لقومه وهي رواية العوفي وغيره عن ابن عباس قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسيبي منهم تسعة أسباط ونصف سبط وبقي سبطان ونصف فأوحى الله تعالى إلى شعيا النبي أن سر إلى حزقيا الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا أميناً فأني ألقى في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الأنبياء فقال يونس فإنه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل أمرك الله بإخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فهذا هنا غيري أنبياء أقوياء أمناء فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك ولقومه فأتى بحر الروم فإذا سفينة مشحونة فركبها فلما تلججت السفينة تكفأت حتى كادوا أن يغرقوا فقال الملاحون ها هنا رجل عاص أو عبد أبق ومن رسمنا أن نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر ولئن يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة بما فيها فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة في كلها على يونس فقام يونس فقال أنا الرجل العاصي والعبد الأبق وألقى نفسه في الماء فجاء حوت فابتلعه ثم جاء حوت آخر أكبر منه فابتلع هذا الحوت وأوحى الله إلى الحوت لا تؤذ منه شعرة فأني جعلت بطنك سجنه ولم أجعله طعاما لك وقال الآخرون بل ذهب عن قومه مغاضبا لربه إذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي به دفع عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا وقال والله لا أرجع إليهم كذابا أبدا وإنني وعدتهم العذاب في يوم فلم يأت وفي بعض الأخبار إن قومه كان من عادتهم أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي وعدهم خشى أن يقتلوه فغضب

(5/353)

وقال كيف أرجع إلى قومي وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم وكيفية القصة وذلك أنه كان خرج من بين أظهرهم وقد ذكرت القصة بالشرح في سورة يونس قال القتيبي المغاضبة مفاعلة وأكثر المفاعلة من

اثنين كالمناظرة والمخاصمة والمجادلة وربما تكون من واحد كقولك سافرت وعاقبت الرجل وطارقت النعل وشاركت الأمر ونحوها وهي ها هنا من هذا الباب فمعنى قوله مغاضبا أي غضبان أنفا والعرب تسمي الغضب أنفا والأنف غضبا لقرب أحدهما من الآخر وكان يونس وعد قومه أن يأتيهم العذاب لأجل فلما فات الأجل ولم يعذبوا غضب وأنف أن يعود إليهم فيكذبوه فمضى كالناد الأبق إلى السفينة

(5/354)

وكان من طول ما عاين وقاسى من بلاء قومه يشتهي أن ينزل الله بهم بأسه وقال الحسن إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخص إلى قومه لينذرهم بأسه أسرع من ذلك ولم ينظر حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعلا يلبسها فقبل له نحو القول الأول وكان رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي أن أخذ نعلا فذهب مغاضبا وقال وهب بن منبه اليماني إن يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربيع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يده وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله سبحانه من أولي العزم فقال لنبيه محمد عليه السلام فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت أي لا تلق أمري كما ألقاه فظن أن لن نقدر عليه أن لن نقضي عليه العقوبة قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وهي رواية العوفي عن ابن عباس تقول العرب قدر الله الشيء بقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا ومنه قوله نحن قدرنا بينكم الموت وقوله والذي قدر فهدي في قراءة من خففهما ودليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري فظن أن لن نقدر عليه بضم النون وتشديد الدال من التقدير وقرأ عبيد بن عمير وقتادة فظن أن لن يقدر عليه بالتشديد على المجهول وقرأ يعقوب يقدر بالتخفيف على المجهول وقال الشاعر في القدر بمعنى التقدير فليست عشيات الحمى برواجع لنا أبدا ما أورق السلم النضر ولا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر نفع ولك الشكر وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس من قوله سبحانه الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يضيق

(5/355)

وقال سبحانه وتعالى من قدر عليه رزقه وقال ابن زيد هو استفهام معناه أظن أن لن نقدر عليه وروى عوف عن الحسن أنه قال معناه فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه قال وبلغني أن يونس لما أذنب انطلق مغاضبا لربه واستنزه الشيطان حتى ظن أن لن يقدر عليه قال وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث في بطن الحوت أربعين من بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وأمسك الله نفسه فلم يقتله هناك فتاب إلى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه فقال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته قال عوف وبلغني أنه قال

وبنيت لك مسجدا في مكان لم بينه أحد قبلي والتأويلات المتقدمة أولى
بالأنبياء وأبعد من الخطأ فنأدى في الظلمات أي ظلمة الليل وظلمة البحر
وظلمة بطن الحوت قاله أكثر المفسرين وقال سالم بن أبي الجعد ظلمة
جوف الحوت ثم ظلمة جوف الحوت الآخر الذي ابتلعه في ظلمة البحر أن لا
إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال محمد بن قيس قال يونس إني
كنت من الظالمين حين عصيتك وما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك وروى أبو
هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله سبحانه حبس
يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخذش له لحما ولا
تكسر له عظما فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر فلما انتهى به إلى
أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله سبحانه إليه
وهو في بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر قال فسيح وهو في بطن
الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا إنا لنسمع صوتا ضعيفا بأرض
غريبة قال ذاك عبد يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت قالوا العبد
الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم
فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقفزه في الساحل كما قال الله سبحانه وهو
سقيم وروى أبو هلال محمد بن سليمان عن شهر بن حوشب عن ابن عباس
قال أتى

(5/356)

جبرئيل

يونس عليهما السلام فقال له انطلق إلى السفينة فركبها فاحتبست السفينة
فسأهموا فسهم فجاء الحوت يبصص بذنبه فنودي الحوت إنا لم نجعل يونس
لك رزقا إنا جعلناك له حرزا ومسجدا فالتقمه الحوت فانطلق به من ذلك
المكان حتى مر به على الإبله ثم مر به على دجلة ثم انطلق حتى ألقاه في
نينوى فكان ابن عباس يقول إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت ودليل
هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة والصفاء ثم عقبها بقوله
وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون وقال الآخرون بل كانت قصة الحوت بعد
دعائه قومه وتبليغهم رسالة ربه كما قد بينا ذكره فاستجيبنا له ونجيناه من الغم
وكذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا وروى علي بن زيد عن
سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى
دعوة يونس بن متى قال فقلت يا رسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة
المسلمين قال هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول
الله تعالى فنأدى في الظلمات إلى قوله وكذلك ننجي المؤمنين وهو شرط الله
لمن دعاه بها واختلفت القراءة في قوله ننج فقرأه العامة بنونين الثانية منهما
ساكنة من الإنجاء على معنى نحن ننجي فإن قيل لم كتبت في المصاحف بنون
واحدة قيل لأن النون الثانية لما سكنت وكان الساكن غير ظاهر على اللسان
حذفت كما فعلوا ذلك بإلا فحذفوا النون من لجعلها أو كاشفة إذا كانت مدغمة
في اللام وقرأ ابن عامر وعاصم برواية ابن بكر نجي المؤمنين بنون واحدة
وتشديد الجيم وتسكين الياء واختلف النحاة في هذه القراءة فمنهم من صوبها
وقال فيه اضمار معناه نجي المؤمنين كما يقال ضرب زيدا بمعنى ضرب

الضرب زيدا قال الشاعر ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا
أراد لسبه بذلك الجرو ولسب الكلابا

(5/357)

قالوا وإنما سكن الباء في نجي كما سكنوها في بقر فقالوا بقره ونحوها وإنما
اتبع أهل هذه القراءة المصحف لأنها مكتوبة بنون واحدة وقال القتيبي من قرأ
بنون واحدة والتشديد فإنه أراد نجي من التنجية إلا أنه أدغم وحذف نونا على
طلب الخفة وقال النحويون وهو رديء لبعده مخرج النون من الجيم وممن جوز
هذه القراءة أبو عبيد وأما أبو حاتم السجستاني فإنه لحنها ونسب قارئها إلى
الجهل وقال هذا لحن لايجوز في اللغة ولا يحتج بمثل ذلك البيت على كتاب الله
سبحانه وتعالى إلا أن يقول وكذلك نجي المؤمن ولو قرئ كذلك لكان صوابا
والله أعلم وزكريا إذ نادى دعا ربه فقال رب لا تذرني فردا وحيدا لا ولد لي ولا
عقب وارزقني وارثا ثم رد الأمر إلى الله سبحانه فقال وأنت خير الوارثين
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ولدا وأصلحنا له زوجه بأن جعلناها ولودا بعد ما
كانت عقيما قاله أكثر المفسرين وقال بعضهم كانت سيئة الخلق فأصلحها له
بأن رزقها حسن الخلق إنهم يعني الأنبياء الذين سماهم في هذه السورة كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا خوفا وطمعا رغبا في رحمة الله
ورهبنا من عذاب الله وقرأ الأعمش رغبا ورهبنا بضم الراء وجزم الغين والهاء
وهما لغتان مثل السقم والسقم والتكل والتكل والنحل والنحل والعدم والعدم
وكانوا لنا خاشعين خاضعين متواضعين والتي أحصنت حفظت ومنعت فرجها
مما حرم الله سبحانه وهي مريم بنت عمران فنفخنا فيها من روحنا أي أمرنا
جبرئيل حتى نفخ في جيب درعها وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف
الروح إليه على معني الملك والتشريف لمريم وعيسى بتخصيصها بالإضافة
إليه وجعلناها وابنها آية للعالمين أي دلالة على كمال قدرتنا وحكمتنا حمل
امرأة بلا ممانسة ذكر وكون ولد من غير أب وإنما قال آية ولم يقل آيتين لأن
معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية للعالمين إن هذه أمتكم ملتكم أمة
واحدة ملة واحدة وهي الإسلام فأبطل ما سوى الإسلام من

(5/358)

الأديان وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت بالشريعة أمة
واحدة
لاجتماع أهلها بها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع وقرأ ابن أبي
إسحاق أمة بالرفع على التكرير وأنا ربكم فاعبدوني وتقطعوا أمرهم أي
اختلفوا في الدين صاروا فيه فرقا وأحزابا ثم قال كل إلينا راجعون فنجزهم
بأعمالهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه لا يبطل عمله
ولا نجده بل يشكر ويثاب عليه وإنما له كاتبون لعمله حافظون وحرام على
قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب
ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يابولنا قد كنا
في غفلة من هذا بل كنا ظالمين إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

أنتم لها واردون لو كان هاؤلا صلى الله عليه وسلم ءءالهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولائك عنها مبعدون لا يسمعون حسيستها وهم فى ما اشتتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هاذا يومكم الذى كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون إن فى هاذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون فإن تولوا فقل ءاذنتكم على سواء وإن أدرى صلى الله عليه وسلم أقرب أم بعيد ما توعدون إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وإن أدرى لعله فتنة لكم وممتع إلى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون وحرام على قرية قرأ أهل الكوفة وحرم بكسر الحاء وجزم الراء من غير ألف وقرأ الآخرون وحرام واختاره أبو عبيد وأبو حاتم هما لغتان مثل حل وحلال قال ابن عباس معنى الآية وحرام على قرية أي أهل قرية أهلكتها أي يرجعون بعد الهلاك وعلى هذا

(5/359)

التأويل يكون لا صلة مثل قول العجاج في سر لا حورى سرى وما شعر أي في سر حور
وقال الآخرون الحرام بمعنى الواجب كقول الخنساء وإن حراما لا أرى الدهر باكيا على شجوه إلا بكيت على عمرو وعلى هذا التأويل يكون لا ثابتا وقال جابر الجعفي سألت أبا جعفر عن الرجعة فقرأ هذه الآية حتى إذا فتحت قرأه العامة بالتخفيف وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب بالتشديد على الكسرة ياجوج وماجوج ومعنى الآية فرج السد عن ياجوج وماجوج وقد ذكرنا قصتهما بالشرح وروى منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا والدخان والدابة ثم ياجوج وماجوج قال حذيفة قلت يارسول الله ما ياجوج وماجوج قال أمم كل أمة أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه وهم ولد آدم عليه السلام فيسيرون إلى خراب الدنيا ويكون مقدمتهم بالشام وساقهم بالعراق فيمرون بأنهار الدنيا فيشربون الفرات ودجلة وبحر الطبرية حتى يأتوا بيت المقدس فيقولوا قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من فى السماء فيرمون بالنشاب إلى السماء فيرجع نشابهم مخصبة بالدم فيقولون قد قتلنا من فى السماء وعيسى والمسلمون بجبل طور سينين فيوحى الله سبحانه إلى عيسى أن احرز عبادى بالطور وما يلي ثم إن عيسى يرفع يديه إلى السماء ويؤمن المسلمون فيبعث الله سبحانه عليهم دابة يقال لها النعف تدخل فى مناخرهم فيصبحون موتى من حاق الشام إلى حاق المشرق حتى تنتن الأرض من جيْفهم ويأمر الله سبحانه السماء فتمطر كأفواه القرب فتغسل الأرض من جيْفهم وتنتهم فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها

(5/360)

وهم من كل حذب أي نشز وتل ينسلون يخرجون مشاة مسرعين كنسلان الذئب واختلف العلماء في هذه الكناية فقال قوم عنى بهم يأجوج ومأجوج واستدلوا بحديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله سبحانه من كل حذب ينسلون فيغشون الأرض وروى عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر عن عيسى قال قال عيسى عهد إلي ربي أن الدجال خارج وأنه مهبطي إليه فذكر أن معه قصبتين فإذا رأني أهلكه الله قال فيذوب كما يذوب الرصاص حتى أن الشجر والحجر ليقول يا مسلم هذا كافر فاقتله فيهلكهم الله عز وجل ويرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حذب ينسلون لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه وقال آخرون أراد جميع الخلق يعني أنهم يخرجون من قبورهم ومواضعهم فيحشرون إلى موقف القيامة تدل عليه قراءة مجاهد وهم من كل جذب بالجيم والثاء يعني القبر اعتبارا بقوله سبحانه فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون واقترب الوعد الحق يعني القيامة قال الفراء وجماعة من العلماء الواو في قوله واقترب مقحم ومجاز الآية حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق نظيرها قوله فلما أسلماوتله للجبين وناديناه أي ناديناه قال امرؤ القيس فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بباطن خبت ذي قفاف عقتل يريد انتحى ودليل هذا التأويل حديث حذيفة قال لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة وقال الزجاج البصريون لا يجيزون طرح الواو ويجعلون جواب حتى إذا فتحت في قوله يا ويلنا وتكون مجازا الآية حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا في قوله هي ثلاثة أوجه أحدها أن تكون هي كناية عن الأبصار ويكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها كقول الشاعر

(5/361)

لعمر أبيها لا تقول طعيتني ألا فرعني مالك بن أبي كعب فكنى عن الطعينة في أبيها ثم أظهرها فيكون تأويل الكلام فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا والثاني أن تكون هي عمادا كقوله فإنها لا تعمى الأبصار وكقول الشاعر فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس والثالث أن يكون تمام الكلام عند قوله هي علي معنى هي بارزة واقفة يعني من قربها كأنها آتية حاضرة ثم ابتدأ شاخصة أبصار الذين كفروا على تقديم الخبر على الابتداء مجازا أبصار الذين كفروا شاخصة من هول قيام الساعة وهم يقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا أي من هذا اليوم بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا ووضعنا العبادة في غير موضعها إنكم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حسب جهنم قراءة العامة بالصاد أي وقودها عن ابن عباس وقال مجاهد وقتادة وعكرمة حطبها وذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن الحطب الضحاك يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمي يقال حصبت الرجل إذا رميته قال الله سبحانه وتعالى إنا أرسلنا عليهم حاصبا يعني ربحا ترميهم بالحجارة وقرأ ابن

عباس حصب بالضاد وهو كل ما هيجت وأوقدت به النار ومنه قيل لدقاق النار حصب وقرأ علي وعائشة ولاحو بن حميد حطب بالطاء نظيرها قوله سبحانه وقودها الناس والحجارة أنتم لها واردون أي فيها داخلون لو كان هؤلاء الأصنام آلهة على الحقيقة ما وردوها يعني ما دخل عابدها النار بل منعها وكل فيها خالدون يعني العابد والمعبود لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعل التوابيت في أخرى ثم جعلت التوابيت في أخرى فيها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى إن الذين سبقت قال قوم من العلماء إن ها هنا بمعنى

(5/362)

إلا وليس في القرآن سواه والسبق تقدم الشيء على غيره لهم منا الحسنى السعادة والعدة الجميلة بالجنة أولئك عنها مبعدون والإبعاد تطويل المسافة واختلفوا في هؤلاء من هم فقال أكثر المفسرين عني بذلك كل من عبد من دون الله وهو طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم إنكم وما تعبدون من دون الله الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبير بن قيس بن عدي السهمي فأرهم يتهامسون قال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله أما والله لو وجدت له خصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبير أنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم بل هم يعبدون الشياطين هي التي أمرتهم بذلك فأنزل الله سبحانه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعني عزيراً وعيسى والملائكة قال الحسن بن الفضل إنما أراد بقوله إنكم وما تعبدون من دون الله الأوثان دون غيرها لأنه لو أراد الملائكة والناس لقال ومن تعبدون قلت ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة وهم كانوا يعبدون الأصنام وقال بعضهم هذه الآية عامة في كل من سبق له من الله السعادة قال محمد بن حاطب سمعت علياً كرم الله وجهه يخطب فقرأ هذه الآية إن الذين سبقت فقال عثمان ح منهم وقال الجنيد في هذه الآية سبقت لهم من الله العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية أخبرني أبو عبد الله محمد بن عبد الله قال حدثنا أبو الحسين محمد بن عثمان النصيبي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين السبيعي بحلب قال

(5/363)

أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي قال حدثنا عبيد الله القواريري قال حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني قال حدثنا ليث عن ابن عم النعمان بن بشير وكان من سمار على قال تلا علي ليلة هذه الآية إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف منهم ثم أقيمت الصلاة فقام على يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيبها يعني صوتها إذا نزلوا منازلهم من الجنة وهم في ما اشتبهت أنفسهم خالدون والشهوة طلب النفس اللذة نظيرها قوله وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين لا يحزنهم الفزع الأكبر وقرأ أبو جعفر بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي واختلفوا في الفزع الأكبر فقال ابن عباس النفخة الآخرة دليله قوله سبحانه ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين وقال الحسن حين يؤمر بالعبد إلى النار سعيد بن جبير والضحاك إذا أطبقت على أهل النار ابن جريج حين يذبح الموت على صورة كبش أملح على الأعراف والفريقان ينظران فينادى يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ذو النون المصري هو القطيعة والهجران والفراق وتلقاهم تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنونهم ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء قرأ أبو جعفر تطوى السماء بضم التاء والهمزة على المجهول وقرأ الباقر بالنون السماء نصب كطي السجل للكتب قرأ أهل الكوفة على الجمع غيرهم للكتاب على الواحد واختلفوا في السجل فقال ابن عمر والسدي السجل ملك يكتب أعمال العباد فإذا صعد بالاستغفار قال الله سبحانه أكتبها نورا وقال ابن عباس ومجاهد هو الصحيفة واللام في قوله للكتب بمعنى على تأويلها كطي الصحيفة على مكتوبها وروى أبو الجوزاء وعكرمة عن ابن عباس أن السجل اسم كاتب لرسول الله وهذا قول غير قوي لأن كتاب رسول الله كانوا

(5/364)

معروفين وقد ذكرتهم في كتاب الربيع والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتب وأصلها من السجل وهو الدلو يقال سجلت الرجل إذا نزعته دلوًا ونزع دلوًا ثم استعيرت فسميت المكاتب والمراجعة مساجلة قال الشاعر من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب ثم بنى هذا الاسم على فعل مثل طمر وقلز والطي في هذه الآية يحتمل معنيين أحدهما الدرج الذي هو ضد النشر قال الله سبحانه والسماوات مطويات بيمينه والثاني الإخفاء والتعمية والمحو والطمس لأن الله سبحانه يمحو رسومها ويكدر نجومها قال الله سبحانه وتعالى إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت تقول العرب اطو عن فلان هذا الحديث أي استره وأخفه ثم ابتداء واستأنف الكلام فقال عز من قائل كما بدأنا أول خلق نعيده قال أكثر العلماء كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عزلا كذلك نعيدهم يوم القيامة نظيرها قوله سبحانه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقوله وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ودليل هذا التأويل ما روى ليث عن مجاهد عن عائشة خ قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي عجوز من بني عامر فقال من هذه العجوز يا عائشة فقلت إحدى خالاتي فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة

فقال إن الجنة لا يدخلها العجز فأخذ العجوز ما أخذها فقال عليه السلام إن الله ينشئهم خلقا غير خلقهن قال الله تعالى إنا أنشأناهن انشاء الآية ثم قال يحشرون يوم القيامة عراة حفاة غلفا فأول من يكسى إبراهيم صلوات الله عليه فقالت عائشة خ وعن أبيها واسواتاه فلا تحتشم الناس بعضهم بعضا قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ثم قرأ رسول الله كما بدأنا أول خلق نعيده كيوم ولدته أمه

(5/365)

وقال ابن عباس يقول نهلك كل شيء كما كان أول مرة وقيل كما بدأناه من الماء نعيده من التراب وعدا علينا نصب على المصدر يعني وعدناه وعدا علينا إنا كنا فاعلين يعني الإعادة والبعث ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قرأ الأعمش وحمزة الزبور بضم الزاي وغيرهما يقرؤون بالنصب وهو بمعنى المزبور كالحلوب والركوب يقال زبرت الكتاب وذبرته إذا كتبتة واختلفوا في معنى الزبور في هذه الآية فقال سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد عنى بالزبور الكتب المنزلة وبالذكر أم الكتاب الذي عنده وقال ابن عباس والضحاك الذكر التوراة والزبور الكتب المنزلة من بعد التوراة وقال الشعبي الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقال بعضهم الزبور زبور داود والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله وكان وراءهم ملك أي أمامهم وقوله والأرض بعد ذلك دحاها أي قبل ذلك إن الأرض يعني أرض الجنة يرثها عبادي الصالحون يعني أمة محمد عليه السلام قاله مجاهد وأبو العالية ودليل هذا التأويل قوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض وقال ابن عباس أراد أن الأرض في الدنيا تصير للمؤمنين وهذا حكم من الله سبحانه بإظهار الدين وإعزاز المسلمين وقهر الكافرين قال وهب قرأت في عدة من كتب الله أن الله عز وجل قال إني لأورث الأرض عبادي الصالحين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إن في هذا لبلاغاً ووصولا إلى البغية من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجو من الثواب فالقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر لقوم عابدين أي مؤمنين يعبدون الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس عالمين وقال كعب الأحبار هم أمة محمد أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان سماهم الله سبحانه وتعالى عابدين

(5/366)

وما أرسلناك يا محمد إلا رحمة للعالمين قال ابن زيد يعني المؤمنين خاصة وقال ابن عباس هو عام فمن آمن بالله واليوم الآخر كتب له رحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن عوفي مما أصاب الأمم من المسخ والخسف والقذف قل إنما يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون فإن تولوا فقل أذنتكم على سواء يعني أعلمتكم على بيان أنا وإياكم حرب لا صلح بيننا وإني مخالف لدينكم وقيل معناه على سواء من الإنذار لم أظهر بعضكم على شيء كتمته عن غيره وقيل لتستووا في الإيمان به وهذا من فصيحات القرآن وإن أدري وما أعلم أقرب أم بعيد ما توعدون يعني القيامة نسخها قوله واقترب الوعد الحق إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وإن أدري لعله أي لعل

تأخير العذاب عنكم كناية عن غير المذكور فتنة اختبار لكم ليرى كيف صنعكم وهو أعلم ومتاع إلى حين إلى أجل يقضي الله فيه ما شاء أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال أخبرنا أبو العباس الدعولي قال أخبرنا أبو بكر بن أبي خيثمة قال حدثنا محمد بن أبي غالب قال أخبرنا هشام قال أخبرنا مجالد قال حدثني السبعي قال لما سلم الحسن بن علي لمعاوية الأمر قال له معاوية قم فاخطب واعتذر إلى الناس فقام الحسن فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن أكيس الكيس التقى وإن أحمق الحمق الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما حق امرئ كان أحق به وإما حق كان لي فتركته التماس الصلاح لهذه الأمة ثم قال وإن ادري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين قال رب احكم بالحق افعل بيني وبين من كذبنى بالحق والله لا يحكم إلا بالحق وفيه وجهان من التأويل قال أهل التفسير الحق ها هنا بمعنى العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وليله نظيره قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقال قتادة كان رسول الله عليه السلام إذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق وقال أهل المعاني معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه واختلف القراء

(5/367)

في هذه الآية فقرأ حفص قال رب بالألف على الخبر الباقيون قل على الأمر وقرأ أبو جعفر رب احكم برفع الباء على النداء والمفرد وقرأ الضحاك ويعقوب ربي احكم بأثبات الياء على وجه الخبر بأن الله سبحانه أحكم بالحق من كل حاكم وهذه قراءة غير مرضية لمخالفة المصحف والقراء الباقيون رب احكم على الدعاء وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون سورة الحج

مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة وهي قوله هذان خصمان إلى قوله الحميد وهي خمسة آلاف وخمسة وتسعون حرفاً وألف ومائتان وإحدى وسبعون كلمة وثمان وسبعون آية أخبرنا أبو الحسن الجرجاني غير مرة قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي وأبو الشيخ عبد الله بن محمد الأصبهاني قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك قال حدثنا أحمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليم المدائني قال حدثنا هارون بن كثير عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولاكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا صلى الله عليه وسلم أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة

فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء

(5/368)

قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم الزلزلة والزلال شدة الحركة على الحال الهائلة من قوله زلت قدمه إذا زالت عن الجهة بسرعة ثم ضوعف يوم ترونها يعني الساعة تذهل أي تشغل عن ابن عباس وقال الضحاك تسلو ابن حيان تنسى يقال ذهلت عن كذا أي تركته واشتغلت بغيره أذهل ذهولا وأذهلني الشىء إذهالا قال الشاعر صحا قلبه يا عزم أو كاد يذهل كل مرضعة يعني ذات ولد رضيع والمرضع المرأة التي لها صبي ترضعه لغيرها هذا قول أهل الكوفة وقال أهل البصرة يقال امرأة مرضع إذا أريد به الصفة مثل مقرب ومشقوق حامل وحائض فإذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء فقليل مرضعة التي ترضع ولدها وتضع كل ذات حمل حملها أي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم وترى الناس سكارى وما هم بسكارى قال الحسن معناه وترى الناس سكارى من الخوف ما هم بسكارى من الشراب وقال أهل المعاني مجازه وترى الناس كأنهم سكارى تدل عليه قراءة أبي زرعة بن عمرو بن جرير وترى الناس بضم التاء أي تظن وأهل الكوفة إلا عاصما سكرى وما هم سكرى بغير ألف فيهما وهما لغتان لجمع السكران مثل كسلى وكسالى ولكن عذاب الله شديد روى عمران بن حصين وأبو سعيد الخدري وغيرهما إن هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق وهم حي من خزاعة والناس يسكرون فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأهما عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدرا والناس من بين باك أو حاسر حزين متفكر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا وسددوا وقاربوا فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه يا جوج وما جوج

(5/369)

ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها أمتي وما المسلمون فى الكفار إلا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة بل كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ثم قال ويدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا فقال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت منهم فقام رجل من الأنصار فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل

الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك
وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير
اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو
الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال
البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى وليئس العشير إن الله
يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار إن الله
يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة فليمدد بسبب
إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلناه ءايات
بينات وأن الله يهدى من يريد إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس والذين أشركو صلى الله عليه وسلم إن الله يفصل
بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد ألم تر أن الله يسجد له من فى
السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب

(5/370)

وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله
يفعل ما يشاء ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم نزلت فى النصر بن
الحرث كان كثير الجدل فكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير
الأولين ويزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلى وعاد ترابا قال الله
سبحانه ويتبع فى قوله ذلك وجداله فى الله بغير علم كل شيطان مرید كتب
عليه قضي عليه على الشيطان أنه من تولاه اتبعه فإنه يعنى الشيطان يضل

(5/371)

يعنى يضل من تولاه ويهديه إلى عذاب السعير وتأويل الآية قضي على
الشيطان أنه يضل أتباعه ويدعوهم إلى النار ثم ألزم الحجة منكري البعث
فقال عز من قائل يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم
أباكم آدم الذي هو أصل النسل ووالد البشر من تراب ثم ذريته من نطفة وهو
المني وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف ثم من علقة وهي الدم العبيط
الجامد وجمعها علق ثم من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما تمضع مخلقة وغير
مخلقة قال ابن عباس وقتادة تامة الخلق وغير تامة وقال مجاهد مصورة وغير
مصورة يعنى السقط قال عبد الله بن مسعود إذا وقعت النطفة فى الرحم
بعث الله عز وجل ملكا فقال يا رب مخلقة أو غير مخلقة فإن قال غير مخلقة
محتها الأرحام وما وإن قال مخلقة قال يا رب فما صفة هذه النطفة أذكر أم
أنثى ما رزقها ما أجلها أشقى أم سعيد فيقال له انطلق إلى أم الكتاب
فاستنسخ منه صفة هذه النطفة فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى
يأتي على آخر صفتها لنبين لكم كمال قدرتنا وحكمتنا فى تصريفنا أطوار
خلقكم ونقر روي عن عاصم بفتح الراء على النسق غيره بالرفع على معنى
ونحن نقر فى الأرحام ما نشاء فلا تمجه ولا تسقطه إلى أجل مسمى وقت
خروجها من الرحم تام الخلق والمدة ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم طفلا

صغارا ولم يقل أطفالا لأن العرب تسمى الجمع باسم الواحد قال الشاعر إن العوادل ليس لي بأمير ولم يقل أمراء وقال ابن جريح تشبيها باسم المصدر مثل عدل وزور وقيل تشبيها بالخصم والضيف ثم لتبلغوا أشدكم كمال عقولكم ونهاية قواكم ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الأشد ومنكم من يعمر حتى يرد إلى أرذل العمر وهو الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم بين دلالة أخرى للبعث فقال تعالى وترى الأرض هامدة يابسة دارسة الأثر من الزرع والنبات كهمود النار

(5/372)

فإذا أنزلنا عليها الماء المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت أي زادت وأضعفت النبات بمجيء الغيث وقرأ أبو جعفر ربأت بالهمز ومثله في حم السجدة أي ارتفعت وعلت وانتفخت من قول العرب ربا الرجل إذا صعد مكانا مشرفا ومنه قيل للطليعة رثية وأنبئت من كل زوج بهيج صنف حسن ذلك الذي ذكرت لتعلموا بأن الله هو الحق والحق هو الكائن الثابت وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى بيان وبرهان ولا كتاب منير نزلت في النضر بن الحرث ثاني عطفه نصب على الحال قال ابن عباس مستكبرا في نفسه تقول العرب جاء فلان ثاني عطفه أي متجبرا لتكبره وتجبره والعطف الجانب الضحاك شامخا بأنفه مجاهد وقتادة لاوبا عنقه عطية وابن زيد معرضا عما يدعى إليه من الكبر ابن جريح أي يعرض عن الحق نظيرها قوله سبحانه وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا الآية وقوله وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم الآية ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي عذاب وهوان وهو القتل بيدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق فيقال له يومئذ ذلك بما قدمت يداك وهذا وأضرابه مبالغة في إضافة الجرم إليه وأن الله ليس بظلام للعبيد فيعذبهم بغير ذنب وهو سبحانه على أي وجه تصرف في عبده فإنه غير ظالم بل الظالم المتعدي المتحكم في غير ملكه ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فإن صح بها جسمه وتنتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته رضي به واطمان إليه وقال ما أصبت مذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وأجهضت رماكه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت مذ كنت على دينك هذا إلا شرا فينقلب عن دينه وذلك

(5/373)

الفتنة

فأنزل الله سبحانه ومن الناس من يعبد الله على حرف أي طرف واحد وجانب في الدين لا يدخل فيها على الثبات والتمكين والحرف منتهى الجسم وقال مجاهد على شك وقال بعض أهل المعاني يريد على ضعف في العبادة كضعف

القائم على حرف مضطربا فيه وقال بعضهم أراد على لون واحد في الأحوال كلها يتبع مراده ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لما عبدوا الله على حرف وقال الحسن هو المنافق يعبد به لسانه دون قلبه فإن أصابه خير صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمأن به أي رضي واطمأن إليه وأقام عليه وإن أصابته فتنة بلاء في جسمه وضيق في معاشه وتعدر المشتتهى من حاله انقلب على وجهه ارتد فرجع إلى وجهه الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا والاخرة وقرأ حميد الأعرج ويعقوب خاسر الدنيا بالألف على مثال فاعل والاخرة خفضا على الحال ذلك هو الخسران المبين الضرر الظاهر يدعوا من دون الله ما لا يضره إن عصاه وما لا ينفعه إن أطاعه بعد إسلامه راجعا إلى كفره ذلك هو الضلال البعيد ذهب عن الحق ذهابا بعيدا يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه اختلف النحاة في وجه هذه اللام فقال بعضهم هي صلة مجازها يدعو من ضره أقرب من نفعه وهكذا قرأها ابن مسعود وزعم الفراء والزجاج أن اللام معناها التأخير تقديرها يدعو والله لمن ضره أقرب من نفعه وقال بعضهم هذا على التأكيد معناه يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو ثم حذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالأولى ولو قلت تضرب لمن خيره أكثر من شره تضرب ثم يحذف الأخير جاز وحكي عن العرب سماعا أعطيتك لما غيره خير منه وعنده لما غيره خير منه وقيل يدعو لمن ضره من قوله ذلك هو الضلال البعيد وموضع ذلك نصب ب يدعو كأنه قال الذي هو الضلال البعيد يدعو ثم استأنف فقال لمن ضره أقرب من نفعه وتكون من في محل الرفع بالابتداء وخيره لبئس المولى ولبئس العشير وقيل يدعو بمعنى يقول والخبر محذوف تقديره لمن ضره أقرب من نفعه إلهه لبئس المولى الناصر

(5/374)

ولبئس العشير المعاشر والصاحب والخليط يعني الوثن إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والاخرة اختلفوا في المعنى بالهاء التي في قوله ينصره فقال أكثر المفسرين عنى بها نبيه صلى الله عليه وسلم قال قتادة يقول من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه فليمدد بسبب بحبل إلى السماء إلى سقف البيت فليختنق به حتى يموت ثم ليقطع الحبل بعد الاختناق فلينظر هل يذهبن كيده صنيعه وحيلته ما يغيط هذا قول أكثر أهل التأويل وإنما معنى الآية فليصور هذا الأمر في نفسه وليس يختم لأنه إذا اختنق ومات لا يمكنه القطع والنظر قال الحسين بن الفضل هذا كما تقول في الكلام للحاسد أو المعاند إن لم ترض هذا فاختنق وقال ابن زيد السماء في هذه الآية هي السماء المعروفة بعينها وقال معنى الكلام من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه وبكايده في دينه وأمره ليقطعه عنه فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه فإن أصله في السماء فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه من الله فإنه لا يكايده حتى يقطع أصله عنه فلينظر هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا العمل وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان تباطؤوا عن الإسلام وقالوا نخاف أن لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ولا يؤوننا فقال الله لهم من استعجل من الله نصر محمد فليختنق فلينظر استعجاله

بذلك في نفسه هل هو مذهب غيظه فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه وقال مجاهد الهاء في ينصره راجعة إلى من ومعنى الكلام من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى سماء البيت فليختنق فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ وهو خنقه أن لا يرزق والنصر على هذا القول الرزق كقول العرب من ينصرنى نصره الله أي من يعطني أعطاه الله قال أبو عبيد تقول

(5/375)

العرب أرض منصوره أي ممطورة كأن الله سبحانه أعطاه المطر وقال الفقعي وإنك لا تعطي أمراً فوق حقه ولا تملك الشق الذي الغيث ناصر وفي قوله ما يغيظ لأهل العربية قولان أحدهما أنها بمعنى الذي مجازة هل يذهبن كيده الذي يغيظه فحذف الهاء ليكون أخف والثاني أنها مصدر مجازة هل يذهبن كيده غيظه وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصاري والمجوس والذين أشركوا يعني عبدة الأوثان وقال قتادة الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن إن الله يفصل يحكم بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد قال النحاة إن الله خبر لقوله إن الذين كما تقول إن زيدا إن الخير عنده لكثير كقول الشاعر إن الخليفة إن الله سريله سربال ملك به ترجى الخواتيم ألم تر بقلبك وعقلك أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قال مجاهد سجودها تحول ظلالها وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حين يرجع إلى مطلعته وقال أهل الحقائق سجود الجماد وما لا يعقل ما فيها من ذلة الخضوع والتسخير وأثار الصنعة والتصوير الذي يدعو العاقلين إلى السجود لله سبحانه كما قال الشاعر وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب بكفره وهو مع ذلك يسجد لله ظله قال مجاهد وقيل يسجد لله أي يخضع له ويقر له بما يقتضيه عقله ويضطره إليه وإن كفر بغير ذلك من الأمور قالوا وفي قوله وكثير حق عليه العذاب واو العطف وقال بعضهم هو واو الاستئناف معناه وكثير حق عليه العذاب بكفره وإبائه السجود حكى لي أبو القاسم بن حبيب عن أبي بكر بن عياش أنه قال في الآية إضمار مجازها وسجد كثير من الناس وأبى كثير حق عليه العذاب ومن يهن الله أي يهينه الله فما له من مكرم قرأه العامة بكسر الراء وقرأ

(5/376)

إبراهيم بن أبي عيلة فماله من مكرم بفتح الراء أي إكرام كقوله سبحانه أدخلني مدخل صدق وأنزلني منزلاً مباركاً أي إدخالاً وإنزالاً إن الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد

كلما أرادو صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدو صلى الله عليه وسلم إلى الطيب من القول وهدو صلى الله عليه وسلم إلى صراط الحميد إن الذين كفروا ويطغون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق هذان خصمان اختصموا في ربهم أي في دينه وأمره والخصم اسم شبيه بوصف المصدر فلذلك قال اختصموا نظيرها وهل أتيتك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب واختلف المفسرون في هذين الخصمين من هما فروى قيس بن عباد أن أبا ذر الغفاري كان يقسم بالله سبحانه أنزلت هذه الآية في ستة نفر من قريش تبادروا يوم بدر حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وعبيدة بن الحارث قال وقال علي إني لأول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى وإلى هذا القول ذهب هلال بن نساف وعطاء بن يسار وقال ابن عباس هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قيل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله أمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمنا بنبيكم وبما أنزل الله سبحانه من كتاب فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به

(5/377)

حسدا وكان ذلك خصومتهم في ربهم وقال مجاهد وعطاء ابن أبي رباح وعاصم بن أبي النجود والكلبي هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا وقال عكرمة هما الجنة والنار اختصمتا فقالت النار خلقتني الله سبحانه وتعالى لعقوبته وقالت الجنة خلقتني الله عز وجل لرحمته فقد قص الله عليك سبحانه من خبرهما ما تسمع ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو سعيد بن حمدون رحمه الله بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد ابن الشرقي قال حدثنا محمد بن يحيى الذهلي وعبد الرحمن بن بشر العبدي وأحمد بن يوسف السلمى قالوا حدثنا عبد الرزاق بن همام الحميري قال أخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين المتجبرين وقالت الجنة لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم فقال الله سبحانه للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحد منكما ملؤها فأما النار فإنهم يلقون فيها وتقول هل من مزيد فلا تمتلئ حتى يضع الله سبحانه رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ وينزوي بعضها إلي بعض ولا يظلم من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقا ثم بين مال الخصمين وحال أهل الدارين فقال سبحانه وتعالى فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار قال سعيد بن جبيرة ثياب من نحاس من نار وليس من الأنية شيء إذا حمي أشد حرا منه يصب من فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الحميم

ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جنبه فيسلب ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان يصهر يذاب يقال صهرت الآلية والشحم بالنار أذبتها أصهرها صهرا قال الشاعر تروي لقي ألقى في صفصف تصهره الشمس ولا ينصهر ومعنى الآية يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم ما في بطونهم من الشحوم

(5/378)

والأحشاء وتنشوي جلودهم منه فتساقط ولهم مقامع سياط من حديد واحدها مقمعة سميت بذلك لأنها يجمع بها المضروب أي يذلل كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ردوا إليها روى الأعمش عن أبي طبيان قال ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقى من فيها إلى أعلى أبوابها فيريدون الخروج منها فيعذبهم الخزان فيها ويعيدونهم إليها بالمقامع ويقولون لهم وذوقوا عذاب الحريق أي المحرق مثل الأليم والوجيع والذوق حاسة يحصل منها إدراك الطعم وهو هنا توسع والمراد به إدراكهم الآلام إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب وهي جمع سوار ولؤلؤا قرأ عاصم وأهل المدينة ها هنا وفي سورة الملائكة ولؤلؤا بالنصب على معني ويحلون لؤلؤا واستدلوا بأنها مكتوبة في جميع المصاحف بالألف ها هنا وقرأ الباقر بالخفض عطفا على الذهب ثم اختلفوا في وجه إثبات الألف فيه فقال أبو عمرو أثبتت الألف فيه كما أثبتت في قالوا وكانوا وقال الكسائي أثبتوها فيه للهمزة لأن الهمزة حرف من الحروف وأما يعقوب فإنه قرأها هنا بالنصب وفي سورة فاطر بالخفض رجوعا إلى المصحف لأنه كتب في جميع المصاحف ها هنا بالألف وهناك بغير ألف ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهو شهادة أن لا إله إلا الله وقال ابن زيد لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله نظيرها قوله سبحانه إليه يصعد الكلم الطيب وهدوا إلى صراط الحميد إلى دين الله إن الذين كفروا ويصدون فعطف بالمستقبل على الماضي لأن الصد بمعنى دوام الصفة لهم ومعنى الآية وهم يصدون ومن شأنهم الصد نظيرها قوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل لفظه مستقبل ومعناه الماضي أي وصدوا عن سبيل الله والمسجد يعني عن المسجد الحرام الذي جعلناه خلقناه وبنينا للناس كلهم لم نخص منهم بعضا دون بعض سواء العاكف المقيم فيه والباد الطاري المنتاب إليه من غيره

(5/379)

وقرأ عاصم برواية حفص ويعقوب برواية روح سواء بالنصب بإيقاع الجعل عليه لأن الجعل يتعدى إلى مفعولين وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبره وتام الكلام عند قوله للناس واختلف العلماء في معنى الآية فقال قوم سواء العاكف فيه والباد في تعظيم حرمة وقضاء النسك به وحق الله الواجب عليهما فيه وإليه ذهب مجاهد وقال آخرون هما سواء في النزول به فليس أحدهما بأحق يكون فيه من الآخر

وحرموا بهذه الآية كراء دور مكة وكرهوا إجارتها في أيام الموسم قال عبد الله بن عمر سواء أكلت محرما أو كراء دار مكة وقال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم فكان الرجل إذا وجد سعة نزل ففشا فيهم السرقة وكل إنسان يسرق من ناحيته فاصطنع رجل بابا فأرسل إليه عمر اتخذت بابا من حجاج بيت الله فقال لا إنما جعلته ليحترز متاعهم وهو قوله سواء العاكف فيه والباد قال البادي فيه كالمقيم ليس أحد أحق بمنزله من أحد إلا أن يكون سبق إلى منزل وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وابن جبير وابن زيد وبازان قالوا هما سواء في البيوت والمنازل والقول الأول أقرب إلى الصواب أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسن بقراءتي عليه قال حدثنا صفوان بن الحسين قال حدثنا أبو محمد بن أبي حاتم قال سمعت أبا إسماعيل الترمذي بمكة سنة ستين ومائتين قال سمعت إسحاق بن راهويه يقول جالست الشافعي بمكة فتذاكرنا في كراء بيوت مكة وكان يرخص فيه وكنت لا أرخص فيه فذكر الشافعي حديثا وسكت وأخذت أنا في الباب أسرد فلما فرغت منه قلت لصاحب لي من أهل مرو بالفارسية مرد كما لاني هست قرية بمرو فعلم أنني راطنت صاحبي بشيء هجنته فيه فقال لي أنتاظر قلت وللمناظرة جئت فقال قال الله سبحانه وتعالى الذين أخرجوا من ديارهم نسب الديار إلى مالكيها أو غير مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهل ترك

(5/380)

عقيل لنا من رباع نسب الدار إلى أربابها أو غير أربابها وقال لي اشترى عمر ابن الخطاب ح دار السجن من مالك أو غير مالك فلما علمت أن الحجة لزممتي قمت ومن يرد فيه أي في المسجد الحرام بالحد بظلم يعني إلحادا بظلم وهو الميل إلى الظلم والبياء فيه زائدة كقوله تنبت بالدهن أي تنبت الدهن قال الفراء وسمعت أعرابيا من ربيعة وسألته عن شيء فقال أرجو بذلك يريد أرجو ذلك وقال الشاعر بواد يمان ينبت الشث صدره وأسفله بالمرخ والشبهان

(5/381)

أي المرخ وقال الأعشى ضمننت برزق عيالنا أرماحنا بين المراحل والصریح الأجرد بمعنى ضمننت رزق عيالنا أرماحنا وقال آخر ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد واختلفوا في معنى الآية فقال مجاهد وقتادة ومن يرد فيه بالحد بظلم هو الشرك أن يعبد فيه غير الله سبحانه وتعالى وقال آخرون هو استحلال الحرام وركوب الآثام فيه قال ابن مسعود ما من رجل يهيم بسبيئة فيكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أو ببلد آخر يهيم أن يقتل رجلا بمكة أو يهيم فيها بسبيئة ولم يعملها إلا أذاقه الله العذاب الأليم وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه ما لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك وهذا القول معنى قول الضحاك وابن زيد أخبرنا أحمد بن أبي قال أخبرنا المغيرة بن عمرو قال حدثنا المفضل بن محمد قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا أبو قرة قال ذكر سفيان عن ليث عن

مجاهد أنه قال تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات ابن جريج هو استحلال الحرام متعمدا عن حبيب بن أبي ثابت احتكار الطعام بمكة بعضهم هو كل شيء كان منها عنه من القول والفعل حتى قول القائل لا والله وبلى والله وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإن أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الآخر فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله وإذ بوأنا وطأنا قال ابن عباس جعلنا الحسن أنزلنا مقاتل بن سليمان دللناه عليه ابن حبان هيأنا نظيره نبوء المؤمنين وبوأكم في الأرض وقوله لنبوءهم من الجنة غرنا لإبراهيم مكان البيت والمكان جوهر يمكن أن يثبت عليه غيره كما أن الزمان عرض يمكن أن يحدث فيه غيره وأراد بالبيت الكعبة

(5/382)

أن لا تشرك يعني أمرناه وعهدنا إليه أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين يعني المصلين والركع السجود ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى صلى الله عليه وسلم أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالاهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولاكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين وأذن يعني وعهدنا إلى إبراهيم أيضا أن أذن أي أعلم ونادى في الناس بالحج فقال إبراهيم يا رب وما يبلغ صوتي فقال عليك الأذان وعلي البلاغ فقام إبراهيم على المقام وقيل على جبل أبي قبيس ونادى يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتا فحجوه فأسمع الله ذلك من في أصلاب الرجال وأرحام النساء وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ممن سبق في علم الله سبحانه أن يحج إلى يوم القيامة فأجابه لبيك اللهم لبيك وقال ابن عباس عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن أن قوله تعالى وأذن في الناس بالحج كلام مستأنف وأن المأمور

(5/383)

بهذا التأذين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة على أرجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم وصيام وعلى كل ضامر أي وركبانا والضامر البعير المهزول وإنما جمع يأتين لمكان كل أراد النوق من كل فج عميق طريق بعيد سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفقيه يقول سمعت أبا القاسم بشر بن محمد بن ياسين القاضي يقول رأيت في الطواف كهلا قد أجهده العيادة واصفر لونه ويده عصا وهو يطوف معتمدا عليها فتقدمت إليه وجعلت أسأله فقال لي من أنت قلت من خراسان قال في أي ناحية تكون خراسان كأنه جهلها قلت ناحية من نواحي المشرق فقال في كم تقطعون هذا الطريق قلت في شهرين وثلاثة أشهر قال أفلا تحجون كل عام فأنتم من جيران هذا البيت فقلت له وكم بينكم وبين هذا البيت فقال مسيرة خمس سنين خرجت من بلدي ولم يكن في رأسي ولحيتي شيب فقلت هذا والله الجهد البين والطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فضحك في وجهي وأنشأ يقول زر من هويت وإن شطت بك الدار وحال من دونه حجب وأستار لا يمنعك بعد من زيارته إن المحب لمن يهواه زوار ليشهدوا ليحضروا منافع لهم يعني التجارة عن سعيد بن جبير وهي رواية ابن رزين عن ابن عباس قال هي الأسواق مجاهد التجارة وما يرضي الله سبحانه من أمر الدنيا والآخرة سعيد بن المسيب وعطية العوفي ومحمد بن علي الباقر العفو والمغفرة وذكروا اسم الله في أيام معلومات يعني ذي الحجة في قول أكثر المفسرين والمعدودات أيام التشريق وإنما قيل لها معدودات لأنها قليلة وقيل للعشر معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل أن وقت الحج في آخرها وقال مقاتل المعلومات أيام التشريق محمد بن كعب المعدودات والمعلومات واحدة على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا من الإبل والبقر والغنم فكلوا منها أمر إباحة وليس بواجب قال المفسرون وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا ينحرون ويذبحون ولا يأكلون من

(5/384)

لحوم هداياهم شيئا وأطعموا البائس يعني الزمن الفقير الذي لا شيء له ثم ليقتضوا واختلف القراء في هذه اللامات فكسرها بعضهم فرقا بين ثم والواو والفاء لأن ثم مفضول من الكلام والواو والفاء كأنهما من نفس الكلمة وجزمها الآخرون لأنها كلها لامات الأمر تفتهم والتفت مناسك الحج كلها عن ابن عمر وابن عباس وقال القرظي ومجاهد هو مناسك الحج واخذ الشارب وتنف الإبط وحلق العانة وقص الأظفار عكرمة التفت الشعر والظفر الوالبي عن ابن عباس هو وضع الإحرام من حلق الرأس وقص الأظفار ولبس الثياب ونحوها وأصل التفت في اللغة الوسخ تقول العرب للرجل تستقذره ما أتفتك أي ما أوسخك وأقذك قال أمية بن الصلت ساخين أباطهم لم يقذفوا تفتا وينزعوا عنهم قملا وصئبانا وليوفوا نذورهم قال مجاهد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شيء يكون في الحج وليطوفوا بالبيت العتيق أراد الطواف الواجب وهو طواف الإفاضة والزيارة الذي يطاف بعد التعريف أما يوم النحر وأما بعده واختلف العلماء في معنى العتيق فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة سمي عتيقا لأن الله

سبحانه أعتقه من الجابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط ولم يسلط عليه إلا من يعظمه ويحترمه قال سعيد بن جبير أقبل تبع يريد هدم البيت حتى إذا كان بقديد أصابه الفالج فدعا الأبحار فقالوا إن لهذا البيت ربا ما قصده قاصد بسوء إلا حجه عنه بمكروه فإن كنت تريد النجاة مما عرض لك فلا تتعرض له بسوء قال فأهدى إلى البيت كسوة وأنطاغا فألبست وكان أول ما ألبست ونحر عنده ألف ناقة وعفا عن أهله وبرهم ووصلهم فسميت المطابخ لمطبخة القوم وكانت خيله جيادا فسميت جياد لخيول تبع وسميت قعيقان لقعقة السلاح حين أقبل من المدينة وقال سفيان بن عيينة سمي بذلك لأنه لم يملك قط وهي رواية عبيد عن مجاهد قال إنما سمي البيت العتيق لأنه ليس لأحد فيه شيء ابن زيد لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس يقال سيف عتيق ودينار

(5/385)

عتيق أي قديم وقيل لأنه كريم على الله سبحانه يقول العرب فرس عتيق ذلك ومن يعظم حرمت الله فيجتنب معاصيه فهو خير له عند ربه قال ابن زيد الحرمات المشعر الحرام والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام وقيل هي المناسك وأحلت لكم الانعام أن تأكلوها إذا ذكيتها إلا ما يتلى عليكم في القرآن وهو قوله حرمت عليكم الميتة والدم الآية وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقيل وأحلت لكم الأنعام في حال إحرامكم إلا ما يتلى عليكم من الصيد فإنه حرام في حال الإحرام فاجتنبوا الرجس من الأوثان يعني عبادتها لأن الأوثان كلها رجس واجتنبوا قول الزور يعني الكذب والبهتان قال أيمن بن حريم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال يا أيها الناس عدلت شهادة الزور الشرك بالله ثم قرأ هذه الآية وقال بعضهم هو قول المشركين في تليبتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء مستقيم مخلصين لله وقيل حجاجا غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء أي سقط إلى الأرض فتخطفه الطير والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء أي تتخطفه فأدغم وتصديق قراءة العامة قوله تعالى إلا من خطف الخطفة أو تهوي تميل وتذهب به الريح في مكان سحيق بعيد قال أهل المعاني إنما شبه حال المشرك بحال الهاوي في أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر يوم القيامة وقال الحسن شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدر على شيء منها ذلك الذي ذكرت من اجتناب الرجس والزور وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب هذا معنى الآية ونظمها وشعائر الله الهدى والبدن وأصلها من الإشعار وهو إعلامها لتعرف أنها هدى فسميت به وتعظيمها استعظامها واستحسانها واستسمانها لكم فيها أي في الهدايا منافع قيل أن يسميها صاحبها بدنة أو هديا ويشعرها ويقلدها في رسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها

(5/386)

إلى أجل مسمى وهو أن يسميها هديا ويوجبها فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعتها شيء هذا قول مجاهد وعطاء والضحاك وقتادة ورواية مقسم عن ابن عباس وقيل معناه لكم في هذه الهدايا منافع بعد إنجابها وتسميتها هديا بان تركبوها إذا احتجتم إليها وتشرّبوا ألبانها إن اضطرتتم إليها إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحر وهذا قول عطاء بن أبي رباح وقال بعضهم أراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة ومعنى الآية لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة وهذه رواية أبي ذر عن ابن عباس وقال بعضهم لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى وهو انقضاء أيام الحج ثم محلها إلى البيت العتيق أي منحرها عند البيت العتيق يعني أرض الحرم كلها نظيرها قوله سبحانه فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أي الحرم كله وقال الذين قالوا عنى بالشعائر المناسك معنى الآية ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك ولكل أمة جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا اختلف القراء فيه فقرأ أهل الكوفة إلا عاصما بكسر السين في الحرفين على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع أي مذبحا موضع قربان وقرأ الآخرون بفتح السين فيهما على المصدر مثل المدخل والمخرج أي إهراق الدماء وذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها ونحرها وإنما خص بهيمة الأنعام لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير وإنما قيل بهائم لأنها لا تتكلم فإلهمك إله واحد فله أسلموا وبشر المخيتين قال ابن عباس وقتادة المتواضعين مجاهد المطمئنين إلى الله سبحانه الأخفش الخاشعين ابن جرير الخاضعين عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن أي الإبل والعظام

(5/387)

الضخام الأجسام وتخفف وتثقل واحدها بدنة مثل تمر وخبث وخبث وبادن مثل فاره وفره والبدن هو الضخم من كل شيء ومنه قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير البدن لضخمه وقد بدن الرجل بدنا وبدانة إذا ضخم فأما إذا أشفى واسترخى قيل بدن تدينا وقال عطاء والسدي البدن الإبل والبقر

جعلناها لكم من شعائر الله أي أعلام دينه إذا أشعر لكم فيها خير النفع في الدنيا والأجر في العقبى فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها قال ابن عباس هو أن تقول الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك ولك صواف أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها وإحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك روى يعلى بن عطاء عن يحيى بن سالم قال رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته فقال صواف كما قال الله سبحانه فنحرها وهي قائمة معقولة إحدى يديها وقال مجاهد الصواف إذا عقلت رجليها اليسرى وقامت على ثلاث وتنحر كذلك وقرأ ابن مسعود صوافن وهي المعقلة تعقل يد واحدة وكانت على ثلاث وتنحر وهو مثل صواف وقرأ أبي صوافي وهكذا أيضا مجاهد وزيد بن أسلم بالياء أي صافية خالصة لله سبحانه لا شريك له فيها كما كان المشركون يفعلون فإذا وجبت

جنوبها أي سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض وقال ابن زيد فإذا ماتت وأصل الوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس إذا سقطت للمغيب ووجب الفعل إذا وقع ما يلزم به فعله فكلوا منها أمر إباحة ورخصة مثل قوله سبحانه وإذا حللتم فاصطادوا وقوله سبحانه وتعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وأطعموا القانع والمعتر اختلفوا في معناهما فروى العوفي عن ابن عباس وليث عن مجاهد أن القانع الذي يقنع بما أعطي وبرضى بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يمر بك ويتعرض لك ولا يسأل عكرمة وابن ميثم وقتادة القانع المتعفف الجالس في بيته والمعتر السائل الذي يعتريك ويسالك وهي رواية الوالبي عن ابن عباس حصيف عن مجاهد القانع أهل مكة وجارك وإن كان غنيا والمعتر

(5/388)

الذي يعتريك ويأتيك فيسألك وعلى هذه التأويلات يكون القانع من القناعة وهي الرضا والتعفف وترك السؤال سعيد بن جبير والكلبي القانع الذي يسألك والمعتر الذي يتعرض لك ويريك نفسه ولا يسألك وعلى هذا القول يكون القانع من القنوع وهو السؤال قال الشماخ لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع وقال لبيد واعطاني المولى على حين فقره إذا قال أبصر خلتي وقنوعي وقال زيد بن أسلم القانع المسكين الذي يطوف ويسأل والمعتر الصديق الزائر الذي يعتري بالبدن ابن أبي نجیح عن مجاهد القانع الطامع والمعتر من يعتري بالبدن من غني أو فقير ابن زيد القانع المسكين والمعتر الذي يعتري القوم للحمهم وليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى القوم لأجل لحمهم وقرأ الحسن والمعري وهو مثل المعتر يقال عراه واعتراه إذا أتاه طالبا معروفاً كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرروا البدن لطحوا حيطان الكعبة بدمائها فأنزل الله سبحانه لن ينال الله أي لن يصل إلى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أي النية والإخلاص وما أريد به وجه الله عز وجل وقرأ يعقوب تنال وتناله بالتاء غيره بالياء كذلك هكذا سخرها يعني البدن لكم لتكبروا الله على ما هداكم لإعلام دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا إن الله يدافع عن الذين آمنوا صلى الله عليه وسلم إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وأتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور وإن يكذبك فقد كذبت قبلهم قوم

(5/389)

نوح وعاد وشمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى
فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهى
ظالمة

فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الارض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الابصار ولاكن
تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده
وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون إن الله يدافع مكي وبصري يدفع
غيرهم يدافع ومعناه إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا إن الله لا
يحب كل خوان فى أمانة الله كفور لنعمته أذن قرأ أهل المدينة والبصرة
وعاصم أذن بضم الألف وقرأ الباقون بفتحها أى أذن الله للذين يقاتلون قرأ أهل
المدينة والشام بفتح التاء يعنون المؤمنين الذين يقابلهم المشركون وقرأ
الباقون بكسر التاء يعنى إن الذين أذن لهم بالجهاد يقاتلون المشركين بأنهم
ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير قال المفسرون كان مشركو أهل مكة
يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يحيئون من بين
مضروب ومشجوج فيشكونهم إلى رسول الله فيقول لهم اصبروا فإنى لم
أؤمر بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فأنزل الله
سبحانه هذه الآية وهى أول آية أذن الله فيها بالقتال وقال ابن عباس لما أخرج
النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه
راجعون لنهلكن فأنزل الله سبحانه أذن للذين يقاتلون الآية قال أبو بكر فعرفت
أنه سيكون قتال وقال مجاهد نزلت هذه الآية فى قوم بأعيانهم خرجوا
مهاجرين من مكة إلى المدينة فكانوا يمنعون من الهجرة فاذن الله تعالى لهم
فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق
بدل من الذين الأولى ثم قال إلا أن يقولوا ربنا الله يعنى لم يخرجوا من ديارهم
إلا لقولهم ربنا الله وحده فيكون أن فى موضع الخفض ردا على الباء فى قوله
بغير حق ويجوز

(5/390)

أن يكون فى موضع نصب على وجه الاستثناء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض بالجهاد وإقامة الحدود وكف الظلم لهدمت قرأ الحجازيون بتخفيف الدال
والباقون بالتشديد على الكسر أى تخربت صوامع قال مجاهد والضحاك يعنى
صوامع الرهبان قتادة صوامع الصابئين وبيع النصارى ابن أبى نجیح عن مجاهد
البيع كنائس اليهود وبه قال ابن زيد
وصلوات قال ابن عباس وقاتلة والضحاك يعنى كنائس اليهود ويسمونها صلوتا
أبو العالية هى مساجد الصابئين ابن أبى نجیح عن مجاهد هى مساجد لأهل
الكتاب ولأهل الإسلام بالطريق وعلى هذه الأقاويل تكون الصلوات صلوات
أهل الإسلام تنقطع إذا دخل عليهم العدو انقطعت العبادة وهدمت المساجد
كما صنع بخت نصر ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا يعنى مساجد المسلمين
وقيل تأويلها لهدمت صوامع وبيع فى أيام شريعة عيسى وصلوات فى أيام
شريعة موسى ومساجد فى أيام شريعة محمد صلى الله عليهم أجمعين وقال
الحسن يدفع عن هدم مصليات أهل الذمة بالمؤمنين فإن قيل لم قدم مصليات
الكافرين على مساجد المسلمين قلنا لأنها أقدم وقيل لقربها من الهدم وقرب

المساجد من الذكر كما آخر السابق في قوله فمنهم ظالم لنفسه لقربه من الخيرات ولينصرن الله من ينصره أي ينصر دينه ونبيه إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال قتادة هم أصحاب محمد عكرمة أهل الصلوات الخمس الحسن وأبو العالية هذه الأمة ولله عاقبة الامور آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه وإن يكذبوك يا محمد فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين أمهلتهم ثم أخذتهم عاقبتهم فكيف كان نكير إنكاري بالعذاب والهلاك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويخوف مخالفيه فكأين وكم من قرية أهلكناها وهي ظالمة يعني وأهلها ظالمون فنسب الظلم إليها لقرب الجوار فهي خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها وبئر معطلة

(5/391)

متروكة مخلاة عن أهلها وقصر مشيد قال قتادة والضحاك ومقاتل رفيع طويل ومنه قول عدي شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور أي رفعه وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة مجصص من الشيد وهو الجص قال الراجز كحبة الماء بين الطى والشيد وقال امرؤ القيس وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أجما إلا مشيدا بجندل أي مبنيا بالشيد والجندل وروى أبو روق عن الضحاك أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاصورا وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح ونجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي حضرموت لأن صالحا لما حضره مات فبنوا حاصورا وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا يقال له بلهنس بن جلاس بن سويد وجعلوا وزيره سنحاريب بن سواده فأقاموا دهرا وتناسلوا حتى نموا وكثروا ثم أنهم عبدوا الأصنام فكفروا فأرسل الله إليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان كان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم أفلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية فتكون لهم قلوب يعقلون بها يعلمون بها أو أذان يسمعون بها فيتفكروا ويعتبروا فإنها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور تأكيد كقوله سبحانه ولا طائر يطير بجناحيه وقوله تعالى يقولون بأفواههم قال ابن عباس ومقاتل لما نزل ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى جاء ابن أم مكتوم النبي صلى الله عليه وسلم باكيا فقال يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النصر بن الحرث

(5/392)

ولن يخلف الله وعده فأنجز ذلك يوم بدر وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون بالياء مكى كوفي غير عاصم غيرهم بالتاء وقال ابن عباس هي من الأيام التي خلق الله سبحانه فيها السموات والأرض مجاهد وعكرمة من أيام الآخرة

ابن زيد في قوله وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال هذه أيام الآخرة وفي قوله تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو يوم القيامة وقال أهل المعاني معنى الآية وإن يوما عند ربك من أيام العذاب الذي استعجلوه في الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون فكيف تستعجلوه وهذا كما يقال أيام الهموم طوال وأيام السرور قصار وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين فالذين ءامنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في صلي الله عليه وسلم ءاياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في صلي الله عليه وسلم أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله ءاياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين ءامنوا صلى الله عليه وسلم إلى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين ءامنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا صلى الله عليه وسلم أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حلیم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور وكأين من قرية أمليت لها وهي

(5/393)

ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا أي عملوا في إبطال آياتنا معاجزين أي مغالين مشاقين قال ابن عباس الأخفش متأنفين فتادة ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم ولن يعجزوه وقرأ ابن كثير وأبو عمر معجزين بالتشديد أي مثبتين الناس عن الإيمان ومثله في سورة سبأ أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم عما جاءهم به من الله سبحانه تمنى في نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرصه على إيمانهم فجلس ذات يوم في ناد من أندية قریش كثير أهله فأحب يومئذ ألا يأتيه من الله تعالى شيء فينفروا عنه وتمنى ذلك فأنزل الله سبحانه سورة والنجم إذا هوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى

(5/394)

الشیطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذوا حفنة من البطحاء ورفعها إلى جبهتهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فإذا جعل لها محمد نصيباً فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله وقلت ما لم يقل لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كبيراً فأنزل الله سبحانه هذه الآية وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائهم وقالوا هم أحب إلينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وجاء بغيره وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كل مشرك فزادوا شراً إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وما أرسلنا من قبلك من رسول وهو الذي يأتيه جبرئيل بالوحي عياناً وشفاهاً ولا نبي وهو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً إلا إذا تمنى أي أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه ما لم يؤمر به ألقى الشيطان في أمنيته أي مراده ووجد إليه سبيلاً وقال أكثر المفسرين يعني بقوله تمنى أي تلا وقرأ كتاب الله سبحانه القي

(5/395)

الشیطان في أمنيته أي قراءته وتلاوته نظيره قوله سبحانه لا يعلمون الكتاب إلا أمانى يعني قراءة يقرأ عليهم وقال الشاعر في عثمان ح حين قتل تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر وسمعت أبا القاسم الحبيب يقول سمعت أبا الحسن علي بن مهدي الطبري يقول ليس هذا التمنى من القرآن والوحي في شيء وإنما هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صفرت يده من المال ورأى ما بأصحابه من سوء الحال تمنى الدنيا بقلبه وسوسة من الشيطان وقال الحسن أراد بالغرائق العلى الملائكة يعني أن الشفاعة ترتجى منهم لا من الأصنام وهذا قول ليس بالقوي ولا بالمرضى لقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يبطله ويذهب ثم يحكم الله آياته فيثبتها والله عليم حكيم فإن قيل فما وجه جواز الغلط في التلاوة على النبي صلى الله عليه وسلم فعنه جوابان أحدهما أنه على سبيل السهو والنسيان وسبق اللسان فلا يلبث أن ينبهه الله سبحانه ويعصمه والثاني أن ذلك إنما قاله الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء قراءته وأوهم أنه من القرآن وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يتلوه قال الله سبحانه ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض فيشكون في

ذلك والقاسية قلوبهم فلا تلين لأمر الله وإن الظالمين الكافرين لفي شقاق
بعيد وليعلم

(5/396)

الذين أوتوا العلم من المؤمنين أنه يعني أن الذي أحكم الله سبحانه من آيات
القرآن الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا
إلى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه أي مما ألقى الشيطان
على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن جريج من القرآن غيره من
الدين وهو الصراط المستقيم حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم
عقيم قال عكرمة والضحاك عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقال
الآخرون هو يوم بدر وهو الصواب لأن الساعة هي القيامة ولا وجه لأن يقال
حتى تأتيهم القيامة وإنما سمي يوم بدر عقيما لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل
بل قتلوا قبل المساء قاله ابن جريج غيره لأنه لم يكن فيه رافة ولا رحمة وقيل
لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه الملك يومئذ يعني يوم القيامة
لله وحده من غير منازع ولا مدع والملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور
والله سبحانه وتعالى هو الذي يملك الأمور كلها وكل ملك سواه فهو مملك
بحكمه وإذنه يحكم بينهم ثم بين حكمه فقال عز من قائل فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين
والذين هاجروا في سبيل الله أي فارقوا أوطانهم وعشائرتهم في طاعة الله
سبحانه وطلب رضاه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك ليرزقنهم الله رزقا حسنا في
الجنة وإن الله لهو خير الرازقين وقيل هو قوله سبحانه بل أحياء عند ربهم
يرزقون روى ابن وهب عن عبد الرحمن بن الحجاج بن سلامان بن عامر قال
كان فضالة بن دوس أميرا على الأرباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتيل
والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حفرته فقال أراكم أيها
الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفى فوالذي نفسي بيده ما
أبالي من أي حفرتها بعثت إقرؤوا قول الله سبحانه والذين هاجروا في سبيل
الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير

(5/397)

الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حلیم ذلك ومن عاقب بمثل ما
عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور نزلت في قوم من
المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون
قتال المشركين وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الأشهر الحرم
فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيمهم عليه وثبت المسلمون لهم فنصروا
عليهم فأنزل الله سبحانه هذه الآيات والعقاب الأول بمعنى الجزاء ذلك بأن
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن
الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير ألم
تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له
ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغنى الحميد ألم تر أن الله

سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذى صلى الله عليه وسلم أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعك فى الامر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ذلك يعنى هذا الذى أنصر المظلوم بأني القادر على ما أشاء فمن قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون بالياء بصري كوفي غير أبي بكر الباقون بالتاء من دونه هو الباطل

(5/398)

وأن الله هو العلي فلا شيء أعلى منه ولأنه تعالى عن الأشباه والأشكال الكبير العظيم الذى كل شيء دونه فلا شيء أعظم منه ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة بالنبات رفع فتصبح لأن ظاهر الآية استفهام ومعناه الخبر مجازها اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة وإن شئت قلت قد رأيت أن الله أنزل من السماء ماء كقول الشاعر ألم تسأل الربيع القديم فينطق وهل تخبرنك اليوم ببداء سملق معناه قد سألته فنطق إن الله لطيف خبير له ما فى السموات وما فى الارض وإن الله لهو الغني الحميد ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على

(5/399)

الارض يعنى لكيلا تسقط على الارض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذى أحياكم ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم عند انقضاء أجالكم وفناء أعماركم ثم يحييكم للثواب والعقاب إن الانسان لكفور لجحود لما ظهر من الآيات والدلالات لكل أمة جعلنا منسكا مألفا يألفونه وموضعا يعتادونه لعبادة الله وأصل المنسك فى كلام العرب الموضع المعتاد لعمل خير أو شر يقال إن لفلان منسكا أي مكانا يغشاه ويألفه للعبادة ومنه مناسك الحج لتردد الناس إلى الأماكن التى تعمل فيها أعمال الحج والعمرة وقال ابن عباس لكل أمة جعلنا منسكا أي عيدا وقال مجاهد وقتادة موضع قربان يذبحون فيه غيرهم أراد جميع العبادات فلا ينازعك فى الامر أي فى أمر الذبح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن الخنيس قالوا لأصحاب رسول الله عليه السلام ما لكم تأكلون ما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله وادع إلى ربك دين ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون فتعرفون حينئذ المحق من المبطل

والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر وهذا أدب حسن علم الله سبحانه فيمن جادل على سبيل التعنت والمرء كفعل السفهاء أن لا يجادل ولا يناظر ويدفع بهذا القول الذي علمه الله سبحانه لنبيه عليه السلام ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك كله في كتاب يعني اللوح المحفوظ إن ذلك يعني علمه تعالى بجميع ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين الكافرين من نصير يمنعهم من عذاب الله وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر بين ذلك في وجوههم بالكراهة والعبوس يكادون يسطون يقعون ويبطشون بالذين يتلون عليهم آياتنا وأصل السطو القهر قل يا محمد لهم أفأنبئكم بشر من ذلكم أي بشر لكم وأكره إليكم من هذا القرآن

(5/400)

الذي تسمعون النار أي هي النار وعدّها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز الله يصطفى من الملائكة رسلا إن الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين ءامنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير يا أيها الناس ضرب مثل معنى ضرب جعل كقولهم ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الذمة أي جعل ذلك عليهم ومنه قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة والمثل حالة ثابتة تشبه بالأولى في الذكر الذي صار كالعلم وأصله الشبه ومعنى الآية جعل لي المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا له حالها وصفتها التي بينت وشبهتها بها ثم بين ذلك فقال عز من قائل إن الذين تدعون من دون الله قراءة العامة بالتاء وروى زيد عن يعقوب يدعون بالياء لن يخلقوا ذبابا في صغره وقلته لأنها لا تقدر على ذلك ولو اجتمعوا له لخلقه والذباب واحد وجمعها القليل أذينة والكثير ذبان مثل غراب وأغربة وغريان وإن يسلبهم يعني الأصنام أخبر عنها بفعل ما يعقل وقد مضت هذه المسألة يقول وإن يسلبهم الذباب شيئا مما عليهم لا يقدر أن يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الطالب الذباب والمطلوب الصنم وذلك أن الكفار كانوا يلطخون أصنامهم بالعسل في كل سنة ثم يلقون عليها أبواب البيوت فيدخل الذبان في الكوى فيأكل ذلك العسل وينقيها منه فإذا رأوا ذلك قالوا

(5/401)

أكلت آلهتنا العسل الضحاك يعني العابد والمعبود ابن زيد وابن كيسان كانوا يحلون الأصنام باليواقيت والألآكي وأنواع الجواهر ويطيبونها بألوان الطيب فربما يسقط واحد منها أو يأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استردادها فالطالب على هذا التأويل الصنم والمطلوب الذباب والطائر ما قدروا الله حق قدره أي ما عظموا الله حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته إذ أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف به إن الله لقوي عزيز الله يصطفي يختار من الملائكة رسلا كجبرئيل وميكائيل وغيرهما ومن الناس أيضا رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء

(5/402)

صلوات الله عليهم يقال نزلت هذه الآية لما قال المشركون ألقى الذكر عليه من بيننا فأخبر أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه إن الله سميع لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته يعلم ما بين أيديهم يعني ما كان بين أيدي ملائكته ورساله قبل أن يخلقهم وما خلفهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم وقال الحسن ما بين أيديهم ما عملوه وما خلفهم ما هم عاملون مما لم يعملوه بعد يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا محمد بن يحيى قال وفيما قرأت على عبد الله بن نافع وحدثني مطرف بن عبد الله عن مالك عن نافع أن رجلا من أهل مصر أخبر عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب حقرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين ثم قال ان هذه السورة فضلت بسجدتين وبإسناده عن مالك عن عبد الله بن دينار أنه قال رأيت عبد الله بن عمر سجد في الحج سجدتين وأخبرنا أبو بكر الجوزقي قال أخبرنا أبو العباس الدعولي قال حدثنا ابن أبي خيثمة قال حدثنا أبو سلمة الخزاعي منصور بن سلمة قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن صفوان بن مهران أن أبا موسى قرأ على منبر البصرة سورة الحج فنزل فسجد فيها سجدتين وحدثنا أبو محمد المخلدي قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم قال حدثنا محمد ابن مسلم بن دارة قال حدثنا محمد بن موسى بن أعين قال قرأت على أبي عن عمرو بن الحرث عن ابن لهيعة ان شريح بن عاها حدثه عن عقية بن عامر قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم إن لم تسجدهما فلا تقرأهما وجاهدوا في الله حق جهاده يعني وجاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده وهو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أيضا لا تخافوا في الله لومة لائم وذلك حق الجهاد وقال الضحاك ومقاتل يعني اعملوا لله بالحق حق عمله واعبدوه حق عبادته عبد الله بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو

(5/403)

الجهاد الأكبر
على ما روي في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر هو اجتباكم اختاركم

لدينه وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق فلا يتلى المؤمن بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرجاً بعضها بالتوبة وبعضها بالقصاص وبعضها برد المظالم وبعضها بأنواع الكفارات فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه ولا ذنب يذنبه المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج وهذا معنى رواية علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه حين سأله عبد الملك بن مروان عن هذه الآية فقال جعل الله الكفارات مخرجاً من ذلك سمعت ابن عباس يقول ذلك وقال بعضهم معناه وما جعل عليكم في الدين من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر والأضحى ووقت الحج إذا التبست عليكم وبشك الناس فيها ولكنه وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا محلها ملة أبيكم أي كلمة أبيكم إبراهيم نصب ينزع حرف الصفة عن الفراء غيره نصب على الأجراء أي الزموا واتبعوا ملة أبيكم إبراهيم وإنما أمركم باتباع ملة إبراهيم لأنها داخله في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وأما وجه قوله سبحانه ملة أبيكم وليس جميعهم يرجع إلى ولادة إبراهيم فإن معناه إن حرمة إبراهيم على المسلمين كحرمة الوالد كما قال سبحانه وأزواجه أمهاتهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم مثل الوالد وهذا معنى قول الحسن البصري رحمه الله هو يعني الله سبحانه وتعالى سماكم المسلمين من قبل يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا الكتاب هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن زيد هو راجع إلى إبراهيم عليه السلام يعني أن إبراهيم سماكم المسلمين من قبل أي من قبل هذا الوقت في أيام إبراهيم وفي هذا الوقت قال وهو قول إبراهيم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك والقول الأول أولى بالصواب ليكون الرسول شهيداً عليكم أن قد بلغكم وتكونوا شهداء

(5/404)

على الناس أن رسلهم قد بلغتهم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقال الحسن تمسكوا بدين الله الذي لطف به لعباده هو مولاكم وليكم وناصركم ومتولي أمركم فنعم المولى ونعم النصير

سورة المؤمنون
مكية وهي أربعة آلاف وثمانمائة وحرمان وألف وثمانمائة وأربعون كلمة ومائة وثمانين عشرة آية أخبرنا أبو الحسن الخباري قال حدثنا ابن حبش قال حدثني أبو العباس محمد بن موسى الدقاق الرازي قال حدثنا عبد الله بن روح المدائني قال وحدثنا طفران قال حدثنا ابن أبي داود قال حدثنا محمد بن عاصم قال حدثنا نسابه بن سوار الفزاري قال حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنین بشيرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون قد أفلح

المؤمنون قد حرف تأكيد وقال المحققون معنى قد تقريب بالماضي من الحال فدل على أن فلاحهم قد حصل وهم عليه في الحال وهذا أبلغ في الصفة من تجريد ذكر الفلاح والفلاح النجاح والبقاء أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر بقراءته علي في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو عمرو المعتز بن محمد بن الفضل القاضي قال حدثنا أحمد بن الحسين الفريابي قال حدثنا عبد الرحيم بن حبيب البغدادي عن إسحاق بن تيجح الملطي عن

(5/405)

ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي قالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت أنا حرام على كل بخيل ومرائي وقرأ طلحة بن مصرف قد أفلح المؤمنون على المجهول أي أبقوا في الثواب الذين هم في صلاتهم خاشعون اختلف المفسرون في معنى الخشوع فقال ابن عباس مخبتون أذلاء الحسن وقتادة خائفون مقاتل متواضعون على الخشوع في القلب وأن تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت مجاهد هو غص البصر وخفض الجناح وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يمد بصره إلى شيء أو أن يحدث نفسه بشيء من شأن الدنيا عمرو بن دينار ليس الخشوع الركوع والسجود ولكنه السكون وحسن الهيئة في الصلاة ابن سيرين وغيره هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك قالوا وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء وينظرون يمينا ويسارا حتى نزلت هذه الآية فجعلوا بعد ذلك وجوههم حيث يسجدون وما رؤي بعد ذلك أحد منهم ينظر إلا إلى الأرض ربيع هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا أخبرنا أبو عمرو الفراتي قال أخبرنا أبو موسى قال حدثنا السراج قال حدثنا محمد بن الصباح قال أخبرنا إسحاق بن سليمان قال حدثنا إبراهيم الخوزي عن عطاء بن أبي رباح قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمان عز وجل فإذا التفت قال له الرب إلى من تلتفت إلى من هو خير لك مني ابن آدم أقبل إلي فإنا خير ممن تلتفت إليه عطاء هو أن لا تعبت بشيء من جسدك في الصلاة وأبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وأخبرنا محمد بن أحمد بن عقيل القطان قال أخبرنا صاحب بن أحمد بن ترحم بن سفيان قال حدثنا أبو عبد الرحمن بن نبيت المروزي عبدان قال

(5/406)

حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر أنه سمع الزهري يحدث عن أبي الاحوص عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصى ويقال نظر الحسن إلى رجل يعبت بالحصى ويقول اللهم زوجني من

الحوار العين فقال بنس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبت خلود بن دعلج عن قتادة هو وضع اليمين على الشمال في الصلاة بعضهم هو جمع الهمة لها وإعراض عما سواها أبو بكر الواسطي هو الصلاة لله سبحانه على الخلوص من غير عوض سمعت ابن الإمام يقول سمعت ابن مقسم يقول سمعت أبا الفضل جعفر بن أحمد الصيدلي يقول سمعت ابن أبي الورد يقول يحتاج المصلي إلى أربع خلال حتى يكون خاشعا إعظام المقام وإخلاص المقال واليقين التمام وجمع الهمة والذين هم عن اللغو معرضون قال الحسن عن المعاصي ابن عباس الحلف الكاذب مقاتل الشتم والأذى غيرهم ما لا يحمل من القول والفعل وقيل اللغو الفعل الذي لا فائدة فيه والذين هم للزكاة الواجبة فاعلون مؤدون وهي فصيحة وقد جاءت في كلام العرب قال أمية بن أبي الصلت المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أي من أزواجهم على بمعنى من أو ما في محل الخفض يعني أو من ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين على إتيان نسائهم وإمائهم فمن ابتغى وراء ذلك أي التمس وطلب سوى زوجته وملك يمينه فأولئك هم العادون من الحلال إلى الحرام فمن زنى فهو عاد والذين هم لأماناتهم التي ائتمنوا عليها وعهدهم وعقودهم التي عاقدوا الناس عليها راعون حافظون وافون وقرأ ابن كثير لأمانتهم على الواحد لقوله وعهدهم الباكون بالجمع لقوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها

(5/407)

والذين هم على صلواتهم يحافظون يداومون على فعلها ويراعون أوقاتها فأمر بالمحافظة عليها كما أمر بالخشوع فيها لذلك كرر ذكر الصلاة أولئك أهل هذه الصفة هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل الجنة من الجنة وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبنى منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي هو في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبنى منزله الذي في النار وقال بعضهم معنى الوراثة هو أنه يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث الذين يرثون الفردوس أي البستان ذا الكرم قال مجاهد هي بالرومية عكرمة هي الجنة بلسان الحبش السدي هي البساتين عليها الحيطان بلسان الروم وفي الحديث إن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر فقالت أمه يا رسول الله إن كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه وإن كان من أهل النار بالغت في البكاء فقال يا أم حارثة إنها جنان وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة أخبرني أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبراني بها قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن يونس بن إبراهيم بن النضر المقرئ قال حدثنا العباس بن الفضل المقرئ قال حدثنا أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم قال حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي قال حدثني عبد الله بن لهيعة الحضرمي قال حدثنا عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله سبحانه قد أفلح المؤمنون يعني قد سعد المصدقون بتوحيد الله سبحانه ثم نعتهم ووصف أعمالهم فقال عز من قائل الذين هم في صلاتهم

خاشعون يعني متواضعين لا يعرف من على يمينه ولا من على يساره ولا يلتفت من الخشوع لله والذين هم عن اللغو معرضون يعني الباطل والكذب والذين هم للزكوة فاعلون

(5/408)

يعني الأموال كقوله سبحانه في الأعلى قد أفلح من تزكى يعني من ماله والذين هم لفروجهم حافظون يعني عن الفواحش ثم قال إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم يعني ولائدهم فإنهم غير ملومين لا يلامون على جماع أزواجهم وولائدهم فمن ابتغى وراء ذلك فمن طلب الفواحش بعد الأزواج والولائد ما لم يحل فأولئك هم العادون يعني المعتدين في دينهم والذين هم لأماناتهم يعني ما ائتمنوا عليه فيما بينهم وبين الناس وعهدهم راعون يعني حافظين يؤدون الأمانة ويوفون بالعهود والذين هم على صلواتهم يحافظون يعني يحافظون عليها في مواقيتها ثم أخبر بثوابهم فقال أولئك هم الوارثون ثم بين ما يرثون فقال الذين يرثون الفردوس يعني الجنة بلسان الرومية هم فيها خالدون لا يموتون فيها أخبرنا محمد بن عقيل القطان قال أخبرنا حاجب بن أحمد بن سفيان قال حدثنا محمد بن حماد البيوردي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني يونس بن سليم قال أملى على صاحب أيلة عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب ح يقول كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل فمكثنا ساعة فاستقبل ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا ثم قال لقد أنزل علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون عشر آيات ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإننا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة

(5/409)

تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للأكلين وإن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في صلى الله عليه وسلم ءآبائنا الاولين إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون ولقد خلقنا الانسان يعني ابن آدم من سلالة من طين أي من صفوة ماء آدم

الذي هو من الطين ومنيه والعرب تسمى نطفة الشبيء وولده سليله وسلالته
لأنهما مسلولان منه قال الشاعر حملت به غضنفرأ سلالة فرج
كان غير حصين وقال آخر وهل كنت إلا مهرة عربية سليلة أفراس تجلها بغل
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين حريز مكين لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها
وهو الرحم ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما
قرأ ابن عامر عظما على الواحد في الحرفين ومثله روى أبو بكر عن عاصم
لقوله لحما وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة فكسونا فألبسنا
العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر اختلف المفسرون فيه قال ابن عباس
ومجاهد والشعبي وعكرمة وأبو العالية والضحاك وابن زيد نفخ الروح فيه قتادة
نبات الأسنان والشعر ابن عمر استواء الشباب وهي رواية ابن أبي نجیح وابن
جريح عن مجاهد وروى العوفي عن ابن عباس إن ذلك تصريف أحواله بعد
الولادة يقول خرج من بطن أمه بعد ما خلق فكان من بدو خلقه الآخر أن
استهل ثم كان من خلقه أن دل على ثدي أمة ثم كان من خلقه أن علم كيف
يبسط رجله إلى أن قعد إلى أن حبا إلى أن قام على رجله إلى أن

(5/410)

مشى إلى أن فطم فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام إلى أن بلغ الحلم إلى
أن بلغ أن يتقلب في البلاد وقيل الذكورة والأنوثة وقيل إعطاء العقل والفهم
فتبارك الله أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال وأصله من البروك
وهو الثبوت أحسن الخالقين أي المصورين والمقدرين مجاهد يصنعون و يصنع
الله والله خير الصانعين ابن جريح إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق
فأخبر جل ثناؤه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق وروى أبو الخليل عن أبي قتادة
قال لما نزلت هذه الآية إلى آخرها قال عمر بن الخطاب ح فتبارك الله أحسن
الخالقين فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين قال ابن عباس كان ابن أبي سرح
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأملى عليه هذه الآية فلما بلغ قوله
خلقا آخر خطر بباله فتبارك الله أحسن الخالقين فلما أملاها كذلك لرسول الله
قال عبد الله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فانا نبى يوحى إلي فلحق بمكة كافرا
ثم إنكم بعد ذلك لميتون قرأ أشهب العقيلي لمايتون بالآلف والميت والمائت
الذي لم يفارقه الروح بعد وهو سيموت والميت بالتخفيف الذي يفارقه الروح
فلذلك لم تخفف ههنا كقوله سبحانه وتعالى إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم
القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وإنما قيل طرائق لأن بعضهن
فوق بعض فكل سماء منهن طريقة والعرب تسمى كل شيء فوق شيء
طريقة وقيل لأنها طرائق الملائكة وما كنا عن الخلق غافلين يعني عن خلق
السماء قاله بعض العلماء وقال أكثر المفسرين يعني عمن خلقنا من الخلق
كلهم ما كنا غافلين عنهم بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم
وقال أهل المعاني معنى الآية إن من جاز عليه الغفلة عن العباد جاز عليه
الغفلة عن الطرائق التي فوقهم فتسقط فالله عز وجل يمسك السموات أن
تقع على الأرض إلا بإذنه ولولا إمساكه لها لم تقع طرفة عين قال الحسن وما
كنا عن الخلق غافلين أن ينزل عليهم ما يجيئهم من المطر وأنزلنا من السماء
ماء بقدر

فأسكناه في الأرض ثم أخرجنا منها ينابيع فماء الأرض هو من السماء وإنا على ذهاب به لقادرون حتى تهلكوا عطشا وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل وأعناب لكم فيها يعني في الجنات فواكه كثيرة ومنها تأكلون شتاء وصيفا وإنما خص النخيل والأعناب بالذكر لأنهما كانا أعظم ثمار الحجاز وما والاها فكانت النخيل لأهل المدينة والأعناب لأهل الطائف فذكر القوم ما يعرفون من نعمه وشجرة يعني وانشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء وهي الزيتون واختلف القراء في سيناء فكسر سینه أبو عمرو وأهل الحجاز وفتحه الباقون واختلف العلماء في معناه فقال مجاهد معناه البركة يعني إنه جبل مبارك وهي رواية عطية عن ابن عباس قتادة والحسن والضحاك طور سيناء بالنبطية الجبل الحسن ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى عليه السلام وهو بين مصر وأيلة معمر وغيره جبل ذو شجر بعضهم هو بالسريانية الملتفة الاشجار وقيل هو كل جبل ذي أشجار مثمرة وقيل هو متعال من السنا وهو الارتفاع قال مقاتل خص الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت بها ويقال إن الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان تنبت بالدهن وأكثر القراء على فتح التاء الأول من قوله تنبت وضم بائه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء ولها وجهان أحدهما أن الباء فيه زائدة كما يقال أخذت ثوبه وأخذت بثوبه وكقول الراجز نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج أي ونرجو الفرج والوجه الآخر أنهما لغتان بمعنى واحد نبت وأنبت قال زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل أي نبت وصيغ للأكليين أي إدام نصطيغ به وإن لكم في الانعام لعبرة وهي الدلالة الموصلة إلى اليقين المؤدى به إلى العلم وهي من العبور كأنه طريق يعبر إليه ويتوصل به إلى المراد نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه

قال ابن عباس سمي بذلك لكثرة مانح على نفسه واختلف في سبب نوحه فقال بعضهم لدعوته على قومه بالهلاك حيث قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وقيل لمراجعتة ربه في شأن أمته وقيل لأنه مر بكلب مجذوم فقال إخسا يا قبيح فأوحى الله سبحانه إليه أعيتني أم عبت الكلب فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل بتشرف عليكم فيكون أفضل منكم فيصير متبوعا وأنتم له تبعوا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا الذي يدعوننا إليه نوح في آياتنا الأولين إن هو ما هو إلا رجل به جنة جنون نظيرها قوله سبحانه ما بصاحبهم من جنة ويقال للجن أيضا جنة قال الله سبحانه وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال من الجنة والناس يتفق الاسم والمصدر فتربصوا فانتظروا به حتى حين يعني إلى وقت ما وقيل إلى حين الموت فقال

لما تمادوا في غيهم وأصروا على كفرهم رب انصرتني أعني بإهلاكهم بما كذبون يعني بتكذيبهم إياي فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا صلى الله عليه وسلم إنهم مغرقون فإذا استوتبت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلي منزلا مباركا وأنت خير المنزلين إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون أيعدكم أنكم إذا مت م وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها

(5/413)

فأدخل فيها يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه قال الشاعر وكنت لزاز خصمك لم أعرد وقد سلوك في يوم عصيب وقال الهذلي حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون قال الحسن لم يحمل نوح في السفينة إلا من يلد ويبض فأما ما يتولد من الطين وحشرات الأرض والبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا فإذا استوتبت اعتدلت في السفينة راكبا فيها عاليا فوقها أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلي منزلا مباركا قرأه العامة بضم الميم علي المصدر أي إنزالا مباركا وقرأ عاصم برواية أبي بكر بفتح الميم وكسر الزاي أي موضعا وأنت خير المنزلين إن في ذلك لآيات وإن كنا وقد كنا وقيل وما كنا إلا مبتلين مختبرين إياهم بتذكيرنا ووعظنا لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم ثم أنشأنا من بعدهم أي أهلكناهم وأحدثنا من بعدهم قرناً آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم قال المفسرون يعني هودا وقومه أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة وأترفناهم نعمناهم ووسعنا عليهم والترفة النعمة في الحياة الدنيا ما هذا الرسول إلا بشر مثلكم يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما قد ذهب اللحوم إنكم مخرجون من قبوركم أحياء وأعاد إنكم لما طال الكلام ومعنى وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرتني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستخرون ثم أرسلنا رسلنا

(5/414)

تتري كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون هيهات هيهات لما توعدون قال ابن عباس هي كلمة بعد يقول ما توعدون واختلف القراء فيه فقرأ أبو جعفر بكسر التاء فيهما وقرأ نصر بن عاصم بالضم وقرأ ابن حبة الشامي بالضم والتنوين وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين وكلها لغات صحيحة فمن نصب جعل مثل أين وكيف وقيل لأنهما أداتان فصارتا مثل خمسة عشر وبعليك ونحوهما وقال الفراء نصبهما كنصب قولهم ثمث وربت ومن رفعه جعله مثل منذ وقط وحيث ومن كسره جعله مثل أمس وهؤلاء قال الشاعر تذكرت أياما مضين من الصبا وهيهات هيهات إليك رجوعها وقال آخر لقد باعدت أم الحمارس دارها وهيهات من أم الحمارس هيهات واختلفوا في الوقف عليها فكان الكسائي يقف عليها بالهاء والفراء بالتاء وإنما أدخلت اللام مع هيهات في الاسم لأنها أداة غير مشتقة من فعل فأدخلوا معها في الاسم اللام كما أدخلوها مع هلم لك إن هي يعنون الدنيا إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا يموت الآباء ويحيى الأبناء وما نحن بمبعوثين إن هو يعنون الرسول إلا رجل افتري على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرتني بما كذبون قال عما قليل عن قليل وما صلة ليصبحن نادمين على كفرهم فأخذتهم الصيحة يعني صيحة العذاب بالحق فجعلناهم غثاء وهو ما يحمله السيل فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين والقرن أهل العصر سموا بذلك لمقارنة بعضهم ببعض ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ومن صلة ثم أرسلنا رسلنا تترا مترادفين يتبع بعضهم بعضا وقرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو تتري بالتنوين على توهم أن الباء أصلية كما قيل معزي بالياء ومعزي وبهمي وبهما فأجريت أحيانا وترك أجراءها أحيانا فمن نون وقف عليها بالألف ومن لم ينون وقف عليها بالياء ويقال إنها ليست بياء ولكن ألف مماله وقرأه العامة بغير تنوين مثل عضى وسكرى وهو اسم جمع مثل شتى وأصله وتري من

(5/415)

المواترة والتواتر فجعلت الواو تاء مثل التقوى والتكلان ونحوهما كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا بالهلاك أي أهلكنا بعضهم في أثر بعض وجعلناهم أحاديث أي مثلا يتحدث بهم الناس وهي جمع أحداثثة وبجوز أن يكون جمع حديث قال الأخفش إنما يقال هذا في الشر فأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة وإنما يقال صار فلان حديثا فبعدا لقوم لا يؤمنون نظيرها فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بناتنا وسلطان ميين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالو صلى الله عليه وسلم انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وءاويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين بأبيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا صلى الله عليه وسلم أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين أبحسبون إنما نمدهم به

من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملائه فاستكبروا تعظموا عن الإيمان وكانوا قوما عالين متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم نظيرها إن فرعون علا فى الأرض فقالوا يعنى فرعون وقومه أنؤمن لبشرين مثلنا فنتبعهما وقومهما لنا عابدون مطيعون متذللون والعرب تسمى كل من دان لملك عابدا له ومن ذلك قيل لأهل الحيرة العباد لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد أتينا موسى الكتاب التوراة لعلهم يهتدون لكي يهتدي بها قومه فيعملوا بما فيها وجعلنا ابن مريم وأمه آية دلالة على قدرتنا وكان حقه أن يقول آيتين كما قال الله سبحانه وجعلنا الليل والنهار آيتين

(5/416)

واختلف النحاة فى وجهها فقال بعضهم معناه وجعلنا كل واحد منهما آية كما قال سبحانه كلتا الجنتين آتت أكلها أي آتت كل واحدة أكلها وقال إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس ولم يقل أرجاس وقال بعضهم معناه جعلنا شأنهما واحدا لأن عيسى ولد من غير أب وأمه ولدت من غير مسيس ذكر وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين أخبرنا أبو صالح منصور بن أحمد المشطبي قال أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد الله الرازي قال أخبرنا سلمان بن علي قال أخبرنا هشام بن عمار قال حدثنا عبد المجيد عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن سلام فى قول الله سبحانه وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين قال دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة قتادة وكعب بيت المقدس قال كعب وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا ابن زيد مصر الضحاك غوطة دمشق أبو العالية إيليا وهي الأرض المقدسة ويعنى بالقرار الأرض المستوية والساحة الواسعة والمعين الماء الظاهر لعين الناظر وهو مفعول من عانه يعينه إذا أدركه البصر وراه ويجوز أن يكون فعلا معن يعنى فهو معين من الماعون يا أيها الرسل كلوا من الطيبات يعنى من الحلالات يعنى وقلنا لعيسى كلوا من الطيبات وهذا كما يقال فى الكلام للرجل الواحد أيها القوم كفوا عنا إذاكم ونظائرهما فى القرآن كثيرة قال عمرو بن شريل كان يأكل من غزل أمه وقال الحسن ومجاهد المراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم وإن هذه قرأه أهل الكوفة بكسر الألف على الابتداء وقرأ ابن عامر بفتح الألف وتخفيف النون جعل إن صلة مجازة وهذه أمتكم وقرأ الباقون بفتح الألف وتشديد النون على معنى هذه ويجوز أن يكون نصبا بإضمار فعل أي واعلموا أن هذه أمتكم أمة واحدة أي ملتكم ملة واحدة وهي دين الإسلام وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا قرأه العامة بضم الباء يعنى كتبا جمع زبور بمعنى دان كل فريق منهم

(5/417)

بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخر قاله مجاهد وقتادة وقيل معناه فتفروا دينهم بينهم كتباً أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم قاله قتادة وابن زيد وقرأ أهل الشام بفتح الباء أي قطعاً وفرقاً كقطع الحديد قال الله سبحانه أتوني زبر الحديد كل حزب جماعة بما لديهم عندهم من الدين فرحون معجبون مسرورون فذرهم في غمرتهم قال ابن عباس كفرهم وضلالتهم ابن زيد عماهم ربيع غفلتهم حتى حين إلى وقت مجيء آجالهم أيحسبون إنما نمدهم به نعطيهم ونزيدهم من مال وبنين في الدنيا نسارع نسابق لهم في الخيرات ومجاز الآية أيحسبون ذلك مسارعة لهم في الخيرات وقرأ عبد الرحمن ابن أبي بكر يسارع على ما لم يسم فاعله والصواب قراءة العامة لقوله سبحانه نمدهم بل لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم ثم بين المسارعين إلى الخيرات فقال عز من

(5/418)

قائل إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بريهم لا يشركون والذين يؤتون ما أتوا يعطون ما أعطوا من الزكوات والصدقات هذه قراءة أهل الأمصار وبه رسوم مصاحفهم أخبرنا عبد الخالق بن علي قال أخبرنا إسماعيل بن نجية قال حدثنا محمد بن عمار بن عطية قال حدثنا أحمد بن يزيد الحلواني قال حدثنا خلاد عن إبراهيم بن الزبير قال عن محمد بن حماد عن أبيه عن عائشة خ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ والذين يؤتون ما أتوا من المجيء وأخبرنا الحاكم أبو منصور حمد بن أحمد البورجاني قال حدثنا علي بن أحمد بن موسى الفارسي قال حدثنا محمد بن الفضيل قال حدثنا أبو أسامة قال حدثني ملك بن مغول قال سمعت عبد الرحمن بن سعيد الهمداني ذكر أن عائشة خ قالت يا رسول الله والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا تكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجثرون لا تجثروا اليوم إنكم منا لا تنصرون قد كانت آيتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خراجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أهو الذي يزني ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصوم ويصلي ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله سبحانه وأخبرنا عبد الله بن

(5/419)

يوسف قال حدثنا محمد بن حامد قال حدثنا محمد بن الجهم قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال أخبرنا وكيع عن ملك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق قال لا يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا تقبل منه أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها يعني إليها سابقون كقوله لما نهوا عنه و لما قالوا ونحوهما وكان ابن عباس يقول في معنى هذه الآية سبقت لهم من الله السعادة ولذلك سارعوا في الخيرات ولا تكلف نفسا إلا وسعها يعني إلا ما يسعها ويصلح لها من العبادة والشريعة ولدينا كتاب يعني اللوح المحفوظ ينطق بالحق يبين بالصدق ما عملوا وما هم عاملون من الخير والشر وقيل هو كتاب أعمال العباد الذي تكتبه الحفظة وهو أليق بظاهر الآية وهم لا يظلمون يعني يوفون جزاء أعمالهم ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال عز من قائل بل قلوبهم في غمرة عمى وغفلة من هذا القرآن ولهم أعمال خبيثة لا يرضاها الله من المعاصي والخطايا من دون ذلك يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله سبحانه قيل وهي قوله إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون هم لها عاملون لابد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة حتى إذا اخذنا مترفيهم يعني اغنياءهم ورؤساءهم بالعذاب قال ابن عباس بالسيوف يوم بدر وقال الضحاك يعني الجوع وذلك حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والقذ والأولاد إذا هم يجارون يضجون ويجزعون ويستغيثون وأصل الجوار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور قال الشاعر فطافت ثلاثا بين يوم وليلة وكان النكير أن تضيف وتجارا يصف بقره وقال أيضا يراوح من صلوات المليك

(5/420)

فطورا سجودا وطورا جوارا لاتجاروا اليوم إنكم منا لا تنصرون لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم وتضرعكم قد كانت آياتي تنلى عليكم يعني القرآن فكنتم على أعقابكم أدياركم تنكصون

تدبرون وتستأخرون وترجعون القهقري مكذبين بها كارهين لها مستكبرين به أي بالحرم تقولون لا يظهر علينا أحد لأننا أهل الحرم وهو كناية عن غير مذكور سامرا نصب على الحال يعني أنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت ووجد سامرا وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت أراد تهجرون ليلا كقول الشاعر من دونهم إن جئتهم سمرا عزف القيان ومجلس غمر فقال سمرا لأن معناه إن جئتهم ليلا وهم يسمرون وقيل واحد ومعناه الجمع كما قال ثم يخرجكم طفلا ونحوه تهجرون قرأ نافع بضم التاء وكسر الجيم أي تفحشون وتقولون الخنا يقال هجر الرجل في كلامه أي أفحش وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ الآخرون بفتح التاء وضم الجيم ولها وجهان أحدهما تعرضون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن والإيمان وترفضونها والآخر يقولون سوءا وما لا يعلمون من قولهم هجر الرجل في منامه إذا هذى أفلم يدبروا يتدبروا القول القرآن أم جاءهم ما لم يأت

آباءهم الأولين فأنكروه وأعرضوا عنه ويحتمل أن يكون أم بمعنى بل يعني بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فكذلك أنكروه ولم يؤمنوا به وروي هذا القول عن ابن عباس أم لم يعرفوا رسولهم محمدا وأنه من أهل الصدق والأمانة فهم له منكرون أم يقولون به جنة جنون كذبوا في ذلك فإن المجنون يهذي ويقول ما لا يعقل ولا معنى له بل محمد جاءهم بالحق بالقول الذي لا يخفى صحته وحسنه على عاقل وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق يعني الله سبحانه أهواءهم مرادهم فيما يفعل لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم ببيانهم وشرفهم يعني القرآن فهم عن ذكرهم معرضون أم تسئلهم علي ما جئتهم به خرجا أجرا وجعلا وأصل الخرج والخراج الغلة والضريبة والأتاوة

(5/421)

كخراج العبد والأرض وقال النضر بن شميل سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخرج والخراج فقال الخراج ما لزمك ووجب عليك أداؤه والخرج ما تبرعت به من غير وجوب قال الله سبحانه فخراج ربك رزقه وثوابه خير وهو خير الرازقين وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو الإسلام وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون عادلون مائلون ومنه الريح النكباء ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون وهو الذي صلى الله عليه وسلم أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض وإليه تحشرون وهو الذي يحاي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالو صلى الله عليه وسلم اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وءابآؤنا هاذا من قبل إن هاذا إلا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب إما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلى فى القوم الظالمين وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون قحط وجدب للجوا لتمادوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب يعني القتل والجوع فما استكانوا لربهم خضعوا وأصله طلب السكون وما يتضرعون قال ابن عباس لما

(5/422)

أتى ثمامة بن أثال الحنفي النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وهو أسير فخلى سبيله فلحق باليمامة فحال بين أهل مكة وبين المسيرة من اليمامة وأخذ الله قريشا بسني الجذب حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك بالله والرحم أليس تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فأنزل الله سبحانه هذه الآية حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يوم بدر وقال مجاهد القحط وقيل عذاب النار في الآخرة إذا هم فيه ملبسون متحIRON آيسون من كل خير وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه

(5/423)

تحشرون وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن هذا الوعد وأباؤنا هذا من قبل ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم انبياء لله فلم ير له حقيقة إن هذا إلا أساطير الأولين قل يا محمد مجيبا لهم لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله ولا بد لهم من ذلك فقل لهم إذا أقروا بذلك أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد موتهم قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قرأه العامة لله ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى دون اللفظ كقول القائل للرجل من مولاك فيقول لفلان أي أنا لفلان وهو مولاي وأنشد وأعلم أنني سأكون رمسا إذا سار النواعج لا يسير فقال السائلون لمن حفرتم فقال المخبرون لهم وزير فأجاب المخفوض بمرفوع لأن معنى الكلام فقال السائلون من الميت فقال المخبرون الميت وزير فأجاب عن المعنى وقال آخر إذا قيل من رب المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالد وقال الأخفش اللام زائدة يعني الله وقرأ أهل البصرة كلاهما الله بالألف وهو ظاهر لا يحتاج إلى التأويل وهو في مصاحف أهل الأمصار كلها لله إلا في مصحف أهل البصرة فإنه الله الله فجرى كل على مصحفه ولم يختلفوا في الأول أنه لله لأنه مكتوب في جميع المصاحف بغير ألف وهو جواب مطابق للسؤال في لمن الأرض ومن فيها فجوابه لله أفلا تتقون الله فتطيعونه قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه وخزائنه وهو يجير ولا يجار عليه يعني يؤمن من يشاء ولا يؤمن من أخافه إن كنتم تعلمون قال أهل المعاني معناه أجيئوا إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون أي تخذعون وتصرفون عن توحيده وطاعته بل أتيناهم بالحق الصدق وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق فانفرد به لتغالبا فعلا بعضهم على بعض وغلب

(5/424)

القوى منهم الضعيف
سبحان الله عما يصفون من الكذب عالم الغيب والشهادة بالجر ابن كثير وابن
عامر وأبو عمرو على نعت الله غيرهم بالرفع على الابتداء أو على معنى هو

عالم وروى رؤيس عن يعقوب أنه كان إذا ابتداء رفع وإذا وصل خفض فتعالى عما يشركون قل رب إما تريني ما يوعدون من العذاب رب فلا تجعلني في القوم الظالمين فلا تهلكني بهلاكهم والفاء في قوله فلا جواب لأمأ لأنه شرط وجزاء وإنما على أن نريك ما نعدهم من العذاب فجعلناه لهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن يعني بالخلعة التي هي أحسن السيئة أذاهم وجفاهم يقول أعرض عن أذاهم واصفح عنهم نسختها آية القتال نحن أعلم بما يصفون فنجزهم به وقل رب أعود بك استجير بك من همزات الشياطين أي نزغاتهم عن ابن عباس الحسن وسأوسهم مجاهد نفخهم ونفتهم ابن زيد خنقهم الناس وقال أهل المعاني يعني دفعهم بالإغواء إلى المعاصي والهمز شدة الدفع ومنه قيل للحرف الذي يخرج من هواء الفم للدفع همزة وأعود بك رب أن يحضرون في شيء من أموري حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي صلى الله عليه وسلم أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا صلى الله عليه وسلم أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا ءامنا فاعفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبرو صلى الله عليه وسلم أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين حتى إذا

(5/425)

جاء أحدهم الموت يعني هؤلاء المشركين وذلك حين ينقطع عن الدنيا وبعين الآخرة قبل أن يذوق الموت قال رب ارجعون ولم يقل ارجعني وهو خطاب الواحد على التعظيم كقوله إنا نحن فخطوب على نحو هذا كما ابتداء بلفظ التعظيم

وقال بعضهم هذه المسألة إنما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحه وإنما ابتداء الكلام بخطاب الله سبحانه لأنهم استغاثوا أولا بالله سبحانه ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا لعلي أعمل صالحا فيما تركت صنعت كلا أي لا يرجع إليها وهي كلمة ردع وزجر إنها يعني سؤاله الرجعة كلمة هو قائلها ولا ينالها روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدما إلى الله عز وجل وأما الكافر فيقول رب ارجعون الآية ومن ورائهم أمامهم برزخ إلى يوم يبعثون أي حاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا عن مجاهد ابن عباس حجاب السدي أجل قتادة بقية الدنيا الضحاك وابن زيد ما بين الموت إلى البعث أبو أمامة القبر وقيل الإمهال لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما كانوا يفتخرون فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال أبو العالية هو كقوله ولا يسئل حميم حميما وقال ابن جريج معنى الآية لا يسأل أحد يومئذ شيئا بنسب ولا يتساءلون لا يمت إليه برحم واختلف المفسرون في

المراد بقوله فإذا نفخ في الصور أي النفختين عنى فقال ابن عباس هي النفخة الأولى أخبرني ابن فنجويه بقراءتي عليه قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أبي عوف قال حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الجرائي قال حدثنا محمد بن سلمة بن أبي عبد الرحيم قال حدثني زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قوله سبحانه فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فهذه في النفخة الأولى نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن

(5/426)

في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال ابن مسعود هي النفخة الثانية أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن شيبه قال حدثنا جعفر بن محمد الفريابي قال حدثنا يزيد بن موهب الرملي قال حدثنا عيسى بن يونس عن هارون بن أبي وكيع قال سمعت زاذان أبا عمر يقول دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخبز واليمنة قد سبقوني إلى المجالس فناديته يا عبد الله بن مسعود من أجل أنني رجل أعجمي أدنيت هؤلاء وأقصيتني فقال ادن فدنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس فسمعتة يقول يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يدور لها الحق على أبيها أو على زوجها أو على ابنها أو على أختها ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال فيقول الله سبحانه أت هؤلاء حقوقهم فيقول رب فنيب الدنيا فيقول للملائكة خذوا من أعماله فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته فإن كان وليا لله عز وجل وفضلت له من حسناته مثقال حبة من خردل ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها وإن كان شقيا قالت الملائكة رب فنيب حسناته وبقي طالبون فيقول خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكا الى النار فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تفلح تسفع وجوههم النار وهم فيها كالحون عابسون عن ابن عباس وقال غيره الكلوح أن تتقلص الشفتان عن الإنسان حتى تبدو الأسنان قال ابن مسعود ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه قال الأعشى وله المقدم لا مثل له ساعة الشدق عن الناب كلح أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن

(5/427)

جعفر بن حمدان بن عبد الله
قال حدثنا محمد بن إسحاق المسوحي قال حدثنا يحيى الحماني قال حدثنا ابن مبارك عن سعيد بن يزيد أبي شجاع عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي

سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل تفلح وجوههم النار وهم فيها كالخون قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا قرأ أهل الكوفة غير عاصم شقاوتنا بالألف وفتح الشين غيرهم شقوتنا بغير ألف وكسر الشين وهما لغتان وهي المضرة اللاحقة في العاقبة والسعادة هي المنفعة اللاحقة في العاقبة وكنا قوما ضالين عن الهدى ربنا أخرجنا منها أي من النار فإن عدنا لما تكره فإننا ظالمون فيجابون بعد ألف سنة اخسئوا فيها أي ابعدوا كما يقال للكلب اخسأ إذا طرد وأبعد ولا تكلمون في رفع العذاب فإنني لا أرفعه عنكم ولا أخففه عليكم وقيل هو دلالة على الغضب اللازم لهم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير ويصير لهم عواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون إنه هذه الهاء عماد وتسمى أيضا المجهولة كان فريق من عبادي وهم المؤمنون يقولون ربنا أمانا فاعفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا قرأ أهل المدينة والكوفة إلا عاصما بضم السين ههنا وفي سورة ص الباقون بكسرهما قال الخليل وسيبويه هما لغتان مثل قول العرب بحر لحي ولحي وكوكب دري ودري وكركسي وكركسي وقال الكسائي والفراء الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل ولم يختلفوا في سورة الزخرف أنه بالضم لأنه بمعنى التسخير والاستعباد إلا ما روي عن ابن محيص أنه كسره قياسا على سائره وهو غير قوى حتى أنسوكم ذكرى أي أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم ذكرى وكنتم منهم تضحكون

(5/428)

نظيره قوله سبحانه إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون إنني جزيتهم اليوم بما صبروا على استهزائكم بهم في الدنيا والجزاء مقابلة العمل بما يستحق عليه من ثواب أو عقاب إنهم هم الفائزون قرأ حمزة والكسائي إنهم بكسر الألف على الاستيناف والباقون بفتح على معنى لأنهم هم الفائزون ويحتمل أن يكون نصبا بوقوع الجزاء عليه أي جزيتهم اليوم الفوز بالجنة قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم نسوا لعظيم ما هم فيه من العذاب مدة مكثهم في الدنيا وهذا توبيخ من الله تعالى لمنكري البعث وإلزام للحجة عليهم قرأ حمزة والكسائي قل كم علي الأمر لأن في مصاحف أهل الكوفة قل بغير ألف ومعنى الآية قولوا كم لبثتم فأخرج الكلام مخرج الأمر للواحد والمراد به الجماعة إذ كان مفهوما معناه ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم أي قل أيها الكافر وقرأ الباقون قال في الحرفين وكذلك هما في مصاحفهم بالألف على معنى قال الله تعالى وقرأ ابن كثير قل كم على الأمر وقال إن على الخبر وهي قراءة ظاهرة لأن الثانية جواب وقوله فسئل العادين أي الحساب عن قتادة وقال مجاهد هم الملائكة

الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحسونها عليهم قال إن لبثتم في الدنيا إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا أي لعبا وباطلا لا لحكمة والعبث العمل لا لغرض وهو نصب على الحال عن سيبويه وقطرب مجازة عابثين أبو عبيد على المصدر بعض نحاة الكوفة على الظرف أي بالعبث بعض نحاة البصرة للعبث وأنكم إلينا لا ترجعون قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب ح يا أيها الناس اتقوا

(5/429)

ربكم فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو وأخبرني محمد بن القاسم بقراءتي عليه قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن نصر قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا ابن شعيب الحراني قال حدثنا يحيى بن عبد الله ابن الضحاك قال سمعت الأوزاعي يقول بلغني أن في السماء ملكا ينادي كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا وباليتمهم إذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له وجلسوا فذكروا ما عملوا فصل في ذكر وجوه الحكمة في خلق الله سبحانه الخلق قال المحققون خلق الله سبحانه الخلق ليدل بذلك على وجوده وكمال علمه وقدرته إذ لو لم يخلق لم يكن لوجوده معنى وأخبرني محمد بن القاسم قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه قال حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال قلت للحسن البصري في قوله سبحانه ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك قال الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك ومن رحم ربك غير مختلف فقيل له ولذلك خلقهم قال نعم خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وخلق هؤلاء لعذابه وأخبرنا محمد بن القاسم الفقيه قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن موسى الفقيه قال حدثنا أبي قال حدثنا محمد بن خالد البرقي عن أبيه عن أحمد بن نصر قال سئل جعفر بن محمد لم يخلق الله الخلق قال لأن الله سبحانه كان محسنا بما لم يزل فيما لم يزل إلى ما لم يزل فأراد سبحانه وتعالى أن يفوض إحسانه إلى خلقه وكان غنيا عنهم لم يخلقهم لجر منفعة ولا لدفع مضرة ولكن خلقهم وأحسن إليهم وأرسل إليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل فمن أحسن كافاه بالجنة ومن عصى كافاه بالنار وقال محمد بن علي الترمذي إن الله سبحانه خلق الخلق عبيدا ليعبده فيشبههم على العبودية ويعاقبهم على تركها فإن عبده فهم اليوم عبيد أحرار كرام وغدا أحرار وملوك في دار السلام وإن رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد أباق سفلة لئام وغدا أعداء في السجون بين أطباق النيران

(5/430)

ومنهم من قال خلق الله سبحانه الخلق كلهم لأجل محمد صلى الله عليه وسلم يدل عليه ما حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الرومي قال حدثنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد قال حدثنا هارون بن العباس الهاشمي قال حدثنا محمد بن ياسين بن شريك قال حدثنا جندل قال حدثنا عمرو بن أوس الأنصاري عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن

عباس قال أوحى الله سبحانه إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد
ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة
والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن وسمعت محمد بن القاسم
الفارسي قال سمعت محمد بن الحسن بن بهرام الفارسي يقول سمعت القناد
يقول خلق الله سبحانه الملائكة للقدرة وخلق الأشياء للعبارة وخلقك للمحبة له
ومن العلماء من لم يصرح القول بذلك ولكنه قال نبه الله سبحانه في غير
موضع من كتبه المنزلة أنه خلقهم لخطر عظيم مغيب عنهم لا يجليه حتى يحل
بهم ما خلقهم له وهذا معنى قوله سبحانه أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً الآية
أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا
عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال حدثنا داود بن رشيد وأخبرني
محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن مريس قال حدثنا
الحسن بن سفيان قال حدثنا هشام ابن عمار قال حدثنا الوليد بن مسلم قال
حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن حنش ابن عبد الله الصنعاني عن
عبد الله بن مسعود أنه مر بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه أفحسبتم إنما خلقناكم
عبثاً حتى ختم السورة فبرئ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا
قرأت في أذنه فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على
جبل لزال ثم نزه نفسه سبحانه عما وصفه به المشركون من اتخاذ الأنداد
والأولاد ونسبه إليه الملحدون من السفه والعبث

(5/431)

فقال عز من قائل فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم
يعني الحسن العظيم ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به قال أهل المعاني
فيه إضمار مجازه فلا برهان له به وإنما حسابه جزاؤه عند ربه إنه لا يفلح
الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين
سورة النور

مدنية وهي خمسة آلاف وستمائة وثمانون حرفاً وألف وثلاثمائة وست عشرة
كلمة وأربع وستون آية أخبرنا أبو الحسين الخبازي قال حدثنا ابن حبان قال
أخبرنا محمد بن علي الفرقي قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا يوسف
بن عطية قال حدثنا هارون بن كثير قال حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي
أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى وفيما
بقي وأخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن
شيبه قال حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الكرابيسي قال حدثنا سلمان بن
توبة أبو داود الأنصاري قال حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي قال حدثنا شعيب
بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة خ وعن أبيها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة
وعلموهن المغزل وسورة النور بسم الله الرحمن الرحيم سورة أنزلناها
وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل
واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح إلا زانية أو

مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع

(5/432)

شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدروا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم

سورة أنزلناها قراءة العامة بالرفع هذه سورة لأن العرب لا تتدئ بالانكحة هذا قول الخليل وقال الأخفش سورة ابتداء وخبره في أنزلناها وقرأ طلحة بن مصرف سورة بالنصب على معنى أنزلنا سورة والكناية صلة زائدة وقيل اتبعوا سورة أنزلناها وفرضناها أي أوجبنا ما فيها من الأحكام وقرأ الحسن ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو وفرضناها بالتشديد أي فصلناها وبينها وقيل هو من الفرض والتشديد على التكثير أي جعلناها فرائض مختلفة وأوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة وتصديق التخفيف قوله سبحانه ان الذي فرض عليك القرآن وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني إذا كانا حرين بالغين بكرين غير محصنين فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة ورقة قال الأخفش رحمة في توجع وفيها ثلاث لغات رأفة ساكنة الهمز وقد تخفف الهمزة وهي قراءة العامة ورأفة بفتح الهمزة ورأفة مهموزة ممدودة مثل الكتابة وهما قراءة أهل مكة مثل الشناة والشناة وقيل القصر على الاسم والمد بمعنى المصدر مثل صؤل صالة وقبح قباحة ولم يختلفوا في سورة الحديد أنها ساكنة لأن العرب لا تجمع بين أكثر من ثلاث فتحات واختلف العلماء في معنى الآية فقال قوم ولا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها روى المعمر عن عمران قال قلت لأبي مخرمة في هذه الآية والله إننا لنرحمهم أن يجلد الرجل أو تقطع يده فقال إنما ذاك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم عليهم الحد وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وابن زيد وسليمان بن يسار يدل عليه من الآية أن الله

(5/433)

سبحانه وتعالى أمر بالجلد وهو ضرب الجلد كالرأس لضرب الرأس فذكر الضرب بلفظ الجلد لئلا ينكأ ولا يبرح ولا تبلغ به اللحم وروى ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عمر جلد جارية له فقال للجالد اجلد ظهرها ورجليها وأسفلها وخففها قلت فأين قول الله سبحانه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أفأقتلها إن الله أمرني أن أضربها وأؤدبها ولم يأمرني أن أقتلها وقال

الآخرون بل معناها ولا يأخذكم بهما رافة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشراب وقال قتادة يخفف في حد الشراب والفرية ويجتهد في الزنا وقال حماد يحد القاذف والشارب وعليهما ثيابهما وأما الزاني فيخلع ثيابه وتلاهذه الآية في دين الله أي في حكم الله نظيره قوله سبحانه ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما وليحضر حديهما إذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين اختلفوا في مبلغ عدد الطائفة فقال النخعي ومجاهد أقله رجل واحد فما فوقه واحتجا بقوله وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية عطاء وعكرمة رجلان فصاعدا الزهري ثلاثة فصاعدا ابن زيد أربعة بعدد من يقبل شهادته علي الزنى قتادة نفر من المسلمين روي حفص بن غياث عن أشعث عن أبيه قال أتيت أبا برزة الأسلمي في حاجة وقد أخرج جارية له إلى باب الدار وقد زنت وولدت من الزنا فألقى عليها ثوبا وأمر ابنه أن يضربها خمسين ضربا غير مبرح ودعا جماعة ثم قرأ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا أبو علي بن حنش المقرئ قال حدثنا محمد بن أحمد بن عثمان قال حدثنا إبراهيم بن نصره قال حدثنا مسدد قال حدثنا إسماعيل قال حدثنا يونس بن عبيد عن حريز بن يزيد البلخي عن أبي زرعة عن عمرو بن حريز عن أبي هريرة قال إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة وأخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد

(5/434)

الله بن حمدون قال حدثنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد ابن عدي قال أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قال أخبرني محمد بن شعيب قال أخبرني معاوية بن يحيى عن سليمان الأعمش عن شقيق بن سلمة عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يا معشر الناس اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة قرأه عليه في شهور سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن مسلم قال حدثنا عطية بن بقية قال حدثنا أبي قال حدثني عباد بن كثير عن عمران القصير عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أعمال أمتي تعرض على في كل جمعة مرتين فاشتد غضب الله على الزناة وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا إبراهيم بن يزيد الحراني قال حدثنا المغيرة ابن سقلاب قال حدثنا النضر بن عدي عن وهب بن منبه قال مكتوب في التوراة الزاني لا يموت حتى يفتقر والقواد لا يموت حتى يعمى الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة الآية اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء كثير ليست لهم أموال ولا عشائر ولا أهلون وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب في كسبهن ناس من فقراء المسلمين فقالوا إنا لو تزوجنا منهن فعشنا معهن إلى يوم يغنيا الله سبحانه عنهن فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية وحرم فيها نكاح الزانية صيانة للمؤمنين عن ذلك وأخبر سبحانه وتعالى أن الزانية إنما ينكحها الزاني والمشرک لأنهن

كن زانيات مشركات والآية وإن كان ظاهرها خبر فمجازها ينبغي أن يكون كذا
كقوله ومن دخله كان آمنا وقوله سبحانه وتعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر يعني ينبغي أن تكون كذلك

(5/435)

وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري والقاسم بن أبي برزه
والشعبي وأبي حمزة الثمالي ورواية العوفي عن ابن عباس وقال عكرمة
نزلت في نساء بغايا متعالقات بمكة والمدينة وكن كثيرات ومنهن تسع
صواحب رايات لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها أم مهزول جارية السائب
بن أبي السائب المخزومي وأم عليط جارية صفوان بن أمية وحنة القبطية
جارية العاص بن وائل
ومرية جارية مالك بن عميلة بن السباق وحلالة جارية سهيل بن عمرو وأم
سويد جارية عمرو ابن عثمان المخزومي وسريفة جارية زمعة بن الاسود
وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب ابن حذيفة وقرينة جارية هلال بن أنس
بن جابر بن نمر وكانت بيوتهن تسمى المواخير في الجاهلية لا يدخل عليهن ولا
يأتين إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان وكان الرجل ينكح
الزانية في الجاهلية يتخذها مأكله فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك
الجهة واستأذن رجل من المسلمين نبي الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم
مهزول اشترطت له ان تنفق عليه فأنزل الله سبحانه هذه الآية ونهى المؤمنين
عن ذلك وحرمه عليهم وقال عمرو بن شعيب نزلت في مرثد الغنوي وعناق
وكان مرثد رجلا شديدا وكان يقال له دلدل وكان يأتي مكة فيحتمل ضعفه
المسلمين الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عناق صديقتها في
الجاهلية فلما أتى مكة دعت عناق الي نفسها فقال مرثد إن الله حرم الزنا
قالت فأنكحني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
فسأله عنه فأنزل الله سبحانه هذه الآية وقد مضت القصة في سورة البقرة
وقال آخرون أراد بالنكاح ههنا الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية أو
مشركة والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبير
والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن زيد ورواية الوالبي عن ابن عباس
أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق
السني قال أخبرني محمد بن عمران قال حدثنا

(5/436)

سعيد بن عبد الرحمن ومحمد بن عبد الله المقرئ قال حدثنا عبد الله بن الوليد
العدني عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
الزاني لا ينكح إلا زانية قال ليس هذا بالنكاح ولكنه الجماع لا يزني بها إلا زان أو
مشرك فكنى وأخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا أبو علي بن حبش قال حدثني
الحسن بن علي بن زكريا قال حدثنا الحسن بن علي بن راشد قال قال لنا يزيد
بن هارون هذا عندي إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو
محرم فهو زان وقال بعضهم كان هذا حكم الله في كل زان وزانية حتى نسختها

الآية التي بعدها وانكحوا الأيامى منكم فأحل نكاح كل مسلمة وكل مسلم وهو قول سعيد بن المسيب أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شيبه قال حدثنا الفريابي قال حدثنا قتيبة قال حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال يزعمون أن تلك الآية الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة نسخت بالآية التي بعدها وانكحوا الأيامى منكم فدخلت الزانية في أيامى المسلمين

(5/437)

وقال الحسن معناها المجلود لا ينكح إلا مجلودة والذين يرمون المحصنات أي يشتمون المسلمات الحرائر العفائف فيقذفونهن بالنزى ثم لم يأتوا على ما رموهن به بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهم رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوهم يعني القاذفين اضربوا كل واحد منهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ثم استثنى فقال عز من قائل إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم واختلف العلماء في حكم هذا الاستثناء فقال قوم هو استثناء من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وقالوا إذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق وعادت ولايته حد فيه أو لم يحد وهذا قول الشعبي ومسروق وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير وعطاء وطاووس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعبد الله بن عتبة والضحاك وهو قول أهل الحجاز وإليه ذهب الشافعي واختلفوا في كيفية توبته فقال بعضهم هو أن يرجع عن قوله وبكذب نفسه وقال آخرون هي الندم على ما سلف والاستغفار منه وترك العود فيما بقي فإذا أقيم عليه الحد أو عفا المقذوف عنه سقط الحد وذلك أن القذف حق للمقذوف كالقصاص والجنايات وبالعفو تسقط فإذا عفا عنه فلم يطالبه بالحد أو مات المقذوف قبل مطالبته بالحد أو لم يرفع إلى السلطان فلم يحد لأجل هذه أو حد ثم تاب وأصلح العمل قبلت شهادته وعادت ولايته يدل عليه ما روى ابن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكر و شبل بن معبد ونافع بن الحرث بن كلدة فحدهم ثم قال لهم من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ومن لم يفعل لم أجز شهادته فأكذب شبل نفسه ونافع وتابا وأبى أبو بكر أن يفعل فكان لا تقبل شهادته وروى ابن جريح عن عمران بن موسى قال شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل وقال آخرون هذا الاستثناء راجع إلى قوله وأولئك هم الفاسقون فأما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة فقد وصل بالأبد

(5/438)

ولا يجوز قبولها أبدا وهذا قول النخعي وشريح ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه روى الأشعث عن الشعبي قال جاء خصمان إلى شريح فجاء أحدهما بشاهد قد قطع زناد يده ورجله في قطع الطريق ثم تاب وأصلح فأجاز شريح شهادته فقال المشهود عليه أجزت شهادته علي وهو أقطع فقال شريح كل صاحب حد إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح

فشهادته جائزة إلا القاذف فإنه قضاء من الله أن لا تقبل شهادته أبدا وإنما توبته فيما بينه وبين الله

(5/439)

والذين يرمون أزواجهم أي يقذفونهن بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون على صحة ما قالوا إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين قرأ أهل الكوفة أربع بالرفع على الابتداء والخبر وقرأ الباقر بالنصب على معنى أن يشهد أربع شهادات والخامسة يعني والشهادة الخامسة قراءة العامة بالرفع على الابتداء وخبره في أن وقرأ حفص بالنصب على معنى ويشهد الشهادة الخامسة وقرأ نافع ويعقوب وأيوب إن وأن خفيفتين لعنة وغضب مرفوعين وهي رواية المفضل عن عاصم وقرأ الباقر بتشديد النونين وما بعدهما نصب إن كان من الكاذبين ويدروا عنها العذاب ويدفع عن الزوجة الحد أن تشهد أربع شهادات بالله إنه يعني الزوج لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين قرأ نافع غضب الله مثل سمع الله على الفعل الباقر على الإسم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة وفضحككم ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان حكمة منه ورحمة فأما سبب نزول الآية فروى عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة الآية قال سعد بن عبادة والله لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى أتى بأربعة شهداء فوالله ما كنت لأتني بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب فإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد بن عبادة يا رسول الله بأبي أنت وأمي والله إنني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله يأبى إلا ذاك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية

(5/440)

من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله إنني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلا مع أهلي رأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدا حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله إنني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به والله يعلم أنني صادق وما قلت إلا حقا وإنني لأرجو أن يجعل الله فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الأنصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته فإنهم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه

الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ
فأنزل الله سبحانه والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم إلى
آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فإن الله قد
جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو بذلك من الله تعالى فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أرسلوا إليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بأبي وأمي لقد
صدقت وما قلت إلا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهما
ف قيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فقيل له عند
الخامسة يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال هلال
والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم قال للمرأة
اشهدي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا
يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(5/441)

إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه
قال فجاءت به غلاما كأنه حمل أورق على الشبه المكروه وكان بعد أميرا
بمصر لا يدري من أبوه وأخبرنا محمد بن عبدوس قال أخبرنا محمد بن الحسن
قال أخبرنا علي بن عبد العزيز قال أخبرنا القاسم بن سلام قال حدثنا هيثم عن
يونس بن عبيد عن الحسن قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
بأربعة شهود الآية قال سعد بن عبادة يا رسول الله أرأيت إن رأى رجل مع
امرأته رجلا فقتله يقتلونه وإن أخبر بما رأى جلد ثمانين أفلا يضربه بالسيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا قال أراد أن يقول
شاهدا ثم أمسك وقال لولا أن يتتابع فيه الغيران والسكران وذكر الحديث وقال
ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية
قرأها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي
الأنصاري فقال جعلني الله فداك إن رأى رجل منا مع امرأته رجلا فأخبر بما
رأى جلد ثمانين وسماه المسلمون فاسقا ولا تقبل شهادته أبدا فكيف لنا
بالشهداء ونحن إذا التمسنا الشهداء كان الرجل قد فرغ من حاجته ومر وكان
لعاصم هذا ابن عم له يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس بن
محسن فأتى عويمر عاصما فقال لقد رأيت شريك بن السحماء على بطن
امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الجمعة الأخرى فقال يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت
في الجمعة الماضية في أهل بيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
ذاك قال أخبرني عويمر ابن عمي أنه رأى شريك ابن السحماء على بطن
امرأته خولة وكان عويمر وخولة شريك كلهم بني عم عاصم فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وخليتك
وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله أقسم بالله إنني رأيت شريكا
على بطنها وإنني ما قربتها منذ أربعة

(5/442)

اشهر وانها حبلى من غيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت فقالت يا رسول الله إن عويمرا رجل غيور وإنه رأني وشريكا نطيل السمر وتتحدث فحملته الغيرة على ما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لشريك ما تقول قال ما تقوله المرأة فأنزل الله سبحانه والذين يرمون أزواجهم الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله إن خولة لزانبة وإني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله إنني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين فيما قال

(5/443)

ثم أمره بالعود وقال لخولة قومي فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وإن عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله إنه ما رأى شريكا على بطني وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله إنني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله إنه ما رأني قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرهما رأي ثم قال تحينوا بها الولادة فإن جاءت بأصيهب أثيب يضرب إلى السواد فهو لشريك بن السحماء وإن جاءت بأورق جعد حمش حدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله بشريك ذكر حكم الآية إذا قذف الرجل زوجته بالزنا لزمه الحد وله التخلص منه بإقامة البينة على زناها أو باللعان فإن أقام البينة حقق الزنا ولزمها الحد وان التعن حقق عليها الزنا ولها التخلص منه باللعان فإن التعتت وإلا لزمها الحد وللزوج ان يلتعن سواء كان متمكنا من البينة أو غير متمكن منها ويصح اللعان من كل زوج مكلف حرا كان أو عبدا مسلما كان أو كافرا فكل من صحت يمينه صح قذفه ولعانه وقال أهل العراق اللعان بين كل حرين بالغين ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو خليفته فإذا لاعن بينهما غلظ عليهما بأربعة أشياء عدد الألفاظ والمكان والوقت وجمع الناس فأما اللفظ فأربع شهادات والخامسة ذكر اللعنة للرجل وذكر الغضب للمرأة وقد مضت كيفية ذلك وأما المكان فإنه يقصد أشرف البقاع بالبلدان إن كان بمكة فعند الركن والمقام وإن كان بالمدينة فعند المنبر وإن كان بيت المقدس ففي مسجدها وإن كان في سائر البلدان ففي مساجدها وإن كانا كافرين بعث بهما إلى الموضع الذي يعتقدان تعظيمه إن كانا يهوديين بالكنيسة وإن كانا نصرانيين فبالبيعة وإن كانا مجوسيين ففي بيت النار وإن كانا لا دين لهما مثل الوثنيين

(5/444)

فإنه يلاعن بينهما في مجلس حكمه وأما الوقت فإنه بعد صلاة العصر وأما العدد فيحتاج أن يكون هناك أربعة أنفس فصاعدا فاللفظ وجمع الناس مشروطان والمكان والزمان مستحبان فإذا تلعنا تعلق باللعان أربعة أحكام سقوط الحد ونفي الولد وزوال الفراش ووقوع التحريم المؤبد وكل هذا يتعلق بلعان الزوج فأما لعان المرأة فإنه يسقط به الحد فقط فإن أكذب الرجل نفسه فإنه يعود ما عليه ولا يعود ماله في الحد والنسب عليه فيعودان وأما التحريم والفراش فإنهما له فلا يعودان وفرقة اللعان هي فسخ لأنه جاء بفعل من قبل المرأة وقال أبو حنيفة وسفيان اللعان تطليقة بآئنة لأنه من قبل الرجل بدءا والله أعلم إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا صلى الله عليه وسلم إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا صلى الله عليه وسلم إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين وبيّن الله لكم الآيات والله عليم حكيم إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم الآية ذكر سبب نزول هذه الآيات وقصة الإفك أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق المهرجان بقراءتي عليه فأقر به قال أخبرنا أبو عوانة سنة ست عشرة وثلاثمائة قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق

(5/445)

وأخبرنا أبو نعيم قال أخبرنا أبو عوانة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعاني قال قرأنا على عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله وكلهم حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى له من بعض وقد وعيت عن كل واحد الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضها ذكروا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وخ قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(5/446)

وذلك بعد ما أنزل الله سبحانه الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل منه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل فقممت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي وحسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت وهم يحسبون أنني فيه قالت وكانت النساء إذا ذاك خفافا لم يبهلن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجننت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وطلنت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي فيينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأيته وقد كان رأيته قبل أن يضرب علي الحجاب فما استيقظت إلا باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما كلمني كلمة عند استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطيت على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي سلول فقدمت المدينة فاشتكيت من شدة الحر حين قدمتها شهرا والناس يخوضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يربيني في وجعي أن لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكيتي إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نكتهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو مبتزنا فلا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول التنزه وكنا

(5/447)

تتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي عاتكة بنت أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت تسبين رجلا شهد بدرا قالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال قالت قلت وما ذي قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت أتأذن لي أن أتى أبوي قالت وأنا أريد حينئذ أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي يا أمه ماذا يتحدث الناس

(5/448)

فقال أي بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها قلت سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا قالت نعم قالت فمكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي واستشارهما في فراق أهله فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا وأما علي فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من أمر عائشة فقالت له بريرة والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول قال وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال أعذرك يا رسول الله إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت فقال سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله فقال سعد والله لننقله فإنك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت ومكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي قالت فيينا هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة

(5/449)

من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فيينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك

الله سبحانه وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بالذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعني حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمي أجيبني عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا الأمر حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله سبحانه وتعالى يعلم أني بريئة لتصدقوني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت

واضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أنني بريئة وأن الله سبحانه
مبرئي ببراءتي ولكن والله ماكنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني
كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله
مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد
حتى أنزل الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من
البرحاء عند الوحي حتى أنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم
الثلاثي من ثقل الوحي الذي أنزل عليه قالت فلما سري عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة
أما والله فقد

(5/450)

برأك فقالت لي أمة قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله
سبحانه هو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله سبحانه ان الذين جاؤا بالإفك
عصبة منكم عشر آيات وأنزل الله سبحانه هذه الآية لبراءتي قالت فقال أبو
بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد
الذي قال لعائشة فأنزل الله سبحانه ولا ياتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى
قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم فقال أبو بكرح والله إنني لأحب أن يغفر الله
لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبداً

(5/451)

قالت عائشة خ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش
زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله
أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة وهي التي كانت
تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله سبحانه وتعالى
بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال
الزهري فهذا ما انتهى إلينا من هؤلاء الرهط وأخبرنا أبو نعيم قال أخبرنا أبو
عوانة قال حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ بمكة ومحمد بن حرب المدني
بالفسطاط قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني أبي عن هشام بن
عروة عن أبيه عن عائشة خ قال أبو أويس وحدثني أيضاً عبد الله بن أبي بكر
عن عمرة عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يسافر
سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فخرج سهم عائشة
في غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق من خزاعة وذكر الحديث
بطوله بمثل معناه وقال عروة في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بريرة عن عائشة قال فانتهرها بعض أصحابه وقال أصدقي رسول الله قال
عروة فعيب ذلك على من قاله فقالت لا والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ
على تبر الذهب الأحمر ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله فعجب
الناس من فقهها قال وبلغ ذلك الذي قيل له فقال سبحان الله والله ما كشفت
كتف أنثى قط فقتل شهيدا في سبيل الله وزاد في آخره قالت وقعد صفوان

بن المعطل لحسان بن ثابت فضربه ضربة بالسيف وقال حين ضربه تلق ذباب
السيف عني فإنني غلام إذا هوجيت لست بشاعر ولكنني أحمي حماي وانتقم
من الباهت الرامي البراء الطواهر وصاح حسان بن ثابت واستغاث بالناس
على صفوان ففر صفوان وجاء حسان النبي صلى الله عليه وسلم فاستعدى
على صفوان في ضربته إياه فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يهب له
ضرب صفوان إياه فوهبها للنبي صلى الله عليه وسلم فعوضه منها حائطا من
نخل عظيم

(5/452)

وجارية رومية ثم باع حسان ذلك الحائط من معاوية بن أبي سفيان في ولايته
بمال عظيم قالت عائشة فقيل في أصحاب الإفك أشعار قال أبو بكر الصديق
رضى الله عنه لمسطح في رمية عائشة رضى الله عنها وكان يدعى عوفا
يا عوف ويحك هلا قلت عارفة من الكلام ولم تبغ به طمعا فأدرتكم حميا معشر
أنف ولم يكن قاطعا في عوف قطعا لما رميت حصانا غير مقرفة أمينة الجيب
لم نعرف لها خضعا فيمن رماها وكنتم معشرا افكا في سبيء القول من لفظ
الخنأ بشرعا فأنزل الله عذرا في براءتها وبين عوف وبين الله ما صنعا فان
أعش أجز عوفا في مقالته شر الجزاء بما ألفيته تبعا وقال حسان بن ثابت
الأنصاري ثم النجاري وهو يبرئ عائشة مما قيل فيها ويعتذر إليها حسان بن
ما يزن برتبة وتصيح غرثى من لحوم الغوافل حليلة خير الناس دينا ومنصبا نبي
الهدى والمكرمات الفواضل عقيمة حي من لؤي بن غالب كرام المساعي
مجدها غير زايل مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل شين وباطل فان
كان ما قد جاء عني قلته فلا رفعت سوطي إلي أناملني وإن الذي قد قيل ليس
بلائط بك الدهر بل قول إمري غير ما حل وكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل
رسول الله زين المحافل له رتب عال على الناس فضلها تقاصر عنها سورة
المتطاول قال وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالذين رموا عائشة فجلدوا
الحدود جميعا ثمانين فقال حسان بن ثابت لقد دان عبد الله ما كان أهله وحمته
إذ قالوا هجيرا ومسطح تعاطوا برجم القول زوج نبيهم وسخطة ذا الرب
الكريم فأبرجوا وأذوا رسول الله فيها فعمموا مخازي ذل جملوها وفضحوا فهذا
سبب نزول الآية وقصتها فاما التفسير فقوله عز وجل إن الذين جاؤا بالإفك
بالكذب عصية جماعة منكم قال الفراء العصبة الجماعة من الواحد إلى
الأربعين لا تحسبوه شرا لكم يا عائشة وصفوان بل هو خير لكم لأن الله
يأجركم على ذلك

(5/453)

ويظهر براءتكم لكل امرئ منهم يعني من الذين جاؤا بالإفك ما اكتسب من
الإثم جزاء ما اجترح من الذنب والمعصية والذي تولى كبره والذي تحمل
معظمه فبدا بالخوض فيه وقراءة العامة كبره بكسر الكاف وقرأ خليل والأعرج
ويعقوب الحضرمي بضم الكاف قال أبو عمرو بن العلاء هو خطأ لأن الكبير بضم
الكاف في الولاء والسن ومنه الحديث الولاء للكبير وهو أكبر ولد الرجل من

الذكورة وأقربهم إليه نسبا وقال الكسائي هما لغتان مثل صفر وصفر واختلف المفسرون في المعنى بقوله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقال قوم هو حسان بن ثابت روى داود بن أبي هند عن عامر الشعبي أن عائشة خ قالت ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة قوله لأبي سفيان هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء فان أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء أتشتمه ولست له بكفؤ فشر كما لخيركما الفداء لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء فقيل يا أم المؤمنين أليس الله يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس قد أصابه عذاب عظيم أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف وروى أبو الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة تدعين هذا الرجل يدخل عليك وقد قال ما قال وأنزل الله سبحانه فيه والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت وأي عذاب أشد من العمى ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره وقالت انه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون بل هو عبد الله بن أبي سلول وأصحابه روى ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة قالت في حديث الإفك ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملا من المنافقين وكانت عادتهم أن ينزلوا منتبذين من الناس فقال عبد الله بن

(5/454)

أبي رئيسهم من هذه قالوا عائشة قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها وبشرع في ذلك أيضا حسان ومسطح وحمنة فهم الذين تولوا كبره ثم فشا ذلك في الناس لولا هلا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم بآخوانهم خيرا قال الحسن بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفيس واحدة نظيره قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله فسلموا على أنفسكم قال بعض أهل المعاني تقدير الآية هلا ظننتم كما ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقيل أراد بأنفسهم أهاليهم وأزواجهم وقالوا أراد بهذه الآية أبا أيوب الأنصاري وامراته أم أيوب روى محمد بن إسحاق بن يسار عن رجاله أن أبا أيوب خالد بن يزيد قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك سبحان الله هذا بهتان عظيم فأنزل الله سبحانه لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات الآيات أي كما فعل أبو أيوب وصاحبتة وكما قالوا وقوله وقالوا هذا إفك مبين أي كذب بين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم خضتم فيه من الإفك عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم تأخذونه تروونه بعضهم عن بعض وقرأ أبي وابن مسعود إذ تلقونه بتأين وقرأت عائشة تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف من الكذب والولق والألق والاللق والليق الكذب قال الخليل أصل الولق السرعة وأنشد جاؤوا بأسراب من الشام ولق

(5/455)

أي تسرع يقال ولق فلان في السير فهو يلق فيه إذا استمر وأسرع فيه فكان معنى قراءة عائشة إذ تستمرون في إفككم وقرأ محمد بن السميع إذ تلقونه من الإلقاء نظيره ودليله قوله سبحانه فآلقوا إليهم القول الآية وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وتظنونهم سهلا وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه يحتمل التنزيه والتعجب هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا أي ينهاكم ويخوفكم أن تعودوا وقيل يعظكم الله كيلا تعودوا لمثله إلى مثله أبدا إن كنتم مؤمنين وبين الله لكم الآيات والله عليم بأمر عائشة وصفوان حكيم حكم ببراءتها إن الذين يحبون أن تشيع تطهر وتفشو وتذيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه المنافقين والله يعلم كذبهم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم فيه إضمار لعاجلكم بالعقوبة بأيتها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولاكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ولا ياتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا صلى الله عليه وسلم أ أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا صلى الله عليه وسلم ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله

(5/456)

عليكم ورحمته ما زكى صلح وطهر من هذا الذنب وقرأ ابن محيص ويعقوب زكى بالتحديد أي طهر دليلها قوله سبحانه وتعالى ولكن الله يزكى يطهر من يشاء من الإثم والذنب بالرحمة والمغفرة والله سميع عليم أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا على بن زنجويه قال حدثنا سعيد بن سيف التميمي قال حدثنا غالب بن تميم السعدي قال حدثنا خالد بن جميل عن موسى بن عقبة المدني عن أبي روح الكلبي عن حر بن نصير الحضرمي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل شد عضد امرئ من الناس فى خصومة لا علم له بها فهو فى ظل سخط الله سبحانه حتى ينزع وأيما رجل حال فى شفاعة دون حد من حدود الله تعالى أن يقام فقد كابد الله حقا وحرص على سخطه وأن عليه لعنة الله تتابع إلى يوم القيامة وأيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء يريد أن يشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيه فى النار وأصله فى كتاب الله سبحانه إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة الآية ولا ياتل ولا يحلف هذه قراءة العامة وهو يفتعل من الآية

وهي القسم وقال الأخفش وإن بثت جعلته من قول العرب ما ألوت جهدي في شأن فلان أي ما تركته وقرأ أبو رجا العطاردي وأبو مخلد السدوسي وأبو جعفر وزيد بن أسلم ولا يتأل بتقديم التاء وتأخير الهمزة وهو يفتعل من الآلية والالو أولوا الفضل منكم والسعة يعني أبا بكر الصديق أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا وكان ابن خالة أبي بكر ح وليعفوا وليصفحوا عنهم خوضهم في أمر عائشة وروت أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ولتغفوا ولتصفحوا بالتاء ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا

(5/457)

أنزعها منه أبدا وقال ابن عباس والضحاك أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر ألا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعونهم فأنزل الله سبحانه هذه الآية إن الذين يرمون المحصنات الغافلات عن الفواحش وعما قذفن به كغفلة عائشة عما فيها المؤمنات لعنوا عذبوا في الدنيا بالجلد وفي الآخرة بالنار ولهم عذاب عظيم
واختلف العلماء في حكم الآية فقال قوم هي لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا هارون بن محمد بن هارون قال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال حدثنا هشام بن العوام بن جوشب قال حدثنا شيخ من بني كاهل قال فسر ابن عباس سورة النور فلما أتى على هذه الآية إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات إلى آخر الآية قال هذه في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وهي مبهمة ليس فيها توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله سبحانه له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله إلا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة قال فهم رجل أن يقوم فيقبل رأسه من حسن ما فسره وقال آخرون نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلي فإن الله غفور رحيم فأنزل الله له الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حيان قال حدثنا إسحاق بن محمد قال حدثنا أبي قال حدثنا إبراهيم بن عيسى قال حدثنا علي بن علي عن أبي حمزة الثمالي قال بلغنا أنها نزلت في مشركي أهل مكة إذ كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فكانت المرأة إذا خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا إنما خرجت تفجر يوم

(5/458)

تشهد عليهم قرأه العامة بالتاء وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما بالياء لتقدم الفعل
ألسنتهم وهذا قيل أن يختم على أفواههم وقيل معناه يشهد السنة بعضهم على
بعض وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون في الدنيا يومئذ يوفيهم الله دينهم
جزاءهم وحسابهم الحق قرأه العامة بنصب القاف وقرأ مجاهد الحق بالرفع
على نعت الله وتصديقه قراءة أبي يوفهم الله الحق دينهم ويعلمون أن الله هو
الحق المبين يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا الخبيثات للخبيثين الآية
قال أكثر المفسرين الخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من
الناس للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون
من الناس للطيبات من القول وقال ابن زيد الخبيثات من النساء للخبيثين من
الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء
للتطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء

(5/459)

أولئك يعني عائشة وصفوان فذكرهما بلفظ الجمع كقوله فإن كان له إخوة
والمراد أخوان مبرءون منزهون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم أخبرنا أبو
نصر النعمان بن محمد بن النعمان الجرجاني بها قال أخبرنا محمد بن عبد
الكريم الباهلي قال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن سفيان الترمذي قال حدثنا
بشر بن الوليد الكندي قال حدثنا أبو حفص عن سليمان الشيباني عن علي بن
زيد بن جدعان عن جدته عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعاً ما أعطيت
امرأة لقد نزل جبرئيل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يتزوجني ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري ولقد
توفي وإن رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفت الملائكة في بيتي
وإن كان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وأنا
معه في لحافه وإني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد
خلقت طيبة وعند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريماً يا أيها الذين ءامنوا لا
تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذالكم خير لكم
لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل
لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن
تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تيدون وما تكتمون قل
للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذالك أزكى لهم إن الله خبير
بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن
زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا
لبعولتهن أو ءابائهن أو ءأباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبنائهن أو إخوانهن أو
بنى صلى الله عليه وسلم إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت
أيماهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على
عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبو صلى الله
عليه

(5/460)

وسلم إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الآية أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا الحسين بن يحيويه قال حدثنا عمرو بن ثور وإبراهيم بن أبي سفيان قالا حدثنا محمد بن يوسف الفريابي قال حدثنا قيس عن أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت قال جاءت امرأة من الأنصار فقالت يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل علي وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية وقال بعض المفسرين حتى تستأنسوا أي تستأذنوا وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال إنما هو حتى تستأذنوا ولكن خطأ الكاتب وكان أبي بن كعب وابن عباس والأعمش يقرأونها كذلك حتى تستأذنوا وفي الآية تقديم وتأخير تقديرها حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وهو أن يقول السلام عليكم أدخل روى يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أأج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلميه فإنه لا يحسن يستأذن فقولي له تقول السلام عليكم أدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وقال مجاهد والسدي هو التنجج والتنخم روى الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الخزاز عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود عن زينب قالت كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنجج ويزق كراهية أن يهجم منها على أمر يكرهه عكرمة هو التسبيح والتكبير ونحو ذلك أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا أبو بكر بن خرقة قال حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان قال حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن واصل بن السائب عن أبي

(5/461)

أيوب الأنصاري قال قلنا يا رسول الله ما الاستيناس الذي يريد الله سبحانه حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال يتكلم الرجل بالكبيرة والتسبيحة والتحميدة يتنجج يؤذن أهل البيت وقال الخليل الاستيناس الاستبصار من قوله أنست نارا وقال أهل المعاني الاستيناس طلب الأنس وهو أن ينظر هل في البيت أحد يؤذنه أنه داخل عليهم يقول العرب اذهب فاستأنس هل ترى أحدا في الدار أي انظر هل ترى فيها أحدا ويروي أن أبا موسى الأشعري أتى منزل عمر بن الخطاب فقال السلام عليكم فأدخل فقال عمر واحدة فقال أبو موسى السلام عليكم فأدخل فقال عمر ثنتان قال أبو موسى السلام عليكم فأدخل ومر فوجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه خلفه من رده فسأله عن صنيعه فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلاثة فإن أذنوا وإلا فارجع فقال عمر لتأتيني بالبينة أو لعاقبتك فانطلق أبو موسى فأناه بمن سمع ذلك معه وعن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيري فأستأذن كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها وأخبرني الحسين بن محمد بن

فنجويه قال حدثنا موسى بن محمد بن علي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا جرير بن عبد الحميد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطلع في بيت بغير إذنهم فقد حل لهم ان يفتأوا عينه وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شيه قال حدثنا الحضرمي قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا ابن عيينة عن الزهري أنه سمع سهل بن سعد يقول اطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مدرى يحك به رأسه فقال لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينيك إنما الاستيذان من النظر فان لم تجدوا فيها أي في البيوت أحدا يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا

(5/462)

تقفوا على أبوابهم ولا تلازموها هو أي الرجوع أزكى أظهر وأصلح لكم والله بما تعملون عليم فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله أرأيت الخانات والمساکن في طرق الشام ليس فيها ساكن فانزل الله سبحانه ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة بغير استيذان فيها متاع منفعة لكم واختلفوا في هذه البيوت ما هي فقال قتادة هي الخانات والبيوت المبنية للسائلة لياؤوا إليها ويؤوا أمتعتهم إليها قال مجاهد كانوا يضعون بطرق المدينة أقتابا وأمتعة في بيوت ليس فيها أحد وكانت الطرق إذ ذاك آمنة فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن محمد بن الحنفية هي بيوت مكة ضحاك الخربة التي يأوي المسافر إليها في الصيف والشتاء عطاء هي البيوت الخربة والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من الخلاء والبول ابن زيد بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق ابن جرير جميع ما يكون من البيوت التي لا ساكن لها على العموم لأن الاستيذان إنما جاء لئلا يهجم على ما لا يحب من العورة فإذا لم يخف ذلك فلا معنى للاستيذان والله يعلم ما تبذرون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا يعضوا يكفوا من أبصارهم عن النظر الى ما لا يجوز واختلفوا في قوله من فقال بعضهم هو صلة أي يغضوا أبصارهم وقال آخرون هو ثابت في الحكم لأن المؤمنین غير مأمورین بغض البصر أصلا وإنما أمروا بالغض عما لا يجوز ويحفظوا فروجهم عمن لا يحل هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضوع فإنه أراد الاستتار يعني ويحفظوا فروجهم حتى لا ينظر إليها ودليل هذا التأويل إسقاط من ذلك أزكى لهم إن الله خبير عليم بما يصنعون أخبرني ابن فنجويه في داري قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا الحسن بن علي بن زكريا قال حدثنا أبو الربيع الزهراني قال حدثنا إسماعيل بن جعفر قال حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن حنطب عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اضمنوا

(5/463)

لي ستا من أنفسكم اضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا ما أئتمتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شيبه قال حدثنا الحضرمي قال حدثنا عبد الوارث قال حدثنا أبي قال حدثنا عنيسة بن عبد الرحمن قال حدثنا أبو الحسن أنه سمع علي بن أبي طالب ح يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر إلى محاسن المرأة سهم من نبال إبليس مسموم فمن رد بصره ابتغاء ثواب الله عز وجل أبدله الله بذلك عبادة تسره وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شيبه قال حدثنا الحضرمي قال حدثنا سهل بن صالح الأنطاكي قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي جعفر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يصلي إذ مرت به امرأة فنظر إليها وأتبعها بصره فذهب عيناه وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عما لا يجوز ويحفظن فروجهن عما لا يحل وقيل ويحفظن فروجهن أي يسترنها حتى لا يراها أحد ولا يبين زينتهن ولا يظهرن لغير محرم زينتهن وهما زينتان أحدهما ما خفي كالخلخالين والقرطين والقلائد والمعاصم ونحوها والأخرى ما ظهر منها واختلف العلماء في الزينة الظاهرة التي استثنى الله سبحانه ورخص فيها فقال ابن مسعود هي الثياب وعنه أيضا الرداء ودليل هذا التأويل قوله سبحانه خذوا زينتكم عند كل مسجد أي ثيابكم وقال ابن عباس وأصحابه الكحل والخاتم والسوار والخضاب الضحاك والأوزاعي الوجه والكفان الحسن الوجه والثياب روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت أن تظهر إلا وجهها ويدها إلى ههنا وقبض على نصف الذراع وإنما رخص الله سبحانه ورخص رسوله في هذا القدر من بدن المرأة أن تبديها لأنه ليس بعورة فيجوز لها كشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة فيلزمها ستره وليضربن ويليقن بخمرهن أي بمقانعهن وهي جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة على

(5/464)

جيوبهن وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وأقراطهن وأعناقهن قالت عائشة يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله سبحانه هذه الآية شققن أكفف مروطن فاختمرن به ولا يبين زينتهن الخفية التي أمرن بتغطيتها ولم يبح لهن كشفها في الصلاة وللأجنبيين وهي ما عدا الوجه والكفين وظهور القدمين إلا لبعولتهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بناتهن أو نساتهن أي نساء المؤمنين فلا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها فذلك قوله سبحانه أو ما ملكت أيمنهن عن ابن جريج روى هشام بن الغار عن عبادة بن نسي أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها ويتأول أو نساتهن وقال عبادة كتب عمر بن الخطاب ح إلى أبي عبيدة بن الجراح أما بعد فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات معهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك وحل دونه قال ثم إن أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلا اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه وقال بعضهم أراد بقوله أو ما ملكت أيمنهن مماليكهن وعبيدهن فإنه لا بأس عليهن أن يظهرن لهم من زينتهن ما يظهرن لذوي محارمهن أو

التابعين غير أولي الإربة من الرجال وهم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم في النساء ولا يستهونهن قال ابن عباس هو الذي لا تستحي منه النساء وعنه الأحقق العنين مجاهد الأبله الذي لا يعرف شيئاً من النساء الحسن هو الذي لا ينتشر زبه سعيد بن جبير المعتوه عكرمة المجبوب الحكم بن أبان عنه هو المخنث الذي لا يقوم زبه روى الزهري عن عروة عن عائشة خ قالت كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى

(5/465)

الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا عليكم فحجبوه ابن زيد هو الذي يتبع القوم حتى كأنه منهم ونشأ فيهم وليس له في نسائهم إربة وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه والإربة والإرب الحاجة يقال أربت الى كذا أرب إرباً إذا احتجت إليه واختلف القراء في قوله غير فنصبه أبو جعفر وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر والمفضل وله وجهان أحدهما الحال والقطع لأن التابعين معرفة وغير نكرة والآخر الاستثناء ويكون غير بمعنى إلا وقرأ الباقر بالخض على نعت التابعين

(5/466)

أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء أي لم يكشفوا عن عورات النساء لجماعهن فيطلعوا عليها والطفل يكون واحداً وجمعاً ولا يضر بن بأرجلهم يعني ولا يحركنها إذا مشين ليعلم ما يخفين من زينتهن يعني الخلخال والحلي وتوبوا إلى الله جميعاً من التقصير الواقع في أمره ونهيه وقيل معناه راجعوا طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من الآداب المذكورة في هذه السورة وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وءاتوهم من مال الله الذي صلى الله عليه وسلم ءاتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيّنات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الأيامى منكم أي زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقرأ الحسن من عبيدكم والأيامى جمع الأيم وهو من لا زوج له من رجل وامرأة يقال رجل أيم وامرأة أيم وأيمة والفعل منه أمت المرأة تأيم أيمة أيوما وتأيمت تأيماً قال الشاعر ألم تر أن الله أظهر دينه وسعد باب القادسية معصم فأبنا وقد أمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس منهن أيم وقال آخر فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم تأيم وفسر بعض الفقهاء الآية على الحتم والإيجاب فأوجب النكاح على من

استطاعه وتأولها الباقون على الندب والاستحباب وهو الصحيح المشهور والذي عليه الجمهور قال الشافعي ح واجب للرجل والمرأة أن يتزوجا إذا تافت أنفسهما إليه لأن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أمر به ورضيه وندب إليه وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم حتى

(5/467)

بالسقط

وقال صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وقال إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده قال الشافعي ومن لم تتق نفسه إلى ذلك فأحب إلى أن يتخلى لعبادة الله عز وجل وذكر الله سبحانه القواعد من النساء وذكر عبدا أكرمه فقال عز من قائل وسيدا وحصورا والحصور الذي لا يأتي النساء ولم يندبهم إلى النكاح فدل أن المندوب إليه من يحتاج إليه باب ذكر بعض ما ورد من الأخبار في الترغيب في النكاح أخبرنا أحمد بن أبي قال أخبرنا عبد الله بن إسحاق الجرجاني قال حدثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي قال حدثنا محمد بن يحيى الأزدي قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال أخبرنا أشعث عن الحسن عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل وأخبرني الحسين بن محمد بن الحسين الحديثي قال حدثنا محمد بن علي بن الحسن الصوفي قال حدثنا محمد بن صالح بن ذريح قال حدثنا جبارة بن المغلس قال حدثنا جندل عن ابن جريح عن أبي المغلس عن أبي نجیح السلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ما يتزوج فلم يتزوج فليس منا وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا مخلد بن جعفر الباقرحي قال حدثنا أحمد بن يعقوب المقرئ ابن أخي عوف قال حدثنا جبارة بن المغلس قال حدثنا مندل عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من أدرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق قال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أبو يوسف الصيدلاني قال حدثنا خالد بن إسماعيل عن عبيد الله عن صالح

(5/468)

مولى التومة قال قال أبو هريرة لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيت الله بزوجة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شراركم عزابكم وبإسناده عن صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج أحدكم عج شيطانه ياوبله عصم ابن آدم مني بثلثي دينه وأخبرني الحسن بن محمد قال حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال حدثنا أبو زكريا يحيى بن علي بن خلف القطان قال حدثنا الحسين بن محمد قال حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي قال حدثنا محمد بن ثابت العقيلي عن هارون بن رثاب عن أبي نجیح السلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسكين مسكين رجل ليست له امرأة مسكينة امرأة ليس لها زوج قالوا يا رسول الله وإن كانت

غنية من المال قال وإن كانت غنية من المال وأخبرني الحسين قال حدثنا
الفضل بن الفضل الكندي قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى قال حدثنا
هشام بن عمار قال حدثنا حماد بن عبد الرحمن قال حدثنا خالد بن الزبير قال
عن سليمان بن حبيب عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع
لعنهم الله من فوق عرشه وأمنت عليه ملائكته الذي يحصر نفسه عن النساء
فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله ذكرا
والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله أنثى ومضلل المساكين قال خالد يعني
الذي يهزأ بهم يقول للمسكين هلم أعطك فإذا جاء يقول ليس معي شيء
ويقول للمكفوف اتق الدابة وليس بين يديه شيء والرجل يسئل عن دار القوم
فيجهله وأخبرني أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا أبو حذيفة أحمد بن محمد
بن علي قال حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي قال حدثني أحمد
بن سعيد بن يعقوب قال أخبرنا بقية ابن الوليد قال حدثني معاوية بن يحيى عن
سليمان بن موسى عن مكحول عن عفيف ابن الحارث عن عطية بن بشر
المازني قال أتى عكاف بن وادعة الهلالي إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا عكاف ألك زوجة قال لا يا رسول الله

(5/469)

قال ولا جارية قال لا قال وانت صحيح موسر قال نعم والحمد لله
قال فإنك إذا بين إخوان الشياطين إما أن تكون من رهبان النصارى وإما أن
تكون مؤمنا فاصنع كما نصح فإن من سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل
موتاكم عزابكم ما للشيطان في نفسه سلاح أبلغ من النساء ألا إن المتزوجين
هم المطهرون المبرؤون من الخنا ويحك يا عكاف إنهن صواحب داود وصواحب
أبوب وصواحب يوسف عليهم السلام وصواحب كرسف قالوا يا رسول الله
ومن كرسف قال رجل كان يعبد الله سبحانه على ساحل من سواحل البحر
ثلاثين عاما يصوم النهار ويقوم الليل لا يفتر من صيام ولا قيام فكفر بالله
العظيم من سبب امرأة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة ربه عز وجل
فتداركه الله سبحانه بما سلف منه ويحك يا عكاف تزوج فإنك من المذنبين
قال زوجني من شئت قبل أن أبرح قال فإني قد زوجتك على اسم الله كريمة
بنت كلثوم الحميري وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا محمد بن المطهر البزاز
قال حدثنا أبو عبد الله محمد ابن موسى بن النعمان بمصر قال حدثنا علي بن
عبد الرحمن بن المغيرة قال حدثنا أبو صالح كاتب الليث قال حدثنا أبو يحيى
بن قيس عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا
أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت العزبة والعزلة والترهب على
رؤوس الجبال فصل فيمن يستحب ويختار من النساء أخبرني أبو عبد الله
الحسين بن محمد بن عبد الله الثقفي بقراءتي عليه في داري قال حدثنا
موسى بن محمد بن علي بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز
بن الجعد قال حدثنا عبد الله بن عمر القواريري قال حدثنا عمر بن الوليد قال
سمعت معاوية بن يحيى يحدث عن يزيد بن جابر عن جبير بن نفيير عن عياض
بن غنم الأشعري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عياض لا
تزوجن عجوزا ولا عاقرا فإني مكاثر وأخبرني الحسن بن محمد قال حدثنا
برهان بن علي الصوفي قال حدثنا أبو بكر مردك

ابن أحمد البردعي قال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا إسحاق بن بشر الكاهلي قال حدثني عبد الله بن إدريس المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الأبيكار فإنهن أعذب أفواها وأفتح أرجاما وأثبت مودة وبإسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإن الشعر أحد الجمالين وبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الزرق فإن فيهن يمنا وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا موسى بن محمد بن علي بن عبد الله قال حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال حدثنا عبدان بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا عبد الله ابن صالح قال حدثنا محمد بن سليمان بن أبي كريمة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة خ قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم نساء أمتي بركة أصبحهن وجهها وأقلهن مهرا فصل في الآداب الواردة في النكاح والزفاف أخبرنا أبو عمرو الفراتي قال أخبرنا أبو موسى قال أخبرنا أبو علي الشيباني قال حدثنا محمد بن رافع قال حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا عيسى بن ميمون عن القاسم بن محمد عن عائشة خ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليها بالدفاف وليولم أحدكم ولو بشاة وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان وعبد الله بن يوسف قالا حدثنا يوسف بن أحمد بن كركان القرماسيني قال حدثنا أبو الزيناع روح بن الفرج قال حدثنا أبو سلمة البصري العتكي القاسم بن عمر قال حدثنا بشر بن إبراهيم الأنصاري عن الأوزاعي عن مكحول عن عروة عن عائشة خ قالت حدثني معاذ بن جبل قال شهدت ملاك رجل من الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم فخطب النبي صلى الله عليه وسلم وأملك الأنصاري ثم قال على الألفة والخير والطير الميمون دففوا على رأس صاحبكم وأقبلت السلال فيها الفاكهة والسكر

فنهب عليهم فأمسك القوم فلم ينتهبوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أزين الحلم ألا تنتهبون فقالوا يا رسول الله أنك نهيتنا عن النهبة يوم كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما نهيتكم عن نهبة العساكر ولم أنهكم عن نهبة الولاثم ثم قال ألا فانتهبوا قال معاذ بن جبل فوالله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجررنا ونجرره في ذلك النهاب وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا أبو العباس عبد الله بن أحمد بن حشيش البغدادي قال حدثنا عثمان بن معبد قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم عن سفيان بن عامر العامري عن صافية مولاتهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسوا بالإملاك فإنه أفضل في اليمن وأعظم في البركة وأخبرني الحسين قال حدثنا طفران بن الحسين

قال حدثنا أبو بكر بن أبي داود السجستاني قال حدثنا أحمد بن يوسف بن سالم الأزدي السلمي قال حدثنا حفص بن عبد الله عن إبراهيم بن طهمان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن إسحاق بن سهل بن أبي حنتمة عن أبيه عن عائشة خ أنها قالت كانت عندي جارية من الأنصار في حجري فزوجتها فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسمع غناء فقال يا عائشة ألا تغنون عليها فان هذا الحى من الأنصار يحبون الغناء وأخبرني الحسين قال حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا أبو بكر محمد بن ظهير بن ثمامة البزار قال حدثنا أبو موسى بن المثنى الزمر قال حدثنا حفص بن غياث عن ليث عن عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بعروس فقال لو كان مع هذا لهو

(5/472)

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن أبي قال حدثنا محمد بن علي بن سالم الهمداني قال حدثنا الحسن بن الحسين الرازي الهسنخاني قال حدثنا سعيد بن منصور قال حدثنا مسكين بن ميمون قال حدثني عروة بن رويم قال بينا عبد الرحمن بن قرط ينعس بحمص إذ مرت عروس وقد أوقدوا النيران فضربهم بدرية حتى تفرقوا عنها فلما أصبح قعد على منبره وقال إن أبا جندلة نكح فصنع جفنا من طعام فرحم الله أبا جندلة وصلى على آبائه ولعن الله أصحاب عروسكم أوقدوا النيران وتشبهوا بأهل الشرك والله مطفئ نورهم يوم القيامة إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا علي بن أحمد بن نصرويه قال حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال حدثني أبو زرعة قال حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء قال أخبرنا مسلم بن خالد عن سعيد بن أبي صالح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا محمد بن الحسن بن بشر قال حدثنا أبو يوسف محمد ابن سفيان بن موسى الصفار بالمصيصة قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن ناصح قال حدثنا عبد العزيز الدراوردي عن ابن عجلان أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الحاجة فقال عليك بالباءة وشكى رجل إلى أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الحاجة فقال عليك بالباءة وجاء رجل إلى عمر ح بعد أبي بكر فشكا إليه الحاجة فقال عليك بالباءة كل يريد قوله سبحانه إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله قال ابن عجلان وقال أبو بكر وعمر ذ ابتغوا الغنى في النكاح وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا عن الحرام حتى يغنيهم الله من فضله ويوسع عليهم من رزقه والذين يبتغون الكتاب أي المكاتبه وهي أن يقول الرجل لعبده أو أمته قد كاتبتك على أن تعطيني كذا وكذا في نجوم معلومة على أنك إذا أديت ذلك فأنت حر فيرضى العبد بذلك فإن أدى مال الكتابة بالنجوم التي سماها كان حرا وإن عجز

(5/473)

عن أداء ذلك كان لمولاه أن يرده إلى الرق كما قال صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وأصل الكلمة من الكتب وهو الضم والجمع

ومنه الكتيبة وكتب البغل وكتب الكتاب فسمي المكاتب مكاتبا لأنه يضم نجوم مال الكتابة بعضها إلى بعض مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم اختلف الفقهاء في حكم هذه الآية فقال قوم هو أمر حتم وإيجاب فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذي قد علم منه خيرا إذا سأله ذلك بقيمته وأكثر ولو كان بدون قيمته لم يلزمه وهو قول عمرو بن دينار وعطاء وإليه ذهب داود بن علي ومحمد بن جرير من الفقهاء وهي رواية العوفي عن ابن عباس واحتج من نصر هذا المذهب بما روى قتادة أن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه فتلأ عليه فشكاه إلى عمر فعلاه بالدرة وأمره بالكتابة واحتجوا أيضا بأن هذه الآية نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبح سأل

(5/474)

مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين فأداها وقتل يوم حنين في الحرب وروى عن عمر أنه قال هي عزمة من عزمات الله من سأل الكتابة كوتب وقال الآخرون هو أمر ندب واستحباب ولا يلزم السيد مكاتبة عبده سواء بذل له قيمته أو أكثر منها أو أقل وهو قول الشعبي والحسن البصري وإليه ذهب الشافعي ومالك وأبو حنيفة وسائر الفقهاء وأما قوله سبحانه إن علمتم فيهم خيرا فاختلفوا فيه فقال ابن عمر وابن زيد ومالك بن أنس يعني قوة على الاحتراف والكسب لأداء ما كوتب عليه وإليه ذهب الثوري وروى الوالبي عن ابن عباس قال إن علمت أن لهم حيلة ولا يلقون مؤونتهم على المسلمين وقال الحسن ومجاهد والضحاك مالا وهي رواية العوفي عن ابن عباس واستدلوا بقوله إن ترك خيرا قال الخليل لو أراد المال لقال إن علمتم لهم خيرا أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا هارون بن محمد قال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يحيى الحماني قال حدثنا أبو خالد الأحمر عن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي ليلي الكندي عن سلمان قال قال له عبد كاتبني قال لك مال قال لا قال تطعمني أوساخ الناس فأبى عليه وقال إبراهيم وعبيدة وأبو صالح وابن زيد يعني صدقا ووفاء وأمانة وقال طاوس وعمرو بن دينار مالا وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في هذه الآية الاكتساب مع الأمانة فأحب أن لا يمتنع من مكاتبته إذا كان هكذا أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنية قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد العزيز العثماني وأبو النصر إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا يحيى بن حمزة قال أخبرني محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم رجل خرج في سبيل الله سبحانه ورجل تزوج التماس الغنى عما حرم الله عز وجل ورجل كاتب التماس الأداء

(5/475)

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا هارون بن محمد بن هارون قال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يحيى الحماني قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة في قوله سبحانه إن علمتم فيهم خيرا قال إن

أقاموا الصلاة وقيل هو أن يكون المكاتب بالغا عاقلا فأما المجنون والصبي فلا يصح كتابتهما لأنهما ليسا من أهل الابتغاء ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن ثلاث الحديث وقال أبو حنيفة يصح كتابة الصبي إذا كان مراهقا مميزا بناء على أصله إذا كان مراهقا كيسا حرا فأذن له وليه في التصرف نفذ تصرفه كذلك السيد مع عبده إذا كاتبه فقد أذن له في التصرف فصحت كتابته واختلف الفقهاء في مال الكتابة فقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه تصح الكتابة حالة ومؤجلة لأن الله سبحانه قال فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ولم يشترط فيه أجلا ولأنه عقد على عين فصح حالا ومؤجلا كالبيع وقال الشافعي لا تصح الكتابة حالة وإنما تصح إذا كانت مؤجلة وأقله نجمان وأتوهم من مال الله الذي آتياكم اختلفوا فيه فقال بعضهم الخطاب للموالي وهو أن يحط له من مال كتابته شيئا ثم اختلفوا في ذلك الشيء فقال قوم هو ريع المال وهو قول علي وإليه ذهب الثوري روى شعبة عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمى أنه كاتب غلاما له على ألف ومائتين وترك الربع وأشهدني ثم قال لي كان صديقك يفعل هذا يعني عليا كرم الله وجهه وقد روى ذلك مرفوعا أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حنش المقرئ قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى قال حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم قال حدثنا حجاج عن ابن جريح عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب يعني أبا عبد الرحمن السلمى عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأتوهم من مال الله الذي آتياكم قال ربع المكاتبه وقال آخرون ليس فيه حد إنما هو إليه يحط عنه من مال كتابته شيئا روى أسباط عن السدي عن أبيه قال كاتبني زينب بنت قيس بن مخزوم وكانت قد

(5/476)

صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبليتين جميعا على عشرة آلاف فتركت لي ألفا وروى الجريري عن أبي نصر عن أبي سعيد مولى ابن أسيد قال كاتبني أبو أسيد على ثنتي عشرة مائة فجئت بها فأخذ منها ألفا ورد على مائتين وقال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرقي على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسه آلاف درهم قال سعيد بن جبير وكان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع إليه صدقته ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب وعلى هذا القول قوله وأتوهم أمر استحباب وقال بعضهم معناه وأتوهم سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات بقوله وفي الرقاب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وابنه وعلى هذا التأويل هو أمر إيجاب وقال بريدة وإبراهيم هو حث لجميع الناس على معونتهم أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا ابن شنية قال حدثنا جعفر بن محمد الفريابي قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد قال حدثني زهير عن عبد الله بن محمد ابن عقيل عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أعان مكاتباً في رقبتة أو غاريا في عسرتة أو مجاهدا في سبيله أظله الله سبحانه في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا موسى بن محمد بن علي قال حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا علي بن أحمد الواسطي قال حدثنا إسحاق بن منصور عن عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن الدالاني عن

خارجة بن هلال عن أبي سعيد ورافع بن خديج وابن عمر قالوا جاءنا غلام لعثمان ح يقال له كيس فقال قوموا إلى أمير المؤمنين فكلموه أن يكاتبني فقلنا له إن غلامك هذا سألنا أن تكاتبه فقال أخذته بخمسين ومائة يجيء بها وهو حر قال فخرجنا فأعانه كل رجل منا بشيء قال كونوا بالباب ثم قال ياكيس تذكر يوم عركت أذنك قلت بلى يا سيدي قال ألم أنهك أن تقول يا سيدي قال فلم يزل بي حتى

(5/477)

ذكرت قال قم فخذ بأذني قال فأبيت فلم يزل بي حتى قمت فأخذت بأذنه فعركتها وهو يقول شد شد حتى إذا رأني قد بلغت ما بلغ مني قال حسبك ثم قال واها للقساء في الدنيا أخرج فأنت حر وما معك لك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية نزلت في معاذة ومسيكة جاريتي عبد الله بن أبي المنافق كان يكرههما على الزنا بضريبة يأخذ منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون إماءهم فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فإن يك خيرا فقد استكثرنا منه وإن يك شرا فقد أن لنا أن ندعه فأنزل الله سبحانه هذه الآية وقال مقاتل نزلت في ست جوار لعبد الله بن أبي كان يكرههن على الزنا ويأخذ أجورهن وهن معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة فجاءته إحداهن ذات يوم بدينار وجاءت أخرى ببرد فقال لهما أرجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاءنا الله بالإسلام وحرم الزنا فأتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا إليه فأنزل الله سبحانه هذه الآية وروى معمر عن الزهري أن عبد الله بن أبي أسر رجلا من قريش يوم بدر وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذة فكان القرشي الأسير يريدتها على نفسها وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه وكان ابن أبي يكرهها على ذلك وبضربها رجاء أن تحمل للقرشي فيطلب فداء ولده فأنزل الله سبحانه ولا تكرهوا فتياتكم إماءكم على البغاء أي الزنا إن أردن تحصنا يعني إذ وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا إن لم يردن تحصنا ونظيره قوله سبحانه وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين وقوله وأتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أي إذ وقوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين يعني إذ شاء الله والتحصن التعفف وقال الحسين بن الفضل في الآية تقديم وتأخير تقديرها وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصنا ثم قال ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن بعد ورود النهي فإن الله من بعد إكراههن

(5/478)

لهن غفور رحيم والوزر على المكره وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا خيرا وعبرة من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضي

صلى الله عليه وسلم ء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكواة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب الله نور السموات والأرض قال ابن عباس الله هادي أهل السموات والأرض لا هادي فيهما غيره فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وليس يهتدي ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بهدى منه الضحاك والقرظي منور السموات والأرض مجاهد مدبر الأمور فى السموات والأرض أبي بن كعب وأبو العالية والحسن مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين وقال بعضهم يعنى الأنوار كلها منه كما يقال فلان رحمة وسخطة وهو لا يكون فى نفسه رحمة ولا سخطة وإنما يكون منه الرحمة والسخطة وقال بعض أهل المعاني أصل النور هو التبرئة والتصفية يقال امرأة نوار ونساء نوار إذا كن متعريات من الريبة والفحشاء قال الشاعر نوار فى صواحبها نوار كما فاجاك سرب أو صوار فمعنى النور هو المنزه من كل عيب وقال بعض العلماء النور على أربعة أوجه نور متلألئ ونور متولد ونور من جهة صفاء اللون ونور من جهة المدح فالنور المتلألئ مثل قرص الشمس والقمر والكواكب وشعلة السراج والمتولد هو الذي يتولد من شعاع الشمس والقمر والسراج فيقع على الأرض

(5/479)

فيستتير به والذي هو من صفاء اللون مثل نور اللآكئ واليواقيت وسائر الجواهر وكل شىء له نور صاف والذي هو من جهة المدح قول الناس فلان نور البلد وشمس العصر قال الشاعر فإنك شمس والملوك كواكب إذا ما بدت لم يبد منهن كوكب وقال آخر قمر القبائل خالد بن يزيد وقال آخر إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها ويجوز أن يقال الله سبحانه نور من جهة المدح لأنه واجد الأشياء ونور جميع الأشياء منه دون سائر الأوجه لأن النور المحسوس الذي هو ضد الظلمة لا يخلو من شعاع وارتفاع وسطوع ولموع وهذه كلها منفية عن الله سبحانه لأنها من أمارات الحدث قالوا ولا يجوز أن يقال لله يا نور إلا أن يضم إليه شىء كما لا يجوز أن يقال يا بديع إلا أن يضم إليه شىء كما قال الله سبحانه بديع السموات والأرض نور السموات والأرض وقرأ علي بن أبي طالب الله نور السموات والأرض على الفعل مثل نوره اختلفوا فى هذه الكناية فقال بعضهم هي عائدة الى المؤمن أي مثل نوره فى قلب المؤمن حيث جعل الإيمان والقرآن فى صدره روى الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب فى هذه الآية قال بدا بنور نفسه فذكره ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نوره وهكذا كان يقرأ أبي مثل نور من آمن به وقال ابن عباس والحسن وزيد بن أسلم وابنه أراد بالنور القرآن وقال كعب وسعيد بن جبير هو محمد صلى الله عليه وسلم ومثله روى مقاتل عن الضحاك أضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلاً وروى عطية عن ابن عباس قال يعنى بالنور الطاعة يسمى طاعته نورا ثم ضرب لها مثلاً كمشكاة قال أهل المعاني هذا من المقلوب أي كمصباح فى

مشكوة وهي الكوة التي لا منفذ لها وأصلها الوعاء يجعل فيها الشيء
والمشكاة وعاء من أدم يبرد فيه الماء وهي على وزن مفعلة كالمقراة
والمصفاة قال الشاعر

(5/480)

كأن عينيه مشكاتان في حجر قيضا اقتياضا بأطراف المناقير وقيل المشكوة
عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وقال مجاهد هي القنديل فيها مصباح أي سراج
وأصله من الضوء ومنه الصبح ورجل صبح الوجه ومصيح إذا كان وضيقاً وفرق
قوم بين المصباح والسراج فقال الخليل المصباح نفس السراج وقيل السراج
أعظم من المصباح لأن الله سبحانه سمي الشمس سراجاً فقال سراجاً وهاجاً
ووجعل فيها سراجاً وقال في غيرها من الكواكب ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح المصباح في زجاجة قرأ نصر بن عاصم زجاجة بفتح الزاي الباقون
بضمه قال الأخفش فيها ثلاث لغات ضم الزاي وفتح وكسره كأنها كوكب دري
أي ضخم مضيء ودراري النجوم عظامها واختلف القراء فيه فقرأ أبو عمرو
والكسائي مكسورة الدال مهموزة الياء ممدودة وهو من قول العرب درأ النجم
إذا طلع وارتفع ومن مكان إلى آخر رجع وإذا انقض في أثر الشيطان فأسرع
وأصله من الرفع ووزنه من الفعل فعيل وقرأ حمزة وأبو بكر مضمومة الدال
مهموزة ممدودة قال أكثر النحاة هي لحن لأنه ليس في الكلام فعيل بضم الفاء
وكسر العين قال أبو عبيد وأنا أرى لها وجهاً وذلك أنه درو على وزن فعول من
درأت مثل سيوح وقدوس ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه فردوا بعضها إلى
الكسرة كما قالوا عتيا وهو فعول من عتوت وقال بعضهم هو مشتق على هذه
القراءة من الدراة وهي البياض ويقال منه ملح دراني وقرأ سعيد بن المسيب
وأبو رجاء العطاردي بفتح الدال وبالهمز قال أبو حاتم هو خطأ لأنه ليس في
الكلام فعيل وإن صح منهما فهما حجة وقرأ

(5/481)

الباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همز نسبه إلى الدر في صفائه وهي
اختيار أبي عبيد وأبي حاتم ثم قال أبو عبيد وإنما اخترنا هذه القراءة لعل ثلاث
إحداها ما جاء في التفسير أنه منسوب إلى الدر لبياضه والثانية للخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الدرّي
في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماً والثالثة إجماع أهل الحرمين
عليها يوحد اختلاف القراء فيه أيضاً فقرأ شيبه ونافع وأيوب وابن عامر وعاصم
برواية حفص بياء مضمومة يعنون المصباح وقرأ حمزة والكسائي وخلف برواية
أبي بكر بياء مضمومة أرادوا الزجاجة وقرأ بن محيص بياء مفتوحة وتشديد
القاف ورفع الدال على معنى تتوقد الزجاجة وقرأ الآخرون بفتح التاء والقاف
والدال على المضيء يعنون المصباح من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا
غربية قال عكرمة وجماعة يعني لا يسترّها من الشمس جبل ولا واد فإذا
طلعت الشمس أصابتها وإذا غربت أصابتها فهي صاحبة للشمس طول النهار
وليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت ولا هي غربية وحدها

فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت بل تأخذ حظها من الأمرين وإذا كان كذلك كان أجود وأضوأ لزيتها وقال السدي وجماعة يعني ليست في مقنوة لا تصيبها الشمس ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل فهي لم يضرها الشمس ولا الظل وقال بعضهم هي معتدلة ليست من شرق فيلحقها الحر ولا في غرب فيضر بها البرد وهي رواية ابن ظبيان عن ابن عباس وقال ابن زيد هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي تقول هي شرقية وغربية وهذا كقولك فلان لا مسافر ولا مقيم وليس هذا بأبيض ولا أسود إذا كان له من كلا الأمرين قسط ونصيب قال الشاعر بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

(5/482)

يعني فعلوا هذا وقال الحسن ليس هذه الشجرة من شجر الدنيا ولو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله سبحانه لنوره وقد أفصح القرآن بأنها من شجر الدنيا لأنها بدل من الشجرة فقال زيتونة وإنما خص الزيتون من بين سائر الأشجار لأن دهنها أضوأ وأصفر وقيل لأنه يورق غصنها من أوله إلى آخره ولا يحتاج دهنه إلى عصار يستخرجه وقيل لأنها أول شجرة نبتت من الدنيا وقيل بعد الطوفان وقيل لأن منبتها منزل الأنبياء والأولياء والأرض المقدسة وقيل لأنه بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام قال لذلك قال مباركة أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الحافظ في داري قال حدثنا عبد الله ابن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا أحمد بن عيسى بن السكين البلدي قال حدثني هاشم ابن القاسم الحراني قال حدثنا يعلى بن الأشدق عن عمه عبد الله بن حراد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك في الزيت والزيتون اللهم بارك في الزيت والزيتون وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا محمد بن علي بن الحسن الصوفي قال حدثنا أبو شعيب الحراني قال حدثني أحمد بن عبد الملك قال حدثنا زهير قال حدثنا عبد الله بن عيسى عن عطاء عن أبي أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة وأخبرني الحسين بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيق قال سمعت أبي يقول حدثنا أبو حمزة عن جابر عن أبي الطفيل عن عبد الله بن ثابت الأنصاري قال دعا بنيه ودعا بزيت فقال ادهنوا رؤوسكم فقالوا لا ندهن رؤوسنا بالزيت قال فأخذ العصا وجعل يضربهم ويقول أترغبون عن دهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عبد الله بن يوسف بن ماموله قال أخبرنا محمد بن عمر بن الخطاب الدينوري قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن سنان قال حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال حدثنا أبي قال

(5/483)

حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت

الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور
ثم قال سبحانه يكاد زيتها تضيء من صفائه وضيائه ولو لم تمسسه نار قيل أن
تصبيه نار واختلف العلماء في معنى هذا المثل والممثل وفي المعنى بالمشكاة
والزجاجة والمصباح فقال قوم هذا مثل ضربه الله سبحانه لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال له
حدثني عن قوله سبحانه وتعالى مثل نوره كمشكاة الآية فقال كعب هذا مثل
ضربه الله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة
قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة وهي شجرة النبوة يكاد نور
محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو
لم تمسسه نار أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال حدثنا أبو عثمان البصري قال حدثنا
أحمد بن سلمة قال حدثنا الحسين بن منصور قال حدثنا أبان بن راشد الحرزي
قال حدثنا الوراق بن نافع عن سالم عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة
جوف محمد والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله فيه لا شرقية ولا
غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة إبراهيم نور على نور النور
الذي جعل الله في قلب إبراهيم كما جعل في قلب محمد صلى الله عليه
وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة إبراهيم والزجاجة إسماعيل
المصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله مصباحا كما سماه سراجا
فقال عز من قائل وسراجا منيرا يوقد من شجرة مباركة وهي إبراهيم سماه
مباركا لأن أكثر الأنبياء كانوا من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني إبراهيم لم يكن
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وإنما قال ذلك لأن اليهود تصلي قبل
المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يعني تكاد
محاسن محمد تظهر للناس قبل أن أوحى إليه نور على

(5/484)

نور أي نبي من نسل نبي وروى مقاتل عن الضحاك قال شبه عبد المطلب
بالمشكاة وعبد الله بالزجاجة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح كان في
صلبهما فورث النبوة من إبراهيم عليه السلام يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا
شرقية ولا غربية بل هي مكية لأن مكة وسط الدنيا ووصف بعض البلغاء هذه
الشجرة فقال هي شجرة التقى والرضوان وشجرة الهدى والإيمان شجرة
أصلها نبوة وفرعها مروة وأغصانها تنزيل وورقها تأويل وخدمها جبرئيل
وميكائيل وقال آخرون هذا مثل ضربه الله سبحانه للمؤمن روى الربيع بن أنس
عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه
والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله سبحانه من الإيمان والقرآن في قلبه
توقد من

(5/485)

شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده لا شريك له فمثله مثل شجرة التف بها
الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت
ولا إذا غربت وكذلك المؤمن قد أجبر من أن يصيبه شيء من الفتن وقد ابتلي

بها فيثبته الله تعالى فيها فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر وإن ابتلي صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات ثم قال نور على نور فهو ينقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة الى الجنة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإن مسته النار ازداد ضوءاً على ضوءه كما يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور كقول إبراهيم عليه السلام قبل أن تجيئه المعرفة هذا ربي حين رأى الكوكب من غير أن أخبره أحد أن له ربا فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هدى على هدى ثم قال نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله وقال الحسن وابن زيد هذا مثل للقرآن في قلب المؤمن فكما أن هذا المصباح يستضاء به وهو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به و يؤخذ به ويعمل به فالمصباح هو القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يقول تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم تقرأ وقيل تكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن فكر فيها وتدبرها ولو لم ينزل القرآن نور على نور يعني أن القرآن نور من الله يخلقه مع ما قد أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور ثم أخبر أن هذا النور المذكور عزيز فقال عز من قائل يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس تقريبا للشيء الذي أراده إلى الأفهام وتسهيلا لسبيل الإدراك على الأنام والله بكل شيء عليم ثم قال عز من قائل في بيوت

(5/486)

نظم الآية ذلك المصباح في بيوت ويجوز أن يكون معناه توقد في بيوت وهي المساجد عن أكثر المفسرين أخبرني ابن فنجويه الدينوري قال حدثنا ابن حنش المقرئ قال حدثنا محمد بن أحمد ابن إبراهيم الجوهري قال حدثنا علي بن أشكاب قال حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي عن بكير ابن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المساجد بيوت الله عز وجل في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض وقال عمرو بن ميمون أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون المساجد بيوت الله وحق على الله أن يكرم من زاره فيها وأخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال حدثنا عبيد الله بن ثابت الحريري قال حدثنا أبو سعيد الأشج قال حدثنا أبو أسامة عن صالح بن حيان عن ابن أبي بريدة في قوله سبحانه في بيوت أذن الله أن ترفع الآية قال إنما هي أربع مساجد لم بينها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الدينوري قال حدثنا أبو زرعة أحمد بن الحسين بن علي الرازي قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني بالكوفة قال حدثنا المنذر بن محمد القابوسي قال حدثني الحسين بن سعيد قال حدثني أبي عن أبان بن تغلب عن نفع بن الحرث

عن أنس بن مالك وعن بريدة قالاً قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه إلى قوله والأبصار فقام رجل فقال أي بيوت هذه يا رسول الله قال بيوت الأنبياء قال فقام إليه أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة قال نعم من أفاضلها الصادق بيوت النبي صلى الله عليه وسلم السدي المدينة وأولى الأقوال بالصواب أنها المساجد لدلالة سياق الآية على أنها بيوت

(5/487)

بنيت للصلاة والعبادة فإن قيل ما الوجه في توحيد المشكاة والمصباح وجمع البيوت لا يكون مشكاة واحدة إلا في بيت واحد قلنا هذا من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد وبختم بالجمع كقوله سبحانه يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ونحوها وقيل رجع إلى كل واحد من البيوت وقيل هو مثل قوله سبحانه وجعل القمر فيهن نورا وإنما هو في واحدة منها أن ترفع أي تبنى عن مجاهد نظيره قوله سبحانه وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل وقال الحسن تعظيم ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه يسبح له فيها قرأ قتادة وأشهب العقيلي ونصر بن عاصم الليثي وابن عامر وعاصم بفتح الباء على غير تسمية الفاعل ثم قال رجال أي هم رجال كما يقال ضرب زيد وأكل طعامك فيقال من فعل فيبين فيقول فلان وفلان والوقف على هذه القراءة عند قوله والآصال وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلا للرجال قال ابن عباس كل تسبيح في القرآن صلاة يدل عليه قوله سبحانه بالغدو والآصال أي بالغدوة والعشى قال المفسرون أراد الصلوات المفروضة فالصلاة التي تؤدي بالغدو صلاة الفجر والتي تؤدي في الآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل لجميعها أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنية قال حدثنا عمير بن مرداس قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يغدو ويروح إلى المسجد ويوتره على ما سواه إلا وله عند الله نزل معدله في الجنة كلما غدا وراح كما لو أن أحدكم زاره من يحب زيارته في كرامته وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال حدثنا أبو سلمة يحيى بن المغيرة المخزومي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحسني عن إبراهيم المدني عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدا إلى المسجد وراح ليتعلم

(5/488)

خيرا أو يعلمه كان كمثل المجاهد في سبيل الله رجع غانما ومن غدا إليه لغير ذلك كان كالناظر إلى الشيء ليس له يرى المصلين وليس منهم ويرى الذاكرين وليس منهم ثم وصفهم فقال رجال قيل وجه تخصيص الرجال بالذكر في هذه البيوت أنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المساجد لا تلهيهم تجارة قال أهل

المعاني إنما خص التجارات لأنها أعظم ما يشتغل بها الإنسان عن الصلوات وسائر الطاعات ولا بيع إن قيل إن التجارة اسم يقع على البيع والشراء فما معنى ضم ذكر البيع الى التجارة فالجواب عنه ما قال الواقدي أنه أراد بالتجارة الشراء نظيره قوله سبحانه وإذا رأوا تجارة يعني الشراء عن ذكر الله وإقام الصلوة أي إقامة الصلاة فحذف الهاء الزائدة لأجل الإضافة لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف إليه من الهاء إذ كانت الهاء عوضاً من الواو ولأن أصل الكلمة أقومت إقواماً فاستثقلوا الضمة على الواو فسكنوها فاجتمع حرفان ساكنان فأسقطوا الواو ونقلوا حركته الى القاف وأبدلوا من الواو المحذوفة هاء في آخر الحرف كالتكثير للحرف كما فعلوا في قولهم عدة وزنة وأصلها وعدة ووزنة فلما أضيفت حذفت الهاء وجعلت الإضافة عوضاً منها كقول الشاعر إن الخليط أجدوا البين وانجردوا وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا أراد عدة الأمر فأسقط الهاء منها لما أضافها وإيتاء الزكاة المفروضة عن الحسن وقال ابن عباس الزكاة إخلاص الطاعة لله سبحانه وتعالى قال ابن حيان هم أهل الصفة وأخبرني ابن فنجويه قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرني عمرو بن دينار مولى لآل الزبير عن سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الدينوري قال

(5/489)

حدثنا أبو سعيد أحمد بن عمر بن حبيش الرازي قال حدثنا علي بن طيفور النسائي قال حدثنا قتيبة قال حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي حجير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للمساجد أوتادا الملائكة جلساؤهم يتفقونهم وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا في حاجة أعانوهم وقال جليس المسجد على ثلاث خصال أخ مستفاد أو كلمة محكمة أو رحمة منتظرة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع في النجاة وحذر من الهلاك والأبصار أي ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وذلك يوم القيامة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن أي بأحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ما لم يستحقوه بأعمالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا صلى الله عليه وسلم أعمالهم كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ألم تر أن الله يسبح له من فى السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء

يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى
الابصار ثم ضرب لأعمال الكافرين مثلاً فقال عز من قائل والذين كفروا
أعمالهم كسراب وهو الشعاع الذي تراه نصف النهار في البراري عند شدة
الحر كأنه ماء فإذا قرب منه الإنسان انفض فلم ير شيئاً وسمى سراباً لأنه
ينسرب أي يجري كالماء ببقية وهو جمع

(5/490)

القاع مثل جار وجيرة والقاع المنبسط الواسع من الأرض وفيه يكون السراب
يحسبه الظمان يظنه العطشان ماء حتى إذا جاءه يعني ما قدر أنه ماء فلم
يجده على ما قدر وقيل معناه جاء موضع السراب فاكتفى بذكر السراب عن
موضعه كذلك الكافر يحسب أن عمله مغنى عنه أو نافعه شيئاً فإذا أتاه الموت
 واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً ولا نفعه ووجد الله عنده أي وجد
الله بالمرصاد عند ذلك فوفاه حسابه جزاء عمله والله سريع الحساب أو
كظلمات وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لأعمال الكفار أيضاً يقول مثل
أعمالهم في خطائها

(5/491)

وفسادها وضلالتهم وجهالتهم وحيرتهم فيها كظلمات في بحر لجي وهو العميق
الكثير الماء وذلك أشد ظلمة ولجة البحر معظمه يغشاه يعلوه موج من فوقه
موج متراكم من فوقه سحاب قرأ ابن كثير برواية النبال والفلنجي سحاب
بالرفع والتنوين ظلمات بالجر على البدل من قوله أو كظلمات روى البيهقي عنه
سحاب ظلمات بالاضافة وقرأ الآخرون سحاب ظلمات كلاهما بالرفع والتنوين
وتمام الكلام عند قوله سحاب ثم ابتداء فقال ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة
السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر قال المفسرون أراد بالظلمات أعمال
الكافر وبالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة
وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه قال أبي بن كعب في هذه الآية
الكافر ينقلب في خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة
ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار إذا أخرج يعني
الناظر يده لم يكذب يراها أي لم يقرب من أن يراها من شدة الظلمات وقال
الفراء كاد صلة أي لم يرها كما تقول ما كدت أعرفه وقال الميرد يعني لم يرها
إلا بعد الجهد كما يقول القائل ما كدت أراك من الظلمة وقد راه ولكن بعد ياس
وشدة وقيل معناه قرب من الرؤية ولم ير كما يقال كاد العروس يكون أميراً
وكاد النعام يطير ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يعني من لم يهده
الله فلا إيمان له قال مقاتل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين
في الجاهلية ولبس المسوح ثم كفر في الإسلام أخبرنا أبو عثمان سعيد بن
محمد بن محمد بن إبراهيم العدل قال حدثنا أبو الحسين محمد بن منصور
الواعظ قال حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد قال حدثنا محمد ابن
يونس الكديمي قال حدثنا عبيد الله بن عائشة قال حدثنا حماد بن سلمة عن
ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى خلقني

من نوره وخلق أبا بكر من نوري وخلق عمر وعائشة من نور أبي بكر وخلق
المؤمنين من أمتي من الرجال من نور

(5/492)

عمر وخلق المؤمنات من أمتي من النساء من نور عائشة فمن لم يحبني
ويحب أبا بكر وعمر وعائشة فما له من نور فنزلت عليه ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور ألم تر أن الله يسبح له مافي السموات والأرض والطيور
صافات أجنحتهن في الهواء
كل قد علم صلواته وتسبيحه قال المفسرون الصلاة لبني آدم والتسبيح عام
لغيرهم من الخلق وفيه وجوه من التأويل أحدها كل مصل ومسيح قد علم الله
صلواته وتسبيحه والثاني كل مسيح ومصل منهم قد علم صلوة نفسه وتسبيحه
الذي كلفه الله وقد علم كل منهم صلاة الله من تسبيحه والله عليم بما يفعلون
ولله ملك السموات والأرض أي تقديرها وتدير أمورها وتصريف أحوالها كما
يشاء وإلى الله المصير ألم تر أن الله يزوجي يسوق سحابة إلى حيث يريد ثم
يؤلف بينه أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض والسحاب
جمع وإنما ذكر الكناية على اللفظ ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض
فترى الودق يخرج من خلاله وسطه وهو جمع خلل وقرأ ابن عباس والضحاك
من خلله وينزل من السماء من جبال فيها من برد أي البرد ومن صلة وقيل
معناه وينزل من السماء قدر جبال أو مثال جبال من برد إلى الأرض فمن
الأولى للغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء والثانية للتبعيض لأن البرد بعض
الجبال التي في السماء والثالثة لتبيين الجنس لأن جنس تلك الجبال جنس
البرد فيصيب به أي بالبرد من يشاء فيهلكه ويهلك زروعه وأمواله ويصرفه
عمن يشاء يكاد سنا برقه أي ضوء برق السحاب يذهب بالأبصار من شدة ضوئه
وبريقه وقرأ أبو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء غيره من الذهاب يقلب الله
الليل والنهار يصرفهما في اختلافهما وبعاقبهما إن في ذلك الذي ذكرت من
هذه الاشياء لعبرة لأولي الأبصار لذوي العقول أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا
أبو بكر بن مالك القطيعي قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني
أبي قال حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله

(5/493)

عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر
أقلب الليل والنهار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه
ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء
إن الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبینات والله يهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم ويقولون أمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من
بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعو صلى الله عليه وسلم إلى الله
ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم

الحق يأتي صلى الله عليه وسلم إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا صلى الله عليه وسلم أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا صلى الله عليه وسلم إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون والله خلق كل دابة خالق على الاسم كوفي غير عاصم الباقون خلق كل دابة على الفعل من ماء أي من نطفة وقيل إنما قال من ماء لأن أصل الخلق من الماء ثم قلب بعض الماء إلى الريح فخلق منها الملائكة وبعضه إلى النار فخلق منه الجن وبعضه إلى الطين فخلق منه آدم فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات والحيتان ومنهم من يمشي على رجلين كالطير ومنهم من يمشي على أربع قوائم كالأنعام والوحوش والسباع ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع لأنه كالذي يمشي على أربع في رأي العين يخلق الله ما يشاء كما يشاء إن الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا يعني المنافقين ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ويدعو إلى غير حكم الله قال الله سبحانه وتعالى وما أولئك بالمؤمنين نزلت هذه الآيات في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره

إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا يحيف علينا فذلك قوله وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم الرسول بحكم الله إذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين مطيعين منقادين لحكمه أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا يعني أنهم كذلك فجاء بلفظ التوبيخ ليكون أبلغ في الذم كقول جرير في المدح أستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح يعني أنتم كذلك أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله أي يظلم بل أولئك هم الظالمون لأنفسهم بإعراضهم عن الحق والواضعون المحاكمة في غير موضعها

إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم نصب القول على خبر كان واسمه في قوله ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك إن أقمت أقمنا وإن خرجت خرجنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله سبحانه قل لهم لا تقسموا طاعة معروفة أي هذه طاعة بالقول واللسان دون الاعتقاد فهي معروفة منكم بالكذب أنكم تكذبون فيها وهذا معنى قول مجاهد وقيل معناه طاعة معروفة أمثل وأفضل من هذا القسم الذي تحثون فيه إن الله خير بما تعملون من طاعتكم ومخالفتكم قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا عن طاعة الله ورسوله والاذعان بحكهما فإنما عليه أي على الرسول ما حمل كلف وأمر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم من طاعته ومتابعته وإن تطيعوه تهتدوا سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عقيل الوراق في آخرين قالوا سمعنا أبا عمرو إسماعيل بن نجيد السلمي يقول سمعت أبا عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري يقول من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة لقول الله سبحانه وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض إنما أدخل اللام بجواب اليمين المضمرة لأن الوعد قول مجازها وقال الله سبحانه الذين آمنوا وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم في الأرض أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وسائسها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني إسرائيل إذ أهلك الجابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم وقرأه العامة كما استخلف بفتح التاء واللام لقوله سبحانه وعد الله وقوله ليستخلفنهم وروى أبو بكر عن عاصم بضم التاء

(5/497)

وكسر اللام على مذهب ما لم يسم فاعله وليمكنن وليوطنن لهم دينهم ملتهم التي ارتضاها لهم وأمرهم بها وليبدلنهم قرأ ابن كثير وعاصم ويعقوب بالتخفيف وهو اختيار أبي حاتم غيرهم بالتشديد وهما لغتان وقال بعض الأئمة التبديل تغيير حال إلى حال والإبدال رفع شيء وجعل غيره مكانه من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بهذه النعمة بعد ذلك وأثر يعني الكفر بالله فأولئك هم الفاسقون روى الربيع عن أبي العالية في هذه الآية قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا يدعو إلى الله سرا وعلانية ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فمكث بها هو وأصحابه خائفين يصبحون في السلاح ويمسسون فيه فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبيا ليس فيه حديده وأنزل الله سبحانه هذه الآية فأنجز الله وعده وأظهره على جزيرة العرب فأمنوا ثم تجبروا وكفروا بهذه النعمة وقتلوا عثمان بن عفان فغير الله سبحانه ما بهم وأدخل الخوف الذي كان رفعه عنهم وقال مقاتل لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية حزن أصحابه فأطعمهم الله نخل خبير

ووعدهم أن يدخلوا العام المقبل مكة آمنين وأنزل هذه الآية قلت وفيها دلالة واضحة على صحة خلافة أبي بكر الصديق ح وإمامة الخلفاء الراشدين ج روى سعيد بن جهمان عن سفينة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة من بعدي ثلاثون ثم يكون ملكا قال سفينة أمسك خلافة أبي بكر سنتين وعمر عشرا وعثمان ثنتي عشرة وعلي ستة وأخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبراني بها قال أخبرنا شافع بن محمد قال حدثنا ابن الوشاء قال حدثنا ابن إسماعيل البغدادي قال حدثنا محمد بن الصباح قال حدثنا هشيم بن بشير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي في أمتي في أربع أبي بكر

(5/498)

وعمر وعثمان وعلي وأقيموا الصلوة وآتوا الزكواة وأطيعوا الرسول لعلمكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض وماوأهم النار وليئس المصير يا أيها الذين ءامنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك بين الله لكم الايات والله عليم حكيم وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك بين الله لكم ءاياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا

(5/499)

يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعفن خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسيكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت ءابائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك بين الله لكم الايات لعلمكم تعقلون إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا صلى الله عليه وسلم إن لله ما فى السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبتهم بما عملوا والله بكل شىء عليم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكواة وأطيعوا الرسول لعلمكم ترحمون لا تحسبن يا محمد الذين كفروا هذه قراءة العامة وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على معنى لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين لأن الحسبان يتعدى إلى

مفعولين وقال الفراء يجوز أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا يحسبن محمد الكافرين معجزين في الأرض وماوايهم النار وليئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته فقال يا رسول الله وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستيذان فأنزل الله سبحانه هذه الآية وقال

(5/500)

مقاتل نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وعلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فأنزل الله سبحانه يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم اللام لام الأمر الذين ملكت أيمانكم يعني العبيد والإماء والذين لم يبلغوا الحلم من الأحرار ثلاث مرات في ثلاثة أوقات من قبل صلواة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة للقائلة ومن بعد صلواة العشاء روي عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلواتكم فإن الله سبحانه قال ومن بعد صلواة العشاء وإنما العتمة عتمة الابل وإنما خص هذه الأوقات لأنها ساعات الغفلة والخلو ووضع الثياب والكسوة فذلك قوله سبحانه ثلاث عورات لكم

(6/1)

قرأ أهل الكوفة ثلاث بالنصب ردا على قوله ثلاث مرات ورفع الآخرون على معنى هذه ثلاث عورات ليس عليكم ولا عليهم يعني العبيد والخدم والأطفال جناح على الدخول بغير إذن بعدهن أي بعد هذه الأوقات الثلاثة طوافون أي هم طوافون عليكم يدخلون ويخرجون ويذهبون ويحيؤون ويترددون في أحوالهم وأشغالهم بغير إذن بعضكم يطوف على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هو منسوخ لا يعمل به اليوم أخبرنا أبو محمد الرومي قال أخبرنا أبو العباس السراج قال حدثنا قتيبة قال حدثنا عبد العزيز عن عمرو عن عكرمة أن نفرا من أهل العراق قالوا لابن عباس كيف ترى في هذه الآية أمرنا فيها بما أمرنا فلا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس إن الله رفيق حليم رؤوف رحيم يحب الستر وكان الناس ليست لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم والولد والرجل على أهله فأمرهم الله سبحانه وتعالى بالاستيذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك وقال آخرون هي محكمة والعمل بها واجب روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قلت أمنسوخة هي قال لا والله ما نسخت قلت إن الناس لا يعملون بها قال الله المستعان وروى أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال إن ناسا تقول نسخت والله ما نسخت ولكنها مما يتهاون به

الناس وإذا بلغ الأطفال منكم أي من أحراركم الحلم فليستأذنوا في جميع الأوقات في الدخول عليكم كما استأذن الذين من قبلكم يعني الأحرار الكبار كذلك يبين الله آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء يعني اللاتي قعدن عن الولد من الكبر فلا يحضن ولا يلدن واحدها قاعدة التي لا يرجون نكاحا لا يطمعن في التزوج وأيسن من البعولة فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن عند الرجال

(6/2)

يعني جلابيهن والقناع الذي فوق الخمار والرداء الذي يكون فوق الثياب يدل على هذا التأويل قراءة أبي بن كعب أن يضعن من ثيابهن غير متبرجات بزينة يعني من غير أن يردن بوضع الجلاب والثياب أن ترى زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة محاسنها مما ينبغي لها أن تستره وأن يستعففن فيلبس جلابيهن خير لهن والله سميع عليم ليس على الأعمى حرج اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فقال ابن عباس لما أنزل الله سبحانه وتعالى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله سبحانه عن أكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض لا يستوفي الطعام فأنزل الله سبحانه هذه الآية وعلى هذا التأويل يكون على بمعنى في يعني ليس عليكم في مواكله الأعمى والأعرج والمريض حرج وقال سعيد بن جبير والضحاك ومقسم كان العرجان والعميان يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء لان الناس يتقززون منهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان أهل المدينة لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا أعرج ولا مريض تقززا فأنزل الله سبحانه هذه الآية وقال مجاهد نزلت هذه الآية ترخيصة للمرضى والزمنى في الأكل من بيوت من سمى الله سبحانه في هذه الآية وذلك أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أي بعض من سمى الله في هذه الآية فكان أهل الزمانة يتخرجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير مالكيه ويقولون إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم فأنزل الله سبحانه هذه الآية وروى عبد الرزاق عن معمر قال سألت الزهري عن هذه الآية فقال أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحللناكم أن تأكلوا مما في

(6/3)

بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فأنزلت هذه رخصة لهم وقال الحسن وابن زيد يعني ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله قالوا وههنا تمام الكلام وقوله ولا على أنفسكم الآية كلام منقطع عما قبله قال ابن عباس تخرج قوم عن الأكل من هذه البيوت لما نزل قوله سبحانه يا أيها الذين

آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد
فأنزل الله سبحانه هذه الآية ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت
آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو
بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه

(6/4)

قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمته في ضيعته وماشيته لا بأس عليه
أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وقال الضحاك يعني من بيوت
عبيدكم ومماليككم مجاهد وقتادة من بيوت أنفسكم مما اخترتم وملكتم وقرأ
سعيد بن جبير ملكتم بالتحديد قال ابن عباس نزلت هذه الآية في الحرث بن
عمرو خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا وخلف ملك بن زيد على
أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تخرجت أن آكل من
طعامك بغير إذنك فأنزل الله سبحانه هذه الآية وكان الحسن وقتادة يريان
دخول الرجل بيت صديقه والتخرج من طعامه من غير استئذان بهذه الآية أو
صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال قوم نزلت في حي
من كنانة يقال لهم بنو ليث بن عمرو كانوا يتخرجون أن يأكل الرجل الطعام
وحده فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى المساء الرواح
والشول جفل والأحوال منتظمة تخرجوا من أن يأكل وحده فإذا أمسى ولم يجد
أحدا أكل فأنزل الله سبحانه هذه الآية وهذا قول قتادة والضحاك وابن جريج
ورواية الوالبي عن ابن عباس وروى عطاء الخراساني عنه قال كان الغنى
يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول والله
إنى لأحتج أن أكل معك أي أتخرج وأنا غنى وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقال
عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف
إلا مع ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا حيث شاؤوا جميعا مجتمعين أو أشتاتا
متفرقين فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض
كقوله سبحانه ولا تقتلوا أنفسكم عن الحسن وابن زيد حدثنا ابن حبيب لفظا
في شهور سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة قال حدثنا أبو حاتم محمد بن حبان
البيستي قال حدثنا محمد بن صالح الطبري قال حدثنا الفضل بن سهل الأعرج
قال حدثنا محمد بن جعفر المدائني قال حدثنا ورقاء عن الأعمش

(6/5)

عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مر
بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بذكره إياهم بالسلام
فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب وحدثنا أبو القاسم قال
أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن العباس البغوي قال حدثنا أبو محمد عبد
الملك بن محمد بن عبد الوهاب البغوي قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال
أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن سمعان أن سعيد المقبري أخبره عن أبيه عن
أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا وقف أحدكم على

المجلس فليسلم فإن بدا له أن يقعد فليقعد وإذا قام فليسلم فإن الأولى ليست بأحق من الآخرة وقال بعضهم معناه فإذا دخلتم بيوت أنفسكم فسلموا على أهلکم وعيالکم وهو قول جابر بن عبد الله وطاووس والزهري وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار ورواية عطاء الخراساني عن ابن عباس قال فإن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله حدثنا ابن حبيب لفظا قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن كعب العدل إملاء قال حدثنا أبو نصر اليسع بن زيد بن سهل الرسي بمكة سنة اثنتين وثمانين ومائتين قال حدثنا سفيان بن عيينة عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه أصب على يديه الماء فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله بلى قال من لقيت من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار وقال بعضهم يعني فإذا دخلتم المساجد فسلموا على من فيها أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد قال

(6/6)

حدثنا محمد بن عبد الله بن مهمل الصنعاني قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم الآية قال إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله نصب على المصدر أي تحيون أنفسكم بها تحية وقيل على الحال بمعنى تفعلونه تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه أي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع يجمعهم من حرب أو صلاة في جمعة أو جماعة أو تشاور في أمر نزل لم يذهبوا لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك يا محمد أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثنا إسحاق بن محمد قال حدثنا أبي قال حدثنا إبراهيم بن عيسى قال حدثنا علي عن أبي حمزة الثمالي في هذه الآية قال هو يوم الجمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يقضي الحاجة والرجل به العلة لم يخرج من المسجد حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يراه فيعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم فإذا استأذنوك لبعض شأنهم أمرهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال ابن عباس يقول احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقال مجاهد وقتادة لا تدعوه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد ولكن فخموه وشرفوه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله في ليل وتواضع قد يعلم الله الذين يتسللون أي يخرجون ومنه تسلل القطا منكم أي المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه لوإذا

أي يستتر بعضكم ببعض ويروغ في خفة فيذهب واللواذ مصدر لاوذ بفلان يلاوذ
ملاوذة

(6/7)

ولو اذا ولو كان مصدرا للذت لقال لي اذا مثل القيام والصيام وقيل إن هذا في
حفر الخندق كان المنافقون ينصرفون بغير أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو اذا مختفين فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي أمره وعن صلة وقيل
معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه أن تصيهم فتنة أي قتل عن
ابن عباس عطاء الزلازل والأهوال جعفر بن محمد سلطان جائر يسلط عليهم
الحسن بلية تظهر ما في قلوبهم من النفاق أو يصيهم عذاب أليم وجيع عاجل
في الدنيا إلا إن لله ما في السموات والأرض عبيدا وملكا وملكا وخلقا ودلالة
على وجوده وتوحيده وكمال قدرته وحكمته قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون
إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

(6/8)

سورة الفرقان
مكية وهي ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفا وثمانمائة واثنان وتسعون
كلمة وسبع وسبعون آية أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن المقرئ
غير مرة قال حدثنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي والحافظ أبو
الشيخ عبد الله بن محمد الأصفهاني قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك
قال حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا سلام بن سليم قال حدثنا هارون بن كثير
عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن أن
الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب
بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في
الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا
نشورا وقال الذين كفروا صلى الله عليه وسلم إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه
عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا صلى الله عليه وسلم أساطير
الاولين اكتتبتها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في
السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيفا وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الأسواق لولا صلى الله عليه وسلم أنزل إليه ملك فيكون معه
نذيرا أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا
رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك
الذي صلى الله عليه وسلم إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من
تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا تبارك تفاعل من البركة عن ابن عباس كان
معناه جاء بكل بركة دليله قول

الحسن تجيء البركة من قبله الضحاك تعظم الخليل تمجد وأصل البركة النماء والزيادة وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت يقال برك الطير على الماء وبرك البعير ويقال تبارك الله ولا يقال لله متبارك أو مبارك لأنه ينتهي في صفاته وأسمائه الى حيث ورد التوقيف الذي نزل الفرقان القرآن على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين الجن والإنس نذيرا قال بعضهم النذير هو القرآن وقيل هو محمد الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء مما يطلق له صفة المخلوق فقدره تقديرا فسواه وهياً لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت واتخذوا يعني عبدة الأوثان من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا يعني النضر بن الحرث واصحابه إن هذا ما هذا القرآن إلا إفك افتراه اختلقه محمد وأعانه عليه قوم آخرون يعني اليهود عن مجاهد وقال الحسن بن عبيد بن الحضرة الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس مولى حويطب بن عبد العزى قال الله سبحانه وتعالى فقد جاؤوا يعني ما يلي هذه المقالة ظلما وزورا ينسبتهم كلام الله سبحانه الى الإفك والافتراء وقالوا أيضا أساطير الأولين أكتبتها فهي تملى عليه تقرأ عليه بكرة وأصيلا ثم قال سبحانه وتعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيفا وقالوا مال هذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الأسواق يلتمس المعاش لولا أنزل إليه ملك يصدقه فيكون معه نذيرا داعيا أو يلقي إليه كنز ينفقه فلا يحتاج الى التصرف في طلب المعاش أو تكون له جنة يستنان يأكل منها هو هذه قراءة العامة وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون أي نأكل نحن وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا نزلت هذه الآية في قصة ابن أبي

أمية وقد مر ذكرها في بني إسرائيل انظر يا محمد كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا إلى الهدى ومخرجا من الضلالة فأخبر الله أنهم متمسكون بالجهل والضلال عادلون عن الرشيد والصواب وهم مع ذلك كانوا مكلفين بقبول الحق فثبت أن الاستطاعة التي بها الضلال غير الاستطاعة التي يحصل بها الهدى والإيمان تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك أي مما قالوا عن مجاهد وروى عكرمة عن ابن عباس قال يعني خيرا من المشي في الأسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير ما هو فقال سبحانه وتعالى جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا أي بيوتا مشيدة وسمي قصرا لأنه قصر أي حبس ومنع من الوصول إليه واختلف القراء في قوله ويجعل فرفع لامه ابن كثير وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر والمفضل وجزمه الآخرون على محل الجزاء في قوله إن شاء جعل

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد بن حمدون النيسابوري قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري قال حدثنا محمد بن حميد بن فروة البخاري قال حدثنا أبو حذيفة إسحاق بن بشر البخاري قال حدثنا جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال لما غير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة فقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق حزن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك ونزل عليه جبرئيل من عند ربه معزيا له فقال السلام عليك يا رسول الله رب العزة يقرئك السلام ويقول لك وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويتبعون المعاش في الدنيا قال فبينما جبرئيل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان إذ ذاب جبرئيل حتى صار مثل الهردة قيل يا رسول الله وما الهردة قال العدسة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل مالك ذبت حتى صرت مثل الهردة قال يا محمد فتح باب من أبواب السماء لم يكن فتح قبل ذلك فتحول الملك وأنه إذا فتح باب من السماء لم يكن فتح قبل ذلك فتحول الملك إما أن يكون

(6/11)

رحمة أو عذابا وإني أخاف أن يعذب قومك عند تعبيرهم إياك بالفاقة فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم وجبرئيل عليه السلام يبكيان إذ عاد جبرئيل فقال يا محمد أبشر هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضى من ربك فأقبل رضوان حتى سلم ثم قال يا محمد رب العزة يقرئك السلام ومعه سبط من نور يتلأأ ويقول لك ربك هذه مفاتيح خزائن الدنيا مع ما لا ينتقص لك مما عندي في الآخرة مثل جناح بعوضة فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبرئيل عليه السلام كالمستشير له فضرب جبرئيل بيده الأرض وقال تواضع لله فقال يا رضوان لا حاجة لي فيها الفقر أحب الي وأن أكون عبدا صابرا شكورا فقال رضوان أصبت أصاب الله بك وجاء نداء من السماء فرفع جبرئيل رأسه فإذا السموات قد فتحت أبوابها إلى العرش

(6/12)

وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى جنة عدن أن تدلي غصنا من أغصانها عليه عذق عليه غرفة من زبرجدة خضراء لها سبعون ألف من ياقوتة حمراء فقال جبرئيل يا محمد ارفع بصرك فرفع فرأى منازل الأنبياء وعرفهم وإذا منازلهم فوق منازل الأنبياء فضلا له خاصة ومناد ينادي أرضيت يا محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرضيت فاجعل ما أردت أن تعطيني في الدنيا ذخيرة عندك في الشفاعة يوم القيامة ويروون أن هذه الآية أنزلها رضوان تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثورا لا تدعوا اليوم ثورا واحدا وادعوا ثورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضلتم عبادي هاؤلاء أم

هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء
ولاكن متعتهم وءآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما
تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم ندقه عذابا كبيرا وما
أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا بل كذبوا بالساعة وأعدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا أي غليانا
وفوراناً كالغضبان إذا غلا صدره من الغضب وزفيرا ومعنى قوله سمعوا لها
تغيظا أي صوت التغيظ من التلهب و التوقد وقال قطرب التغيظ لا يسمع وإنما
المعنى رأوا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا قال الشاعر ورأيت زوجك في الوغى
مقلدا سيفا ورمحا أي حاملا رمحا أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا أبو
بكر بن خرجة قال حدثنا أبو جعفر بن أبي شيبه قال حدثني

(6/13)

عمي أبو بكر قال حدثنا محمد بن يزيد عن الأصبع بن زيد الوراق عن خالد بن
كثير عن خالد بن دريك عن رجل من أصحاب رسول الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا فقال يا رسول الله وهل
لها من عيين قال نعم ألم تسمع إلى قول الله سبحانه إذا رأتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا قال ابن عباس يضيق عليهم
كما يضيق الزج في الرمح وأخبرني الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال
حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم قال قرئ
على يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني نافع عن يحيى بن
أبي أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن قول
الله سبحانه وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال والذي نفسي بيده إنهم
يستكروهن في النار كما يستكروه الودد في الحائط مقرنين مصفدين قد قرنت
أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ومنه قيل للحبل قرن وقيل مع الشياطين في
السلاسل والأغلال دعوا هنالك ثبورا وبلا عن ابن عباس هلاكا عن الضحاك روى
حماد عن علي بن زيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من
خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوره وهم ينادون يا ثبورهم حتى يصفوا
على النار فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل ذلك الذي
ذكرت من صفة النار وأهلها خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم
جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا وذلك أن
المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا ربنا وأنتا ما وعدتنا على رسلك
فقال الله سبحانه كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد وعدا وعدهم على
طاعته إياه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك وقال بعض أهل العربية يعني وعدا
واجبا وذلك أن المسؤول واجب وإن لم يسئل كالذين قال ونظير

(6/14)

ذلك قول العرب لأعطيتك ألفا وعدا مسؤولا بمعنى أنه واجب لك فتسأله وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا أبو علي بن حنش المقرئ قال حدثنا أبو القاسم بن الفضل المقرئ قال حدثنا علي بن الحسين قال حدثنا جعفر بن مسافر قال حدثنا يحيى بن حسان قال حدثنا رشد بن عمرو بن الحرث عن محمد بن كعب القرظي في قوله سبحانه وتعالى كان على ربك وعدا مسؤولا قال الملائكة تسأل لهم ذلك قولهم وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم نحشهم بالياء أبو جعفر وابن كثير ويعقوب وأيوب وأبو عبيد وأبو حاتم وحفص والباقون بالنون وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن عن مجاهد وقال عكرمة والضحاك يعني الأصنام فيقول بالنون ابن عامر غيره بالياء لهؤلاء المعبودين من دون الله ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء أي ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقرأ الحسن وأبو جعفر أن نتخذ بضم النون وفتح الخاء قال أبو عبيد هذا لا يجوز لأن الله سبحانه ذكر من مرتين ولو كان كما قالوا لقال أن نتخذ من دونك أولياء وقال غيره من الثاني صلة ولكن متعتهم وآباءهم في الدنيا بالصحة والنعمة حتى نسوا الذكر أي تركوا القرآن فلم يعملوا بما فيه وقيل الرسول وقيل الإسلام وقيل التوحيد وقيل ذكر الله سبحانه وتعالى وكانوا قوما بورا أي هلكت عليهم الشقاية والخذلان وقال الحسن وابن زيد البور الذي ليس فيه من الخير شيء قال أبو عبيد وأصله من البوار وهو الكساد والفساد ومنه بوار الأيم وبوار السلعة وهو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنتان والجمع والمؤنث والمذكر قال ابن الزبيرى يا رسول الملك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور وقيل هو جمع البائر ويقال أصبحت منازلهم بورا أي خالية لا شيء فيها فيقول الله سبحانه لهم عند تربي المعبودين منهم فقد كذبوكم بما تقولون أنهم كانوا آلهة فما تستطيعون

(6/15)

قرأه العامة بالياء يعني الآلهة وقرأ حفص بالتاء يعني العابدين صرفا ولا نصرا أي صرف العذاب عنهم ولا نصر أنفسهم وقال يونس الصرف الحيلة ومنه قول العرب إنه ليتصرف أي يحتال وقال الأصمعي الصرف التوبة والعدل الفدية ومن يظلم أي يشرك منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك يا محمد من المرسلين إلا أنهم قال أهل المعاني إلا قيل أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق

دليله قوله سبحانه ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل معناه إلا من أنهم وهذا جواب لقول المشركين ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة فالمرضى فتنة للصحيح والمبتلى فتنة للمعافى والفقير فتنة للغني فيقول السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان ويقول الفقير لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان وقال ابن عباس إنني جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى غير أن أعطيتهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكن قدرت أن أتلي العباد بكم وأبتليكم بهم أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يوسف ببخارى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جمعان قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا

القاسم بن يحيى عن الحسن بن دينار عن الحسن عن أبي الدرداء أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل ويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضهم لبعض فتنة فهو قوله سبحانه وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا قال مقاتل نزلت هذه الآية في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل والنضر بن الحرث وذلك أنهم لما رأوا أبا ذر وابن مسعود وعمار وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة ومهجع مولى عمر وجبر غلام ابن الحضرمي ودونهم

(6/16)

قالوا أنسلم فنكون مثل هؤلاء فانزل الله سبحانه يخاطب هؤلاء المؤمنين أتصبرون يعني على هذه الحال من الشدة والفقر وكان ربك بصيرا بمن يصبر ويجزع وبمن يؤمن وبمن لا يؤمن وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في صلبهم واستكبروا في أعينهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا إلي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل المل صلى الله عليه وسلم أئكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمان وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعص الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتنا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون

(6/17)

على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة فتخبرنا أن محمدا صادق محق أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك نظيرها قوله سبحانه وقالوا لن نؤمن لك إلى قوله والملائكة قبيلا قال الله تعالى لقد استكبروا في أنفسهم بهذه المقالة وعتوا عتوا كبيرا قال مقاتل غلوا في القول والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم يوم يرون الملائكة عند الموت وفي القيامة لا بشرى يومئذ للمجرمين للكافرين ويقولون يعني الملائكة للمجرمين حجرا محجورا أي حراما محرما عليكم البشرى بخير وقيل حرام عليكم الجنة وقال بعضهم هذا قول الكفار للملائكة قال ابن جريح كانت العرب إذا نزلت بهم شديدة أو رأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فقالوا حين عاينوا الملائكة هذا وقال مجاهد يعني عودا معاذا يستعيذون من الملائكة وقدمنا وعمدنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا باطلا لا ثواب له لأنهم لم يعملوه لله سبحانه وإنما عملوه للشيطان واختلف المفسرون في

الهباء فقال بعضهم هو الذي يرى في الكوى من شعاع الشمس كالغبار ولا يمس بالأيدي ولا يرى في الظل وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقال قتادة وسعيد بن جبير هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وهي رواية عطاء الخراساني عن ابن عباس وقال ابن زيد هو الغبار والوالبي عن ابن عباس هو الماء المهراق مقاتل ما يسطع من حوافر الدواب والمنثور المتفرق أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا من هؤلاء المشركين المتكبرين المفتخرين بأموالهم وأحسن مقيلا موضع قائلة وهذا على التقدير قال المفسرون يعني أن أهل الجنة لا يمر بهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار وقرأ ثم ان مقيلم لالى الجحيم هكذا كان يقرأها وقال ابن عباس في هذه الآية الحساب من ذلك اليوم في أوله

(6/18)

وقال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة وروى ابن وهب عن عمرو بن الحرث أن سعيدا الصواف أو الصراف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس وأنهم ليقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وقرأ هذه الآية ويوم تشقق السماء بالغمام قرأ أبو عمر وأهل الكوفة بتخفيف الشين على الحذف والتخفيف ههنا وفي سورة ق وقرأ الآخرون بالتشديد فيهما على معنى تشقق السماء بالغمام أي عن الغمام والباء وعن يتعاقبان كما يقال رميت عن القوس وبالقوس بمعنى واحد وقال المفسرون وهو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن لبني إسرائيل في تيههم وهو الذي قال الله سبحانه وتعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا هكذا قراءة العامة وقرأ ابن كثير ونزل بنونين الملائكة نصب الملك يومئذ الحق للرحمن خالصا وبطلت ممالك غيره وكان يوما على الكافرين عسيرا صعبا شديدا نظيرها قوله سبحانه فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير والخطاب يدل على أنه على المؤمنين يسير وفي الحديث إنه ليهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في دار الدنيا ويوم يعرض الظالم على يديه الآية نزلت في عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف وكانا متحابين وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاما فدعا الناس ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان أبي بن خلف غائبا فلما أخبر بالقصة قال صبأت يا عقبة قال لا والله ما أصبأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يطعم من

(6/19)

طعامي ألا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له
فطعم فقال أبي ما أنا بالذي أَرْضَى مِنْكَ أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ
عنقه ففعل ذلك عقبة وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة
يوم بدر صبوا وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد
في المنازعة وأنزل الله فيهما هذه الآية وقال الضحاک لما بزق عقبة في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه وانشعب شعبتين فأحرق
خديه فكان أثر ذلك فيه حتى الموت

(6/20)

وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال كان أبي بن خلف يحضر النبي
صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويسمع إلى كلامه من غير أن يؤمن له فزجره
عقبة بن أبي معيط عن ذلك فنزلت هذه الآية وقال الشعبي كان عقبة بن أبي
معيط خليلاً لأمية بن خلف فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام إن
بايعت محمداً فكفر وارتد لرضا أمية فأنزل الله سبحانه ويوم يعض الظالم على
يديه يعني الكافر عقبة بن أبي معيط لأجل طاعة خيله الذي صده عن سبيل
ربه يقول يا ليتني وفتحت تاءه أبو عمرو اتخذت مع الرسول محمد صلى الله عليه
وسلم سبيلاً يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً يعني أبي بن خلف الجمحي لقد
أضلني عن الذكر يعني القرآن والرسول بعد إذ جاءني وكان الشيطان وهو كل
متمرد عات من الجان وكل من صد عن سبيل الله وأطبع في معصيته فهو
شيطان للإنسان خذولاً عند نزول البلاء والعذاب به وحكم هذه الآيات عام في
كل متحابين اجتمعا على معصية الله لذلك قال بعض العلماء أنشدني أبو
القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قال أنشدني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن
الصديق قال أنشدنا أبو وائلة عبد الرحمن بن الحسين تجنب قرين السوء
واصرم حباله فإن لم تجد عنه محيصاً فداره وأحب حبيب الصدق واحذر مرآه
تنل منه صفو الود ما لم تماره وفي الشيب ما ينهى الحليم عن الصبا إذا
اشتعلت نيرانه في عذاره وأنشدني أبو القاسم الحبيبي قال أنشدني أبو بكر
محمد بن عبد الله الحامدي اصحب خيار الناس حيث لقيتهم خير الصحابة من
يكون عفيفاً والناس مثل دراهم ميزتها فوجدت فيها فضة وزيوفاً وأخبرنا أبو
القاسم الحسن بن محمد بن جعفر المفسر قال حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن
ابن محمد بن حسكا قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا
محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال حدثنا عبد الواحد بن زياد قال حدثنا
عاصم عن أبي كبشة قال سمعت أبا موسى يقول على المنبر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل

(6/21)

العطار إن لم ينلك يعبق بك من ريحه ومثل الجليس السوء مثل القين إن لم يحرق ثيابك يعبق بك من ريحه وحدثنا أبو القاسم بن حبيب لفظا سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو حاتم محمد ابن حيان بن أحمد قال أخبرنا محمد بن أبي علي الخلافي قال حدثنا عبد الله بن الصقر السكري قال حدثنا وهب بن محمد النباتي قال سمعت الحرث بن وحيه يقول سمعت مالك ابن دينار يقول إنك إن تنقل الحجاره مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار وقال الرسول يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا أي قالوا فيه غير الحق فزعموا أنه سحر وشعر وسمر من الهجر وهو القول السيئ عن النخعي ومجاهد وقال الآخرون هو من الهجران أي أعرضوا عنه وتركوه فلم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه أخبرنا أبو الطيب الربيع بن محمد الحاتمي وأبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قالا حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن عقبة الشيباني قال حدثنا أبو القاسم الخضر بن أبان القرشي قال حدثنا أبو هدية إبراهيم بن هدية قال حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه كذلك أي وكما جعلنا لك يا محمد أعداء ومن مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي من مشركي قومه فاصبر لأمري كما صبروا فإني هاد بك وناصرك على من ناواك وكفى بربك هاديا ونصيرا على الحال والتميز وقال الذين كفروا لولا نزل عليه على محمد القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى والزبور على داود والإنجيل على عيسى جملة واحدة قال الله سبحانه كذلك فعلنا لنثبت به فؤادك لنقوي بها قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون والقرآن أنزل على نبي أمة ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور

(6/22)

ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العالم به ورتلناه ترتيبا قال ابن عباس ورسلناه ترسيلا وقال النخعي والحسن فرقناه تفريقا آية بعد آية وشيئا بعد شيء وكان بين أوله وآخره نحو ثلاث وعشرين سنة وقال ابن زيد وفسرناه تفسيرا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت ولا يأتونك يا محمد يعني هؤلاء المشركين بمثل في إبطال أمرك إلا جئناك بالحق أي بما ترد به ما جاؤوا به من المثل وتبطله وأحسن تفسيرا بيانا وتفصيلا ثم وصف حال المشركين وبين حالهم يوم القيامة فقال الذين يعني هم الذين يحشرون على وجوههم فيساقون ويجرون إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا

(6/23)

أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن خرجة قال حدثنا الحضرمي قال حدثنا عثمان قال حدثنا بشر بن المفضل عن علي بن يزيد عن أوس بن أوس عن أبي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمرودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التي صلى الله عليه وسلم أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن الهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرعيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي صلى الله عليه وسلم أرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا أي معينا وظهيراً فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني القبط وفي الآية متروك استغنى عنه بدلالة الكلام عليه فقديرها فكذبوهما فدمرناهم تدميرا فأهلكناهم إهلاكا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم

(6/24)

وجعلناهم للناس آية عبرة وأعدنا للظالمين في الآخرة عذابا أليما سوى ما حل بهم من عاجل العذاب وعادا وثمرود وأصحاب الرس اختلفوا فيهم فقال ابن عباس كانوا أصحاب أبار وقال وهب بن منبه كانوا أهل بئر قعودا عليها وأصحاب مواشي وكانوا يعبدون الأصنام فوجه الله إليهم شعيبا يدعوهم إلى الإسلام فأتاهم ودعاهم فتمادوا في طغيانهم وفي أذى شعيب فحذرهم الله عقابه فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت البئر فانخسفت بهم وبديارهم ورباعهم فهلكوا جميعا قتادة الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال بعضهم هم بقية هود قوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله سبحانه في قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد قال سعيد بن جبير وابن الكلبي والخليل كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعده في السماء ميل وكانت العنقاء تتنابه وهي أعظم ما تكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت تكون في ذلك الجبل تنقض على الطير تأكلها فجاعت ذات يوم فأعوزتها الطير فانقضت على صبي فذهبت فسميت عنقاء مغرب لأنها تغرب بما تأخذه وتذهب به ثم إنها انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فطارتا بها فشكوا إلى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر فضربتها العرب في أشعارهم ثم إنهم قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال كعب ومقاتل والسدي هم

أصحاب الرس والرس بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيا النجار فنسبوا لها وهم الرس ذكرهم الله سبحانه في سورة يس وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود الذي حفروه وقال عكرمة هم قوم رسوا نبهم في بئر دليله ما روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة لعبد أسود وذلك أن الله سبحانه بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها أحد إلا

(6/25)

ذلك الأسود ثم إن أهل القرية عدوا على ذلك النبي فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم أطبق عليه بحجر ضخم وكان ذلك العبد الأسود يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه فيشري به طعاما وشرابا ثم يأتي به إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة يعينه الله عليها فيدلي إليه طعامه وشرابه ثم يردّها كما كانت قال وكان كذلك ما شاء الله أن يكون ثم إنه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين ثم إنه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم إنه هب فاحتمل حزمته ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار فجاء إلى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه فالتمسه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه فأمنوا به وصدقوه

(6/26)

قال وكان النبي يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل فيقولون له ماندرى حتى قبض الله ذلك النبي فأهب الله الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ذلك الاسود لأول من يدخل الجنة قلت قد ذكر في هذا الحديث أنهم آمنوا بنبهم واستخرجوه من حفرة فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله وأصحاب الرس لأن الله سبحانه وتعالى أخبر عن أصحاب الرس أنهم دمرهم تدميرا إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبهم الذي استخرجوه من الحفرة وأمنوا به فيكون ذلك وجهها وقد ذكر عن أمير المؤمنين علي ح في قصة أصحاب الرس ما يصدق قول عكرمة وتفسيره وهو ما روى علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن علي بن أبي طالب أن رجلا من أشرف بني تميم يقال له عمرو أتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس في أي عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله سبحانه إليهم رسولا وبماذا أهلكوا فإني أجد في كتاب الله سبحانه ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له علي ح لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدي وكان من قصتهم يا أبا تميم أنهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوشاب كانت أنبتت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وإنما سماها أصحاب الرس لأنهم رسوا نبهم في الأرض وذلك قبل سليمان بن داود وكان له اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم

سُمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض أغزر منه ولا أعذب ولا قري أكثر سكانا ولا أعمر منها وكانت أعظم مداينهم اسفندماه وهي التي ينزلها ملكهم وكان يسمى نركوز بن عانور بن ناوش بن سارن ابن نمرود بن كنعار وبها العين والصنوبرة وقد عرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة وحرموا ماء العين والأنهار فلا يشربون منها هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة الهتنا

(6/27)

فلا ينبغي لأحد أن يقطف من حباتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً تجتمع إليه أهلها ويضربون على الشجرة التي بها كلة من حرير فيها أنواع الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتاره في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خروا للشجرة سجداً ويكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبي إنني قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفساً وقرؤا عينا فيرفعون عند ذلك رؤوسهم ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليه صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقا ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجيء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً يعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعد بهم الشياطين كلها فيرفعون رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون من الشرب والعزف فيكونون على ذلك اثنا عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله سبحانه وعبادتهم غيره بعث الله سبحانه إليهم نبياً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب فلبث فيهم زمناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ومعرفة ربوبيته فلا يتبعونه فلما رأى شدة تماديهم في الغي والضلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والصلاح وحضر عند قريتهم العظمى قال يا رب إن عبادك أبوا إلا أن يكذبوني ويكفروا بك وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأبيس شجرهم اجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهاهم ذلك وقطعوا بها وصاروا فرقتين فرقة قالت سحر ألهمتكم هذا الرجل الذي زعم أنه رسول رب السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن ألهمتكم إلى

(6/28)

إلهه وفرقة قالت لا بل غضبت ألهمتكم حين رأيت هذا الرجل يعيها ويقع فيه ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسناتها وبهاؤها لكي تضبوا لها فينتصروا منه فأجمع رأيهم على قتله فاتخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه ثم أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرابخ

ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قرارها بئرا ضيقة المدخل عميقة وأرسلوا فيها نبيهم وألقموا فإها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا نرجو الآن أن ترضى عنا ألهتنا إذ رأنا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت كبيرها يتشفى منه فيعود لها نورها ونصرتها كما كان فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم عليه السلام وهو يقول سيدي قد ترى ضيق مكاني وشددة كربى فأرحم ضعف ركنى وقلة حيلتى وعجل قبض روحى ولا تؤخر إجابة دعوتى حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبرئيل إن عبادى هؤلاء غرهم حلمى وأمنوا مكربى وعبدوا غيرى وقتلوا رسولى وأنا المنتقم ممن عصانى ولم يخش عقابى وإنى حلفت لأجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فلم يرعهم وهم فى عيدهم إلا ربح عاصف شديدة الحمرة قد عروا عنها وتحيروا فيها وانضم بعضهم إلى بعض ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقبة حمراء تلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص فى النار نعوذ بالله من غضبه ودرى نقمته

(6/29)

وقال بعض أهل العلم بأخبار الماضين وسير المتقدمين بلغنى أنه كان رسان أما احدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب مواشى فبعث الله إليهم رسولا فقتلوه ثم بعث إليهم رسولا آخر وعصده بولى فقتل الرسول وجاهدهم الولى حتى أفحمهم وكانوا يقولون إلهنا فى البحر وكانوا على شفيره وأنه كان يخرج إليهم من البحر شيطان فى كل شهر خرجه فيذبجون عنده ويجعلونه عبدا فقال لهم الولى أرايتكم إن خرج إلهكم الذى تعبدونه فدعوته فأجابنى وأمرته فأطاعنى أتجيبوننى الى مادعوتكم إليه قالوا بلى فأعطوه عهدهم ومواثيقهم على ذلك فانتظروا حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية وعلى رأسه مثل التاج فلما نظروا إليه خروا سجدا وخرج الولى إليه فقال ائتني طوعا أو كرها باسم الله الكريم فنزل عند ذلك عن أحواته فقال له الولى ائتني عليهن لئلا يكون من القوم فى أمره شك فأتى الحوت وأتى به حتى أفضن الى البر يجرونه ويجرهم فكذبوه بعد ذلك فأرسل الله عليهم ريحا فمذفهم فى البحر وقذف فى البحر مواشيتهم وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وأنية فأتى الولى الصالح الى البحر حتى أخذ الذهب والفضة والأواني فقسماها على أصحابه بالسوية وانقطع نسل هؤلاء القوم وأما الآخر فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون إليه فكان فيهم أنبياء كثيرة قل يوم يقوم فيهم نبي إلا قتل وذلك النهر بمنقطع أذربيجان بينهما وبين أرمينية فإذا قطعتة مدبرا ذاهبا دخلت فى حد أرمينية وإذا قطعتة مقبلا دخلت حد أذربيجان وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الأوثان ومن قدامهم من أهل أذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الحواري العذارى فإذا تمت لأحدهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاث فراسخ وكان يرتفع فى كل يوم وليلة حتى بلغ أنصاف الجبال التى حوله وكان لا ينصب فى بر ولا بحر إذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع إليهم فبعث الله سبحانه إليهم ثلاثين نبيا

(6/30)

في شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله إليهم نبيا وأيده بنصره وبعث معه وليا فجاهدهم في الله حق جهاده ونايذوه على سواء فبعث الله ميكائيل وكان ذلك في أوان وقوع الحب في الزرع وكانوا إذ ذاك أحوج ما كانوا إلى الماء ففجر نهرهم في البحر فانصب ما في أسفله وأتى عيونها من فوق ففسدها وبعث الله أعوانه من الملائكة خمسمائة ألف ففرقوا ما بقي في وسط النهر ثم أمر الله سبحانه جبرئيل فنزل فلم يدع في أرضهم عينا لا ماء ولا نهر إلا أيبسه بإذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق إلى المواشي فأماتها ربضة واحدة وأمر الرياح الأربع الجنوب والشمال والصبا والديور فقصمت ما كان لهم من متاع وألقى الله عليهم السبات ثم خفقت الرياح الأربع بما كان من ذلك المتاع أجمع فنهته في رؤوس الجبال وبطون الأودية

(6/31)

فأما ما كان من حلي أو تبر أو آنية فإن الله سبحانه أمر الأرض فابتلغته فأصبحوا ولا ماشية عندهم ولا مال يعودون إليه ولا ماء يشربونه وأصبحت زروعهم يابسة فأمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله سبحانه إلى غار في جبل له طريق إلى خلفه فنجوا وكانوا أحد وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقيين من الرجال والنساء والذراري ستمائة ألف فماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم المؤمنون إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعوا الله عند ذلك مخلصين أن يجيئهم بزرع وماشية وماء ويجعله قليلا لئلا يطغوا فأجابهم الله سبحانه إلى ذلك لما علم من صدقهم وأطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوا فقام أولئك بطاعة الله ظاهرة وباطنة حتى مضى أولئك القوم وحدث من نسلهم بعدهم قوم أطاعوا الله في الظاهر وناقوا في الباطن فأملى الله لهم ثم كثرت معاصيهم فبعث الله سبحانه عليهم عدوهم فأسرع فيهم القتل فبقيت شردمة منهم فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحدا وبقي نهرهم ومنازلهم مائتي عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله سبحانه بقرن بعد ذلك فنزلوها فكانوا صالحين سنين ثم أحدثوا بعد ذلك فاحشة جعل الرجل يدعو ابنته وأخته وزوجته فينيكها جاره وصديقه وأخوه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك إلى نوع آخر استغنى الرجل بالرجل وتركوا النساء حتى شبقت فجاءتهن شيطانة في صورة امرأة وهي الدلهات بنت إبليس وهي أخت الشيطان كانا في بيضة واحدة فشبهت إلى النساء ركوب بعضها إلى بعض وعلمتهن كيف يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهات فسلط الله سبحانه على ذلك القرن صاعقة من أول الليل وخسفا في آخر الليل وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت مساكنهم ويشهد بصحة بعض هذه القصة ما أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا أبو الطيب بن حفصويه قال حدثنا عبد الله بن جامع قال حدثنا عثمان بن خرزاذ قال حدثنا سلمان بن عبد الرحمن قال حدثنا الحكم بن

(6/32)

يعلى بن عطاء قال حدثنا معاوية بن عمار الدهنى عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله وأصحاب الرس قال السحاقات وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا الحسن بن إسماعيل الدينوري قال حدثنا أحمد بن يحيى بن مالك السوسى قال حدثنا نصر بن حماد قال حدثنا عمر بن عبد الرحمن عن مكحول عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة أن يستكفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق

(6/33)

والرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والمعدن والقبر ونحوها وجمعه رساس قال الشاعر سبقت إلى فرط بأهل تنابله يحفرون الرساسا وقال أبو عبيد الرس كل ركية لم تطو بالحجارة والأجر والخشب وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال في إقامة الحجة فلم نهلكهم إلا بعد الإعدار والإنذار وكلا تبرنا تبييرا أهلكنا إهلاكا وقال المؤرخ قال الأخفش كسرنا تكسيرا ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يعني الحجارة وهي قرية قوم لوط وكانت خمس قرى فأهلك الله سبحانه أربعها وبقيت الخامسة واسمها صغر وكان أهلها لا يعملون ذلك العمل الخبيث أفلم يكونوا يرونها إذا مروا بها في أسفارهم فيعتبرون ويتذكروا قال الله سبحانه بل كانوا لا يرجون يخافون نشورا بعثا وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا نزلت في أبي جهل كان إذا مر بأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مستهزئا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن ألھتنا قد كاد يصدنا عن عبادتها لولا أن صبرنا عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا وهذا وعيد لهم أرأيت من اتخذ إلهه هويه وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر أو الصنم فإن رأى أحسن منه رمى به وأخذ الآخر فعبدته قال ابن عباس الهوى إله يعبد من دون الله أفانت تكون عليه وكيفا حفيظا من الخروج إلى هذا الفساد نسختها آية الجهاد أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ما يقول سماع طالب للإفهام أو يعقلون ما يعاينون من الحجج والأعلام إن هم ما هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها التي تغلفها وتعهدا وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ألم تر إلى ربك كيف مد الظل معناه ألم تر إلى مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وإنما جعله ممدودا لأنه لا شمس معه كما قال في ظل الجنة وظل ممدود إذ لم يكن معه شمس ولو شاء لجعله ساكنا دائما

(6/34)

ثابتا لا يزول ولا تذهب الشمس قال أبو عبيد الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال سمي فيئا لأنه من جانب المشرق إلى جانب المغرب ثم جعلنا الشمس عليه أي على الظل دليلا ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل إذ

الاشياء تعرف بأضدادها والظل يتبع الشمس في طوله وقصره كما يتبع السائر الدليل فإذا ارتفعت الشمس قصر الظل وان انحطت طال ثم قبضناه يعني الظل إلينا قبضا يسيرا بالشمس التي يأتي بها فتنسخه ومعنى قوله يسيرا أي خفيفا سريعا والقبض جمع الأجزاء المنبسطة وأراد ههنا النقل اللطيف وهو الذي جعل لكم الليل لباسا أي سترا تستترون وتسكنون فيه والنوم سباتا راحة لأبدانكم وقطعا لعمليكم وأصل السبت القطع ومنه يوم السبت والنعال السبتية وجعل النهار نشورا أي يقظة وحياء تنشرون فيه وتنتشرون لأشغالكم وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا وهو الطاهر في نفسه المطهر لغيره لنحيي به بلدة ميتا ولم يقل ميتة لأنه رجع به الى المكان والموضع قال كعب المطر روح الأرض ونسقيه قرأه العامة بضم النون وروى المفضل والبرجمي عن عاصم بفتح النون وهي قراءة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ح مما خلقنا أنعاما واناى كثيرا والآناسي جمع الإنسان وأصله أناسين مثل بستان وبساتين فجعل الباء عوضا من النون وإن قيل هو أيضا مذهب صحيح كما يجمع القرقور قراقير وقراقير أخبرني الحسن بن محمد الفنجوي قال حدثنا مخلد بن جعفر الباقرحي حدثنا الحسن ابن علوي حدثنا إسحاق بن عيسى قال حدثنا إسحاق بن بشر قال حدثنا ابن إسحاق وابن جريح ومقاتل كلهم قالوا وبلغوا به ابن مسعود إن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله قسم هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعا

(6/35)

صرف الله ذلك الى الفيافي والبحار ولقد صرفناه يعني المطر بينهم عاما بعد عام وفي بلدة دون بلدة وقيل صرفناه بينهم وابلا وطيشا ورهاما ورذاذا وقيل التصريف راجع الى الريح ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا أي جحودا وقيل هو قولهم مطر كذا وكذا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا رسولا ولقسمنا النذير بينهم كما قسمنا المطر فحينئذ يخف عليك أعباء النبوة ولكننا حملناك ثقل نذارة جميع القرى لتستوجب بصرك عليه ما أعتدنا لك من الكرامة والهيبة والدرجة الرفيعة فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من عبادة آلهتهم ومقاربتهم ومداهنتهم وجاهدتهم به أي بالقرآن جهادا كبيرا

(6/36)

وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا مق وهو الذي مرج البحرين وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذى خلق السماوات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمان فاسأل به خبيرا وإذا

قيل لهم اسجدوا للرحمان قالوا وما الرحمان أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجا وقمرنا منيراً وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله إلاها ءاخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤا بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما أي خلطهما وحلى وأفاض أحدهما في الآخر وأصل المرح الخلط والإرسال ومنه

(6/37)

قوله سبحانه فهم في أمر مريح وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن عمر كيف بك يا عبد الله إذا كنت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه ويقال مرجت دابتي مرجها إذا أرسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث شاءت ومنه قيل للروضة مرج قال العجاج رعى بها مرج ربيع ممرجا قال ابن عباس والضحاك ومقاتل مرج البحرين أي خلع أحدهما على الآخر هذا عذب فرات شديد العذوبة وهذا ملح أجاج شديد الملوحة وجعل بينهما برزخا حاجزا بقدرته وحكمته لئلا يختلطا وحجرا محجورا سترا ممنوعا يمنعهما فلا يبغيان ولا يفسد الملح العذب وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا قال على بن أبي طالب النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه وقال الضحاك وقتادة ومقاتل النسب سبعة والصهر خمسة وقرأوا هذه الآية حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم إلى آخرها أخبرني أبو عبد الله القسائني قال أخبرنا أبو الحسن النصيبي القاضي قال أخبرنا أبو بكر السبيعي الحلبي قال حدثنا علي بن العباس المقانعي قال حدثنا جعفر بن محمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن عمرو قال حدثنا حسين الأشقر قال حدثنا أبو قتبية التيمي قال سمعت ابن سيرين يقول في قول الله سبحانه وتعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا قال نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب زوج فاطمة عليا وهو ابن عمه وزوج ابنته فكان نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون يعني هؤلاء المشركين من دون الله ما لا ينفعهم إن عبدوه ولا يضرهم إن تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا أي معينا للشيطان على ربه وقيل معناه وكان الكافر على ربه هينا ذليلا من قول العرب ظهرت به إذا جعلته خلف ظهرك فلم تتلفت إليه وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا قل ما أسألكم عليه

على تبليغ الوحي من أجر فيقولون إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه فلا
تبعه كيلا نعطيه من أموالنا شيئاً إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه

(6/38)

سبيلا قال أهل المعاني هذا أمر الاستثناء المنقطع مجازه لكن من شاء أن يتخذ
إلى ربه سبيلا بإنفاقه ماله في سبيله وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح
بحمده أي عبده وصل له شكرا منك له على نعمه وقيل احمده منزلها له عما لا
يجوز في وصفه وقيل قل سبحان الله والحمد لله وكفى به بذنوب عباده خبيرا
فيجازيهم بها الذي في محل الخفض على نعت الحي خلق السماوات والأرض
وما بينهما في ستة أيام فقال بينهما وقد جمع السموات لأنه أراد الصنفين
والشئيين كقول القطامي

(6/39)

ألم يحزنك أن حبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا أراد وحبال تغلب فثنى
والحبال جمع لأنه أراد الشئيين والنوعين وقال آخر إن المنية والحتوف كلاهما
توفي المخارم يرقبان سوادي ثم استوى على العرش الرحمان فاستل به
خبيرا أي فسل خبيرا بالرحمن وقيل فسل عنه خبيرا وهو الله عز وجل وقيل
جبرئيل عليه السلام الباء بمعنى عن لقول الشاعر فإن تسألوني بالنساء فإنني
بصير بأدواء النساء طيب أي عن النساء وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمان قالوا
وما الرحمان ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة أنسجد لما تأمرنا قرأ حمزة
والكسائي بالياء يعنيان الرحمن وقرأ غيرهما تأمرنا بالتاء يعنون لما تأمرنا أنت
يا محمد وزادهم قول القائل لهم اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين والإيمان
وكان سفيان الثوري إذا قرأ هذه الآية رفع رأسه إلى السماء وقال إلهي زادني
خضوعا ما زاد أعداءك نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجاً يعني منازل
الكواكب السبعة السيارة وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء
والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
والحوت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء
والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس والقوس
والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على
الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منهما ثلاثة بروج تسمى المثلاث فالحمل
والأسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء
والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية
واختلفت أقاويل أهل التأويل في تفسير البروج فاخبرني الحسين بن محمد بن
الحسين الدينوري قال أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق السني قال حدثني
محمد بن الحسين بن أبي الشيخ قال حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني قال
حدثنا عبد الله بن إدريس قال حدثني أبي عن عطية العوفي في قوله سبحانه
تبارك الذي جعل في السماء بروجاً

(6/40)

قال قصورا فيها الحرس دليله قوله ولو كنتم في بروج مشيدة
وقال الأخطل كأنها برج رومي يشيده بان بجص وأجر وأحجار وقال مجاهد
وقتادة هي النجوم وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنية قال حدثنا علي بن
محمد بن ماهان قال حدثنا علي بن محمد الطنافسي قال حدثنا خالي يعلى عن
إسماعيل عن أبي صالح تبارك الذي جعل في السماء بروجاً قال النجوم الكبائر
قال عطاء هي الشرح وهي أبواب السماء التي تسمى المجرة وجعل فيها
سراجا يعني الشمس نظيره قوله سبحانه وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة
والكسائي وجعل فيها سرجا بالجمع يعنون النجوم وهي قراءة أصحاب عبد الله
وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه قال ابن عباس والحسن وقتادة
يعني عوضا وخلفا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في أحدهما قضاه
في الآخر قال قتادة فأروا الله من أعمالكم خيرا في هذا الليل والنهار فإنهما
مطيطان تقحمان الناس إلى آجالهم وتقربان كل بعيد وتبليان كل جديد وتجيئان
بكل موعود إلى يوم القيامة روى شمر بن عطية عن شقيق قال جاء رجل إلى
عمر بن الخطاب ح فقال فاتتني الصلاة الليلة فقال أدرك ما فاتك من ليلتك
في نهارك فإن الله سبحانه وتعالى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر
وقال مجاهد يعني جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا
أبيض وقال ابن زيد وغيره يعني يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء
الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان يدل على صحة هذا
التأويل قول زهير بها العين والآدم يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل
مجشم وقال مقاتل يعني جعل النهار خلفا من الليل لمن نام بالليل وجعل الليل
خلفا بالنهار لمن كانت له حاجة أو كان مشغولا لمن أراد أن يذكر قرأه العامة
بتشديد الذال يعني يتذكر ويتعظ وقرأ حمزة وخلف بتخفيف الذال من الذكر أو
أراد شكورا شكر نعمة الله سبحانه وتعالى عليه

(6/41)

وعباد الرحمان يعني أفاضل العباد وقيل هذه الإضافة على التخصيص
والتفضيل وقرأ الحسن وعبيد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا أي
بالسكينة والوقار والطاعة والتواضع غير أشربين ولا مرجين ولا متكبرين ولا
مفسدين أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا العباس بن محمد بن قوهبار قال
حدثنا علي بن الحسن بن أبي عيسى قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا
هشيم بن عباد بن راشد عن الحسن في قوله سبحانه يمشون على الأرض هونا
قال حلما وعلما وقال محمد بن الحنفية أصحاب وقار وعفة لا يسفهون وإن
سفه عليهم حلموا الضحاك أتقياء أعفاء لا يجهلون قال وهو بالسريانية الثمالي
بالنبطية والهون في اللغة الرفق واللين ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وبغض بغيضك هونا ما
عسى أن يكون حبيبك يوما ما وإذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه قالوا سلاما
سدادا من القول عن مجاهد ابن حيان قولا يسلمون فيه من الإثم الحسن
سلموا عليهم دليله قوله سبحانه وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا
أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم قال أبو العالية والكليبي هذا قبل أن يؤمروا

بالقتال ثم نسختها آية القتال أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حنش المقرئ قال حدثنا محمد بن صالح الكيلسي بمكة قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا الوليد بن إسماعيل قال حدثنا شيبان بن مهران عن خالد بن المغيرة بن قيس عن أبي محلز لاحق بن حميد عن أبي برزة الأسلمي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت قوما من أمتي ما خلقوا بعد وسيكونون فيما بعد اليوم أحبهم ويحبونني ويتناصحون ويتبادلون يمشون بنور الله في الناس رويدا في خفية وتقية يسلمون من الناس ويسلم الناس منهم بصبرهم وحلمهم قلوبهم بذكر الله يرجعون ومساجدهم بصلاتهم يعمرسون يرحمون صغيبرهم ويجلون كبيرهم ويتواسون بينهم يعود غنيهم على فقيرهم وقويهم على ضعيفهم يعودون مرضاهم ويتبعون جنازهم فقال رجل من

(6/42)

القوم في ذلك يرفقون برفيقهم فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كلا إنهم لا رفيق لهم هم خدام أنفسهم هم أكرم على الله من أن يوسع عليهم لهوان الدنيا عند ربهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وروي أن الحسن كان إذا قرأ هاتين الآيتين قال هذا وصف نهارهم ثم قال والذين يبیتون لربهم سجدا وقياما هذا وصف ليلهم قال ابن عباس من صلى بالليل ركعتين أو أكثر من ذلك فقد بات لله سبحانه وتعالى ساجدا وقائما قال الكلبي يقال الركعتان بعد المغرب وأربع بعد العشاء الآخرة والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما أي ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار ومنه سمي الغريم لطلبه حقه وإلحاحه على صاحبه وملازمته إياه وفلانا مغرم بفلان إذا كان مولعا به لا يصبر عنه ولا يفارقه قال الأعمشي إن يعاقب يكن غراما وإن يعط جزى فإنه لا يبالي قال الحسن قد علموا أن كل غريم يفارق غريمه إلا غريم جهنم ابن زيد الغرام الشر أبو عبيد الهلاك قال بشر بن أبي حازم ويوم النصار ويوم الجفا ركنا عذابا وكانا غراما أي هلاكا إنها يعني جهنم ساءت مستقرا ومقاما أي إقامة من أقام يقيم وقال سلامة بن جندل يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب فإذا فتحت الميم فهو المجلس من قام يقوم ومنه قول عباس بن مرداس فأتي ما وأيك كان شرا فقيد إلى المقامة لا يراها

(6/43)

والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا واختلف القراء فيه فقرا أهل المدينة والشام يقتروا بضم الياء وكسر التاء وقرأ أهل الكوفة بفتح الياء وضم التاء غيرهم بفتح الياء وكسر التاء وكلها لغات صحيحة يقال أقتر وقتر يقتري ويقتري مثل يعرثون ويعكفون واختلف المفسرون في معنى الإسراف والإقتار فقال بعضهم الإسراف النفقة في معصية الله وإن قلت والاقتار منع حق الله سبحانه وتعالى وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وابن زيد أخبرني

الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري قال حدثنا محمد بن عمر بن إسحاق الكلواذي قال حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء الرملي قال حدثنا أبي قال حدثنا سهيل بن أبي حزم عن كثير بن زياد أبي سهل عن الحسن في هذه الآية قال لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن فرائض الله وقال بعضهم الإسراف أن تأكل مال غيرك بغير حق قال عون بن عبد الله بن عتبة ليس المسرف من أكل ماله إنما المسرف من يأكل مال غيره وقال قوم السرف مجاوزة الحد في النفقة والإقتار التقصير عما ينبغي مما لا بد منه وهذا الاختيار لقوله وكان بين ذلك أي وكان إنفاقهم بين ذلك قواما عدلا وقصدا وسطا بين الإسراف والإقتار قال إبراهيم لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة تقول الناس قد أسرف مقاتل كسبوا طيبا وأنفقوا قصدا وقدموا فضلا فربحوا وأنجحوا وقال يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويكفهم من الحر والقر وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حنش قال حدثنا ابن زنجويه قال حدثنا سلمة قال حدثنا عبد الرزاق عن أبي عيينة عن رجل عن الحسن في قوله سبحانه يسرفوا ولم يقتروا إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كفى سرفا ان لا يشتهي رجل

(6/44)

شيئا إلا اشتراه فأكله والذين لا يدعون مع الله إلاها آخر الآية أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي قال أخبرنا المؤمل بن الحسن بن عيسى قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا حجاج عن أبي جريح قال أخبرني يعلى يعني ابن مسلم عن سعيد بن جبير سمعه يحدث عن ابن عباس أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثرنا وزنوا فأكثرنا ثم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله إلاها آخر ونزل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم وقيل نزلت في وحشي غلام ابن مطعم وأخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن يوسف السلمى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر والثوري عن منصور والأعمش عن أبي وائل وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان وعبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا يوسف بن عبد الله بن ماهان قال حدثنا محمد بن كثير قال حدثنا سفيان بن الأعمش ومنصور وواصل الأحذب عن أبي وائل وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا عبد الله بن نمير قال أخبرنا الأعمش عن شقيق عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال إن ترى حليلة جارك فأنزل الله سبحانه تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله إلاها آخر قال مسافع ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون الآية أخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن حنش قال أخبرنا ابن زنجويه قال أخبرنا سلمة بن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر

عن قتادة قال ذكر لنا أن لقمان كان يقول يا بني إياك والزنا فإن أوله مخافة
وأخره ندامة ومن يفعل ذلك الذي ذكرت يلق أثاما قال ابن عباس إثما ومجازه
تلق جزاء

(6/45)

الأثام وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن حفصويه قال حدثنا
محمد بن موسى قال حدثنا زهير بن محمد قال حدثنا محمد بن زياد قال حدثنا
الكلبي قال حدثنا شرقي القطامي قال حدثني لقمان بن عامر قال حدثني أبو
أمامة الباهلي صدي بن عجلان فقلت حدثني حديثا سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فدعا لي بطلاء ثم قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لو أن صخرة زنة عشر عشروا قذف بها في شفير جهنم ما
بلغت قعرها سبعين

(6/46)

خريفا ثم ينتهي إلى غي وأثام قال قلت وما غي وأثام قال نيران يسيل فيها
صديد أهل النار وهما اللتان قال الله سبحانه في كتابه فسوف يلقون غيا و يلق
أثاما وأخبرنا بو عمرو سعيد بن عبد الله بن إسماعيل الحيري قال أخبرنا
العباس بن محمد بن قوهباد قال حدثنا إسحاق بن عبد الله بن محمد بن زرين
السلمي قال أخبرنا حفص بن عبد الرحمن قال حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي
أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أثاما واد في جهنم وهو قول مجاهد
وقال أبو عبيد الأثام العقوبة قال الليثي جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقا
والعقوق له أثاما أي عقوبة يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا
قرأه العامة بجزم الفاء والدال ورفعهما ابن عامر وابن عباس على الابتداء ثم
قال إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحا الآية أخبرني الحسين بن محمد بن
عبد الله قال حدثنا موسى بن محمد قال حدثنا موسى بن هارون الجمال قال
حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي قال حدثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله ابن
عمر بن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قرأناها علي
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله إلها آخر
الآية ثم نزلت إلا من تاب فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم رح بشيء قط
فرحه بها وفرحه ب إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر وأخبرني الحسين بن محمد الفنجوي قال حدثنا محمد بن الحسين بن
علي اليقطيني قال أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي قال حدثنا صفوان
بن صالح قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا عبد العزيز بن الحصين عن ابن
أبي نجیح قال حدثني القاسم بن أبي برة قال قلت لسعيد بن جبیر أبا عبد الله
أرأيت قول الله سبحانه وتعالى ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق إلى
قوله إلا من تاب قال سمعت ابن عباس يقول هذه مكة نسختها الآية المدنية
التي في سورة النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا

(6/47)

فيها ولا توبة له وروى أبو الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق وهو يسأله عن هذه الآية التي في الفرقان والتي في سورة النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقال زيد بن ثابت قد عرفت النسخة من المنسوخة نسختها التي في النساء بعدها ستة أشهر وروى حجاج عن أبي جريح قال قال الضحاك بن مزاحم هذه السورة بينها وبين النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثماني حج والصحيح أنها محكمة روى جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء قال اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شيء من القرآن إلا سألته عنه ورسولي يختلف إلى عائشة فما سمعته ولا أحد من العلماء يقول إن الله سبحانه يقول لذنب لا أعفوه فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله عفورا رحيفا قال ابن عباس وابن جبير والضحاك وابن زيد يعني فأولئك يبذلهم الله بقبايح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام فيبدلهم بالشرك إيمانا ويقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصانا وقال الآخرون يعني يبذل الله سيئاتهم التي عملوها في حال إسلامهم حسنات يوم القيامة يدل على صحة هذا التأويل ما أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الحافظ في داري قال حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن برزة قال حدثنا أبو حفص المستملي قال حدثنا محمد بن عبد العزيز أبي رزمة قال حدثنا الفضل بن موسى القطيعي عن أبي العنيس عن ابنه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات قيل من هم قال الذين بدل الله سيئاتهم حسنات وأخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي قال حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال حدثنا الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه قال فيعرض عليه ويخفى عنه

(6/48)

كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة قال فيقول إن لي ذنوبا ما أراها فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وأخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا عبيد الله عن عبد الله بن أبي سمرة البغوي ببغداد قال حدثنا محمد بن أحمد الطالقاني قال حدثنا محمد بن هارون أبو نشيط قال حدثنا أبو المغيرة

قال حدثنا صفوان قال حدثني عبد الرحمن بن جبير عن أبي الطويل شطب الممدود أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئا وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه فهل لذلك من توبة قال هل أسلمت قال أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنتك رسوله قال نعم تفعل الخيرات وتترك الشهوات يجعلهن الله خيرات كلهن قال وغدراتي وفجراتي قال نعم قال الله أكبر فما زال يكبر حتى توارى وأخبرني ابن فنجويه في عصبة قال حدثنا محمد بن علي

بن الحسن قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم قال حدثنا أبو نسيب قال حدثنا أبو المغيرة قال سمعت مبشر بن عبيد وكان عارفاً بالنحو والعربية يقول الحاجة الذي يقطع على الحجاج إذا توجهوا والداجة الذي يقطع عليهم إذا قفلوا ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً رجوعاً حسناً والذين لا يشهدون الزور قال الضحاك يعني الشرك وتعظيم الأنداد علي بن أبي طلحة يعني شهادة الزور وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخّم وجهه ويطوف به في السوق يحيى بن اليمان عن مجاهد أعياد المشركين ليث عنه الغناء وهو قول محمد بن الحنفية بإسناد الصالح عن إبراهيم بن محمد بن المنكدر قال بلغني أن الله تعالى يقول يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان أدخلوهم رياض المسك أسمعوا عبادي تحميدي وثنائي وتمجيدي وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم

(6/49)

يخزنون أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال حدثنا عبد الواحد بن محمد الارياني قال حدثنا الأحمسي قال حدثنا عمرو العبقري قال حدثنا مسلمة بن جعفر عن عمرو بن قيس في قوله سبحانه الذين لا يشهدون الزور قال مجالس الخنا ابن جريح الكذب قتادة مجالس الباطل وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من سمعه أو يراه أنه بخلاف ما هو به فهو تمويه الباطل لما توهم أنه حق وإذا مروا باللغو مروا كراماً قال مقاتل إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد نظيره وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه

(6/50)

الآية وقال السدي وهي منسوخة بآية القتال العوام بن حوشب عن مجاهد إذا أتوا على ذكر النكاح كنوا عنه ابن زيد إذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكبين له معرضين عنه وقال الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراماً مسرعين معرضين يدل عليه ما روى إبراهيم بن ميسرة أن ابن مسعود مر به مسرعاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أصبح ابن مسعود لكريماً وقال أهل اللغة أصله من قول العرب ناقة كريمة وبقرة كريمة وشاة كريمة إذا كانت تعرض عن الحليب تكراً كأنها لا تبالي بما يحلب منها والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا لم يقعوا ولم يسقطوا عليها صماً وعمياناً كأنهم صم عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه قال الفراء ومعنى قوله لم يخروا أي لم يقيموا ولم يصيروا تقول العرب شتمت فلانا فقام يبكي يعني فظل وأقبل يبكي ولا قيام هنالك ولعله بكى قاعداً وقعد فلان يشتمني أي أقبل وجعل وصار يشتمني وذلك جائز على ألسن العرب والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا بغير ألف أبو عمرو وأهل الكوفة الباقون ذرياتنا بالألف قررة أعين بان يراهم مؤمنين صالحين مطيعين لك ووحد قررة لأنها مصدر وأصلها من

البرد لأن العرب تتأذى بالحر وتستروح إلى البرد واجعلنا للمتقين إماما أي أئمة يقتدى بها قال ابن عباس اجعلنا أئمة هداية كما قال وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ولا تجعلنا أئمة ضلالة كقوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار قتادة هداة دعاة خير أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن يوسف الفقيه قال أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون ابن خالد قال حدثني أبو جعفر أحمد بن عبد الله العازي الطبري المعروف بابن فيروز قال حدثنا الحكم بن موسى قال حدثنا يحيى بن حمزة عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر عن مكحول في قول الله عز وجل واجعلنا للمتقين إماما قال أئمة في التقوى يقتدى بها المتقون وقال بعضهم هذا

(6/51)

من المقلوب واجعل للمتقين لنا إماما واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم وهو قول مجاهد ولم يقل أئمة لأن الإمام مصدر يقال أم فلان فلانا مثل الصيام والقيام ومن جعله أئمة فلأنه قد كثر حتى صار بمعنى الصفة وقال بعضهم أراد أئمة كما يقول القائل أميرنا هؤلاء يعني أمراؤنا وقال الله سبحانه عز وجل فإنهم عدو لي وقال الشاعر يا عاذلاتي لا تزدن ملامتي إن العواذل لسن لي بأمين أي أمناء أولئك يجزون الغرفة يثابون الدرجة الرفيعة في الجنة بما صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وقال الباقر على الفقر ويلقون قرأ أهل الكوفة بفتح الياء وتخفيف القاف واختاره أبو عبيد لقوله ولقيهم نضرة وسرورا خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤا بكم ربي أي ما يصنع وما يفعل عن مجاهد وابن زيد وقال أبو عبيد يقال ما عبأت به شيئا أي لم أعده فوجوده وعدمه سواء مجازة أي مقدار لكم وأصل هذه الكلمة تهيئة الشيء يقال عبأت الجيش وعبأت الطيب أعبئه عبؤا وعبؤا إذا هيأته وعملته قال الشاعر كأن بنحره وبمنكبيه عبيرا بات يعبؤه عروس لولا دعاؤكم إياه وقيل لولا عبادتكم وقيل لولا إيمانكم واختلف العلماء في معنى هذه الآية فقال قوم معناها قل ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه يعني أنه خلقكم لعبادته نظيرها قوله سبحانه وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد قال ابن عباس في رواية الوالبي أخبر الله سبحانه الكفار أنه لا حاجة لربهم بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حبب إلى المؤمنين وقال آخرون قل ما يعبأ بعبادكم ربي لولا دعاؤكم إياه في الشدائد بيانه فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ونحوها من الآيات

(6/52)

وقال بعضهم قل ما يعبأ بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وشركاء بيانه قوله سبحانه وتعالى ما يفعل الله بعبادكم إن شكرتم وأمنتهم وهذا المعنى قول الضحاك وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبيش قال حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا أبو طاهر بن السرح قال حدثنا موسى بن ربيعة الجمحي قال سمعت الوليد بن الوليد يقول بلغني أن تفسير هذه الآية

قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم يقول ما خلقتكم وبي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعفر لكم وتسالوني فأعطيكم فقد كذبتم يا أهل مكة وأخبرنا شعيب بن محمد قال أخبرنا مكّي بن عبدان قال حدثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا شعبة بن عبد الحميد بن واصل قال سمعت مسلم بن عمار قال سمعت ابن عباس يقرأ فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما وبه شعبة عن أدهم يعني السدوسي عن أنه كان خلف بن الزبير يقرأ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فلما أتى على هذه الآية قرأها فقد كذب الكافر فسوف يكون لزاما ومعنى الآية فسوف يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا ابن زيد قتالا أبو عبيدة هلاكا وأنشد فاما ينجوا من حتف أرضي فقد لقيًا حتوفهما لزاما وقال بعض أهل المعاني يعني فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شر وقال ابن جرير يعني عذابا دائما لازما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم بعضا كقول أبي ذؤيب ففاجأه بعادية لزام كما يتفجر الحوض اللقيف يعني باللزام الكثير الذي يتبع بعضه بعضا وباللقيف الحجار المنهد واختلفوا في اللزام ههنا فقال قوم هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي ابن كعب وأبي مالك ومجاهد ومقاتل روى الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم وقال آخرون هو عذاب الآخرة

(6/53)

سورة الشعراء
مكية إلا قوله والشعراء يتبعهم الغاؤون إلى آخر السورة فإنها مدنية وهي خمسة آلاف وخمسمائة وإثنان وأربعون حرفا وألف ومائتان وسبع وتسعون كلمة ومائتان وسبع وعشرون آية أخبرنا أبو الحسين الخبازي قال حدثنا أبو الشيخ الاصفهاني قال حدثنا أبو العباس الطهراني قال حدثنا يحيى بن يعلى بن منصور قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثنا أبي عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه السلام وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة وأخبرني أبو الحسن محمد بن القاسم الماوردي الفارسي قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم ابن منصور الخيزراني ببغداد قال حدثنا محمد بن أحمد بن حبيب قال حدثنا يعقوب بن يوسف قال حدثنا يحيى بن يحيى قال أخبرنا خارجة عن عبد الله عن إسماعيل بن أبي رافع عن الرقاشي وعن الحسن عن أنس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي وأخبرني كامل بن أحمد النحوي وسعيد بن محمد المقرئ قالا أخبرنا أحمد بن محمد ابن جعفر الشروطي قال حدثنا إبراهيم بن شريك الكوفي قال حدثنا أحمد بن عبد الله اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليم قال حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق

بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعده من كذب بعيسى وصدق
بمحمد صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم

(6/54)

طس صلى الله عليه وسلم م صلى الله عليه وسلم تلك آيات الكتاب المبين
لعلك باخ نفسك ألا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت
أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث إلا كانوا عنه
معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون أولم يروا إلى الارض
كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن
ربك لهو العزيز الرحيم طسم اختلف القراء فيها وفي أختيها فكسر الطاء فيهن
على الإمالة حمزة والكسائي وخلف وعاصم في بعض الروايات وقرأ أهل
المدينة بين الكسر والفتح وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم وقرأ غيرهم بالفتح
على التضخيم وأظهر النون في السين ههنا وفي سورة القصص أبو جعفر
وحمزة للتبيين والتمكين وأخفاها الآخرون لمجاورتها حروف الفم وأما تأويلها
فروى الوالبي عن ابن عباس قال طسم قسم وهو من أسماء الله سبحانه
عكرمة عنه عجزت العلماء عن علم تفسيرها مجاهد اسم السورة قتادة وأبو
روق اسم من أسماء القرآن أقسم الله عز وجل به القرظي أقسم الله سبحانه
بطوله وسنائه وملكه وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حنشل قال حدثني
أحمد بن عبيد الله بن يحيى الدارمي قال حدثني محمد بن عبده المصيصي قال
حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي قال حدثنا محمد بن بشر الرقي
قال حدثنا أبو عمر حفص بن ميسرة عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد
بن الحنفية عن علي بن أبي طالب ح قال لما نزلت هذه الآية طسم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الطاء طور سيناء والسين الاسكندرية والميم مكة
وقال جعفر الصادق عليه السلام الطاء طوبي والسين سدرة المنتهى والميم
محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم تلك آيات أي هذه آيات الكتاب المبين
لعلك باخ قاتل نفسك ألا يكونوا مؤمنين وذلك حين كذبه أهل مكة فشق ذلك
عليه فأنزل الله سبحانه هذه الآية نظيرها في الكهف إن نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين

(6/55)

ذليلين قال لو شاء الله سبحانه لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم
عنقه إلى معصية الله عز وجل ابن جريج لو شاء لأراهم أمرا من أمره لا يعمل
أحد منهم بمعصية
وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبان قال حدثنا إسحاق بن محمد قال حدثنا
أبي قال حدثنا إبراهيم بن عيسى قال حدثنا علي بن علي قال حدثني أبو حمزة
الثمالي في هذه الآية قال بلغنا والله أعلم أنها صوت يسمع من السماء في
النصف من شهر رمضان يخرج له العواتق من البيوت وبه عن أبي حمزة قال
حدثني الكلبي عن أبي صالح مولى أم هانئ أن عبد الله بن عباس حدثه قال
نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال سيكون لنا عليهم الدولة فتدل لنا

أعناقهم بعد صعوبة وهوان بعد عزة وأما قوله سبحانه خاضعين ولم يقل خاضعة وهي صفة الأعناق ففيه وجوه صحيحة من التأويل أحدها فضل أصحاب الأعناق لها خاضعين فحذف الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون فجعل الفعل أولا للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال كقول الشاعر على قبضة مرجودة ظهر كفه فلا المرء مستحي ولا هو طاعم فأنت فعل الظهر لأن الكف تجمع الظهر وتكفى منه كما أنك مكتف بأن تقول خضعت للأمر أن تقول خضعت لك رقبتني ويقول العرب كل ذي عين ناظر إليك وناظرة إليك لأن قولك نظرت إليك عيني ونظرت بمعنى واحد وهذا شائع في كلام العرب أن يترك الخبر عن الأول ويعمد الى الآخر فيجعل له الخبر كقول الراجز طول الليالي أسرعت في نقضي طوبين طولي وطوبين عرضي فأخبر عن الليالي وترك الطول قال جرير أرى مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال وقال الفرزدق نرى أرماحهم متقلديها إذا صدئ الحديد على الكمام فلم يجعل الخبر للأرماح ورده الى هم لكناية القوم وإنما جاز ذلك لأنه لو أسقط من وطول والأرماح من الكلام لم يفسد سقوطها معنى الكلام فكذلك رد الفعل الى الكناية في قوله أعناقهم لأنه لو أسقط الأعناق لما فسد الكلام ولأدى ما بقى من الكلام

(6/56)

عنها وكان فظلوا خاضعين لها واعتمد الفراء وأبو عبيد على هذا القول وقال قوم ذكر الصفة لمجاورتها المذكر وهو قوله هم على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه الى مذكر وتأنيت المذكر إذا أضافوه الى مؤنث كقول الأعشى وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم وقال العجاج لما رأى متن السماء ابعدت وقيل لما كان الخضوع وهو المتعارف من بني آدم أخرج الأعناق مخرج بني آدم كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقوله سبحانه يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ومنه قول الشاعر تمزرتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا وقيل إنما قال خاضعين فعبر بالأعناق عن جميع الأبدان والعرب تعبر ببعض الشيء عن كله كقوله بما قدمت يداك وقوله ألزمناه طائره في عنقه ونحوهما قال مجاهد أراد بالأعناق ههنا الرؤساء والكبراء وقيل أراد بالأعناق الجماعات والطوائف من الناس يقال جاء القوم عنقا أي طوائف وعصبا كقول الشاعر ان العراق وأهله عنق إليك فهيت هيتا وقرأ ابن أبي عبله فظلت أعناقهم لها خاضعة وما يأتيهم من ذكر أي وعظ وتذكير من الرحمان محدث في الوحي والتنزيل إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء أخبار وعواقب وجزاء ما كانوا به يستهزؤون وهذا وعيد لهم أو لم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج لون وصنف من النبات مما يأكل الناس والأنعام كريم حسن يكرم على الناس يقال نخلة كريمة إذا طاب حملها وناقاة كريمة إذا كثر لبنها أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا الحسن بن محمد بن

(6/57)

بختويه قال حدثنا عمرو بن ثور وإبراهيم بن أبي يوسف قال حدثنا محمد بن يوسف الغزالي قال حدثنا سفيان عن رجل عن الشعبي في قوله أنبتنا فيها من كل زوج كريم قال الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم إن في ذلك الذي ذكرت آية لدلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي وحكمتي وما كان أكثرهم مؤمنين لما سبق من علمي فيهم قال سيويه كان ههنا صلة مجازه وما أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز بالنعمة من أعدائه الرحيم ذو الرحمة بأوليائه وإذ نادى ربك موسى أن أئت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذها بناياتنا إنا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا صلى الله عليه وسلم إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى صلى الله عليه وسلم إسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها إذا وأنا من الصالحين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي صلى الله عليه وسلم أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جنتك بشىء مبين قال فات به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين وإذ نادى واذكرا يا محمد إذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة والنار أن أئت القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعصية ولبنى إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب قوم فرعون ألا يتقون وقرأ عبيد بن عمير بالتاء أي قل لهما ألا تتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون

(6/58)

ويضيق صدري من تكذيبهم إياي ولا ينطلق ولا ينبعث لساني بالكلام والتبليغ للعقدة التي فيه قراءة العامة برفع القافين على قوله أخاف ونصبها يعقوب على معنى وأن يضيق ولا ينطلق فأرسل إلى هارون ليؤازرنى ويظاهرنى على تبليغ الرسالة وهذا كما تقول إذا نزلت بي نازلة أرسلت إليك أي لتعينني ولهم علي ذنب يعني القتل الذي قتله منهم وأسمه ماثون وكان خباز فرعون وقيل على معنى عندي ولهم عندي ذنب فأخاف أن يقتلون به قال الله سبحانه كلا أي لن يقتلوك فاذها باياتنا إنا معكم مستمعون

(6/59)

سامعون ما يقولون وما تجابون وإنما أراد بذلك تقوية قلوبهما وإخبارهما أنه يعينهما ويحفظهما فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ولم يقل رسولا لأنه أراد المصدر أي رسالة ومجازه ذو رسالة رب العالمين كقول كثير لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول أي برسالة وقال

العباس بن مرداس إلا من مبلغ عنا خفافا رسولا بيت أهلك منتهاها يعني رسالة
فلذلك انتهاء قاله الفراء وقال أبو عبيد يجوز أن يكون الرسول في معنى
الواحد والاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولي ووكلني وهذا رسولي
ووكلني وهؤلاء رسولي ووكلني ومنه قوله فإنهم عدو لي وقيل معناه كل واحد
منا رسول رب العالمين أن أي بأن أرسل معنا بني إسرائيل إلى فلسطين ولا
تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم أربعمئة سنة وكانوا في ذلك الوقت
ستمائة وثلاثين ألفا فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها وأخبره بذلك فانطلقا
جميعا إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه فدخل البواب فقال
لفرعون ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا
نضحك منه فدخل عليه وأديا إليه رسالة الله سبحانه وتعالى فعرف فرعون
موسى لأنه نشأ في بيته فقال له ألم نريك فينا وليدا صبيا ولبثت فينا من
عمرك سنين وهي ثلاثون سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي
أخبرنا ابن عبدوس قال حدثنا محمد بن يعقوب قال حدثنا محمد بن الجهم قال
حدثنا الفراء قال حدثني موسى الأنصاري عن السري بن إسماعيل عن
الشعبي أنه قرأ وفعلت فعلتك التي بكسر الفاء ولم يقرأ بها غيره وأنت من
الكافرين الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي ربيناك فينا وليدا فهذا الذي كافتنا أن
قتلت منا وكفرت بنعمتنا وهذه رواية العوفي عن ابن عباس وقال إن فرعون
لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية فقال موسى قال فعلتها إذا وأنا من الضالين أي
الجاهلين قبل أن يأتيني عن الله شيء هذا قول أكثر المفسرين وكذلك هو في
حرف ابن مسعود وأنا من الجاهلين

(6/60)

وقيل من الضالين عن العلم بأن ذلك يؤدي إلى قتله وقيل من الضالين عن
طريق الصواب من غير تعمد كالقاصد إلى أن يرمي طائرا فيصيب إنسانا وقيل
من المخطئين نظيره إنك لفي ضلالك القديم إن أبانا لفي ضلال مبين وقيل من
الناسين نظيره إن تضل إحدايهما ففررت منكم لما خفتكم إلى مدين فوهب
لي ربي حكما فهما وعلمنا وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن
عبدت بني إسرائيل اختلف العلماء في تأويلها ففسرها بعضهم على إقرار
وبعضهم على الإنكار فمن قال هو إقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث
رباه ولم يقتله كما قتل غلمان بني إسرائيل ولم يستعبده كما استعبد وتركني
فلم يستعبدني وهذا قول الفراء ومن قال هو إنكار قال معناه وتلك نعمة على
طريق الاستفهام كقوله هذا ربي وقوله فهم الخالدون وقول الشاعر هم هم
وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة لم أنس يوم الرحيل وقفها ودمعها في
جفونها عرق وقولها والركب سائرة تتركنا هكذا وتنطلق وهذا قول مجاهد ثم
اختلفوا في وجهها فقال بعضهم هذا رد من موسى على فرعون حين امتن عليه
بالتربية فقال لو لم تقتل بني إسرائيل لرباني أبواي فأى نعمة لك علي وقيل
ذكره إساءته إلى بني إسرائيل فقال تمن علي أن تربيني وتنسى جنايتك على
بني إسرائيل

(6/61)

وقيل معناه كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه ذل فتعييدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إلي وقال الحسن يقول أخذت أموال بني إسرائيل وأنفقت منها علي واتخذتهم عبيدا وقوله سبحانه أن عبدت بني إسرائيل أي اتخذتهم عبيدا يقال يقال عبده وأعبده وأنشد الفراء علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم أباعر ما شاؤوا وعبدان وله وجهان أحدهما النصب بنزع الخافض مجازه بتعييدك بني إسرائيل والثاني الرفع على البدل من النعمة قال فرعون وما رب العالمين وأي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إلي قال موسى عليه السلام رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين إنه خلقها عن الكلبي وقال أهل المعاني إن كنتم موقنين أي ما تعابونه كما تعابونه فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والأرض قال فرعون لمن حوله من أشرف قومه قال ابن عباس وكانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة محيلا لقوم موسى معجبا لقومه ألا تستمعون فقال موسى مفهما لهم وملزما للحجة عليهم ربكم ورب آبائكم الأولين قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون يتكلم بكلام لا يعقله ولا يعرف صحته فقال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون فقال فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق وتماديا في الغي لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين المحبوسين قال الكلبي وكان سجنه أشد من القتل لأنه كان يأخذ الرجل إذا سجنه فيطرحه في مكان وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه شيئا يهوى به في الأرض فقال له موسى حين توعده بالسجن أولو جنتك بشيء مبين بين صدق قولي ومعنى الآية أتفعل ذلك إن أتيتك بحجة بينة وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان فقال له فرعون فأت به فإننا لن نسجنك حينئذ إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا

(6/62)

هي ثعبان مبين بين ظاهر أمره فقال وهل غير هذا فنزع موسى يده فإذا هي بيضاء للناظرين قال للملا حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم يسحره فماذا تأمرون قالو صلى الله عليه وسلم أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن

(6/63)

الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال ءامنتم له قبل أن

ءاذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلينكم أجمعين قالوا لا ضير إننا إلي ربنا منقلبون إننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي صلى الله عليه وسلم إنكم متبعون فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين إن هاؤلا صلى الله عليه وسلم ء لشردمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإننا لجمع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى صلى الله عليه وسلم إسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما ترآا الجمعان قال أصحاب موسى إننا لمدركون قال كلا إن معى ربهى سيهدين فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانطلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الاخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الاخرين إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم فقال فرعون للملا من حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت فى أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقال ابن زيد وكان اجتماعهم للميقات بالإسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون تنظرون الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة لموسى أو للسحرة لعنا لكي نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين موسى قيل إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء وأرادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إننا لنحن

(6/64)

الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا أمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال أنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلينكم أجمعين قالوا لا ضير لا ضرر إننا إلي ربنا لمنقلبون إننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن لأن كنا أول المؤمنين من أهل زماننا وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن لؤلؤ قال أخبرنا الهيثم بن خلف قال حدثنا الدورقي عن حجاج بن جريح فى هذه الآية قال أوحى الله سبحانه الى موسى أن اجمع بنى إسرائيل كل أربعة أهل أبيات فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أموالكم فإني سامر الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه دم وسامرها فتقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمرى ففعل ذلك فلما اصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبقارنا من أنفسنا وأموالنا فأرسل فى أمره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى الكرسى العظيم فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين يعنى الشرط ليجمعوا السحرة وقال لهم إن هؤلاء لشردمة عصبة وشردمة كل شيء بقيته القليلة ومنه قول الراجز جاء الشتاء وقميصى أخلاق شرادم يضحك

منه التواق قال ابن مسعود كان هؤلاء الشرذمة ستمائة وسبعون ألفاً وأخبرنا أبو بكر الخرمي قال أخبرنا أبو حامد الأعمش قال حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي قال حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا إسحاق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي في هذه الآية قال كان أصحاب موسى ستمائة ألف وإنهم لنا لغائظون يعني أعداء لمخالفتهم ديننا وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا وإنا لجميع حاذرون قرأ النخعي والأسود بن يزيد

(6/65)

وعبيد بن عمر و سائر قراء الكوفة وابن عامر والضحاك حاذرون بالألف وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس واختيار أبي عبيد وقرأ الآخرون حذرون بغير ألف وهما لغتان وقال قوم حاذرون مؤدون مقرون شاكون في السلاح ذوو أرادة قوة وكراع وحذرون فرقون متيقظون وقال الفراء كأن الحاذر الذي يحذر والحدز المخلوق حذر ألا يلقاه إلا حذراً والحدز اجتناب الشيء خوفاً منه وقرأ شميظ بن عجلان حادرون بالدال غير معجمة قال الفراء يعني عظاما من كثرة الأسلحة ومنه قيل للعين العظيمة حدرة وللمتورم حادر قال امرؤ القيس وعين لها حدرة بدرة وسقت ماقيها من آخر فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز قال مجاهد سماها كنوزاً لأنها لم تنفق في طاعة الله سبحانه ومقام كريم ومجلس حسن كذلك كما وصفنا وأورثناها بهلاكهم بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلحقوهم في وقت إشراق الشمس وهو إضاءتها فلما تراءى الجمعان أي تقابلا بحيث يرى كل فريق منهما صاحبه وكسر يحيى والأعمش وحمزة وخلف الراء تراءى الباقون بالفتح قال أصحاب موسى إنا لمدركون لملحقون وقرأ الأعرج وعبيد بن عمير لمدركون بتشديد الدال والاختيار قراءة العامة كقوله حتى إذا أدركه الغرق قال موسى ثقة بوعد الله كلا لا يدركونكم إن معي ربي سيهدين طريق النجاة فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين الضنجوي قال أخبرنا محمد بن الحسين بن علي اليقطيني قال أخبرنا أحمد بن عبد الله العقيلي قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد قال حدثني محمد بن حمزة وعبد الله بن سلام أن موسى لما انتهى إلى البحر قال يا من قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجاً فأوحى الله سبحانه أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فانشق فكان كل فرق فرقة أي قطعة من الماء كالطود العظيم كالجبل الضخم قال ابن جريج وغيره لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح والبحر يرمي موجاً مثل الجبال فقال له يوشع يا مكلم الله أين أمرت

(6/66)

فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وحار البحر يتواري حتى أقر دابته الماء وقال الذي يكتم إيمانه يا مكلم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقته ثم أقحمه البحر

فارتسب الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدر و فجعل موسى لا
يدري كيف يصنع
وأوحى الله سبحانه أن اضرب بعصاك البحر فضربه بعصاه فانفلق فإذا الرجل
واقف على فرسه لم يتل لبده ولا سرجه وأزلفنا ثم الآخرين يعني قوم فرعون
يقول قربناهم الى الهلاك وقدمناهم الى البحر وأنجينا موسى ومن معه
أجمعين ثم أغرقنا الآخرين فرعون وقومه إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين قال مقاتل لم يؤمن من أهل مصر غير أسية امرأة فرعون وخريل
المؤمن ومريم بنت موساء التي دلت على عظام يوسف وإن ربك لهو العزيز
الرحيم واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لآبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما
فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا
بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرءيتم ما كنتم تعبدون أنتم وءآبؤكم
الاقدمون فإنهم عدو لي صلى الله عليه وسلم إلا رب العالمين الذي خلقني
فهو يهديني والذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني والذي يميتني
ثم يحييني والذي صلى الله عليه وسلم أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين
رب هب لي حكما وألحني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين
واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لآبي صلى الله عليه وسلم إنه كان من
الضالين ولا تخزني يوم يبعثون واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لآبيه وقومه ما
تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفين قال بعض العلماء إنما قالوا فنظّل
لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم قراءة العامة بفتح
الياء أي هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم بضم الياء إذ تدعون أو
ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وفي هذه الآية بيان أن
الدين إنما

(6/67)

يثبت بالحجة وبطلان التقليد فيه قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبؤكم
الأقدمون الأولون فإنهم عدو لي وأنا منهم بريء وإنما وحد العدو لأن معنى
الكلام فإن كل معبود لكم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة كما قال الله سبحانه
وتعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا
وقال الفراء هو من المقلوب أراد فإني عدو لهم لأن من عاديته عاداك ثم قال
إلا رب العالمين نصب بالاستثناء يعني فإنهم عدو لي وغير معبود لي إلا رب
العالمين فإني أعبده قاله الفراء وقيل هو بمعنى لكن وقال الحسن بن الفضل
يعني الأمر عند رب العالمين ثم وصفه فقال الذي خلقني فهو يهديني فأخبر أن
الهادي على الحقيقة هو الخالق لا هادي غيره قال أهل اللسان الذي خلقني في
الدنيا على فطرته فهو يهديني في الآخرة إلى جنته والذي هو يطعمني ويسقيني
يعني يرزقني ويربيني وقال أبو العباس بن عطاء يعني يطعمني أي طعام شاء
ويسقيني أي شراب شاء قال محمد بن كثير العبدى صحبت سفيان الثوري
بمكة دهرا فكان يستف من السبت الى السبت كفا من رمل وسمعت أبا
القاسم بن حبيب يقول سمعت أبا الحسن محمد بن علي بن الشاه يقول
سمعت أبا عبد الله محمد بن علي بن حمدان يقول سمعت الحجاج بن عبد
الكريم يقول خرجت من بلخ في طلب إبراهيم بن أدهم فرأيت به حمص في
أتون يسجرها فسلمت عليه وسألته عن حاله فرد علي السلام وسألني عن

حالي وحال أقربائه فكنت معه يومه ذلك فقال لعل نفسك تنازعك الى شيء
من طعام فقلت نعم فأخذ رمادا وترابا فخلطهما وأكلهما ثم أقبل بوجهه علي
وأنشأ يقول اخلط التراب بالرماد وكله وازجر النفس عن مقام السؤال فإذا
شئت ان تقبع بالذل فرم ما حوته أيدي الرجال فخرجت من عنده فمكثت أياما
لم أدخل عليه فاشتد شوقي إليه فدخلت عليه وكنت عنده فلم يتكلم بشيء
فقلت له لم لا تكلم فقال منع الخطاب لأنه سبب الردى والنطق فيه معادن
الآفات فإذا نطقت فكن لربك ذاكرا وإذا سكت فعد جسمك مات قال أبو بكر
الوراق

(6/68)

يطعمني بلا طعام ويسقيني بلا شراب ومجازها يشبعني ويرويني من غير علاقة
كقول النبي صلى الله عليه وسلم إنى أبيت يطعمني ربي ويسقيني يدل عليه
حديث السقاء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث سمع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثة أيام يقرأ وما من دابة في الأرض إلا على
الله رزقها فرمى بقبرته فاتاه أت في منامه بقدر من شراب الجنة فسقاه قال
أنس فعاش بعد ذلك نيفا وعشرين سنة لم يأكل ولم يشرب على شهوته وقال
علي بن قادم كان عبد الرحمن بن أبي نعم لا يأكل في الشهر إلا مرة فبلغ ذلك
الحجاج فدعاه وأدخله بيتا وأغلق عليه بابه ثم فتحه بعد خمسة عشر يوما ولم
يشك أنه مات فوجده قائما يصلي فقال يا فاسق تصلي بغير وضوء فقال إنما
يحتاج الى الوضوء من يأكل ويشرب وأنا على الطهارة التي أدخلتني عليها هذا
البيت وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد النيسابوري يقول سمعت أبا نصر
منصور بن عبد الله الاصبهاني يقول سمعت أبا سعيد الخزاز بمكة يقول كنت
بطرسوس جائعا فاشتد بي الجوع فجلست على شاطئ النهر ووضعت رجلي
في الماء فنوديت أضجرت من جوعك هاك شبع الأبد قال فعاش بعده سنين لم
يشته طعاما ولا شرابا وكان مع ذلك إذا أراد الأكل والشرب أمكنه وبلغني أن
امراة اسرت من حلب الى الروم في أيام سيف الدولة علي بن حمدان فهربت
منهم ومشيت مائتي فرسخ لم تطعم شيئا فقدمت الى سيف الدولة فقال لها
كيف قويت على المشي وكيف عشت بلا طعام فقالت كنت كلما جعت أو
أعييت أقرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فأشبع وأروى وأقوي وسمعت أبا
القاسم يقول سمعت أبا القاسم النصرآبادي يقول سمعت أبا بكر الشبلي
يقول في الخبز لطيفة تشبعك لا الخبز ولو شاء لأبقى فيك تلك اللطيفة حتى لا
تحتاج الى الخبز وقال ذو النون المصري يطعمني طعام المحبة ويسقيني
شراب المحبة ثم أنشأ يقول شراب المحبة خير الشراب وكل شراب سواه
سراب وسمعت ابن حبيب يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عبيد الله
الجرجاني يقول سمعت

(6/69)

الحسن بن علوية الدامغاني يقول سمعت عمي يقول سمعت أبا يزيد
البسطامي يقول إن لله شرابا يقال له شراب المحبة ادخره لأفاضل عباده فإذا

شربوا سكروا فإذا سكروا
طاشوا فإذا طاشوا طاروا فإذا طاروا وصلوا فإذا وصلوا اتصلوا فهم في مقعد
صدق عند مليك مقتدر وقال الجنيد يحشر الناس كلهم عراة إلا من لبس لباس
التقوى وغراثا إلا من أكل طعام المعرفة وعطاشى إلا من شرب شراب
المحبة وإذا مرضت أضاف إبراهيم عليه السلام المرض الي نفسه وإن كان من
الله سبحانه لأن قومه كانوا يعدونه عيبا فاستعمل حسن الأدب نظيرها قصة
الخضر حيث قال فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما فهو
يشفين يبرئني يحكى أن أبا بكر الوراق مر بطبيب يعطي الناس الأدوية فوقف
عليه وقال يفعل دواؤك هذا أمرين قال وما هما فقال رد قضاء قاض وجر
شفاء شاف فقال لا قال فليس ذلك بشيء وقال جعفر الصادق إذا مرضت
بالذنوب شفاني بالتوبة سامر بن عبد الله إذا مرضتني مقاساة الخلق شفاني
بذكره والأنس به والذي يميتني ثم يحييني ثم أدخل ههنا ثم للقطع والتراخي قال
أهل اللسان والاشارة يميتني بالعدل ويحييني بالفضل يميتني بالمعصية
ويحييني بالطاعة يميتني بالفراق ويحييني بالتلاقي يميتني بالخذلان ويحييني
بالتوفيق يميتني غنى ويحييني به يميتني بالجهل ويحييني بالعلم والذي أطمع
أرجو أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين قراءة العامة بالتوحيد وأخبرني ابن
فنجويه قال حدثنا ابن حنش قال حدثنا أبا القاسم بن الفضل قال حدثنا أبي
قال حدثنا أحمد بن يزيد قال حدثنا روح عن أبي اليقظان قال حدثنا الحكم
السلمي

(6/70)

قال سمعت الحسن يقرأ والذي أطمع أن يغفر لي خطاياي يوم الدين قال إنها
لم تكن خطيئة ولكن كانت خطايا قال مجاهد ومقاتل هي قوله إني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي زاد الحسن وقوله للكواكب هذا
ربي أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن إبراهيم بن
شاذان قال حدثنا عبيد الله بن ثابت الحريري قال حدثنا أبو سعيد الأشج قال
حدثنا أبو خالد عن داود عن الشعبي عن عائشة خ قالت يا رسول الله إن عبد
الله بن جدعان كان يقري الضيف ويصل الرحم ويفك العاني فهل ينفعه ذلك
قال لا لأنه لم يقل يوما قط اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا الكلام من
إبراهيم عليه السلام احتجاج على قومه وإخبار أنه لا يصلح للإلهية إلا من فعل
هذه الأفعال رب هب لي حكما وهو البيان على الشيء على ما توجه الحكمة
وقال مقاتل فهما وعلماء والكلبي النبوة والحقني بالصالحين بمن قبلي من
النبيين في الدرجة والمنزلة وقال ابن عباس بأهل الجنة واجعل لي لسان
صدق في الآخرين أي ذكرا جميلا وثناء حسنا وقبولا عاما في الأمم التي تجيء
بعدي فأعطاه الله سبحانه وتعالى ذلك فكل أهل الأديان يتولونه وبينون عليه
قال القتيبي ووضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكنى بها
والعرب تسمى اللغة لسانا وقال أعشى باهله إني أتنتي لسان لا أسر بها من
علو لا عجب منها ولا سخر واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي أنه كان
من الضالين وقد بينا المعنى الذي من أجله استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه
في سورة التوبة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع

ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فككبوا فيها هم والغاؤون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد هذا قول أكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض قال الله سبحانه في قلوبهم مرض وقال أبو عثمان النيسابوري هو القلب الخالي من البدعة المظمتن على السنة وقال الحسين بن الفضل سليم من أفة المال والبنين وقال الجنيد السليم في اللغة اللديغ فمعناه كاللديغ من خوف الله وأزلفت وقربت الجنة للمتقين وبرزت وأظهرت الجحيم للغاوين للكافرين وقيل لهم يوم القيامة أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون لأنفسهم فككبوا فيها قال ابن عباس جمعوا مجاهد ذهبوا مقاتل قذفوا وأصله كببوا فكررت الكاف فيه مثل قولك تهنهي وريح صرصر ونحوهما هم والغاؤون يعني الشياطين عن قتادة ومقاتل الكلبي كفرة الجن وجنود إبليس أجمعون وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس قالوا للشياطين والمعبودين تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم بعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه وما أضلنا أي دعانا إلى الضلال وأمرنا به إلا المجرمون يعني الشياطين عن مقاتل والكلبي أولونا الذين اقتدينا بهم أبو العالیه وعكرمة يعني إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتال وأنواع المعاصي

فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قريب ينفعنا وبشفع لنا وذلك حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون أخبرني الحسين بن محمد الفنجوي قال حدثنا محمد بن الحسين بن علي اليقطيني قال أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا من سمع أبا الزبير يقول أشهد لسمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرجل ليقول في الجنة رب ما فعل صديقي فلان وصديقه في الحميم فيقول الله سبحانه أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنية قال حدثنا سمعان بن أبي مسعود قال حدثنا المضاء بن الجارود قال حدثنا صالح المري عن الحسن قال ما اجتمع ملاً على ذكر الله تعالى فيهم عبد من أهل الجنة إلا شفعه الله فيهم وإن أهل الإيمان شفعاء بعضهم في بعض وهم عند الله شافعون مشفعون فلو أن لنا كرة رجعة إلى الدنيا تمنوا

حين لم ينفعهم فنكون من المؤمنين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم آخوهم نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالو صلى الله عليه وسلم أأنؤمن لك واتبعك الأردلون قال وما علمى بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين قال رب إن قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناها ومن معى فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح ادخلت ألتاء للجماعة كقوله قالت الأعراب المرسلين يعنى نوحا وحده كقوله يا أيها الرسل وأخبرني أبو عبد الله الدينوري قال حدثنا

(6/73)

أبو على المقري قال حدثنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب قال حدثنا الحسن بن محمد الصباح قال حدثنا عبد الوهاب عن إسماعيل عن الحسين قال قيل له يا أبا سعيد أ رأيت قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين و كذبت عاد المرسلين و كذبت ثمود المرسلين وإنما أرسل إليهم رسولا واحدا قال ان الآخر جاء بما جاء به الأول فإذا كذبوا واحدا فقد كذبوهم أجمعين إذ قال لهم آخوهم فى النسبة لا فى الدين نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين على الوحي فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك قراءة العامة وقرأ يعقوب وأتباعك الأردلون يعنى السفلة عن مقاتل وقتادة والكلبي ابن عباس الحاكة وأخبرني الحسين بن محمد الفنجوي قال حدثنا محمد بن الحسين الكعبي قال حدثنا حسين بن مزاحم عن ابن عباس فى قول الله سبحانه واتبعك الأردلون قال الحاكة عكرمة الحاكة والأسالفة قال نوح وما علمى بما كانوا يعملون إنما لي منهم ظاهر أمرهم وعلي أن أدعوهم وليس على من خساسة أحوالهم ودناءة مكاسبهم شيء ولم أكلف ذلك إنما كلفت أن أدعوهم إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وقيل معناه أي لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم وبوقفهم ويخذلكم وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يانوح عما تقول وتدعو إليه لتكونن من المرجومين يعنى المشؤومين عن الضحاك قتادة المضروبين بالحجارة قال ابن عباس ومقاتل من المقتولين الثمالي كل شيء فى القرآن من ذكر المرجومين فإنه يعنى بذلك القتل إلا التى فى سورة مريم لئن لم تنته لأرجمنك فإنه يعنى لاشتمنك قال رب إن قومى كذبون فافتح فاحكم بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناها ومن معى فى الفلك المشحون يعنى الموقر المجهز عن ابن عباس مجاهد المملوء المفروغ منه عطاء المثقل قتادة المحمل

(6/74)

كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي صلى الله عليه وسلم أمدمكم بما تعلمون أمدمكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني صلى الله عليه وسلم أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خلق الأولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ثم أغرقنا بعد الباقين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين على الرسالة وقال الكلبى أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أتبنون بكل ريع قال الوالى عن ابن عباس بكل شرف قتادة والضحاك ومقاتل والكلبى طريق هي رواية العوفي عن ابن عباس ابن جريح عن مجاهد هو الفج بين الجبلين ابن أبي نجیح عنه هو الثقبه الصغيرة وعنه أيضا عكرمة وإد مقاتل بن سليمان كانوا يسافرون ولا يهتدون إلا بالنجوم فبنوا على الطرق أميالا طوالا عبثا ليهتدوا بها يدل عليه قوله آية أي علامة وروي عن مجاهد أيضا قال الربيع بنان الحمام دليله وقوله تعبثون أي تلعبون أبو عبيد هو المكان المرتفع وأنشد لذي الرمة طراق الخوافي مشرف فوق ريعه ندى ليلة في ريشه يتفرق وفيه لغتان ريع وريع بكسر الراء وفتحها وجمعه أرباع وريعه وتتخذون مصانع قال ابن عباس ومجاهد قصور مشيدة معمر عنه الحصون ابن أبي نجیح عنه بروج الحمام قتادة مأخذ للماء الكلبى منازل عبد الرزاق المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العادية واحدها مصنع

(6/75)

لعلكم تخلدون قال ابن عباس وقتادة يعني كأنكم تبقون فيها خالدين ابن زيد لعل استفهام يعني فهل تخلدون حين تبنون هذه الأشياء الفراء كيما تخلدون وإذا بطشتم أي سطوتم وأخذتم بطشتم جبارين قتالين من غير حق قال مجاهد قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدمكم بما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال أمدمكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت روى العباس عن ابن عمير وواقد عن الكسائي بإدغام الطاء في التاء الباقون بالإظهار وهو الاختيار أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خلق الأولين قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وبعقوب وأيوب وأبي عبيد وأبي حاتم بفتح الخاء لقوله وتخلقون إفكا وقوله إن هذا إلا اختلاق ومعناه إن هذا إلا دأب الأولين وأساطيرهم وأحاديثهم وقرأ الباقون بضم الخاء واللام أي عبادة الأولين من قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وهذا تأويل قتادة وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أتتركون في ما هاهنا آمنين في

جنات و عيون وزروع ونخل طلعتها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعو صلى الله عليه وسلم ا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالو صلى الله عليه وسلم ا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بثاية إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسو صلى الله عليه وسلم ء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم

(6/76)

كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتركون في ما ههنا أي في الدنيا آمنين في جنات و عيون وزروع ونخل طلعتها ثمرها هضيم قال ابن عباس لطيف مادام في كفره ومنه قيل هضيم الكشح إذا كان لطيفا وهضم الطعام إذا لطف واستحال الى شكله عطية عنه يانع نضيج قتادة وعكرمة الرطب اللين الحسن رخو وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شبنة قال حدثنا ابن ماهان قال حدثنا الطنافسي قال حدثنا وكيع عن سلام عن أبي إسحاق عن أبي العلاء طلعتها هضيم قال مذب مجاهد متهشم متفتت وذلك حين يطلع يفيض عليه فيهضمه وهو مادام رطبا فهو هضيم فإذا يبس فهو هشيم أبو العالية يهشيش في الفم الضحاك ومقاتل متراكم ركب بعضه بعضا حتى هضم بعضه بعضا وأصله من الكسر وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قرأ أهل الشام والكوفة فارهين بالألف وهي قراءة أصحاب عبد الله واختيار أبي عبيد أي حاذقين بتخيرها وقال عطية وعبد الله بن شداد متخيرين لمواضع نحتها وقرأ الباقون فرهين بغير ألف وهو اختيار أبي حاتم واختلفوا في معناه فقال ابن عباس أشربن الضحاك كيسين قتادة معجبين بصنعكم مجاهد شرهين عكرمة ناعمين السدي متحيرين ابن زيد أقوياء الكسائي بطرين أبو عبيدة فرحين الأخفش فرحين والعرب تعاقب بين الحاء والهاء مثل مدحته ومدته ويجوز أن يكون فرهين وفارهين بمعنى واحد مثل قوله عظاما نخرة وناخرة ونحوها فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين المشركين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا إنما أنت من المسحرين أي المسحورين المخدوعين عن مجاهد وقتادة وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس من المعللين بالطعام والشراب وأنشد الكلبي قول لبيد فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر وقال آخر ويسحر بالطعام وبالشراب

(6/77)

أي يعلل ويخدع وهو علي هذين القولين من السحر بكسر السين وقال بعضهم من السحر بفتح السين أي أصحاب الرؤية يدل عليه قوله ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية على صحة ما يقول إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب حظ ونصيب من الماء ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء بعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين على عقرها حين رأوا العذاب

فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين قال إني لعملككم من القالين رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون مجاوزون الحلال إلى الحرام قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين من بلدنا قال إني لعملككم يعني اللواط من القالين المبغضين ثم دعا فقال رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين عند نزول العذاب إلا عجوزا في الغابرين وهي امرأة لوط بقيت في العذاب والهلاك ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين فقال سمعت وهب بن منبه يقول الكبريت والنار ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم

(6/78)

كذب أصحاب لئيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين قالو صلى الله عليه وسلم إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي صلى الله عليه وسلم أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين كذبت أصحاب الأيكة الغيضة وهم قوم شعيب والليكة والأيكة لغتان قرئتا جميعا المرسلين قال أبو زيد بعث الله سبحانه شعيبا إلى قومه وأهل مدين وإلى أهل البادية وهم أصحاب الأيكة إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم شعيب لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيبا لأنه كان منهم إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين وإنما دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله سبحانه عنهم على صيغة واحدة للإخبار بأن الحق الذي يدعون إليه واحد وأنهم متفقون على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الناقصين للكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الخليفة الأولين والجبلة الخلق قال الشاعر والموت أعظم حادث مما يمر على الجبلة قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك

لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون وهو مجازيكم به وما علي إلا الدعوة فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة وذلك أن

(6/79)

الله سبحانه حبس عنهم الريح سبعة أيام وسلط عليهم الحر حتى أخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء وكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فإذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر فخرجوا هرابا الى البرية فأظلتهم سحابة وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أمطرت عليهم نارا فاحترقوا قال قتادة بعث الله سبحانه شعبيا إلى أمتين أصحاب الأيكة وأهل مدين فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة وأما أهل مدين فأخذتهم الصيحة صاح بهم جبرئيل صيحة فهلكوا جميعا أخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا موسى بن محمد قال حدثنا الحسن بن علويه قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا المسيب عن برد الجريري قال سلط الحر عليهم سبعة أيام ولياليهن ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل منهم فإذا تحته أنهار وعيون وماء بارد فتمكن تحته وأخذ ما يكفيه ثم جاء إلى أهل بيته فأذنبهم فجاؤوا فأخذوا ما يكفيهم وتمكنوا ثم أذن بقية الناس فاجتمعوا تحته كلهم فلم يغادر منهم أحدا فوق ذلك الجبل عليهم فذلك قوله سبحانه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم وإن ربك لهو العزيز الرحيم وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الاولين أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى صلى الله عليه وسلم إسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجميين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين مق وإنه لتنزيل رب العالمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظررون أبعذابنا يستعجلون أفرايت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكتنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع

(6/80)

لمعزولون فلا تدع مع الله إلاهاء اخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بري صلى الله عليه وسلم مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين إنه هو السميع العليم يعني القرآن نزل به الروح الامين قرأ الحجازيون وأبو عمر بتخفيف الزاي ورفع الحاء والنون يعنون جبرئيل عليه السلام بالقرآن وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي نزل الله جبرئيل عليه السلام وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم لقوله وإنه لتنزيل وهو مصدر نزل على قلبك يا محمد حتى وعيته

لتكون من المنذرين بلسان يعني نزل بلسان عربي مبين وإنه يعني ذكر القرآن وخبره عن أكثر المفسرين وقال مقاتل يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته لفي زبر كتب الأولين وقرأ الأعمش زبر بجزم الباء وغيره بالرفع أو لم يكن لهم آية قرأ ابن عامر تكن بالتاء آية بالرفع غيره تكن بالتاء آية بالنصب ومعنى الآية أولم يكن لهؤلاء المنكرين دلالة وعلامة أن يعلمه يعني محمدا علماء بني إسرائيل عبد الله بن سلام وأصحابه قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا لزمانه وأنا نجد في التوراة نعته وصفته وكان ذلك آية لهم على صدقه ولو نزلناه يعني القرآن على بعض الأعجمين هو جمع الأعجم وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان منسوباً الى العرب وتأنثه عجماء وجمعه عجم ومنه قيل للبهائم عجم لأنها لا تتكلم قال النبي صلى الله عليه وسلم العجماء جرحها جبار فإذا أردت أنه منسوب إلى العجم قلت عجمي وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حنش قال حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال حدثنا سهل بن علي قال حدثنا أبو عمر قال حدثنا شجاع بن أبي نصر عن عيسى بن عمر عن الحسن أنه قرأ ولو نزلناه على بعض الأعجميين مشددة بيائين جعله نسبة ومعنى الآية ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم بغير لغة العرب لما كانوا به مؤمنين وقالوا ما يفقه قولك نظيره قوله سبحانه ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته وقيل معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من اتباعه كذلك سلكناه أي أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين لتقوم الحجة عليهم وقيل يعني سلكناه الكفر في قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال الفراء من شأن العرب إذا وضعت لا موضع كي في مثل هذا ربما جزمت ما بعدها وربما رفعت فتقول ربطت الفرس لا ينفلت جزماً ورفعا وأوثقت العبد لا يابق في الجزم على تأويل إن لم أربطه انفلت وإن لم أوثقه فر

والرفع على أن الجازم غير ظاهر أنشد بعض بني عقيل وحتى رأينا أحسن الود بيننا مساكنة لا يقرف الشر قارف ينشد رفعا وجزما ومن الجزم قول الراجز لطال ما حلاتماها لا ترد فخليها والسجال تبتد حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم قراءة العامة بالياء يعنون العذاب أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حنش قال أخبرنا أبو العباس عبد الرحمن بن محمد ابن حماد الطهراني قال أخبرنا أبو زكريا يحيى بن الفضل الحرمي قال حدثنا وهب بن عمرو النمري قال أخبرنا هارون بن موسى العتكي قال حدثنا الحسام عن الحسن أنه قرأ فيأتيهم بغتة بالتاء فقال له رجل يا أبا سعيد إنما يأتيهم العذاب بغتة فانتهره الحسن وقال إنما هي الساعة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون قال مقاتل فقال المشركون يا محمد إلى متى توعدنا بالعذاب فأنزل الله عز وجل أفيعدابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين في الدنيا ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون رسل يندرونهم ذكرى أي يندرونهم تذكرة محلها نصب وقيل رفع أي تلك ذكرى وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعدنا إليهم وما تنزلت به الشياطين بل نزل به الروح الامين وقرائة العامة الشياطين بالياء في جميع القرآن لأن نونه سنخية وهجاؤه واحد كالدهاقين والبساتين وقرأ الحسن البصري ومحمد بن السميدح اليماني الشياطين بالواو وقال الفراء غلط الشيخ يعني الحسن ف قيل ذلك النصر بن شميل ف قيل إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤية ودونهما فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه مع إنا نعلم أنهما لم يقرأ ذلك إلا وقد سمعا فيه وقال المؤرخ إن كان اشتقاق الشياطين من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه وأخبرني عمر بن شيه قال سمعت أبا عبيد يقول لم نعب على الحسن في قراءته إلا قوله وما تنزلت به الشياطين وبإسناده عن عمر بن شيه قال حدثنا أبو حرب الباهي من ولد باب قال جاء أعرابي

(6/83)

إلى
يونس بن حبيب فقال أتانا شاب من شبابكم هؤلاء فأتى بنا هذا الغدير فأجلسنا في ذات جناحين من الخشب فأدخلنا بساتين من وراءها بساتون قال يونس ما أشبه هذا بقراءة الحسن وما ينبغي لهم أن ينزلوا القرآن وما يستطيعون ذلك إنهم عن السمع أي استراق السمع من السماء لمعزولون وبالشهب مرجومون فلا تدع مع الله إلاها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا موسى بن محمد بن علي بن عبد الله قال حدثنا الحسن بن علي بن شبيب المعمر قال حدثني عباد بن يعقوب قال حدثنا علي بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني عن زكريا بن ميسرة عن أبي إسحاق عن البراء قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس فأمر عليا برجل شاة فادمها ثم قال ادنوا باسم الله فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم اشربوا باسم الله فشرب القوم حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال هذا ما يسحركم به الرجل فسكت النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ فلم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله سبحانه والبشير لما يجيء به أحد منكم جئتمكم بالدنيا والآخرة فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ومن يواخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني فسكت القوم وأعاد ذلك ثلاثا كل ذلك يسكت القوم ويقول علي أنا فقال أنت فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب ابنك فقد أمر عليك وأخبرنا عبد الله بن حامد الاصفهاني ومحمد بن عبد الله بن حمدون قالا أخبرنا أحمد ابن محمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا

(6/84)

هريرة قال قام النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله سبحانه وأنذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أعني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف لا أعني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أعني عنكم من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد لا أعني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً فسلوني من مالي ما شئتم وأخبرني عبد الله بن حامد قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبد الله بن هاشم

(6/85)

قال حدثنا عبد الله قال حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أنزل الله سبحانه وأنذر عشيرتك الاقربين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء وبين رجل يبعث رسولاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم قال فإني نذيركم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ما دعوتنا إلا لهذا فأنزلت تبت يدا أبي لهب وتب واخفض جناحك فلين جانبك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون من عبادة الأوثان ومعصية الرحمن وتوكل بالفاء أهل المدينة والشام وكذلك هو في مصاحفهم وغيرهم بالواو أي وتوكل على العزيز الرحيم ليكفيك كيد أعدائك الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك عن أكثر المفسرين وقال مجاهد الذي يراك أينما كنت وتقلبك ويرى تقلبك في صلوتك في حال قيامك وقعودك وركوعك وسجودك قال عكرمة وعطية عن ابن عباس وقال مجاهد ويرى تقلبك في المصلين أي إبصارك منهم من هو خلفك كما تبصر من هو أمامك قال وكان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا السلمي وأحمد بن حفص وعبد الله الفراء وقطن قالوا حدثنا حفص قال حدثنا إبراهيم بن طهمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من بعد ظهري إذا ركعتم وسجدتم وقال قتادة وابن زيد ومقاتل والكلبي يعني وتصرفك مع المصلين في أركان الصلاة في الجماعة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً وهي رواية عطاء الخراساني عن ابن عباس

(6/86)

وقال سعيد بن جبير وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله والساجدون في هذا القول الأنبياء وقال الحسن يعني وتصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك والمؤمنين أخبرني أبو سهل عبد الملك بن محمد بن أحمد بن حبيب المقرئ قال حدثنا أبو بكر أحمد بن موسى قال حدثنا زنجويه

بن محمد قال حدثنا علي بن سعيد النسوي أبو عاصم عن صهيب عن عكرمة عن ابن عباس وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة وحدثنا أبو الحسن محمد بن علي بن سهل الماسرخسي الفقيه إملاء قال أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة قال حدثنا الحسن بن بشر قال حدثنا سعدان بن الوليد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس في قوله سبحانه وتقلبك في الساجدين قال ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه إنه هو السميع لقراءتك العليم بعملك هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا صلى الله عليه وسلم أى منقلب ينقلبون هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ثم بين فقال تنزل على كل أفاك كذاب أثيم فاجر وهم الكهنة وقال مقاتل مثل مسيلمة وطلحة يلقون السمع يعني يستمعون من الملائكة مستترقين فيلقون إلى الكهنة وأكثرهم كاذبون لأنهم يخلطون به كذبا كثيرا وهم الآن محجوبون والحمد لله رب العالمين والشعراء يتبعهم الغاوون أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الحربي قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن حمدون بن عمارة الأعمش قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن قهزاد المروزي قال حدثنا حاتم بن العلاء قال أخبرنا عبد المؤمن عن بريده عن ابن عباس في هذه الآية والشعراء يتبعهم

(6/87)

الغاوون قال هم الشياطين يدل عليه قوله سبحانه وتعالى فأغوبناكم إنا كنا غاوين وقال الضحاك تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين ومع كل واحد منهم غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية وهي رواية عطية عن ابن عباس عكرمة عنه الرواة علي بن أبي طلحة عنه كفار الجن والإنس وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد قال حدثنا أبو بكر بن مجاهد قال أخبرني جعفر بن محمد قال حدثنا حسين بن محمد بن علي قال حدثنا أبي عن عبد الله بن سعيد بن الحر عن أبي عبد الله والشعراء يتبعهم الغاوون قال هم الذين يشعرون قلوب الناس بالباطل وأراد بهؤلاء شعراء الكفار عبد الله بن الزبيرى المخزومي وهبيرة بن أبي وهب ومسافع بن عبد مناف وعمرو بن عبد الله أبا عزة الجمحي وأميه بن أبي الصلت كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتبعهم الناس أخبرني الحسن بن محمد بن الحسين قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنية قال حدثنا محمد بن عمران بن هارون قال حدثنا علي بن سعيد النسوي قال حدثنا عبد السلام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن مكحول عن أبي إدريس عن غضيف أو أبي غضيف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحدث هجاء في الإسلام فاقطعوا لسانه وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السني قال أخبرنا أبو يعلى قال حدثنا إبراهيم بن عرعة قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن سعيد بن جبير

عن ابن عباس قال لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم يعني مكة رن إبليس رنة فاجتمعت إليه ذريته فقال آيسوا أن تترد أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا ولكن أفشوا فيها يعني مكة الشعر والنوح ألم تر أنهم في كل واد من أودية الكلام يهيمون حائرين وعن طريق الحق والرشد جائرين قال الكسائي الهائم الذاهب على وجهه أبو عبيد

(6/88)

الهائم المخالف للقصد
قال ابن عباس في هذه الآية في كل لغو يخوضون مجاهد في كل فن يفتنون قتادة يمدحون قوما باطل ويشتمون قوما باطل وأنهم يقولون ما لا يفعلون ثم استثنى شعراء المؤمنين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير فقال عز من قائل إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا يعني ردوا على المشركين الذين هجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنية قال حدثنا عبد الله بن أحمد الكسائي قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا يحيى بن واضح عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن البراد قال لما نزلت هذه الآية والشعراء يتبعهم الغاوون جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا يا رسول الله أنزل الله سبحانه هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء فقال إقرؤوا ما بعدها إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا أنتم وانتصروا أنتم وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا القطيعي قال حدثنا ابن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري وأخبرنا ابن حمدون قال أخبرنا ابن الشرقي قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري قال حدثنا عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله سبحانه في الشعراء ما أنزل يا رسول الله إن الله سبحانه وتعالى قد أنزل في الشعراء ما قد علمت فكيف ترى فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن الخطاب قال حدثنا عبد الله بن الفضل قال حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة أن عمر مر بحسان وهو ينشد

(6/89)

الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبي هريرة وقال أنشدك بالله أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أحب عني اللهم أيده بروح القدس قال اللهم نعم وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنية قال حدثنا محمد بن علي بن سالم الهمداني قال حدثنا أحمد بن منيع قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الشيباني عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لحسن اهـج المشركين فإن جبرئيل معك وسيعلم الذين ظلموا أشركوا أي منقلب ينقلبون أي مرجع يرجعون إليه بعد مماتهم وروى نوفل بن أبي عقرب عن ابن عباس ح أي منقلب ينقلبون بالفاء والتاء ومعناهما واحد وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا الفريابي قال حدثنا عبيد الله بن معاذ قال حدثنا أبي قال حدثنا ابن عون عن إبراهيم قال كان شريح يقول سيعلم الظالمون حظ من نقصوا إن الظالم ينتظر العقاب وإن المظلوم ينتظر النصر

(6/90)

سورة النمل
مكية وهي أربعة آلاف وسبعمئة وتسعة وتسعون حرفا وألف وتسع وأربعون كلمة وثلاث وسبعون آية أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن يزيد المعدل قال حدثنا أبو يحيى البزاز قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا محمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال حدثني أبي عن مجالد بن عبد الواحد عن الحجاج بن عبد الله عن أبي الخليل وعن علي بن زيد وعطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله بسم الله الرحمن الرحيم طس صلى الله عليه وسلم تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سو صلى الله عليه وسلم العذاب وهم فى الآخرة هم الآخسرون وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم طس قال ابن عباس هو اسم من أسماء الله عز وجل أقسم الله سبحانه به أن هذه السورة آيات القرآن وكتاب مبين يعنى وآيات كتاب مبين وقيل الطاء من اللطيف والسين من السميع وقال أهل الإشارة هي إشارة إلى طهارة سر حبيبه هدى وبشرى للمؤمنين فيهما وجهان من العربية الرفع على خبر الابتداء أي هي هدى وإن شئت على حرف جزاء الصفه في قوله للمؤمنين والنصب على القطع والحال الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم القبيحة حتى رأوها حسنة وتزيينه خذلانه إياهم

(6/91)

فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء شدة العذاب فى الدنيا القتل والأسر بيده وهم فى الآخرة هم الآخسرون بحرمان النجاة والمنع من دخول الجنات وإنك لتلقى لتلقن وتعطى القرآن نظيره قوله سبحانه وتعالى ولا يلقاها إلا الصابرون من لدن حكيم عليم إذ قال موسى لاهله إني صلى الله عليه وسلم أنست نارا سئاتيكم منها بخبر أو ءاتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رءاها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب

ياموسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سو
صلى الله عليه وسلم ء فإني غفور رحيم وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من
غير سو صلى الله عليه وسلم ء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا
قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ووجدوا بها
واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين إذ قال
موسى لأهله في مسيره من مدين إلى مصر وقد أصد زنده إني أنست نارا
فامكثوا مكانكم سأتيكم منها بخير أو أتيكم بشهاب قبس قرأ أهل الكوفة
ويعقوب بشهاب منون على البدل غيرهم بالإضافة وهو اختيار أبي عبيد وأبي
حاتم ومعناه سأتيكم بشعلة نار اقتبسها منها لعلكم تصطلون تستدفئون فلما
جاءها نودي أن بورك من في النار قال ابن عباس وسعيد بن جبیر والحسن
يعني قدس من في النار وهو الله سبحانه عنى به نفسه عز وجل وتأويل هذا
القول أنه كان فيها لا على معنى تمكن الأجسام لكن على معنى أنه نادى
موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها وأظهر له ربوبيته من ناحيتها وهو كما
روي أنه مكتوب في التوراة جاء الله عز وجل من سيناء وأشرق من ساعير
واستعلن من جبال فاران فمجيئه عز وجل من سيناء بعثته موسى منها ومن
ساعير بعثته المسيح بها واستعلامه من جبال فاران بعثه المصطفى صلى الله
عليه وسلم وفاران مكة وقالوا كانت النار

(6/92)

نوره عز وجل وإنما ذكره بلفظ النار لأن موسى حسبه نارا والعرب تضع
أحدهما موضع الآخر وقال سعيد بن جبیر كانت النار بعينها وهي إحدى حجب
الله سبحانه وتعالى يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن
يعقوب قال حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثنا هاشم القاسم بن القاسم قال
حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة موسى عن الأشعري قال
قام بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع فقال إن الله عز وجل لا ينام
ولا ينبغي له

(6/93)

أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل
النهار قبل عمل الليل حجاب النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء
أدركه بصره ثم قرأ أبو عبيدة أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله
رب العالمين وقيل معناه بورك من في النار سلطانه وقدرته وفيمن حولها
وقال آخرون هذا التبريك عائد إلى موسى والملائكة ومجاز الآية بورك من في
طلب النار وقصدها بالقرب منها وهذا كما يقال بلغ فلان البلد إذا قرب منه
وورد فلان الماء لا يريدون أنه في وسطه ويقال أعط من في الدار يريدون من
هو فيها مقيم أو شريك وإن لم يكن في الوقت في الدار ونحوها كثير ومعنى
الآية بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار وهذا تحية من الله
سبحانه لموسى وتكرمة له كما حيا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا
عليه فقالوا رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت وقال بعضهم هذه البركة

راجعة إلى النار نفسها روى ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال معناه بوركت النار ودليل هذا التأويل ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن نجدة قال حدثنا الحماني قال حدثنا هشيم قال أخبرنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال سمعت أبا يقرؤها أن بوركت النار ومن حولها وتقدير هذا التفسير أن من تأتي في الكلام بمعنى ما كقوله سبحانه ومن لستم له برازقين وقوله فمنهم من يمشي على بطنه الآية و ما قد تكون صلة في كثير من المواضع كقوله جند ما هنالك و عما قليل فمعنى الآية بورك في النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام فسمى النار مباركة كما سمي البقعة مباركة فقال في البقعة المباركة وأما وجه قوله بورك من في النار فإن العرب تقول باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك أربع لغات قال الشاعر فبوركت مولودا وبوركت ناشيا وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

(6/94)

فأما الكلام المسموع من الشجرة فاعلم أن مذهب أهل الحق أن الله سبحانه وتعالى مستغن عن الحد والمكان والجهة والزمان لأن ذلك كله من أمارات الحدث وهي خلقه وملكه وهو سبحانه أجل وأعظم من أن يوصف بالجهات أو تحده الصفات أو تصحبه الأوقات أو تحويه الأماكن والأقطار ولما كان كذلك استحال أن توصف صفات ذاته بأنها متنقلة من مكان أو حالة في مكان وإذا ثبت هذا لم يجز أن يوصف كلامه بأنه يحل موضعا أو ينزل مكانا كما لا يوصف بأنه جوهر ولا عرض ولا حروف ولا صوت بل هو صفة يوصف بها الباري عز وجل فينتفى عنه بها أفات الخرس والبكم وما لا يليق به فأما الأفهام والأسماع فيجوز أن يكون في موضع دون موضع ومن مكان دون مكان ومن حيث لم تقع إحاطة واستغراق بالوقت على كنه صفاته قال الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير يا موسى أنه الهاء عماد وليست بكناية أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز تتحرك كأنها جان وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم وقال الكلبى لا صغيرة ولا كبيرة فإن قيل كيف قال في موضع كأنها جان وفي موضع آخر فإذا هي ثعبان والموصوف واحد قلنا فيه وجهان أحدهما أنها في أول أمرها جان وفي آخر الأمر ثعبان وذلك أنها كانت تصير حية على قدر العصا ثم لا تزال تنتفخ وتربو حتى تصير كالثعبان العظيم والآخر أنها في سرعة الجان وخفته وفي صورة الثعبان وقوته فلما رآها موسى عليه السلام ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع قال قتادة ولم يلتفت فقال الله سبحانه يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم فعمل بغير ما أمر ثم بدل حسنا قراءة العامة بضم الحاء وجزم السين وقرأ الأعمش بفتح الحاء والسين بعد سوء فإني غفور رحيم

(6/95)

واختلف العلماء في حكم هذا الاستثناء ومعنى الآية فقال الحسن وابن جريج قال الله سبحانه يا موسى إنما أخفكت لقتلك قال الحسن وكانت الأنبياء تذب

فتعاقب ثم تذب والله فتعاقب قال ابن جريج فمعنى الآية لا يخيف الله سبحانه الأنبياء بذنب يصيبه أحدهم فإن أصابه أخافه حتى يتوب فقوله إلا على هذا التأويل استثناء صحيح وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله إلا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الرسل وغيرهم من الناس وفي الآية استغنى عنه بدلالة الكلام عليه تقديرها فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم وقال الفراء يقول القائل كيف صير خائفا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء وهو مغفور له فأقول له في الآية وجهان أحدهما أن تقول أن الرسل معصومة مغفور لها أمانة يوم القيامة ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا من سائر الناس فهو يخاف ويرجو فهذا وجه والآخر أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة لأن المعنى لا يخاف لدي المرسلون إنما الخوف على غيرهم ثم استثنى فقال عز من قائل إلا من ظلم يقول كان مشركا فتاب من الشرك وعمل حسنة مغفور له وليس بخائف قال وقد قال بعض النحويين إلا ههنا بمعنى الواو يعني ولا من ظلم منهم كقوله سبحانه لئلا يكون للناس عليهم حجة إلا الذين ظلموا منهم وقال بعضهم قوله إلا ليس باستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم وإنما معنى الآية لكن من ظلم فعليه الخوف فإذا تاب أزال الله سبحانه وتعالى عنه الخوف وأدخل يدك في جيبك وإنما أمره بإدخال يده في جيبه لأنه كان عليه في ذلك الوقت مدرعة من صوف ولم يكن لها كم قاله المفسرون تخرج بيضاء من غير سوء برص وأفة في تسع آيات يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن إلى فرعون وقومه فترك ذكر مرسل لدلالة الكلام عليه كقول الشاعر رأتني بحيلها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

(6/96)

أراد رأتني مقبلا بحيلها فترك ذكره لدلالة الكلام عليه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة مضيئة بينة يبصر بها قالوا هذا سحر مبین وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شىء إن هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى صلى الله عليه وسلم أن أشكر نعمتك التى صلى الله عليه وسلم أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبيا يقين إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث

سليمان داود نبوته وعلمه ومملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان عليهما السلام وقال سليمان شاكرنا لنعم الله سبحانه وتعالى عليه يا أيها الناس علمنا منطق الطير جعل ذلك من الطير كمنطق بني آدم إذ فهمه عنها وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين قال مقاتل في هذه الآية

(6/97)

كان سليمان عليه السلام جالسا إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه هل تدرون ما يقول الطائر الذي مر بنا قالوا أنت أعلم فقال سليمان إنه قال لي السلام عليك أيها الملك المسلط على بني إسرائيل أعطاك الله سبحانه وتعالى الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى فروخي ثم أمر بك الثانية وإنه سيرجع إلينا الثانية فانظروا إلى رجوعه قال فنظر القوم طويلا إذ مر بهم فقال السلام عليك أيها الملك إن شئت أن تأذن لي كيما أكسب علي فروخي حتى يشبوا ثم أتيتك فافعل بي ما شئت فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له وقال فرقد السخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفا وأخبرني الحسين بن محمد بن الحسن العدل قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه وأحمد ابن جعفر بن حمدان قال حدثنا الفضل بن العباس الرازي قال حدثنا أبو عبيد قال حدثنا موسى ابن إبراهيم قال حدثنا عباد بن إبراهيم عن الكلبي عن رجل عن كعب قال صاحت ورشان عند سليمان بن داود عليه السلام فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فإنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فإنه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فإنه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال فصاحت طيطوى عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فإنها تقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فإنه تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما تقول هذه الحمامة

(6/98)

قالوا لا قال فإنها تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فإنه يقول سبحان ربي الأعلى والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والبيغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل مكان وأخبرنا الحسين بن محمد قال حدثنا أحمد بن

جعفر بن حمدان قال حدثنا الفضل بن العباس بن مهران قال حدثنا أبو عبيد
قال حدثنا موسى بن إبراهيم قال أخبرنا إسماعيل عن عياش عن زر عن
مكحول قال صاح دراج عند سليمان بن داود عليه السلام فقال أتدرون ما يقول
قالوا لا قال فإنه يقول الرحمن على العرش استوى وبإسناده عن موسى بن
إبراهيم قال أخبرنا صالح الهروي عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الديك إذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين وروى جعفر بن محمد
الصادق عن أبيه عن جده عن الحسن بن علي قال إذا صاح النسر قال يابن آدم
عش ما شئت آخره الموت وإذا صاح العقاب قال في البعد من الناس أنس
وإذا صاح القبر قال الهي العن مبغضي آل محمد وإذا صاح الخطاف قرأ الحمد
لله رب العالمين يمد الضالين كما يمد للقارئ وحشر وجمع لسليمان جنوده
من الجن والإنس والطير في مسير لهم فهم يوزعون أي يحبس أولهم على
آخرهم حتى يجتمعوا وذلك أنه جعل على كل صنف منهم وزعة ترد أولها على
آخرها لئلا يتقدموا في المسير كما يصنع الملوك وروى علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس قال يوزعون يدفعون ابن زيد ومقاتل يساقون السدي يوقفون
وأصل الوزع في كلام العرب الكف والمنع ومنه الحديث مايزع السلطان أكثر
مما يزع القرآن ويقال للأمر أوزعه وفي الخبر لا بد للناس من وزعة وقال
الشاعر

(6/99)

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما أصح والشيب وازع أخبرني
ابن فنجويه قال حدثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد قالا حدثنا أبو بكر
ابن مجاهد قال حدثنا أحمد قال حدثنا سنيد قال حدثنا حجاج عن أبي معشر عن
محمد بن كعب في هذه الآية قال بلغنا أن سليمان عليه السلام كان عسكره
مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على
الخشيب فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية فأمر الريح العاصف فحملته
وأمر الرخاء فسرت به فأوحى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إنني قد زدت
في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتك به وقال
مقاتل نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسحا في فرسخ ذها
في إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه
وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كرسي الذهب
والعلماء على كرسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط
مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح أخبرني ابن
فنجويه قال حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي قال حدثنا عبد الله بن أحمد ابن
حنبل قال حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب قال حدثنا أبو بكر يعني ابن عياش عن
إدريس ابن وهب بن منبه قال حدثني أبي قال إن سليمان عليه السلام ركب
البحر يوما فمر بحراث فنظر إليه الحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما
فحملت الريح كلامه في أذن سليمان فنزل حتى أتى الحراث فقال إنني سمعت
قولك وإنما مشيت إليك لأن لا تتمنى ما لا تقدر عليه لتسيحة واحدة يقبلها الله
تعالى خير مما أوتي آل داود فقال الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي

حتى إذا أتوا على وادي النمل أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا مخلد بن جعفر قال حدثنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال

(6/100)

حدثنا إسحاق بن بشر قال أخبرنا أبو إلياس عن وهب بن منبه عن كعب قال إن سليمان عليه السلام كان إذا ركب حمل أهله وسائر حشمه وخدمه وكتابه تلك السقوف بعضها فوق بعض على قدر درجاتهم وقد اتخذ مطايخ ومخابز تحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام تسع في قدر عشرة جزائر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخابزون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوي بهم فسار بمن اصطحبه إلى اليمن فسلك المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه وطوبى لمن اقتدى به ورأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله سبحانه فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله سبحانه إلى البيت ما يبكيك فقال يا رب أبكاني هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا في ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله سبحانه إليه أن لا تبك وإني سوف أملاك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يرفون إليك رفة النسور الى وكرها وحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضتها وأطهرك من الأوثان وعبدة الشيطان قال ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي النمل فقالت نملة تمشي وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل المذنب في العظم فنادت النملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون يعني أن سليمان يفهم مقالاتها وكان لا يتكلم خلق إلا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان عليه السلام قال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني إلى قوله في عبادك الصالحين يعني مع عبادك الموحدين وقال قتادة ومقاتل وادي النمل بأرض الشام قال نوف الحميري كان نمل وادي سليمان مثل الذباب وقال الشعبي النملة

(6/101)

التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين قال مقاتل سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال واختلفوا في اسم تلك النملة فأخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الحسن بن الدينوري قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصري قال حدثنا الهيثم بن خلف الدوري قال حدثنا هارون بن حاتم البزاز قال حدثنا إبراهيم بن الزبير بن التيمي عن أبي روق عن الضحاك قال كان اسم النملة التي كلمت سليمان بن داود عليه السلام طاحية وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا طلحة وعبيد الله قال حدثنا ابن مجاهد قال حدثني الفضل بن الحسن قال حدثنا أبو محمد النعمان بن شبل الباهلي قال حدثنا ابن أبي روق عن أبيه

قال كان اسم نملة سليمان حرمي وهو قول مقاتل ورأيت في بعض الكتب أن سليمان لما سمع قول النملة قال اتنوني بها فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل ظلمي أما علمت أني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده

(6/102)

فقال النملة أما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع ما أني لم أرد حطم النفوس وإنما أردت حطم القلوب خشيت أن يتمنين ما أعطيت ويشغلن بالنظر عن التسبيح فقال لها عطيني فقالت النملة هل علمت لم سمي أبوك داود قال لا قالت لأنه داوى جرحه فرد هل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لأنك سليم وكنت إلى ما أوتيت لسلامة صدرك وإن لك أن تلحق بأبيك ثم قالت أتدري لم سخر الله لك الريح قال لا قالت أخبرك الله أن الدنيا كلها ريح فتبسم سليمان ضاحكا متعجبا من قولها وقال رب أوزعني إلى آخر الآية أخبرني ابن فنجويه قال أخبرنا ابن شنية قال أخبرنا الحضرمي قال حدثنا حسن الخلال قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الدواب الهدهد والصرذ والنحلة والنملة وتفقد الطير أي طلبها وبحث عنها فقال ما لي لا أرى الهدهد فتح ابن كثير وعاصم والكسائي وأيوب لي ههنا وفي سورة يس وما لي لا أعبد وأرسل حمزة الياء فيهما جميعا وأما أبو عمرو فكان يرسل الياء في هذه ويفتح في يس وفرق بينهما فقال لأن هذه للتي في النمل استفهام والأخرى انتفاء أم كان قيل الميم صلة وقيل أم بمعنى بل كان من الغائبين لأعذبه عذابا شديدا وكان عذابه أن ينتف ريشه وذنبه فيدعه ممعطا ثم يلقيه في بيت النمل فيلدغه وقال عبد الله بن شداد نتفه وتشميسه الضحاك لأشذن رجله ولأشمسنه مقاتل بن حيان لأطلينه بالقطران ولأشمسنه وقيل لأودعنه القفص وقيل لأفرقن بينه وبين إلفه وقيل لأمنعنه من خدمتي وقيل لأبدن عليه

(6/103)

أو لأذبحنه أو ليأتيني بسُلطان ميين حجة واضحة وأما سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه من بين الطير إخلاله بالنوبة التي كان ينوبها واحتياج سليمان عليه السلام إلى الماء فلم يعلم من قصره بعد الماء وقيل له علم ذلك عند الهدهد فتفقده فلم يجده فتوعده وكانت القصة فيه على ما ذكره العلماء بسيرة الأنبياء دخل حديث بعضهم في بعض إن نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الإنس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافى الحرم وأقام به ماشاء الله تعالى أن يقيم وكان ينحر كل يوم طول مقامه جملة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضره من أشرف قومه إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيئته مسيرة شهر بالقرب والبعيد عنده في الحق سواء

لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين ندين يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وأمن به وصدقه قالوا وكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال زهاء ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل وإن إسمه محمد في زمر الأنبياء قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم أحب أن يسعى إلى أرض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يوم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا وأزهر خضرتها وأحب النزول بها ليصلي ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوا وكان الهدهد دليله على الماء كان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الأرض فيعرف موضع الماء وبعده ثم يجيء الشياطين فيسلخونه كما يسليخ الإهاب ثم يستخرجون الماء قال سعيد بن جبير ذكر ابن عباس هذا الحديث فقال له نافع بن الأزرق فرأيت قولك الهدهد ينقر الأرض فيبصر الماء كيف يبصر هذا ولا يبصر حبتي القمح فيقع في عنقه فقال

(6/104)

له ابن عباس ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر وروى قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا الهدهد فإنه كان دليل سليمان على قرب الماء وبعده وأحب أن يعيد الله في الأرض حيث يقول وجئتك من سبأ نبأ يقين إني وجدت امرأة الآية قالوا فلما نزل سليمان قال الهدهد إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فانظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فرأى بستانا فمال إلى الخصرة فوقع فيه فإذا هو بهدهد فهبط عليه وكان إسم هدهد سليمان بن داود عليه السلام يعفور وإسم هدهد اليمن عنفر فقال عنفر ليعفور سليمان من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والإنس والشياطين والطير والوحوش والريح فمن أين أنت فقال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وإن لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فإنها ملكت الشمس كلها وتحت يديها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها قال أخاف أن يتفقدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء قال الهدهد اليماني إن صاحبك ليسره أن تأتيه بخير هذه الملكة فإنتطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلى سليمان إلا وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة طلب الهدهد وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الإنس عن الماء فقالوا ما نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فلم يعلموا فتفقد الهدهد ففقدته قال ابن عباس في بعض الروايات وتعجب من تفحصه إلى الشمس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته مكانا فغضب عند ذلك سليمان عليه السلام وقال لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحه أو ليأتيني بسلطان ميين روى عكرمة عن ابن عباس قال كل

(6/105)

سلطان في القرآن فهو حجة قالوا ثم دعا بالعقاب سيد الطير فقال علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى استقر بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فإذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريد له فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بحق الله الذي قواك فأقدرك علي إلا رحمتي ولم تتعرض لي بسوء قال فول عنه العقاب وقال له ويلك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو

(6/106)

يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما إنتهى إلى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في نومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال فقال الهدهد أوما استثنى رسول الله قالوا بلى قال أو ليأتيني بعذر بين ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرعى ذنبه وجناحيه يجرحهما على الأرض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال له أين كنت لأعذبك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله سبحانه فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه أخبرني الحسن بن محمد الثقفي قال حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال حدثنا محمد ابن إبراهيم بن أبي الرجال ببغداد قال حدثنا إبراهيم بن بسطام عن أبي قتبية عن الحسن بن أبي جعفر الجعفري عن الزبير بن حريث عن عكرمة قال إنما صرف سليمان عليه السلام عن ذبح الهدهد لبره بوالديه قالوا ثم سأله فقال ما الذي أبطأ بك عني فقال الهدهد ما أخبر الله في قوله فمكث غير بعيد قراءة العامة بضم الكاف وقرأ عاصم ويعقوب وأبو حاتم بفتحهما وهما لغتان مشهورتان فقال أحطت بما لم تحط به علمت ما لم تعلم وجئتك من سبأ قرأ الحسين وأبو عمرو وابن أبي إسحاق وحמיד وابن كثير في رواية البيهقي من سبأ وليسبأ مفتوحة الهمزتين غير مصروفة ردوها إلى القبيلة وهي اختيار أبي عبيد وقرأ الباقر بالجر جعلوه اسم رجل وبه نطق الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال كان رجلا له عشرة من البنين يتيامن من ستة ويتشاءم من أربعة وسنذكر أسماءهم وقصتهم في سورة سبأ إن شاء الله عز وجل وقال الشاعر الواردون وتيم في ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس نبأ بخبر يقين لا يشك فيه قال وهب قال الهدهد إنني أدركت ملكا لم يبلغه ملكك إنني وجدت امرأة تملكهم واسمها بلقيس بنت الشيرح وهو الهدهدا وقيل شراحيل ابن ذي حدن بن

(6/107)

اليشرح بن الحرث بن قيس بن صفى بن سبأ بن يشخب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس الذي يسمى اليشرح ويلقب بالهدهدا ملكا عظيم الشأن قد

ولد له أربعون ملكا
وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفوا
لي فأبى أن يتزوج فيهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ربحانة بنت السكن
فولدت له تلمقة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها ويصدق هذا ما أخبرني ابن
فنجويه قال حدثنا محمد بن الحسن بن بشر قال حدثنا محمد بن حريم بن
مروان قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن
بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشر بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال كان أحد أبوي بلقيس جنيا قالوا فلما مات أبو
بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها
فأطاعها قوم وعصاها آخرون فاخاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا
فرقتين كل فرقة منها استولت بملكها على طرف من أرض اليمن ثم إن هذا
الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم
رعيتيه ويفجر بهن وأراد أصحابه أن يخلعوه فلم يقدرُوا عليه فلما رأت بلقيس
ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه فأجابها الملك والله ما
منعني أن ابتديك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك فإنك كفؤ كريم
فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم فجمعهم وخطبها إليهم فقالوا لا نراها تفعل
هذا فقال لهم إنما هي ابتدأتني فإنا أحب أن نسمعوا قولها وتشهدوا عليها فلما
جاؤوها وذكروا لها ذلك قالت نعم أحببت الولد ولم أزل كنت أرغب عن هذا
فالساعة قد رضيت به فزوجوها منه فلما زفت إليه خرجت في ناس كثير من
خدمها وحشمها حتى غصت منازلها ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتى
سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها فلما أصبح الناس رأوا
الملك قتيلا ورأسه منصوبا على باب دارها فعلموا أن تلك المناكحة كانت مكرًا
وخديعة منها فاجتمعوا إليها

(6/108)

وقالوا لها أنت بهذا الملك أحق من غيرك فقالت لولا العار والشنار ما قتلته
ولكن عم فساده وأخذتني الحمية حتى فعلت ما فعلت فملكوها واستتب أمرها
أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن خديجة قال حدثنا ابن أبي الليث ببغداد قال
حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن
أبي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة
وأوتيت من كل شيء يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم
سرير ضخم حسن وكان مقدمه من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزمرد
الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بالوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من
ياقوت أحمر وقائمة من زمرد وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من در وصفائح
السريبر من ذهب وعليه سبعة أبواب كل بيت باب مغلق وقال ابن عباس كان
عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في الهواء ثلاثون ذراعا
وقال مقاتل كان ثمانين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في الهواء ثمانون ذراعا
مكلل بالجوهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم
الشیطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله قرأ أبو
عبد الرحمن البلخي والحسن وأبو جعفر وحميد والأعرج والكسائي ويعقوب

برواية رويس ألا اسجدوا بالتخفيف على معنى ألا يا هؤلاء اسجدوا وجعلوه أمرا من الله سبحانه مستأنفا وحذفوا هؤلاء بدلالة فاعلها وذكر بعضهم سماعا من العرب ألا يا أرحمونا ألا يا تصدقوا علينا يريدون ألا يا قوم كقول الأخطل ألا يا سلمى يا هند هند بني بدر وإن كان حيانا عدى آخر الدهر فعلى هذه القراءة اسجدوا في موضع جزم على الأمر والوقف عليه ألا ثم يتدي اسجدوا قال الفراء حدثني الكسائي عن عيسى الهمذاني قال ما كنت أسمع المشيخة يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر وهي في قراءة عبد الله هلا تسجدوا لله بالتاء وفي قراءة أبي ألا يسجدون لله فهاتان

(6/109)

القراءتان حجة لمن خفف وقرأ الباقيون ألا يسجدوا بالتشديد بمعنى وزين لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا لله فإن موضع نصب ويسجدوا نصب بأن واختار أبو عبيد هذه القراءة وقال للتخفيف وجه حسن إلا أن فيه انقطاع الخبر عن أمر سبأ وقومها ثم يرجع بعد إلى ذكرهم والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضا لا انقطاع في وسطه والوقف على هذه ألا ثم يتدي يسجدوا كما يصل الذي يخرج الخبء الخفي المخبو في السموات والأرض يعني غيب السموات والأرض

(6/110)

وقال أكثر المفسرين خبء السماء المطر وخبء الأرض النبات وفي قراءة عبد الله يخرج الخبء من السموات ومن وفي يتعاقبان يقول العرب لاستخرجن العلم فيكم يريد منكم قاله الفراء ويعلم ما يخفون وما يعلنون قراءة العامة بالياء فيهما وقرأ الكسائي بالتاء وهي رواية حفص عن عاصم الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم الذي كل عرش وإن عظم فدونه لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره قال ابن إسحاق وابن زيد من قوله أحطت بما لم تحط به إلى قوله لا إله إلا هو رب العرش العظيم كله كلام الهدهد قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملا إني صلى الله عليه وسلم ألقى إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتوني مسلمين قالت يا أيها الملا أفتوني في صلى الله عليه وسلم أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا صلي الله عليه وسلم أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوى أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني

صلى الله عليه وسلم أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر
فإن ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي صلى الله عليه وسلم
أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو
وأوتينا العلم من قبلها وكنا

(6/111)

مسلمين وصددها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين قيل لها
ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد
من قوارير قالت رب إنى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين
قال سليمان للهدهد سننظر أصدقت فيما أخبرت أم كنت من الكاذبين فدلهم
الهدهد على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم
كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود عليه السلام الى بلقيس ملكة
سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وقال
ابن جريج لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه إنه وإنه

(6/112)

قال منصور كان يقال كان سليمان أبلغ الناس في كتابه وأقله إملاء ثم قرأ إنه
من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم قال قتادة وكذلك الأنبياء عليهم
السلام كانت تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك
وخته بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فكن
قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون يردون من الجواب وقال ابن زيد في الآية
تقديم وتأخير مجازها اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم وانظر ماذا يرجعون ثم تول
عنهم أي انصرف كقوله ثم تولى الي الظل أي انصرف إليه فأخذ الهدهد
الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعاء على ثلاثة
أيام فوافها في قصرها وقد غلقت الأبواب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب
وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها وأوت إلى فراشها فأتاها الهدهد وهي
نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال
مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره فطار حتى وقف على رأس المرأة وحولها
القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها
فألقى الكتاب في حجرها وقال ابن منبه وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة
الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدهد
تلك الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطلت الشمس
قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها قالوا فأخذت بلقيس الكتاب وكانت كاتبة
قارئة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت
وخضعت لأن ملك سليمان عليه السلام كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل
هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها لأن ملكا رسله الطير إنه لملك عظيم فقرأت
الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت
الملا من قومها وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل وقال

قتادة ومقاتل والشمالي كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف قالوا فجاؤوا وأخذوا مجالسهم

(6/113)

فقال لهم بلقيس يا أيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم قال قتادة حسن نظيره قوله ومقام كريم
وقال ابن عباس شريف بشرف صاحبه الضحاك سمته كريما لأنه كان مختوما يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن شاذان قال حدثنا جبعويه بن محمد قال حدثنا صالح بن محمد بن محمد بن مروان عن ابن جريح عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وأنبأني عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف قال حدثنا عمرو قال حدثني أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا إسحاق بن منصور قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة عن أنس قال لما أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى العجم قيل له أن العجم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما فكأنني انظر إلى بياضه في كفه وقال ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به لأن الختم ختم وقيل سمته كريما لأنه كان مصدرا بسم الله الرحمن الرحيم إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تغلوا علي وأتوني مسلمين وقرأ أشهب العقيلي إلا تغلوا على بالعين معجمة وأتوني مسلمين مؤمنين طائعين قالت يا أيها الملأ قال ابن عباس كان مع بلقيس مائة ألف قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل تلك دون الملك الأعظم أفتوني في أمري أشيروا علي فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه ما كنت قاطعة قاضية وفاصلة أمرا حتى تشهدون تحضروني قالوا مجيبين لها نحن أولوا قوة في القتال وأولوا بأس شديد عند الحرب والأمر إليك أيتها الملكة فانظري ماذا تأمرين تجدينا لأمرك مطيعين فقالت بلقيس لهم حين عرضوا أنفسهم للحرب إن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وغلبة أفسدوها خربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا أشرفها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر وتناهى الخبر عنها ها هنا فصدق الله سبحانه قولها فقال وكذلك يفعلون أنشدني أبو القاسم الحبيبي قال أنشدني

(6/114)

أبي رحمه الله ان الملوك بلاء حيث ما حلوا فلا يكن لك في أكنافهم ظل ماذا تؤمل من قوم إذا غضبوا جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا وإن مدحتهم خالوك تخدعهم واستثقلوك كما يستثقل الكل فاستغن بالله عن أبوابهم أبدا إن الوقوف على أبوابهم ذل
وإني مرسله إليهم بهدية وذلك أن بلقيس كانت لبيبة قد سيست وساست فقالت للملأ من قومها إني مرسله إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه بذلك عن ملكي واختبره بها أملك هو فإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وإن يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن تتبعه على دينه فأهدت إليه وصيفا ووصائف قال ابن عباس البستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أتى وقال مجاهد

ألبس الغلمان لباس الجواري وألبس الجواري لبسة الغلمان واختلفوا في عددهم فقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتي غلام ومائتي جارية وقال الكلبي عشرة غلمان وعشر جواري وقال وهب وغيره خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حنش قال حدثنا ابن فنجويه قال حدثنا سلمة قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ثابت البناني في قوله وإني مرسله إليهم بهدية قال أهدت له صفائح ذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الأجر بالذهب ثم أمر به فألقي في الطريق فلما جاؤا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه ههنا ملقى ما يلتفت إليه فصغر في أعينهم ما جاؤوا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب وقال وهب وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجواري لباس الغلمان الأقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب وفي أذانهم قروطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وغواشيها من الديباج الملونة وبعثت إليه أيضا خمسمائة

(6/115)

لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت إليه أيضا المسك والعنبر وعود اللنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معرجة الثقب ودعت رجلا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجلا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معه كتابا نسخة الهدية وقالت إن كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصيفات وأخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها وأثقب الدرة ثقباً مستويا وأدخل خيطا الخرزة وأمرت بلقيس الغلمان فقالت إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث شبه كلام النساء وأمرت الجواري أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك ولا يهولنك منظره فأنا أعز منه وإن رأيت الرجل بشا لطيفا فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان عليه السلام فأخبره الخبر كله

(6/116)

فأمر سليمان عليه السلام الجن أن يضربوا لبنات الذهب والفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطا شرفها من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر قالوا يا نبي الله إنا رأينا دواب في بحر كذا وكذا منمرة منقطعة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواصي قال علي بها الساعة فاتوا بها فقال شدوها عن يمين الميدان

وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفها ثم قال للجن علي بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان عليه السلام في مجلسه على سريره ووضع له أربعون ألف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفًا فراسخ وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما رأى القوم الميدان ونظروا إلى ملك سليمان عليه السلام ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبنات الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم ويقوا بما معهم من الهدايا وفي بعض الروايات أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبنة التي معهم فلما رأى الرسل موضع اللبنة خاليا وكل الأرض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان قالوا ثم جاؤوا فلما رأوا الشياطين نظروا إلى موضع عجيب ففرغوا فقال لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والإنس والطير والسباع والوحش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام فنظر إليهم سليمان نظرا حسنا بوجهه طلق وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه فقال أين الحق فأتى به فحركها وجاءه جبرئيل عليه السلام فأخبره بما في الحق فقال إن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وجزعة

(6/117)

مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لي بثقبها فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل إلى الأرض فجاءت الأرض وأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام حاجتك فقالت تصير رزقي في الشجرة فقال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا رسول الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان حاجتك قالت تجعل رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الجواري والغلمان بأن

(6/118)

أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الأنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به على الوجه والغلام كان يأخذه من الأنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على يده حدرا فميز بينهما بذلك ثم رد سليمان عليه السلام الهدية وقال أتمدوني بمال اختلف القراء فيه فقرا حمزة ويعقوب أتمدوني بنون واحدة مشددة غيرهما بنونين خفيفتين وحذف الياء ابن عامر وعاصم والكسائي وخلف الباقر بإثباته فما أتاني الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لأنكم

أهل مفاخرة الدنيا والمكابرة بها ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتي لأن الله سبحانه قد مكنتني منها وأعطاني فيها ما لم يعط أحدا ومع ذاك أكرمني بالدين والنبوة والحكمة ثم قال للمنذر بن عمرو أمر الوفد ارجع إليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لا طاقة لهم بها ولنخرجهم منها أي من أرضها وملكها أذلة وهم صاعرون ذليلون إن لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتب لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان عليه السلام قالت قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به طاقة وما نصنع بمكائرته شيئاً فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبع قصور لها ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا يخلص إليه أحد ولا يزينه حتى آتيك ثم أمرت منادياً فنادى في أهل مملكته يؤذنه بالرحيل وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يدي كل قيل ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبتدئ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوماً فجلس على سرير ملكه فرأى رهجاً قريباً منه فقال ما هذه

(6/119)

قالوا بلقيس يا رسول الله قال وقد نزلت منا بهذا المكان قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل حينئذ سليمان على جنوده فقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي مؤمنين وقال ابن عباس طائعين واختلف أهل العلم في السبب الذي لأجله أمر سليمان عليه السلام بإحضار العرش فقال أكثرهم لأن سليمان عليه السلام علم أنها إن أسلمت حرم عليه ما لها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها

(6/120)

وقال قتادة لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فأحب أن يراه وقال ابن زيد أراد أن يختبر عقلها فيأمر بتكبيره لينظر هل تثبت إذا رآته أم تنكره وقيل قدرة الله سبحانه وعظيم سلطانه في معجزه يأتي بها في عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوي وفيه لغتان عفريت وعفريه فمن قال عفريت جمعه عفاريت ومن قال عفرية جمعه عفارت قال وهب اسمه كوزى وقال شعيب الجبائي كان اسم العفريت ذكوان وقال ابن عباس العفريت الداهية وقال الضحاك هو الخبيث ربيع الغليظ الفراء القوي الشديد الكسائي المنكر وأنشد فقال شيطان لهم عفريت مالكم مكث ولا تبويت وقرأ أبو رجاء العطاردي قال عفريه وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن أبي سمرة البغوي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن شاذان البغدادي قال حدثنا محمد بن الحسن بن سهل قال حدثنا عبد الرحمن البحترى قال حدثنا عمرو بن عثمان قال حدثنا أبي عن عبد الله بن عبد العزيز القرشي عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبي بكر الصديق ح أنه كان يقرأ قال عفريه من الجن والعفريه

البكر بين البكرين لم يلد أبواه قبله شيئاً ولم يلد هو شيئاً أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه إلى منزع النهار وإني عليه لقوي على حملة أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان عليه السلام أريد أسرع من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبرئيل عليه السلام ملك من الملائكة أيد الله عز وجل به نبيه سليمان عليه السلام وقال الآخرون بل كان رجلاً من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعياء بن ميكيا وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخبرني ابن فنجويه قال أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرحي قال حدثنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا إسحاق بن بشر قال حدثنا جويبر ومقاتل

(6/121)

عن الضحاك عن ابن عباس قال إن آصف قال لسليمان عليه السلام حين صلى ودعا الله سبحانه مد عينيك حتى ينتهي طرفك قال فمد سليمان عليه السلام عينه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدمون الأرض خدا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان عليه السلام واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف عند الإتيان بالعرش فروت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن اسم الله الأعظم الذي دعا به آصف يا حي يا قيوم وروى عثمان بن مطر عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا إلهنا وإله كل شيء إلهها واحداً لا إله إلا أنت اتنتي بعرشها قال فمثل له بين يديه وقال مجاهد يا ذا الجلال والإكرام وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر وعبيد الله بن أحمد بن يعقوب قال حدثنا أبو بكر بن مجاهد قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل عن ابن زيد قال الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الأرض وهل يعبد الله عز وجل أم لا يعبد فوجد سليمان عليه السلام فدعا باسم من أسماء الله فإذا هو بالعرش حمل فأتى به سليمان من قبل إن يرتد إليه طرفه وبه عن مجاهد قال حدثني البرقي وابن حرب قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل قال زعم ابن أبي بزة أن اسم الذي عنده علم من الكتاب اسطوم وقال بعضهم كان رجل من حمير يقال له ضبة وقال قتادة كان اسمه بليحا وقال محمد بن المنكدر إنما هو سليمان أما إن الناس يرون أنه كان معه اسم وليس ذلك كذلك إنما كان رجل عالم من بني إسرائيل أتاه الله علماً وفقهاً فقال أنا أتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال سليمان عليه السلام هات فقال أنت النبي ابن النبي وليس أحد أوجه عند الله منك ولا أقدر على حاجته فإن دعوت الله وطلبت إليه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجاء بالعرش في الوقت وقوله قبل أن يرتد إليك طرفك اختلفوا في معناه فقال سعيد بن

(6/122)

جبير يعني قبل أن يرجع إليك أقصى من تركت وهو أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك قتادة قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى أمثله بين يديك مجاهد يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئاً

وعنه أيضا قال يعني مد بصرك ما بينك وبين الحيرة وهو يومئذ في كندة وعن قتادة هو أن يبعث رسولا الى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به فلما راه يعني رأى سليمان عليه السلام العرش مستقرا عنده محمولا إليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد الطرف قال هذا من فضل ربي ليلوني أشكر نعمته أم أكفرها فلا أشكرها ومن شكر فإنما يشكر لنفسه لم ينفع بذلك غير نفسه حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة ومن كفر فإن ربي غني كريم بالإفضال علي من كفر نعمه قال نكروا غيروا لها عرشها فزيدوا فيه وأنقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ننظر أتهدي الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين به الذين لا يهتدون إليه وإنما حمل سليمان عليه السلام على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل الكتب إن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأرادوا أن يزهدوه فيها فأسأؤوا الثناء عليها وقالوا إن في عقلها شيئا وإن رجلها كحافر الحمار فأراد سليمان عليه السلام أن يختبر عقلها بتكثير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو شبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان عليه السلام كمال عقلها قال الحسن بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقلت نعم فقال سليمان عليه السلام وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما شاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين هذا قول مجاهد وقال

(6/123)

بعضهم معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة وقبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين وقال بعضهم هذا من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان عليه السلام قالت عرفت هذه وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبل هذه الآية وذلك بما اختبرت من أمر الهدية والرسول وكنا مسلمين أي منقادين لك مطيعين لأمرك من قبل أن جئناك وصددها ومنعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس بأن تعبد الله وعلى هذا القول يكون ما في محل الرفع

(6/124)

وقال بعضهم معناه وصددها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي منعها ذلك وحال بينها وبينه ولو قيل وصددها الله ذلك بتوفيقها للإسلام لكان وجها صحيحا وعلى هذين التأويلين يكون محل ما نصبا إنها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح الآية وذلك أن سليمان عليه السلام لما اقبلت بلقيس تريده أمر الشياطين فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج كأنه الماء بياضا وقيل الصرح صحن الدار وأجرى من تحته الماء وألقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك وغيره ثم وضع له سريره في صدرها فجلس عليه وحلقت عليه الطير والجن والإنس وإنما أمر ببناء هذا الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض سخر الله لسليمان عليه السلام ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد له غلاما فلا تنفك من العبودية أبدا فأرادوا أن يزهده فيها فقالوا إن رجلها رجل حمار وإنها شعراء الساقين لأن أمها كانت من الجن فأراد أن يعلم حقيقة ذلك وينظر الى قدميها وساقها وروى محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يعاينها بذلك كما فعلت هي من توجيهها إليه الوصفاء والوصائف ليميز بين الذكور والإناث تعابنه بذلك فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء وقال ابن جريج يعني بحرا وكشفت عن ساقها لتخوضه الى سليمان عليه السلام فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدماء إلا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداه إنه صرح ممرد مملس مستو من قوارير وليس ببحر فلما جلست قالت يا سليمان إني أريد أن أسألك عن شيء قال سلي قال أخبرني عن ما ماء رواء ولا من أرض ولا من سماء وكان سليمان إذا جاءه شيء لا يعلمه سأل الإنس عنه فإن كان عندهم علم ذلك وإلا سأل الجن فإن علموا وإلا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا له ما أهون هذا من الخيل فلتجر ثم املا الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل قالت صدقت ثم

(6/125)

قالت أخبرني عن لون الرب فوثب سليمان عليه السلام عن سريره وخر ساجدا وصعق عليه فقامت عنه وتفرقت جنوده وجاءه الرسول فقال يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك قال يا رب أنت أعلم بما قالت قال فإن الله يأمرك أن تعود إلى سريرك وترسل إليها وإلى من حضرها من جنودك وبنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان عليه السلام فلما دخلوا عليه قال لها عما سألتني قالت سألتك عن ماء رواء ليس من أرض ولا سماء فأجبت قال وعن أي شيء سألتني أيضا قالت ما سألتك عن شيء إلا هذا فاسأل الجنود فقالوا مثل قولها أنساهم الله تعالى ذلك وكفى سليمان عليه السلام الجواب ثم إن سليمان دعاها الى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت وقالت رب إني ظلمت نفسي بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فحسن إسلامها واختلف العلماء في أمرها بعد إسلامها فقال أكثرهم لما أسلمت أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره ما رأى من كثرة شعر ساقها وقال ما أقيح هذا فسأل الإنس ما يذهب هذا قالوا الموسى فقالت المرأة لم تمسني حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم

سأل الشياطين فتلكأوا ثم قالوا انا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام قال ابن عباس فإنه لأول يوم رؤيت فيه النورة واستنكحها سليمان عليه السلام أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا محمد بن أحمد بن نصرويه قال حدثنا محمد بن عمران ابن هارون قال حدثنا محمد بن ميمون المكي قال حدثني أبو هارون العطار عن أبي حفص الأبار عن إسماعيل بن أبي بردة عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات سليمان بن داود عليه السلام فلما ألزق ظهره إلى الجدر فمسه حرها قال أوه من عذاب الله قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي

(6/126)

سلحون وسون وعمدان ثم كان سليمان عليه السلام يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيما ذكر وروى ابن أبي إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب قال زعموا أن سليمان بن داود عليه السلام قال لبلقيس لما أسلمت وفرغ من امرها اختاري رجلا من قومك أزوجه قالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان قال نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك

(6/127)

فقال زوجني إن كان لابد من ذلك ذا تبع ملك همذان فزوجه إياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة أمير جن اليمن فقال اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع الصنائع باليمن ثم لم يزل بها يعمل له فيها ما أراد حتى مات سليمان ابن داود عليه السلام فلما أن حال الحول وتبينت الجن موت سليمان عليه السلام أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات فأرفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيها كتابا بالمسند نحن بنينا سلحين دائبين سبعة وسبعين خريفا وبنينا صرواح ومرواح وبنين وحاصة وهند وهنيدة وسبعة أمجلة بقاعة وتلثوم بريدة ولولا صارخ بتهامة لتركنا باليون إمارة وقال وسلحين وصرواح ومرواح وبنين وهند وهنيدة وتلثوم حصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ثم رفعوا أيديهم وانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيننا بك وبمن معك قال طائرکم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا

دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلمو صلى الله عليه وسلم ا
إن فى ذلك لاية لقوم يعلمون وأنجينا الذين ءامنوا وكانوا يتقون ولقد أرسلنا
الى ثمود آخاهم صالحا أن يعنى بأن اعبدوا الله وحده فإذا هم فريقان مؤمن
وكافر ومصدق ومكذب يختصمون فى الدين قال مقاتل واختصامهم مبين فى
سورة الأعراف وهو قوله قال الملاء الذين استكبروا من قومه الى قوله يا صالح
أتتنا

(6/128)

بما تعدنا إن كنت من المرسلين فقال لهم صالح يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
بالبلاء والعقوبة قبل الحسنة العافية والرحمة والاستعجال طلب التعجيل بالأمر
وهو الإتيان به قبل وقته لولا هلا تستغفرون الله بالتوبة من كفركم لعلكم
ترحمون قالوا اطيرنا تشاء منا وأصله تطيرنا بك
وبمن معك وذلك أن المطر أمسك عنهم فى ذلك الوقت وقحطوا فقالوا أصابنا
هذا الضر والشر من شؤمك وشؤم أصحابك وإنما ذكر التطير بلفظ الشام على
عادة العرب ونسبتهم الشؤم إلى البارج وهو الطائر الذي يأتي من جانب اليد
الشومى وهي اليسرى قال طائرهم من الخير والشر وما يصيبكم من الخصب
والجدب عند الله بأمره وهو مكتوب على رؤوسكم لازم أعناقكم وليس ذلك
إلي ولا علمه عندي بل أنتم قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر
نظيره ونبلوكم بالشر والخير فتنة الكلبي تفتنون حتى تجهلوا أنه من عند الله
سيحانه وتعالى محمد بن كعب تعذبون بذنوبكم وقيل تمتحنون بإرسالي إليكم
لتتابوا على طاعتكم ومتابعتي وتعاقبوا على معصيتي ومخالفتي وكان فى
المدينة يعنى مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط من أبناء أشرافهم يفسدون
فى الأرض ولا يصلحون وأسماءهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وأسلم
ورهمى وبرهم ودعمى وعيم وقتال وصداف قالوا تقاسموا تحالفوا بالله أيها
القوم وموضع تقاسموا جزم على الأمر كقوله بعضهم لبعض وقال قوم من
أهل المعاني محله نصب على الفعل الماضي يعنى أنهم تحالفوا وتواثقوا
تقديره قالوا متقاسمين بالله ودليل هذا التأويل أنها فى قراءة عبد الله ولا
يصلحون تقاسموا بالله وليس فيها قالوا لنبيته وأهله من البيات فلنقلته هذه
قراءة العامة بالنون فيهما واختيار أبي حاتم وقرأ يحيى والأعمش وحمزة
والكسائي لتبيته ولتقولن بالتاء فيهما وضم التاء واللام على الخطاب واختاره
أبو عبيد وقرأ مجاهد وحميد بالتاء فيهما وضم التاء واللام على الخبر عنهم ثم
ثم ليقولن ما شهدنا ما حضرنا مهلك أهله أي

(6/129)

إهلاكهم وقرأ عاصم برواية أبي بكر مهلك بفتح الميم واللام وروى حفص عنه
بفتح الميم وكسر اللام وهما جميعا بمعنى الهلاك وأنا لصادقون فى قولنا إنا ما
شهدنا ذلك ومكروا مكرا وغدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به
ومكرنا مكرا وجزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون فانظر
كيف كان عاقبة مكرهم أنا قرأ الحسن والأعمش وعاصم وحمزة والكسائي أنا

بفتح الالف ولها وجهان
أحدهما أن يكون أنا في محل الرفع ردا على العاقبة والثاني النصب على تكرير
كان تقديره كان عاقبة مكرهم التدمير واختار أبو عبيد هذه القراءة اعتبار
الحرف أي أن دمرناهم وقرأ الباقر إننا بكسر الألف على الابتداء دمرناهم
يعني أهلكنا التسعة واختلفوا في كيفية هلاكهم فقال ابن عباس أرسل سبحانه
الملائكة فامتلت بهم دار صالح فأتى التسعة الدار شاهرين سيوفهم فرمتهم
الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم قال قتادة
خرجوا مسرعين إلى صالح فسلط الله عليهم صخرة فدمغتهم مقاتل نزلوا في
سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا لياتوا دار صالح فحتم عليهم الجبل فأهلكهم
السدي خرجوا لياتوا صالحا فنزلوا خرقا من الأرض يتمكنون فيه فانهار عليهم
وقومهم أجمعين بالصيحة وقد مضت القصة فتلك بيوتهم خاوية خالية قراءة
العامة بالنصب على الحال عن الفراء والكسائي وأبو عبيد عن القطع مجازه
فتلك بيوتهم الخاوية فلما قطع منها الألف واللام نصبت كقوله سبحانه وله
الدين واصبا وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على الخبر بما ظلموا أي
بظلمهم إن في ذلك لآية لعبرة لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من صيحة جبريل والخراج الذي ظهر بأيديهم قال مقاتل خرج أول يوم على
أيديهم مثل الحمصة أحمر ثم اصفر من الغد ثم اسود اليوم الثالث ثم تفقت
وصاح جبريل عليه السلام في خلال ذلك فخدموا وكانت الفرقة المؤمنة الناجية
أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت فلما دخلها صالح مات فسمي

(6/130)

حضر موت قال الضحاك ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاضورا وقد
مضت القصة جميعا ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أأنكم
لتأتون الرجال شهوة من
دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه إلا أن قالو صلى الله
عليه وسلم أخرجو صلى الله عليه وسلم آل لوط من قريبتكم إنهم أناس
يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا
فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير
أما يشركون ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وهي الفعلة القبيحة الشنيعة
وأنتم تبصرون أنها فاحشة وقيل يرى بعضكم بعضا كانوا لا يتسترون عتوا منهم
وتمردا أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما
كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون
من أدبار الرجال يقولونه استهزاء منهم بهم فأنجيناه وأهله إلا امرأته وأهله
قدرناها قضينا عليها أنها من الغابرين أي الباقين في العذاب وقال أهل المعاني
معنى قدرناها جعلناها من الغابرين وإنما قال ذلك لأن جرمها على مقدار
جرمهم فلما كان تقديرها كتقديرهم في الشرك والرضى بأفعالهم القبيحة
جرت مجراهم في إنزال العذاب بها وأمطرنا عليهم أي على شذائها مطرا وهو
الحجارة فساء مطر المنذرين قل الحمد لله قال الفراء قيل للوط قل الحمد
لله على هلاك كفار قومي وقال الباقر الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يعني و قل الحمد لله على هلاك كفار الأمم الخالية وقال مقاتل على ما
علمك هذا الأمر الآخرون على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى

لرسالاته وهم الأنبياء عليهم السلام عن مقاتل دليله قوله وسلام على
المرسلين وأخبرني عبدالله بن حامد قال أخبرنا السدي قال حدثنا أحمد بن
نجدة قال حدثنا الحماني قال حدثنا الحكم بن طهر عن السدي عن أبي مالك
عن ابن عباس وسلام على عباده الذين اصطفى قال أصحاب محمد عليه

(6/131)

السلام وأخبرني عبدالرحيم بن إبراهيم بن محمد العدل بقراءتي عليه قال
أخبرني عبدالله بن محمد بن مسلم فيما أجازته لي أن محمد بن إدريس حدثهم
قال حدثنا الحميدي قال سمعت سفيان سئل عن عباده الذين اصطفى قال هم
أصحاب محمد وقال الكلبي هم أمة محمد اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته ثم
قال إلزاما للحجة ءالله القراءة بهمزة ممدودة وكذلك كل إستفهام فيه ألف
وصل مثل قوله الذين وآلآن جعلت المدة علما بين الاستفهام والخير ومعنى
الآية الله الذي صنع هذه الأشياء خير أما يشركون من الأصنام وقرأ عاصم
وأهل البصرة بالياء الباقون بالتاء وكان النبي عليه

(6/132)

السلام إذا قرأ هذه الآية قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم أمن خلق
السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما
كان لكم أن تنبتوا شجرها إلاه مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض
قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ءلاه مع
الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السو صلى
الله عليه وسلم ء ويجعلكم حلفاء الارض ءلاه مع الله قليلا ما تذكرون أمن
يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ءلاه
مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من
السماء والارض ءلاه مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين قل لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب إلا الله وما يشعرون أيا ن يبعثون بل ادرك
علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون أمن قال أبو حاتم
فيه إضمار كأنه قال ألهمتكم خير أم الذي خلق السموات والارض وأنزل لكم من
السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة حسن ما كان لكم أن تنبتوا شجرها هو
ما النفي يعني ما قدرتم عليه ءله مع الله يعينه على ذلك ثم قال بل هم قوم
يعدلون يشركون أمن جعل الأرض قرارا لا تميد بأهلها وجعل خلالها وسطها
أنهارا تطرد بالمياه وجعل لها رواسي جبالا ثوابت وجعل بين البحرين العذب
والمالح حاجزا مانعا لئلا يختلطا ولا يبغي أحدهما على صاحبه وقيل أراد الجزائر
ءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه أي المجهود عن
ابن عباس وقال السدي المضطر الذي لا حول له ولا قوة ذو النون هو الذي
قطع العلائق عما دون الله أبو حفص وأبو عثمان النيسابوريان هو المفلس
وسمعت أبو القاسم الحسن بن محمد يقول سمعت أبا نصر منصور بن عبدالله
الأصبهاني يقول سمعت أبا الحسن عمر بن فاضل العنزي يقول سمعت سهل

بن عبدالله التستري يقول المضطر الذي إذا رفع يديه إلى الله داعيا لم يكن له وسيلة من

(6/133)

طاعة قدمها وبكشف السوء أي الضر ويجعلكم خلفاء الأرض يهلك قرنا وينشئ آخرين إليه مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا سافرتم ومن يرسل الرياح بشري بين يدي رحمته قدام رحمته إليه مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده للبعث ومن يرزقكم من السماء المطر والأرض النبات إليه مع الله قل هاتوا برهانكم حجتكم على قولكم إن مع الله إلهها آخر إن كنتم صادقين قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله نزلت في المشركين حيث سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة قال الفراء وإنما رفع ما بعد إلا لأن قبلها جدا كما يقال ما ذهب أحد إلا أبوك وما يشعرون أيان متى يبعثون قالت عائشة من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله عز وجل يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله أخبرنا أبو زكريا الحري قال أخبرنا أبو حامد الأعمشي قال حدثنا علي بن حشرم قال حدثنا الفضل بن موسى عن رجل قد سماه قال كان عند الحجاج بن يوسف منجم فأخذ الحجاج حصيات بيده قد عرف عددها فقال للمنجم كم في يدي فحسب فأصاب المنجم ثم اعتقله الحجاج فأخذ حصيات لم يعددهن فقال للمنجم كم في يدي فحسب فحسب فأخطأ ثم حسب أيضا فأخطأ فقال أيها الأمير أظنك لا تعرف عددها في يدك قال فما الفرق بينهما قال إن ذاك أحصيته فخرج من حد الغيب فحسبت فأصبت وإن هذا لم تعرف عددها فصار غيبا ولا يعلم الغيب إلا الله عز وجل بل ادرك اختلف القراء فيه فقرا ابن عباس بلى بإثبات الياء ادرك بفتح الألف وتشديد الدال على الاستفهام روى شعبة عن أبي حمزة قال قال لي ابن عباس في هذه الآية بل ادرك علمهم في الآخرة أي لم يدرك قال الفراء وهو وجه جيد كأنه يوجهه إلى الاستهزاء بالمكذابين بالبعث لقولك للرجل تكذبه بلى لعمرى لقد أدركت السلف فأنت تروي ما لا تروي وأنت تكذبه وقرأ الحسن وبجى بن وثاب والأعمش وشيبة ونافع وعاصم

(6/134)

وحمزة والكسائي بل ادرك بكسر اللام وتشديد الدال أي تدارك وتتابع علمهم في الآخرة هل هي كائنة أم لا وتصديق هذه القراءة أنها في حرف أبي أم تدارك علمهم في الآخرة والعرب تضع بل موضع أم وأم موضع بل إذا كان في أول الكلام استفهام كقول الشاعر فوالله ما أدري أسلمى تغولت أم اليوم أم كل إلي حبيب أي بل كل إلي حبيب ومعنى الكلام هل تتابع علمهم بذلك في الآخرة أي لم يتتابع فصل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه لأن في الاستفهام ضربا من الجحد وقرأ أبو جعفر ومجاهد وحמיד وابن كثير وأبو عمرو بل ادرك من الإدراك أي لم يدرك علمهم علم في الآخرة وقال مجاهد معناه

يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لأنهم كانوا في الأنبياء مكذبين وقيل بل ضلّ وغاب علمهم في الآخرة فليس فيها لهم علم ويقال اجتمع علمهم في الآخرة أنها كائنة وهم في شك من وقتهم

(6/135)

بل هم في شك منها بل هم منها عمون أي جهلة واحدها عمي وقرأ سليمان بن يسار وعطاء بن يسار تدارك غير مهموزة وقرأ ابن محيظ بل أدرك على الاستفهام أي لم تدرك وحمل القول فيه أن الله سبحانه أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم إذا بعثوا يوم القيامة استوى علمهم بالآخرة وما وعدوا فيه من الثواب والعقاب وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا وإن كانوا في شك من أمرها بل جاهلون به وسمعت بعض العلماء يقول في هذه الآية إن حكمها ومعناها لو ادرك علمهم في ما هم في شك منها حيث هم منها عمون على تعاقب الحروف وقال الذين كفروا صلى الله عليه وسلم أءذا كنا ترابا وءابؤنا أءنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وءابؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وإن ربك لذو فضل على الناس ولاكن أكثرهم لا يشكرون وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين إن هذا القرآن يقص على بنى صلى الله عليه وسلم إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله إنك على الحق المبين إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة إذا كنا ترابا وءابؤنا أءنا لمخرجون من قبورنا أحياء لقد وعدنا هذا البعث نحن وءابؤنا من قبل وليس ذاك بشيء إن هذا إلا أساطير الأولين أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن على تكذيبهم إياك عنك ولا تكن في ضيق مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين أقسموا بمكة وقد مضت قصتهم ويقولون متى هذا

(6/136)

الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم أي دنا وقرب لكم وقيل تبعكم وقال ابن عباس حضركم والمعنى ردفكم فأدخل اللام كما أدخل في قوله لربهم يرهبون و للرؤيا تعبرون وقد مضت هذه المسألة قال الفراء اللام صلة زائدة كما يقول تقديرها به ويقدر له بعض الذي تستعجلون من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وإن ربك ليعلم ما تكن تخفي صدورهم وما يعلنون وما من غائبة أي مكتوم سر وخفي أمر وإنما أدخل الهاء على الإشارة إلى الجمع في السماء والأرض إلا في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ ان هذا القرآن يقص على بنى

إسرائيل أكثر الذي فيهم يختلفون من أمر الدين وإنه يعني القرآن لهدي ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم أي بين المختلفين في الدين يوم القيامة بحكمه وهو العزيز المنيع فلا يرد له أمر العليم بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء فتوكل على الله إنك على الحق المبين البين إنك لا تسمع الموتى الكفار كقوله أفمن كان ميتا فأحييناه وقوله وما يستوي الأحياء ولا الأموات ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين نظيره صم بكم عمي وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم قراءة العامة على الاسم وقرأ يحيى والأعمش وحمزة يهدي العمى بالياء ونصب الياء على الفعل ههنا وفي سورة النمل إن تسمع وتفهم إلا من يؤمن بآياتنا بادلنا ووجدنا فهم مسلمون في علم الله سبحانه وتعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وإذا وقع القول وجب العذاب والسخط عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم قراءة العامة بالتشديد من التكلم وتصديقهم وقرأ أبي تئبهم قال السدي تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام وقرأ أبو رجاء العطاردي تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الحرج أي تسمهم قال أبو الجوزاء سألت ابن عباس عن هذه الآية يكلمهم أو تكلمهم فقال كل ذلك يفعل تكلم المؤمن ويكلم الكافر إن

(6/137)

الناس قرأ ابن أبي إسحاق وأهل الكوفة بالنصب وقرأ الباقر بالكسر كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها ذكر الأخبار الواردة في صفة دابة الأرض وكيفية خروجها أخبرنا الشيخ أبو محمد عبدالله بن حامد الأصبهاني قال أخبرنا محمد بن إسحاق قال حدثنا عبدالله بن محمد بن رسموية قال حدثنا الحكم بن بشير بن سليمان عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن ابن عمر وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم قال حين لا يأمرؤن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وأخبرنا عبدالله بن حامد الأصفهاني عن أحمد بن عبدالله بن سليمان قال أخبرني أبو عبدالله بن فنجويه قال أخبرنا أبو بكر بن خزيمة حدثنا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي عن ميثم بن مينا الجهنني عن عمرو بن محمد العبقرى عن طلحة بن عمرو عن عبدالله بن عمير الليثي عن أبي شريحة الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجاً بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم يمر زماناً طويلاً ثم تخرج خروجه أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة فيبينا الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله سبحانه يعني المسجد الحرام لم ترعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو تدنو كذا ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنهم وتثبت لها عصاة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى أن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه ويتجاوز الناس في ديارهم ويصلحون في أسفارهم

ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن
وللكافر يا كافر وأخبرني ابن محمد

(6/138)

بن الحسين الثقفي عن عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي عن محمد بن
عبدالغفار الزرقاني عن أحمد بن محمد بن هاني الطائي عن محمد بن النضر
بن محمد الأودي عن أبيه عن سفيان الثوري عن شهاب بن عبدربه الرحمن عن
طارق بن عبدالرحمن عن طارق بن عبدالرحمن عن ربعي بن خراش عن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دابة الأرض طولها سبعون
ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه
مؤمن وتسم الكافر

(6/139)

بين عينيه وتكتب بين عينيه كافر ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما
السلام وأخبرني الحسين بن محمد قال أخبرني أبو بكر مالك القطيعي عن
عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبي عن بهز عن حماد عن علي بن زيد عن أوس
بن خالد عن أبي هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة
معها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر
بالخاتم حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقولون هذا يا مؤمن ويقولون هذا يا
كافر وأخبرنا الحسين بن محمد عن عبدالله بن محمد بن شنبه عن الحسن بن
يحيى عن ابن جريج عن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس الثور
وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر الأسد ولونها
لون نمر وخاصرتها خاصرة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم البعير وبين
كل مفصلين إثنا عشر ذراعا معها عصا موسى وخاتم سليمان ولا يبقى مؤمن
إلا نكته في مسجده بعصا موسى نكته بيضاء فيفشو تلك النكته حتى يضيء
لها وجهه ولا يبقى كافر إلا وتنكت وجهه بخاتم سليمان فتفشو تلك النكته
فيسود لها وجهه حتى أن الناس يتناعون في الأسواق بكم يا مؤمن وبكم يا
كافر ثم تقول لهم الدابة يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار
وذلك قول الله عز وجل وإذا وقع القول أخرجنا لهم دابة الآية وأخبرنا الحسين
بن محمد عن ابن شنبه عن ابن عمر وعن سفيان بن وكيع عن الوليد بن
عبدالله بن جميع عن عبدالملك بن المغيرة الطائفي عن أبي البيلماني عن ابن
عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسرون إلى منى قال فتحمل الناس
بين يديها وعجزها لا يبقى منافق إلا خطمته ولا مؤمن إلا مسحته وأخبرني
الحسين بن محمد عن عمر بن الخطاب عن عبدالله بن الفضل عن إبراهيم بن
محمد بن عرعة عن عبيدالله بن عبدالمجيد الحنفي عن فرقد بن الحجاج
القرشي قال سمعت عقبة بن أبي الحسناء اليماني قال سمعت أبا هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج

(6/140)

دابة الأرض من موضع جباد فيبلغ صدرها الركن ولما يخرج ذنبها بعد قال وهي
دابة ذات وبر وقوائم
وأخبرني الحسن قال حدثنا علي بن محمد بن لؤلؤ قال أخبرنا أبو عبيد محمد
بن أحمد بن المؤمل قال حدثنا أبو جعفر محمد بن جعفر الأحول قال حدثنا
منصور بن عمار قال حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عبدالله بن عمرو أنه
ضرب أرض الطائف برجله وقال من هاهنا تخرج الدابة التي تكلم الناس
وأخبرني عقيل بن محمد الجرجاني الفقيه قال حدثنا أبو الفرج المعافى بن
زكريا البغدادي قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري قال حدثنا أبو
كريب قال حدثنا الأشجعي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال
تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها وبه عن
محمد بن جرير قال حدثني عصام بن بندار بن الجراح قال حدثنا أبي قال حدثنا
سفيان بن سعيد قال حدثنا المنصور بن المعتمر عن ربيعي بن خراش قال
سمعت حذيفة بن اليمان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه الدابة قلت يا
رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى
يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم من تحرك القنديل
وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها
ملمعة ذات وبر وربش لن يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسمى الناس مؤمنا
وكافرا أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما
الكافر فتترك بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وبه عن محمد بن
جرير قال حدثني أبو عبدالرحمن الرقي قال حدثنا ابن أبي مزينة قال حدثنا ابن
لهيعة ويحيى بن أيوب قالا حدثنا ابن الهاد عن عمرو بن الحكم أنه سمع عبدالله
بن عمر يقول تخرج الدابة من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في
الأرض ما خرجتا فتمر بالإنسان يصلي فتقول ما الصلاة من حاجتك فتخطمه
وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها أن أهل
مكة كانوا بمحمد والقرآن لا

(6/141)

يوقنون وفي هذا تصديق لقراءة من فتح أن وقال كعب صورتها صورة الحمارة
وروى ابن جريح روح عن هشام عن الحسن أن موسى عليه السلام سأل ربه
أن يريه الدابة فخرجت ثلاثة أيام ولياليهن تذهب في السماء وأشار به بيده لا
يرى واحدا من طرفيها فرأى منظرا فظيعا فقال رب ردها فردها
ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاءوا
قال أكذبتهم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم
بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن
في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السماوات
ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي صلى الله عليه وسلم أتقن كل شيء إنه
خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون
ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون مق

قوله عز وجل ويوم نحشر من كل أمة فوجاً إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المندرين وقل الحمد لله سيربكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون جماعة ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم ليجمعوا ثم يساقون إلى النار وقال ابن عباس يوزعون يدفعون حتى إذا جاءوا يوم القيامة قال الله سبحانه لهم أكذبتهم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً ولم تعرفوا حق معرفتها أم ماذا كنتم تعملون فيها من تكذيب أو تصديق وقيل هو توبيخ أي ماذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تفكروا فيها ووقع القول ووجب العذاب عليهم بما ظلموا أشركوا فهم لا ينطقون لأن أفواههم مختومة وقال أكثر المفسرين فهم لا ينطقون بحجة وعذر نظيره قوله سبحانه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ألم يروا أنا جعلنا

(6/142)

خلقنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً مضئاً يبصر فيه إن في ذلك الذي ذكرت آيات لقوم يؤمنون يصدقون فيعتبرون قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور وهي النفخة الأولى أخبرنا محمد عبدالله بن حامد الوزان قال أخبرنا محمد بن جعفر بن يزيد الصيرفي قال حدثنا علي بن حرب قال حدثنا أسباط قال حدثنا سلمان التميمي عن أسلم العجلي عن بشر بن شغاف عن عبدالله بن عمرو قال جاء إعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الصور فقال قرن ينفخ فيه وقال مجاهد الصور كهيئة البوق وقيل هو بلغة أهل اليمن وعلى هذا أكثر

(6/143)

المفسرين يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ وقال قتادة وأبو عبيدة هو جمع صورة يقال صورة وصور وصور مثل سور البناء والمسجد وجمعها سور وسور وأنشد أبو عبيدة سرت إليها في أعالي السور فمعنى الآية ونفخ في صور الخلق وقد ورد في كيفية نفخ الصور حديث جامع صحيح وهو ما أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المهرجاني قراءة عليه أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعي ببغداد قال أخبرني أبو قلابة الرقاشي قال أخبرني أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن إسماعيل بن رافع عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل وهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرض ينتظر متى قال قلت يا رسول الله وما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي بعثني بالحق إن أعظم داره فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفرع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فأمر الله عز وجل إسرافيل عليه السلام

بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع من في السموات والأرض إلا من شاء الله فيأمره فيمدها وبطيلها وهو الذي يقول الله عز وجل وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله عز وجل الجبال فيمر من السحاب فيكون سرايا وترج الأرض بأهلها رجا فيكون كالسفينة الموثقة في البحر تضربها الأمواج وتلقيها الرياح أو كالقنديل المعلق بالعرش يرحه الأرواح وهي التي يقول الله عز وجل يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتمتد الأرض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى يأتي الأقطار فتلقاها الملائكة تضرب وجوهنا فيرجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم

(6/144)

بعضا وهو الذي يقول الله عز وجل يوم التناد يوم يولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلي قطروا أو أمرا عظيما لم يروا مثله وأخذهم من الكرب والهول ما الله به عليم ثم نظروا إلى السماء فهي كالمهل ثم انشقت فتناثرت نجومها وانكشفت شمسها وقمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والأموات يومئذ يعلمون بشيء من ذلك قال أبو هريرة يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل حيث يقول ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال صلى الله عليه وسلم أولئك هم الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون ووقئهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم وهو عذاب بعثه الله تعالى إلى شرار خلقه وهو الذي يقول الله يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم إلى قوله وإن عذاب الله شديد فيمكنون في ذلك البلاء ما شاء الله إلا أنه يطول عليهم ثم يأمر الله عز وجل إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله فإذا اجتمعوا جاء ملك الموت إلى الجبار ويقول قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت فيقول الله سبحانه وهو أعلم من بقي فقال أي رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقي حملة العرش وبقي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل فيموت جبرائيل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول أي رب يموت جبرائيل وميكائيل فيقول اسكت إنني كتب الموت على كل من تحت عرشي فيموتان ثم يأتي ملك الموت فيقول أي رب قد مات جبرائيل وميكائيل فيقول وهو أعلم بمن بقي فيقول بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك فيقول ليامت حملة عرشي فيموتون فيأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل فيموت ثم يأتي ملك الموت فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول وهو أعلم بمن بقي فيقول بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا فقال أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد

(6/145)

الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وكان آخر كما كان أولا طوى السموات كطي السجل للكتب ثم قال أنا الجبار لمن الملك اليوم ولا يجيبه أحد

ثم يقول تبارك وتعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لله الواحد القهار يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات مطويات بيسطها بسطا ثم يمدّها مد الأديم العكافي لا يرى فيها عوجا ولا أمّتا ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة في مثل ما كانوا فيه من الأول من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله سبحانه عليهم ماء من تحت العرش كمني الرجال ثم يأمر السحاب أن تنزل بمطر أربعين يوما حتى يكون من فوقهم إثنا عشر ذراعا ويأمر الله سبحانه الأجساد أن تنبت كنبات الطرائيث وكنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله سبحانه ليحي حملة العرش فيحيون ثم يقول الله تعالى ليحي جبريل وميكائيل فيحييان فيأمر الله إسرافيل فيأخذ

(6/146)

الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الله الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورا والأخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقبها على الصور ثم يأمر الله سبحانه إسرافيل أن ينفخ نفخة للبعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما في السماء والأرض فيقول الله سبحانه ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح الخياشم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللدغ ثم تنشق الأرض عنهم سراعا فأنا أول من ينشق عنه الأرض فتخرجون منها إلى ربكم تنسلون عراة حفاة عزلا مهطعين إلى الداعي فيقول الكافرون هذا يوم عسر قوله عز وجل ففرع أي فيفزع والعرب تفعل ذلك في المواضع التي يصلح فيها إذا لأن إذا يصلح معها فعل ويفعل كقولك أزورك إذا زرتني وأزورك إذا تزورني من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله أن لا يفزع وقد ذكرنا في الخبر الماضي أنهم الشهداء وكل أتوه داخرين قرأ الأعمش وحمزة وخلف وحفص أتوه مقصورا على الفعل بمعنى جاءوه عطفا على قوله وفزع و أتوه اعتبارا بقراءة ابن مسعود أخبرنا محمد بن نعيم قال حدثنا الحسين بن أيوب قال حدثنا علي بن عبدالعزيز قال حدثنا أبو عبيد قال حدثنا هشام عن مغيرة عن إبراهيم وأخبرنا محمد بن عبدوس قال حدثنا محمد بن يعقوب قال حدثنا محمد بن الجهم قال حدثنا الفراء قال حدثني عدة منهم المفضل الضبي وقيس وأبو بكر كلهم عن جحش بن زياد الضبي كلاهما عن تميم بن حذلم قال قرأت علي عبدالله بن مسعود وكل أتوه داخرين بتطويل الألف فقال وكل أتوه قصره وقرأ الباقر بالمد وضم التاء على مثال فاعلوه كقوله وكلهم أتوه يوم القيامة فردا وهي قراءة علي بن داخرين صاغرین قوله تعالى وترى الجبال يا محمد تحسبها جامدة قائمة واقفة مستقرة مكانها وهي تمر مر السحاب حين تقع على الأرض فتستوي بها قال القتيبي وذلك أن الجبال تجمع وتسير وهي في رؤية العين كالواقفة وهي تسير وكذلك كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتة وعظمتة وبعد ما بين أطرافه

(6/147)

فهو في حساب الناظر واقف وهو يسير وإلى هذا ذهب الشاعر في وصف جيش يارعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهمليج صنع الله نصب علي المصدر وقيل على الإغراء أي اعلّموا وابتصروا الذي أتقن كل شيء أي أحكم كل شيء قتادة أحسن إنه خير بما تفعلون قرأ أهل الكوفة تفعلون بالتاء غيرهم بالياء واختار أبو عبيدة بقوله أتوه إنما هو خبر عنهم من جاء أي وافى الله بالحسنة بالإيمان قال أبو معشر كان إبراهيم يحلف ما يستثني أن الحسنة لا إله إلا الله قتادة بالإخلاص وأخبرني الحسين بن محمد ابن فنجويه قال حدثنا محمد ابن شنبه قال حدثنا عبيد الله بن أحمد بن منصور قال حدثنا سهل بن بشر قال حدثنا عبدالله بن سليمان قال حدثنا سعد بن سعيد قال سمعت علي بن الحسين يقول رجل غزا في سبيل الله فكان إذا خلا المكان قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له فبينما هو ذات يوم في أرض الروم في موضع في حلفاء وبردي رفع صوته يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له خرج عليه رجل على فرس عليه ثياب بيض فقال يا عبدالله ما ذات قلت قال قلت الذي سمعت والذي نفسي بيده إنها الكلمة التي قال الله عز وجل من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون وأخبرني أبو عبدالله محمد بن عبدالله العباسي قال أخبرنا القاضي أبو الحسين محمد بن عثمان النصبيني ببغداد قال حدثنا أبو بكر محمد ابن الحسين السبيعي بحلب قال حدثني الحسين بن إبراهيم الجصاص قال أخبرنا حسين بن الحكم قال حدثنا اسماعيل بن أبان عن فضيل بن الزبير عن أبي داود السبيعي عن أبي عبدالله الهذلي قال دخلت على علي بن أبي طالب فقال يا عبدالله ألا أنبئك بالحسنة التي من جاء بها أدخله الله الجنة والسيئة التي من جاء بها أكبه الله في النار ولم يقبل معها عمل قلت بلى قال الحسنة حبا والسيئة بغضا فله خير منها أي فله من هذه الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب قال ابن عباس فله خير منها أي فمناها

(6/148)

يصل إليه الخير الحسن معناه له منها خير عكرمة وابن جريح أما أن يكون له خير من الإيمان فلا وإنه ليس شيء خير من لا إله إلا الله ولكن له منها خير وعن ابن عباس أيضا فله خير منها يعني الثواب لأن الطاعة فعل العبد والثواب فعل الله سبحانه وقيل هو إن الله عز وجل يقبل إيمانه وحسناته وقبول الله سبحانه خير من عمل العبد وقيل فله خير منها يعني رضوان الله سبحانه قال الله تعالى ورضوان من الله أكبر وقال محمد بن كعب وعبدالرحمن بن زيد فله خير منها يعني الإضعاف أعطاء الله

(6/149)

الحسنة بالواحدة عشرا صاعدا فهذا خير منها وقد أحسن بن كعب وابن زيد في تأويلهما لأن الإضعاف خصائص منها أن العبد يسئل عن عمله ولا يسأل عن الإضعاف ومنها أن للشيطان سبيلا إلى عمله ولا سبيل له إلى الإضعاف ولأنه لا مطمع للخصوم في الإضعاف ولأن دار الحسنة الدنيا ودار الإضعاف الجنة ولأن

الجنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب وهم من فزع يومئذ آمنون قرأ أهل الكوفة فزع منونا يومئذ بنصب الميم وهي قراءة ابن مسعود وسائر القراء قرأوا بالإضافة واختاره أبو عبيد قال لأنه أعم التأويلين أن يكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم وإذا قال من فزع يومئذ صار كأنه فزع دون فزع وهو اختيار الفراء أيضا قال لأنه فزع معلوم ألا ترى أنه قال لا يحزنهم الفزع الأكبر فصير معرفة فإذا أضفته كان معرفة فهو أعجب إلي ومن جاء بالسيئة يعني الشرك أخبرنا عبدالله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكي بن عبدان قال حدثنا عبدالله بن هاشم قال حدثنا عبدالرحمن عن سفيان عن أبي المحجل عن أبي معشر عن إبراهيم من جاء بالحسنة قال لا إله إلا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك وأخبرنا عبد بن حامد قال أخبرنا أبو الحسن محمد بن شعيب البيهقي قال حدثنا بشر ابن موسى قال حدثنا روح عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال ثمن الجنة لا إله إلا الله فكبت وجوههم في النار قال ابن عباس ألقى الضحاك طرحت أبو العالية قلبت وقيل لهم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون إنما أمرت يقول الله سبحانه لنبيه محمد عليه السلام قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها يعني مكة جعلها حرما آمنا فلا يسفك فيها دم حرام ولا يظلم فيها أحد ولا يهاج ولا يصطاد صيدها ولا يختلي خلالها وقرأ ابن عباس التي حرمها إشارة إلى البلدة وله كل شيء خلقا وملكا وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين وما علينا إلا البلاغ نسختها آية القتال وقل

(6/150)

الحمد لله على نعمه سيريكم آياته يعني يوم بدر نظيرها في سورة الأنبياء سأريكم آياتي فلا تستعجلون وقال مجاهد سيريكم آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق دليله قوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم وقوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

سورة القصص

مكية وهي خمسة آلاف وثمانمائة حرف وألف وأربعمئة وإحدى وأربعون كلمة وثمان وثمانون آية أخبرنا أبو الحسين البخاري قال حدثنا ابن حنبل قال حدثني أبو العباس محمد بن موسى الدقاق قال حدثنا عبد الله بن روح المدائني وأخبرنا البخاري قال حدثنا طغران قال حدثنا ابن أبي داود قال حدثنا محمد بن عاصم قال حدثنا شبابه بن سوار الفزاري قال حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة عن زيد بن حنبل عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون بسم الله الرحمن الرحيم طس صلى الله عليه وسلم م صلى الله عليه وسلم تلك آيات الكتاب المبين تتلوا عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة

ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا قال ابن عباس استكبر السدي قال تجبر وقال قتادة بغى

(6/151)

وقال مقاتل تعظم فى الأرض يعني أرض مصر وجعل أهلها شيعة فرقا وأصنافا فى الخدمة والسحر يستضعف طائفة منهم يعني بني إسرائيل يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض يعني بني إسرائيل ونجعلهم أئمة قال ابن عباس قادة فى الخير يقندى بهم وقال قتادة ولاة وملوكا دليله قوله سبحانه وجعلكم ملوكا مجاهد دعاة إلى الخير ونجعلهم الوارثين بعد هلاك فرعون وقومه يرثونهم ديارهم وأموالهم ونمكن لهم فى الأرض يعني ويوطي لهم فى أرض مصر والشام وينزلهم إياها ونرى فرعون وهامان وجنودهما قرأ حمزة ويحيى بن وثاب والأعشى والكسائي وخلف يري بالتاء وما بعده رفع على أن الفعل لهم وقرأ غيرهم ونرى بنون مضمومة وياء مفتوحة وما بعده نصب بوقوع الفعل عليهم منهم ما كانوا يحذرون وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منهم فأراهم الله سبحانه ما كانوا يحذرون وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى صلى الله عليه وسلم إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا صلى الله عليه وسلم أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولاكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى ءاتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وأوحينا إلى أم موسى قال قتادة قذفنا فى قلبها وليس نبوة واسم أم موسى يوخابد بنت لاوي بن يعقوب أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا

(6/152)

تخافي عليه ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد قال حدثنا مخلد بن جعفر الباقر جى قال حدثنا الحسين بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا إسحاق بن بشر قال أخبرني ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس قال إسحاق وأخبرني جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ورق خيارهم أشرارهم ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوه

إلى أن نجاهم الله تعالى على يدي نبيه موسى عليه السلام قال وهب بلغني أنه ذبح في طلب موسى تسعين ألف وليد قال ابن عباس إن أم موسى لما تقارب ولادها وكانت قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بحبال بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فقالت قد نزل بي ما نزل ولينفعني حبك إياي اليوم قال فعالجت قبالتها فلما أن وقع موسى عليه السلام على الأرض هالها نور بين عيني موسى عليه السلام فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى عليه السلام قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلا ومن رأيي قتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفضي ابنك فإني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أمه هذا الحرس بالباب فلفت موسى في خرقة فوضعت في التنور وهو مسجور فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل عليك القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى فأين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله سبحانه النار عليه بردا وسلاما فاحتمته قال ثم إن أم موسى عليه السلام لما رأت إلحاح فرعون في طلب

(6/153)

الولدان خافت على ابنها فقذف الله سبحانه في نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذف بالتابوت في اليم وهو النيل فانطلقت إلى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ابن لي أخبئه في التابوت وكرهت الكذب قال ولم قالت أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار إلى أولئك الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله سبحانه لسانه فلم ينطق الكلام وجعل يشير بيده فلما يدر الأمانة ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضرِبوه وأخرجوه فلما انتهى النجار إلى موضعه رد الله سبحانه عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمانة فاتأهم ليخبرهم وأخذ الله سبحانه لسانه وبصره فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيئا فضرِبوه وأخرجوه فوقع في واد تهوى فيه حيران فجعل لله عليه إن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه لحفظه حيث ما كان فعرف الله عز وجل منه الصدق فرد عليه بصره ولسانه فخر لله ساجدا فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدل الله عليه فخرج من الوادي فأمن به وصدقه وعلم أن ذلك من الله فانطلقت أم موسى فألقته في البحر وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إلى فرعون وكان بها برص شديد مسلخة برصا فكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا له أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد منه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطح به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه أسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها تلاعبهن وتنضح

بالماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج فقال فرعون إن هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجرة

(6/154)

اثنوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدرُوا عليه وعالجوا كسره فلم يقدرُوا عليه قال فدنت أسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها للذي أراد الله سبحانه أن يكرمها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في مهده وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله تعالى رزقه في إبهامه يمصه لبنا فألقى الله سبحانه لموسى عليه السلام المحبة في قلب أسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته إلى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك إنا نظن إن ذلك المولود الذي نحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رمي به في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله قالت أسية قرة عين لي ولك لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله عليه السلام لو قال فرعون يومئذ هو قرة عين لي كما هو لك مثل قالت امرأته لهداه الله سبحانه كما هداها ولكن أحب الله عز وجل أن يحرمه للذي سبق في علم الله فقيل لآسية سميه قالت سميته موشا لانا وجدناه في الماء والشجر ف هو الماء و شا هو الشجر فذلك قوله سبحانه فالتقطه أي فأخذه والعرب تقول لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا إرادة أصبته التقاطا ولقيت فلانا التقاطا ومنه قول الراجز ومنهل وردته التقاطا لم ألق إذ وردته فراطا ومنه اللقطة وهو ما وجد ضالا فأخذ آل فرعون ليكون لهم هذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرة عين فكان عاقبة ذلك أنه كان لهم عدوا وحرنا قال الشاعر فللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدور تبني المساكن عدوا وحرنا قرأ أهل الكوفة بضم الحاء وجزم الزاي وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي واختاره أبو عبيد قال للتفخيم واختلف فيه غير عاصم

(6/155)

وهما لغتان مثل العدم والعدم والسقم والسقم إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين عاصين أثمين وقالت امرأت فرعون قرت عين أي هو قرة عين لي ولك لا تقتلوه فإن الله أتانا به من أرض أخرى وليس من بني إسرائيل عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره عن مجاهد قتادة وهم لا يشعرون إن هلاكهم على يديه محمد بن زكريا بن يسار وهم لا يشعرون إنني أفعل ما أريد ولا أفعل ما يريدون أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا طلحة وعبيد الله قال حدثنا أبو مجاهد قال حدثني أحمد بن حرب قال حدثنا سنيد قال حدثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس وهم لا يشعرون يقول لا يدري بنو إسرائيل إنا التقطنا

الكلبي وهم لا يشعرون إلا وإنه ولدنا وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أي خاليا لاهيا ساهيا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه قاله أكثر المفسرين وقال الحسن وابن إسحاق وابن زيد يعني فارغا من الوحي الذي أوحى الله سبحانه وتعالى إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهدنا إليه أن نرده إليها ونجعله من المرسلين فجاءها الشيطان فقال يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقيته في البحر وغرقته ولما أتاه الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت إنه وقع في يدي عدوه والذي فررت به منه فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله سبحانه إليها فقال الله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الوحي الذي أوحى إليها وقال الكسائي فارغا أي ناسيا أبو عبيدة فارغا من الحزن لعلمها بأنه لم يغرق وهو من قول العرب دم فرغ إذا كان هدرًا لا قود فيه ولا دية وقال الشاعر فإن تك أدواد أصبن ونسوة فلن تذهبوا فرغا بقتل حبال

(6/156)

العلاء بن زيد فارغا نافرا وقرأ ابن محييض وفضالة بن عبيد فزعا بالزاي والعين من غير ألف إن كادت لتبدي به قال بعضهم الهاء في قوله به راجعة إلى موسى ومعنى الكلام إن كادت لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبد الرحمن ابن بشر قال حدثنا سفيان عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس إن كادت لتبدي به قال كادت تقول وا ابناه وقال مقاتل لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر فخشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقها عليه الكلبي كادت تظهر أنه ابنها وذلك حين سمعت الناس وهم يقولون لموسى بعدما شب موسى بن فرعون فشق عليها فكادت تقول لا بل هو ابني وقال بعضهم الهاء عائدة إلى الوحي أي إن كادت لتبدي بالوحي الذي أوحينا إليها أن نرده عليها لولا أن ربطنا على قلبها قوينا قلبها فعصمناها وثبتناها لتكون من المؤمنين المصدقين الموقنين بوعد الله عزوجل وقالت أم موسى لأخته موسى واسمها مريم قصيه ابتغي أثره حتى تعلمي خبره ومنه القصص لأنه حديث يتبع فيه الثاني الأول فبصرت به أبصرته عن جنب بعد وقال ابن عباس الجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به وقال قتادة جعلت تنظر إليها كأنها لا تريده وكان يقرأ عن جنب بفتح الجيم وسكون النون وقرأ النعمان بن سالم عن جانب أي عن ناحية وهم لا يشعرون أنها أخته وجرمنا عليه المراضع وهي جمع المراضع من قبل أي من قبل مجيء أم موسى وذلك أنه كان يؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل ثدي امرأة فهمهم ذلك فلما رأت أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك وما يصنع به فقالت لهم هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم أي يضمونه ويرضعونه ويضمونه إليهم وهي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صبيا صغيرا فترضعه وهم له ناصحون والنصح إخلاص العمل من شائب الفساد وهو نقيض الغش قالوا نعم فأتينا بها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها بحال ابنها وجاءت

(6/157)

بها إليهم فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها فذلك قوله فرددناه إلى أمه كي
تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله
وعددها رده إليها قال السدي وابن جريج لما قالت أخت موسى هل أدلكم على
أهل بيت يكفلونه لكم

وهم له ناصحون أخذوها وقالوا إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله
فقال ما أعرفه ولكني إنما قلت هم للملك ناصحون ولما بلغ أشده قال
الكلبي الأشد ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وقال سائر المفسرين
الأشد ثلاث وثلاثون سنة واستوى أي بلغ أربعين سنة أخبرنا أبو محمد المخلد
قال أخبرنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسى قال حدثنا الحسن بن
محمد بن الصباح قال حدثنا يحيى بن سليم قال أخبرني عبد الله بن عثمان بن
خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله سبحانه بلغ أشده واستوى
قال الأشد ثلاث وثلاثون سنة والاستواء أربعون سنة والعمر الذي أعده الله إلى
ابن آدم ستون سنة ثم قرأ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
أتيناه حكما عقلا وفهما وعلمنا قال مجاهد قيل النبوة وكذلك نجزي المحسنين
ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من
شيعة وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعة على الذي من عدوه فوكزه
موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب
إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت
علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي
استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوى مبين فلما أن أراد أن
يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا
بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين
وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملا ياتمرون بك
ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى
من القوم الظالمين

(6/158)

ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي صلى الله عليه وسلم أن يهديني سواء
السبيل ودخل يعني موسى المدينة قال السدي يعني مدينة منف من أرض
مصر وقال مقاتل كانت قرية تدعى خانين على رأس فرسخين من مصر على
حين غفلة من أهلها قال محمد بن كعب القرظي دخلها فيما بين المغرب
والعشاء وقال غيره نصف النهار عند القائلة واختلف العلماء في السبب الذي
من أجله دخل

موسى هذه المدينة في هذا الوقت فقال السدي كان موسى عليه السلام حين
أمر بركب مراكب فرعون ولبس مثل ما يلبس وكان إنما يدعى موسى بن
فرعون ثم إن فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى عليه السلام فلما جاء
موسى قيل له إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقييل بأرض يقال
لها منف فدخلها نصف النهار وقد تقلبت أسواقها وليس في طرقها أحد وهو
الذي يقول الله سبحانه ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وقال ابن

إسحاق كانت لموسى من بني إسرائيل شيعة يسمعون منه ويقتدون به
ويجتمعون إليه فلما اشتد رأيه وعرف ما هو عليه من الحق رأى فرعون
وقومه فخالفهم في دينه وتكلم وعادى وأنكر حتى ذكر ذلك منه وحتى خافوه
وخافهم حتى كان لا يدخل قرية إلا خائفا مستخفيا فدخلها يوما على حين غفلة
من أهلها وقال ابن زيد لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره قال فرعون
هذا عدونا الذي قتلت فيه بني إسرائيل فقالت امرأته لا بل هو صغير ثم دعت
بالجمر والجوهر فلما أخذ موسى الجمرة وطرحها في فيه حتى صارت عقدة
في لسانه ترك فرعون قتله وأمر بإخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم إلا بعد
أن كبر وبلغ أشده ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها عن موسى أي من
بعد نسيانهم خبره وأمره لبعدهم به وقال علي بن أبي طالب ح في قوله
حين غفلة من أهلها كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد فيها
رجلين يقتتلان هذا من شيعته من أهل دينه من بني إسرائيل وهذا من عدوه
من مخالفه من القبط قال المفسرون الذي هو من شيعته هو السامري والذي
من

(6/159)

عدوه طباح فرعون واسمه فليثون وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا موسى بن
محمد قال حدثنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا
المسيب بن شريك قال اسمه فاثون وكان خباز فرعون قالوا يسخره لحمل
الخطب إلى المطبخ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما بلغ موسى
أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني
إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما هو يمشي ذات
يوم في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر
من آل فرعون فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى واشتد
غضبه لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم
الناس إلا ذلك من قبل الرضاة من أم موسى فقال للفرعوني خل

(6/160)

سبيله فقال إنما أخذه ليحمل الخطب إلى مطبخ أبيك فنازع أحدهما صاحبه
فقال الفرعوني لموسى لقد هممت إلى أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتي
بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش فوكزه موسى بجمع كفه ولم
يتعمد قتله قال الفراء وأبو عبيدة الوكز الدفع بأطراف الأصابع وفي مصحف
عبد الله فنكزه بالنون والوكز واللكز والنكز واحد ومعناها الدفع فقضى عليه
أي قتله وفرغ من أمره وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه قال
الشاعر أيقايسون وقد رأوا حفائهم قد عضه فقضى عليه الأشجع أي قتله فلما
قتله موسى ندم على قتله وقال لم أؤمر بذلك ثم دفنه في الرمل قال هذا من
عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين وقال رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي بالمغفرة فلم تعاقبني
فلن أكون ظهيرا عونا ونصيرا للمجرمين قال ابن عباس لم يستثن فابتلى قال

قتادة يعني فلن أعين بعدها على خطيئة أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن خالد قال حدثنا داود بن سليمان قال أخبرنا عبد بن حميد قال حدثنا عبيد الله بن موسى عن سلمة بن نبيط قال بعث بعض الأمراء وهو عبد الرحمن بن مسلم إلى الضحاك بعطاء أهل بخارى وقال أعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفيه حتى أعفاه فقال له بعض أصحابه وأنت لا ترزأ شيئا فقال لا أحب أن أعين الظلمة على شيء من أمرهم وبه عن عبد الله قال حدثنا يعلى قال حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي قال قلت لعطاء بن أبي رباح إن لي أبا يأخذ بقلمه وإنما يكتب ما يدخل وما يخرج قال أخذ بقلمه كان ذلك غنى وإن تركه احتاج وصار عليه دين وله عيال فقال من الرأس قلت خالد بن عبد الله قال أما تقرأ ما قال العبد الصالح رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فلا يعينهم فإن الله تعالى سيغنيه فأصبح في المدينة خائفا من قتله القبطي أن يؤخذ فيقتل به يترقب ينتظر الأخبار فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه يستغيثه وأصل ذلك من الصراخ كما

(6/161)

يقال قال بني فلان يا صاحبا قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا منا فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال أبغوا لي قاتله ومن يشهد عليه فلا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون و لا يجدون ثبتا إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا آخر يريد أن يسخره فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتله القبطي فقال موسى للإسرائيلي إنك لغوي مبین ظاهر الغواية حين قاتلت أمس رجلا وقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه وقيل إنما قال للفرعوني إنك لغوي مبین بتسخيرك وظلمك والقول الأول أصوب وأليق بنظم الآية قال ابن عباس ثم مد موسى يده وهو يريد أن يبسط بالفرعوني فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعدما قال له إنك لغوي مبین فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس فخاف أن يكون بعدما قال له إنك لغوي مبین أرادته ولم يكن أرادته إنما أراد الفرعوني فقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض بالقتل ظلما قال عكرمة والشعبي لا يكون الإنسان جبارا حتى يقتل نفسين بغير حق وما تريد أن تكون من المصلحين ثم تتاركا فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى قتل ذلك الفرعوني فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى ولم يكن ظهر على قاتل القبطي حتى قال صاحب موسى ما قال قال ابن عباس فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة أي آخرها واختصر طريقا قريبا وسبقهم فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقا آخر فذلك قوله وجاء رجل واختلفوا فيه فقال أكثر أهل التأويل هو حزقييل بن صبورا مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون فقال شعيب الجبائي اسمه شمعون وقيل شمعان من أقصا المدينة يسعى قال الكلبي يسرع في مشيه لينذره مقاتل يمشي على رجله قال يا موسى إن الملا يأمرون بك

(6/162)

ليقتلوك أي يهمون بقتلك ويتشاورون فيك وقيل يأمر بعضهم بعضا نظيره قوله عز وجل وأتمروا بينكم بمعروف وقال النمر بن تغلب أرى الناس قد أحدثوا سمة وفي كل حادثة يؤتمر فاخرج من هذه المدينة إنني لك من الناصحين فخرج موسى منها أي من مدينة فرعون خائفا يترقب ينتظر الطلب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين أي نحوها وقصدها ماضيا لها خارجا عن سلطان فرعون يقال داره تلقاء دار فلان إذا كانت محاذيتها وأصله من اللقاء ولم تصرف مدين لأنها اسم بلدة معروفة قال الشاعر رهبان مدين لو رأوك تنزلوا والعصم من شغف العقول القادر وهو مدين بن إبراهيم نسبت البلدة إليه كما نسبت مدائن إلى أخيه مدائن بن إبراهيم قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل قصد الطريق إلى مدين وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها فلما دعا جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين قال المفسرون خرج موسى من مصر بلا زاد ولا درهم ولا ظهر ولا حذاء إلى مدين وبينهما مسيرة ثمانى ليال نحو الكوفة إلى البصرة ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر قال ابن جبير خرج من مصر جافيا فما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنني لما أنزلت إلى من خير فقير فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت إحداهما يابأت استنجره إن خير من استنجرت القوى الأميين قال إنى صلى الله عليه وسلم أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل ولما ورد ماء

(6/163)

مدين وهو بئر كانت لهم وجد عليه أمة من الناس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان تحبسان وتمنعان أغنامهما عن أن تشذ وتذهب وقال الحسن تكفان أغنامهما عن أن تختلط بأغنام الناس وترك ذكر الغنم اختصارا قتادة تذودان الناس عن شائهما أبو مالك وابن إسحاق تحبسان غنمهما عن الماء حتى يصدر عنه مواشي الناس ويخلوا لهما البئر ثم يسقيان غنمهما لضعفهما وهذا القول أولى بالصواب لما بعده وهو قوله قال يعنى موسى ما خطبكما ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس قالتا لا نسقى حتى يصدر قرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وابن عامر وابن جعفر

(6/164)

وأيوب بن المتوكل بفتح الياء وضم الدال جعلوا الفعل للرعاء أي حتى يرجعوا عن الماء وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا مواشيهم عن الماء والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار ومعنى الآية لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء لأننا لا نطبق أن نسقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يسقي مواشيه واختلفوا في اسم أبيهما فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن هو شعيب النبي صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء واسمه شعيب بن بويب بن مدين بن إبراهيم قال وهب وسعيد بن جبير وأبو عبيدة بن عبد الله هو بشرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة الصبعي عن ابن عباس قال اسم أبي امرأة موسى صاحب مدين بثرى قالوا فلما سمع موسى عليه السلام قولهما رحمهما واقتلع صخرة على رأس بئر أخرى كانت بقرهما لا يطبق رفعها إلا جماعة من الناس شريح عشرة رجال وقيل إنه زاحم القوم عن الماء وأخذ دلوها وسقى غنمهما عن ابن إسحاق فذلك قوله سبحانه فسقى لهما ثم تولى إلى الظل قال السدي ظل شجرة وروى عمر بن ميمون عن عبد الله قال أحبيت على جمل لي ليلتين حتى صبحت مدين فسألت عن الشجرة التي آوى إليها موسى فإذا شجرة خضراء ترقق فما هوى إليها جملي وكان جائعا فأخذها فعالجها ساعة فلم يقطعها فدعوت الله سبحانه لموسى ثم أنصرفت فقال رب إنني لما أنزلت إلي قال قطرب اللام ههنا بمعنى إلى تقول العرب احتجت له واحتجت إليه بمعنى واحد من خير أي طعام فقير محتاج قال ابن عباس لقد قال ذلك وإن خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما يسأل الله سبحانه إلا أكله قال الباقر لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق تمره قالوا فلما رجعتا إلى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا قبل

(6/165)

الناس فقال لإحدهما اذهبي فادعيه لي فجاءته إحدهما تمشي على استحياء قال عمر بن الخطاب ح مستترة بكم درعها لوف قد سترت وجهها بيدها روى قتادة عن مطرف قال أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما اتبع مذقتها ولكنه حمله على ذلك الجهد

قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فانطلق موسى معها يتبعها فهبت الريح فالزقت ثوب المرأة بردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ودليني عليها إن أخطأت فإنني يعقوب لا ينظر إلى أعجاز النساء فلما جاءه يعني الشيخ وقص عليه القصص أخبره بأمره والسبب الذي أخرجه من أرضه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يعني فرعون وقومه لا سلطان له بأرضنا قالت إحدهما وهي التي تزوجها موسى يا أبت استئجره لرعي أغنامنا إن خير من استأجرت القوي الأمين فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته فقالت أما قوته فإنه لما رآنا حابسي أغنامنا عن الماء قال لنا فهل بقركما بئر قلنا نعم ولكن عليها صخرة لا يرفعها إلا

أربعون رجلا قال انطلقا بي إليها فأخذ الصخرة بيده فنحاهما وأما أمانته فإنه قال لي في الطريق امشي خلفي وإن أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أنهج نهجها قال عند ذلك الشيخ لموسى إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين واسمهما صفورة ولباني قول شعيب الجبائي قال امرأة موسى صفورة وقال ابن إسحاق صفورة وشرفا وغيرهما الكبيري صفرا والصغرى صفيرا على أن تاجرني يعني أجرني وقالت الأئمة على أن تثبيني من تزويجها رعي ماشيتي ثماني حج سنين واحدها حجة جعل صداقها ذلك قال يقول العرب أجرك الله فهو يجررك بمعنى أثابك فإن أتممت عشرا أي عشر سنين فمن عندك وأنت به متبرع مفضل وليس مما اشترطه عليك في عقد النكاح وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين من الوافين بالعهد المحسنين الصحبة قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت الثمان أو العشر فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل شهيد

(6/166)

وحفيظ وقالت العلماء بأخبار الأنبياء أن موسى وصاحبه عليهما السلام لما تعاقدا بينهما هذا العقد أمر صهره احدى بنتيه أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه واختلفوا في حال تلك العصا فقال عكرمة خرج بها آدم من الجنة وأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها إليه وقال آخرون لم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب وكانت عصي الأنبياء عنده فأعطاها موسى وقال السدي كانت تلك العصا استودعها ملك في صورة رجل وأمر ابنته أن تاتيه بعصا فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لابنته آتية بغيرها فلما رمتها تريد أن تأخذ غيرها فلا تقع في يدها إلهي كل ذلك تطير في يدها حتى فعلت ذلك مرات فأعطاها موسى فأخرجها معه ثم إن الشيخ ندم وقال كانت وديعة فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال أعطني العصا قال موسى هي عصاي فأبى أن يعطيه فاختصما حتى رضيا أن يجعل بينهما أول رجل يلقاهما فأتاهما ملك يمشي فقضى بينهما فقال ضعوهما بالأرض فمن حملها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطلقها وأخذها موسى بيده فرقعها فتركها له الشيخ وروى حيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال كان في دار يثرون بيت لا يدخله إلا يثرون وابنته التي زوجها موسى كانت تكنسه وتنظفه وكان في البيت ثلاث عشرة عصا وكان ليثرون أحد عشر ولدا من الذكور فكلما أدرك منهم ولد أمره بدخول البيت وإخراج عصا من تلك العصي فجعل يحترق الولد حتى هلك كلهم فرجع موسى ذات يوم إلى منزله فلم يجد أهله واحتاج إلى عصا لرعيه فدخل ذلك البيت وأخذ عصا من تلك العصي وخرج بها فلما علمت بذلك امرأته انطلقت إلى أبيها وأخبرته بذلك فسر بها يثرون وقال لها إن زوجك هذا نبي وإن له مع هذه العصا ليشأنا وفي بعض الأخبار أن موسى عليه السلام لما أصبح من الغد بعد العقد وأراد الرعي قال له صهره شعيب اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك

(6/167)

وإن كان الكلاب بها أكثر فإن هناك تيننا عظيما أخشى عليك وعلى الأغنام منه فذهب موسى بالأغنام فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى على أن يصرفها إلى ذات الشمال فلم تطعه فسار موسى على أثرها فرأى عشباً وريفاً لم ير مثله ولم ير التين فنام موسى والأغنام ترعى فإذا بالتين قد جاء فقامت عصا موسى وجاربتة حتى قتلتته وعادت إلى جنب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتين مقتولا فارتاح لذلك وعلم أن لله سبحانه في تلك العصا قدرة وإرادة فعاد إلى شعيب وكان شعيب ضريراً فمس الأغنام فإذا هي أمثل حالاً مما كانت فسأله فأخبره موسى بالقصة ففرح بذلك شعيب وعلم أن لموسى وعصاه شأناً فأراد شعيب أن يجازي موسى على حسن رعيه إكراماً له وصلة لابنته فقال له إني قد وهبت لك من الجدايا التي تضعها أغنامي في هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله تعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقي الأغنام قال فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه فما أخطأت واحدة منها إلا وقد

(6/168)

وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى وامرأته فوقى له بشرطه وسلم إليه الأغنام فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله ءانس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثو صلى الله عليه وسلم إني صلى الله عليه وسلم ءانس نارا لعلى صلى الله عليه وسلم ءاتكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني صلى الله عليه وسلم أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رءاها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الامنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء صلى الله عليه وسلم ء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلي فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى رءاءاً يصدقنى إني صلى الله عليه وسلم أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بئياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما قضى موسى الأجل أي أتمه وفرغ منه أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا مكى بن عبدان عن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الرحمن بن بشر قال حدثنا موسى بن عبد العزيز قال حدثنا الحكم بن أبان قال حدثني عكرمة قال قال ابن عباس سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى قال أبعدهما وأطيبهما وأخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان قال حدثنا محمد بن عبد الجبار الهمذاني قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن زيد عن علي بن رباح عن عتبة بن التيب وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسكن الشام ومات في زمن عبد الملك قال سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى قال أبرهما وأوفاهما وروى محمد بن إسحاق عن حكم بن جبير عن

(6/169)

سعيد بن جبير قال قال لي يهودي بالكوفة وأنا أتجهز للحج إني أراك رجلا تتبع العلم أخبرني أي الأجلين قضى موسى قلت لا أعلم وأنا الآن قادم على حبر العرب يعني ابن عباس فسأله عن ذلك فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك فقال قضى أكثرهما وأطيبهما إن النبي إذا وعد لم يخلف قال سعيد فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال صدق ما أنزل على موسى هذا والله العالم وقال وهب أنكحه الكبرى وقد روي أن النبي عليه السلام قال تزوج صغراهما وقضى أوفاهما فإن صح هذا الخبر فلا معدل عنه وقال مجاهد لما قضى موسى الأجل ومكث بعد ذلك عند صهره عشرة أخرى فأقام عنده عشرين سنة ثم إنه استأذنه في العودة إلى مصر لزيارة والدته وأخيه فأذن له فسار بأهله وماله وكانت أيام الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامراته في شهرها لا يدري أليلا تضع أم نهارة فسار في البرية غير عارف بطرقها فالتجأ المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زندا فلم تور المقدحة شيئا فأنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني أنست نارا لعلني أتكم منها بخبر أو جذوة قطعة وشعلة من النار وفيها ثلاث لغات فتح الجيم وهي قراءة عاصم وضمها وهي قراءة حمزة وكسرهما وهي قراءة الباقيين وقال قتادة ومقاتل الجذوة العود الذي قد احترق بعضه وجمعها جذي قال ابن مقبل باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذي غير خوار ولا دعر لعلكم تصطلون أي تستدفئون وتستحمون بها من البرد فلما أتتها نودي من شاطئ جانب الواد الأيمن عن يمين موسى في البقعة المباركة وقرأ أشهب العقيلي في البقعة بفتح الباء من الشجرة أي من ناحية الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين قال عبد الله بن مسعود كانت الشجرة سمرة خضراء ترق قتادة عوسجة وهب عليق وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز تتحرك كأنها جان وهي الحية الصغيرة من سرعة حركته ولى مدبرا هاربا منها ولم يعقب ولم يرجع

(6/170)

فنودي يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فخرجت كأنها مصباح واضمم إليك جناحك من الرهب قرأ حفص بفتح الراء وجزم الهاء وقرأ أهل الكوفة والشام بضم الراء وجزم الهاء غيرهم بفتح الراء و الهاء دليلهم قوله سبحانه ويدعوننا رغبا ورهبا وكلها لغات بمعنى الخوف والفرق ومعنى الآية إذا هالك أمر يدك وما ترى من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى وقال بعضهم أمره الله سبحانه وتعالى أن يضم يده إلى صدره ليذهب الله عز وجل ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وقيل معناه سكن روعك واخفض عليك جأشك لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد

بدنه وضم الجناح هو السكون ومثله قوله سبحانه واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يريد الرفق وقوله سبحانه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أي ارفق بهم وألن جانبك لهم وقال الفراء أراد بالجناح عصاه وقال بعض أهل المعاني الرهب الكم بلغة حمير وبني حنيفة وحكي عن الأصمعي أنه سمع بعض الأعراب يقول لآخر أعطني ما في رهبك قال فسألته عن الرهب فقال الكم ومعناه على هذا التأويل اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم لأنه تناول العصا ويده في كفه فذاتك قراءة العامة بتخفيف النون وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد النون وهي لغة قريش وفي وجهها أربعة أقوال قيل شدد النون عوضاً من الألف الساقطة ولم يلتفت إلى التقاء الساكنين لأن أصله فذاتك فحذفت الألف الأولى لالتقاء الساكنين وقيل التشديد للتأكيد كما أدخلوا اللام في ذلك وقيل شددت فرقا بينها وبين التي تسقط للإضافة لأن ذان لا تضاف وقيل للفرق بين تثنية الاسم المتمكن وبينها قال أبو عبيد وكان أبو عمرو يخص هذا الحرف بالتشديد دون كل تثنية في القرآن وأحسبه فعل ذلك لقلّة الحروف في الاسم فقرأه بالثقل ومعنى الآية فذاتك يعني العصا واليد البيضاء برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين قال رب إنني قتلت منهم نفساً فأخاف

(6/171)

أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لساناً وأحسن بياناً وإنما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه فأرسله معي ردءاً معينا يقال أردأته أي أعنته وترك همزه عيسى بن عمر وأهل المدينة طلباً للخفة يصدقني قرأه العامة بالجزم ورفع عاصم وحمزة وهو اختيار أبو عبيد فمن جزمه فعلى جواب الدعاء ومن رفعه فعلى الحال أي ردءاً مصدقاً حاله التصديق كقوله سبحانه ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون أي كائنة حال صرف إلى الاستقبال إنني أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك أن نقويك ونعينك بأخيك وكان هارون يومئذ بمصر ونجعل لكما سلطاناً قوةً وحجةً وبرهاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون

(6/172)

فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في صلي الله عليه وسلم ءبائنا الاولين وقال موسى ربي صلى الله عليه وسلم أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلى صلى الله عليه وسلم أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق ووطنو صلى الله عليه وسلم أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد ءاتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر

للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا الذي تدعونا إليه في آبائنا الأولين وقال موسى قراءة العامة بالواو وقرأ أهل مكة بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده بالمحق من المبطل ومن تكون له قرأ بالياء أهل الكوفة والباقون بالتاء عاقبة الدار أي العقبي المحمودة في الدار الآخرة إنه لا يفلح الظالمون لا ينجح الكافرون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاطبخ لي الآجر وقيل إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به قال أهل التفسير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء ومن يطبخ الآجر والحص وينجر الخشب والأبواب ويضرب المسامير فرفعه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض أراد الله سبحانه أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه فأمر بنشابه فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي ملطخة

(6/173)

دما فقال قد قتلت إله موسى قالوا لو كان فرعون يصعده على البراذين فبعث الله سبحانه جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف رجل ووقعت قطعة منها في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد ممن عمل فيه بشيء إلا هلك فذلك قوله تعالى فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا قصرا لعلني أطلع إلى إله موسى أنظر إليه وأقف على حاله وإني لأظنه يعني موسى من الكاذبين في ادعائه كون إله غيري وأنه رسوله واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فآلقيناهم في اليم يعني البحر قال قتادة هو بحر من وراء مصر يقال له أساف غرقهم الله فيه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة قادة ورؤساء يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة حزنا وعذابا ويوم القيامة هم من المقبوحين الممقوتين وقال أبو عبيدة وابن كيسان المهلكين وقال ابن عباس يعني المشوهين الخلقة بسواد الوجه وزرقة العيون قال أهل اللغة يقال قبحه الله وقبحه إذا جعله قبيحا ولقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون أخبرنا شعيب بن محمد قال أخبرنا مكِّي بن عبدان قال حدثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا روح بن عبادة عن عوف عن أبي نصره عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أهلك الله عز وجل قوما ولا قرنا ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل الله سبحانه التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوا قرده ألم تر أن الله سبحانه قال ولقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى الآية وما كنت يا محمد بجانب الغربي أي غربي الجبل إذ قضينا إلى موسى الأمر أي أخبرناه بأمرنا ونهينا والزمناه عهدنا وما كنت من الشاهدين الحاضرين هناك تذكرة من ذات نفسك ولكننا أنشأنا

أحدثنا وخلقنا قرونا فتطاول عليهم العمر فنسوا عهد الله سبحانه وتركوا أمره نظيره فطال عليهم الأمد فقسست قلوبهم وما كنت ثاويًا مقيمًا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين يعني أرسلناك رسولاً وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولما أخبرتهم بما تشاهده وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى خذ الكتاب بقوة وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكننا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويًا في صلي الله عليه وسلم أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولاكن رحمة من ربك لتتذرعوا ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا صلي الله عليه وسلم أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا صلي الله عليه وسلم أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا صلي الله عليه وسلم أوتى

مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين قال وهب بن منبه قال موسى يا رب أرني محمد صلي الله عليه وسلم قال إنك لن تصل إلى ذلك وإن شئت ناديت أمته فأسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله سبحانه يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم وأخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهاني قال أخبرنا محمد بن جعفر المطري قال حدثنا الحماد بن الحسن قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي مدرك عن أبي زرعة يعني ابن عمرو بن جرير وما كنت بجانب الطور إذ نادينا قال قال يا أمة محمد قد أجبتكم من قبل أن تدعوني وأعطيتكم من قبل أن تسألوني وأخبرني عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان قال حدثنا جيعويه بن محمد قال حدثنا صالح بن محمد قال وأخبرنا عثمان بن أحمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الجبلي قال حدثنا محمد بن الصباح بن عبد السلم قال حدثنا داود أبو سلمان كلاهما عن سلمان بن عمرو عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم في قول الله سبحانه وما كنت بجانب الطور إذ نادينا قال كتب الله عزوجل كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة أس ثم وضعها على العرش ثم نادى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة ولكن رحمة من ربك قراءة العامة بالنصب على الخبر تقديره ولكن رحمتك رحمة وقرأ عيسى بن عمر رحمة بالرفع يعني ولكنه

رحمة من ربك إذا أطلعك عليه وعلى الأخبار الغائبة عنك لتنذر قوما ما أتاهم
من نذير من قبلك يعني أهل مكة لعلمهم يتذكرون ولولا أن

(6/176)

تصبيهم مصيبة عقوبة ونقمة بما قدمت أيديهم من الكفر والمعصية
فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين وجواب
لولا محذوف أي لعاجلناهم بالعقوبة وقيل معناه لما أرسلناك إليهم رسولا ولكننا
بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فلما جاءهم الحق من
عندنا يعني محمد عليه السلام قالوا يعني كفار مكة لولا أوتي محمد مثل ما
أوتي موسى كتابا جملة واحدة قال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من
قبل قالوا سحران تظاهرا قال الكلبي وكانت مقاليتهم تلك حين بعثوا الرهط
منهم إلى رؤوس اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن محمد عليه السلام
فأخبروهم أنه نعتة وصفته وأنه في كتابهم التوراة فرجع الرهط إلى قريش
فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا قرأ أهل الكوفة
سحران بغير ألف وهي قراءة ابن مسعود وبه قرأ عكرمة واحتج بقوله قل
فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما وقرأ الآخرون ساحران بالألف واختاره
أبو حاتم وأبو عبيدة لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب فمن
قرأ سحران أراد التوراة والقرآن ومن قرأ ساحران أراد موسى ومحمدا عليهما
السلام وقالوا إنا بكل كافرون قل لهم يا محمد فأتوا بكتاب من عند الله هو
أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك ولم يأتوا به فاعلم أنما
يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي
القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلمهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالو صلى الله عليه وسلم إنا آمننا به إنه
الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا
ويدروا بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه
وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين إنك لا تهدي من
أحببت ولاكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين

(6/177)

وقالو صلى الله عليه وسلم إنا نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن
لهم حرما إنا يحبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ولاكن أكثرهم لا
يعلمون وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من
بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى
صلى الله عليه وسلم أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا
وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله
خير وأبقى أفلا تعقلون

(6/178)

ولقد وصلنا لهم القول ابن عباس ومجاهد فصلنا ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا وقال أهل المعاني أي والينا وتابعا وأصلة من وصل الجبال بعضها إلى بعض قال الشاعر فقل لبني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف ما يزال يوصل وقرأ الحسن وصلنا خفيفة وقراءة العامة بالتشديد على التكثير لعلمهم يتذكرون الذين أتيناهم الكتاب من قبله أي من قبل محمد عليه السلام هم به يؤمنون نزلت في مؤمني أهل الكتاب وإذا يتلى عليهم يعني القرآن قالوا أمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين لإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر بما صبروا على دينهم قال مجاهد نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذوا ويدروون ويدفعون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو القبيح من القول أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين أي دين الجاهلين عن الكلبي وقيل محاورة الجاهلين وقيل لا نريد أن نكون جهالا إنك لا تهدي من أحببت أي من أحببت هدايته وقيل من أحببته نزلت في أبي طالب حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي إملاء قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ قال حدثنا عبد الرحمن بن بشر قال حدثنا يحيى بن سعيد عن زيد بن كيسان قال حدثني أبو حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمة قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرني نساء قريش يقلن إنه حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله سبحانه إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء

(6/179)

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف قال حدثنا عبد الرزاق قال وأخبرنا محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن يوسف السلمى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا أبو سعيد بن حمدون قال أخبرنا ابن الشريقي قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دخل على عمه أبي طالب في مرضه الذي مات فيه وعنده أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية فقال يا عمي قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال بل على ملة عبد المطلب فأنزل الله سبحانه إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن مالك قال حدثنا محمد بن إبراهيم الطيالسي قال حدثنا الحسين بن علي بن يزيد المدائني قال حدثنا أبي قال حدثنا الفضل بن العباس الهاشمي قال حدثنا عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن الزهري عن محمد بن جبير عن مطعم عن أبيه قال لم يستمع أحد الوحي يلقي على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر الصديق فإنه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يوحى إليه فسمع إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من

يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا إن تتبع الهدى معك الآية نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي عليه السلام أنا لنعلم إن الذي تقول حق ولكن يمنعنا إتباعك أن العرب

(6/180)

تتخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم فأنزل الله سبحانه وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا مكة قال الله سبحانه أولم نمكن لهم حرماً آمناً وذلك أن العرب في الجاهلية كان يغير بعضهم على بعض فيقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم يجبى إليه ثمرات يجلب ويجمع قرأ أهل المدينة ويعقوب تجبى بالتاء لأجل الثمرات واختاره أبو حاتم وقرأ غيرهم بالياء كقوله كل شيء واختاره أبو عبيد قال لأنه قد حال بين الاسم المؤنث والفعل حائل رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي أشرت وطغت فكفرت بربها قال عطاء بن رباح أي عاشوا في البطر والأشر وأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام وجعل الفعل للقرية وهو في الأصل للأهل وقد مضت هذه المسألة فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً يعني فلم يعمر منها إلا أقلها وأكثرها خراب قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوماً أو ساعة وكنا نحن الوارثين نظيره قوله سبحانه إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وقوله ولله ميراث السموات والأرض وما كان ربك مهلك القرى بكفر أهلها حتى يبعث في أمها يعني مكة رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون كافرون وما أنتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون بالياء أبو عمرو يختلف عنه الباقر بالتاء أفمن وعدناه وعدنا حسناً فهو لاقية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هاؤلاً صلى الله عليه وسلم الذين أغويناً أغويناهم كما غويناً تبرأنا إليك ما كانوا صلى الله عليه وسلم إيانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبت المرسلين فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون

(6/181)

فأما من تاب وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا صلى الله عليه وسلم إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن

(6/182)

رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا
فقلنا هاتوا برهانكم فعلمو صلى الله عليه وسلم أن الحق لله وصل عنهم ما
كانوا يفترون أقمنا وعدناه وعدنا حسنا يعني الجنة فهو لاقيه مدركه ومصيبه
كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين في النار
نظيره قوله سبحانه ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين قال مجاهد نزلت
في النبي عليه السلام وفي أبي جهل بن هشام محمد بن كعب في حمزة
وعلي وفي أبي جهل السدي عمار والوليد بن المغيرة ويوم يناديهم فيقول أين
شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي قال الذين حق عليهم
القول وجب عليهم العذاب وهم الرؤوس عن الكلبي غيره الشياطين ربنا هؤلاء
الذين أغوينا أغويناكم كما غوينا تيرانا إليك منهم ما كانوا إيانا يعبدون وقيل لبني
آدم الكفار ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم
كانوا يهتدون جواب لو مضمرة أي لو كانوا يهتدون لما رأوا العذاب وقيل معناه
ودوا إذا رأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم
المرسلين فعميت فخفيت واشتبهت عليهم الأنباء يعني الأخبار والأعداء
والحجج يومئذ لأن الله سبحانه قد أعذر إليهم في الدنيا فلا يكون لهم حجة ولا
عذر يوم القيامة فهم لا يتساءلون لا يجيبون قتادة لا يحتجون وقيل يسكتون لا
يسئل بعضهم بعضا مجاهد لا يتساءلون بالأنساب كما كانوا يفعلون في الدنيا
نظيره قوله سبحانه فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فأما من تاب وآمن
وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفليحين وريك يخلق ما يشاء ويختار وهذا
جواب لقول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم أخبر الله سبحانه أنه لا يبعث الرسل باختيارهم وهذا من الجواب
المفصول وللقرآن في هذه الآية طريقان أحدهما أن يمر على قوله ويختار ما
كان

(6/183)

لهم الخيرة ويجعل ما إثباتا بمعنى الذي أي ويختار لهم ما هو الأصلح والخير
والثاني أن يقف على قوله ويختار ويجعل ما نفيا أي ليس إليهم الاختيار وهذا
القول أصوب وأعجب إلي كقوله سبحانه وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى
الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم وأنشدني أبو القاسم الحسن
بن محمد بن حبيب قال أنشدني أبو جعفر محمد بن صالح قال أنشدنا حماد بن
علي البكرابي لمحمود بن الحسن الوراق توكل على الرحمن في كل حاجة
أردت فإن الله يقضي ويقدر إذا ما يرد ذو العرش أمرا بعبده وما للعبد ما
يتخير وقد يهلك الإنسان من جه حذره وينجو بحمد الله من حيث يحذر
وأنشدني الحسين بن محمد قال أنشدني أبو الفوارس حنيف بن أحمد بن
حنيف الطبري العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللؤم والشوم روى سعيد بن
المسيب عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز
وجل اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من

أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين فجعلهم خير أصحابي وفي كل أصحابي خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون بعد أصحابي القرون الأول والثاني والثالث تترى والرابع فردي أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شيبه قال حدثنا جعفر بن أحمد الواسطي قال حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا يوسف بن يعقوب السلمى قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن أخيه في قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار قال اختار من الغنم الضأن ومن الطير الحمام سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة دائماً لا نهار معه

(6/184)

من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة لا ليل فيه من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا وأخرجنا وأحضرنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعملوا حينئذ أن الحق لله يعني التوحيد والصدق والحجة البالغة وصل عنهم ما كانوا يفترون إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وءاتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندى صلى الله عليه وسلم أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا صلى الله عليه وسلم أن من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى صلى الله عليه وسلم أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجو صلى الله عليه وسلم أن يلقى إليك

(6/185)

الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ءايات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلاها

ء آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون إن قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه لأنه قارون بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن فاهث هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن إسحاق تزوج يصهر ابن فاهث شमित بنت تباويت بن برشيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون ابن يصهر فنكح عمران نجيب بنت سموياء بن برشيا بن رمان بن برشيا فولدت له هارون

(6/186)

ابن عمران وموسى بن عمران عليهم السلام فموسى على قول ابن إسحاق ابن اخي قارون وقارون عمه لأبيه وأمه قال قتادة وكان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى عليهم أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا موسى بن محمد قال حدثنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى عن المسيب أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم قال ابن عباس كان فرعون قد ملكه على بني إسرائيل حين كان بمصر سعيد عن قتادة بغى عليهم بكثرة ماله وولده سفيان عنه بالكبر والبذخ عطاء الخراساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الثياب شبرا وأتيناها من الكنوز ما إن مفاتحه وهي جمع المفتاح وهو الذي يفتح به الباب لتنوء بالعصبة أولي القوة أي لتثقل بهم إذا حملوها لتثقلها يقال ناء ينوء نواء إذا نهض بثقل قال الشاعر تنوء بأخراها فلأيا قيامها وتمشي الهوبنا عن قريب فتبهر واختلفوا في مبلغ عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة إلى خمسة عشر قتادة ما بين العشرة إلى أربعين أبو صالح أربعون رجلا عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون الضحاك عن ابن عباس ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل ستون روى جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون توفى ستين بغلا غراء محجلة ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح منها كنز مجاهد كانت المفاتيح من جلود الإبل ويقال كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلت من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلا وقال بعضهم أراد بالمفاتيح الحراس وإليه ذهب أبو صالح وروى حصين عن أبي زرير قال لو كان مفتاح واحد لأهل الكوفة كان كافيا إنما يعني كنوزه فإن قيل فما وجه قوله ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة وإنما

(6/187)

العصبة هي التي تنوء بها قيل فيه قولان أحدهما يميل بهم ويثقلهم حملها والآخر قال أهل البصرة قد يفعل العرب هذا تقول للمرأة إنها لتنوء بها عجيزتها وإنما هي تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله وقال الشاعر فديت بنفسه نفسي ومالي وما ألوك إلا ما أطيق والمعنى فديت بنفسه ومالي نفسه وقال آخر وتركب خيلا لا هوادة بينها وتنشقي الرماح

بالضياطرة الحمر وإنما يشقي الضياطرة بالرماح والخيل هاهنا الرجال إذ قال له قومه من بني إسرائيل لا تفرح لا تأشر ولا تفرح ومنه قول الله سبحانه إنه لفرح فخور وقال الشاعر ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتحول أراد لست بأشر لأن السرور غير مكروه ولا مذموم إن الله لا يحب الفرحين الأشرين البطرين المتكبرين الذين لا يشكرون الله سبحانه على ما أعطاهم أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا منصور بن جعفر النهاوندي قال حدثنا أحمد بن يحيى النهاوندي قال حدثنا أحمد بن عمرو بن حيان عن نفته قال حدثنا مبشر بن عبد الله في قول الله سبحانه وتعالى لا تفرح قال لا تفسد إن الله لا يحب الفرحين المفسدين وقال الشاعر إذا أنت لم ترح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع يعني أفسدتك وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال مجاهد وابن زيد لا تترك أن تعمل في دنياك لآخرتك حتى تنجو من عذاب الله وهي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال علي ح لا تنس صحتك وقوتك وشبابك ونشاطك وغناك أن تطلب به الآخرة وقال الحسن ولا تنس أن تطلب فيها كفايتك وغناك مما أحل الله لك منها وأباني عبد الله بن حامد قال أخبرنا حامد بن محمد قال حدثنا أحمد بن علي

(6/188)

الحران قال حدثنا سعيد بن سلمة قال حدثنا خلف بن خليفة عن منصور بن زاذان في قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال قوتك وقوة أهلك وقيل هو الكفن لأنه حظه من الدنيا عند خروجه منها وأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك ولا تبغ ولا تطلب الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال قارون إنما أوتيته على علم على فضل علم عندي علمنيه الله ورأيت لذلك أهلاً ففضلني بهذا المال عليكم لفضلي عليكم بالعلم وغيره وقيل هو علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن نوفيا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وفي خبر آخر أن الله سبحانه وتعالى علم موسى علم الكيمياء فعلم موسى أخته فعلمت أخته قارون فكان ذلك سبب أقواله وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الأموال ما أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد قال حدثنا محمد بن موسى الحلواني قال حدثنا خزيمه بن أحمد قال حدثنا أحمد بن أبي الجواري قال سمعت أبا سلمان الداراني يقول بيدي إبليس لقارون وكان قارون قد أقام في جبل أربعين سنة يتعبد حتى إذا غلب بني إسرائيل في العبادة بعث إليه إبليس شياطينه فلم يقدرُوا عليه فتبدى هو له وجعل يتعبد وجعل قارون وجعل إبليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون فقال له إبليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه لا تشهد لبني إسرائيل جماعة ولا تعود مريضاً ولا تشهد جنازة قال فحذره من الجبل إلى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال إبليس يا قارون قد رضينا الآن أن يكون هكذا كلا على بني إسرائيل فقال له قارون فأى شيء الرأي عندك قال نكسب يوم الجمعة ونتعبد

بقية الجمعة قال فكسبوا يوم الجمعة وتعبدوا بقية الجمعة فقال إبليس لكارون
قد رضينا أن يكون هكذي فقال له كارون فاي

(6/189)

شيء الرأي عندك قال نكسب يوما وتتعبد يوما وتتصدق ونعطي قال فلما
كسبوا يوما وتعبدوا يوما خنس إبليس وتركه ففتحت على كارون الدنيا فبلغ
ماله ما أخبرنا ابن فنجويه قال أخبرنا موسى قال حدثنا الحسن ابن علويه قال
حدثنا إسماعيل بن موسى عن المسيب بن شريك ما إن مفاتحه قال أوعيته
وكانت أربعمئة ألف ألف في أربعين جرابا قال الله سبحانه أولم يعلم أن الله
قد أهلك من قبله من القرون الكافرة من هو أشد
منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال قتادة يدخلون النار
بغير حساب مجاهد يعني إن الملائكة لا تسأل عنهم لأنهم يعرفونهم بسيمائهم
الحسن لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ليعلم ذلك من قبلهم فإن سئلوا سؤال
تقريع وتوبيخ فخرج على قومه في زينته قال جابر بن عبد الله في القرمز
النخعي والحسن في ثياب حمراء مجاهد على براذين بيض عليها سروج
الأرجوان عليهم المعصفرات قتادة على أربعة ألف دابة عليهم وعلى دوابهم
الأرجوان ابن زيد في سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم
رؤيت المعصفرات فيما كان يذكر لنا مقاتل على بغلة

(6/190)

شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعلى
دوابهم الأرجوان ومعه ثلاثمئة جارية بيض عليهن الحلبي والثياب الحمر على
البغال الشهب قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي كارون إنه
لذو حظ عظيم من المال وقال الذين أوتوا العلم وبلكم ثواب الله خير لمن
أمن وعمل صالحا ولا يلقاها ولا يلحقها ولا يلقن ويوفق لهذه الكلمة إلا الصابرون على
طاعة الله وعن زينة الدنيا فحسبنا به وبداره الأرض قال العلماء بأخبار القدماء
كان كارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون وأقرأهم للتوراة وأجملهم
وأغناهم ولكنه نافق كما نافق السامري فبغى على قومه واختلف في معنى
هذا البغي فقال ابن عباس كان فرعون قد ملك كارون على بني إسرائيل حين
كان بمصر وعن المسيب بن شريك أنه كان عاملا على بني إسرائيل وكان
يظلمهم وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا وقيل بغى عليهم بالكبر وقيل بكثرة
ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم واختلف في مبلغ عدة العصبة في هذا
الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة إلى خمسة عشر وقال قتادة ما بين
العشرة إلى أربعين وقال عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول
سبعون وقال الضحاك ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل هم ستون وروي عن
خثيمة قال وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن كارون وقر ستين بغلا غراء
محجلة ما يزيد منها مفتاح على إصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال كان أينما
يذهب تحمل معه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت
عليه فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع فكانت تحمل معه على أربعين

بغلا وكان أول طغيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الأموال فكان يخرج في زينته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه في زينته قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان وعليهم المعصفرات وقال عبد الرحمن خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات وقال مقاتل على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليها الأرجوان ومعه أربعة آلاف

(6/191)

فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلاثة آلاف جارية بيض عليهن الحلبي والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الجهالة مثل الذي أوتيته كما حكى الله فوعظهم أهل العلم بالله أن اتقوا الله فإن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا قال ثم إن الله أوحى إلى نبيه موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر لونه لون السماء فدعا موسى بني إسرائيل وقال لهم إن الله تعالى يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها وإنه تعالى ينزل من السماء كلامه عليكم فاستكبر قارون وقال إنما تفعل هذه الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا من غيرهم ولما قطع موسى عليه السلام ببني إسرائيل البحر جعل الحبورة وهي رئاسة المذبح وبيت القربان لهارون فكان بنو إسرائيل يأتون بهديتهم ويدفعونه إلى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك وأتى موسى وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما لا صبر لي على هذا فقال موسى والله ما أنا جعلتها في هارون بل الله تعالى جعلها له فقال قارون والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى عليه السلام رؤساء بني إسرائيل وقال هاتوا عصيكم فجاءوا بها فحزمها وألقاها في قبته التي كان يعبد الله تعالى فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هارون عليه السلام قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من ورق شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال قارون وإله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم إلا كبرا ومخالفة ومعاداة لموسى عليه السلام حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملا من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه

(6/192)

ويضاكونه قال ابن عباس ثم إن الله سبحانه وتعالى أنزل الزكاة على موسى عليه السلام فلما أوجب الله سبحانه الزكاة عليهم أبى قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم وعن كل ألف شاة على شاة وعن كل ألف شيء شيئا ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني إسرائيل وقال لهم يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعمموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا

وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلا
على أن تقذفه

(6/193)

بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه فأتوا بها
فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طلستا من ذهب وقيل حكمها
وقال لها إني أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا إذا
حضر بنو إسرائيل فلما أن كان الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى
فقال له إن بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين
لهم أعلام دينهم وأحكام شريعتهم فخرج إليهم موسى وهم في براح من
الأرض فقام فيهم خطيبا ووعظهم فكان فيما قال يا بني إسرائيل من سرق
قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة
ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وإن كنت أنت قال وإن
كنت أنا قال قارون فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال أنا قال
نعم قال ادعوها فإن قالت فهو كما قالت فلما أن جاءت قال لها موسى يا فلانة
إنما أنا فعلت لك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني
إسرائيل وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت فلما ناشدها تداركها الله
بالتوفيق وقالت في نفسها لئن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤدي رسول
الله فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فلما
تكلمت بهذا الكلام سقط في يده قارون ونكس رأسه وسكت الملاء وعرف أنه
وقع في مهلكة وخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم إن كنت رسولك فأغضب
لي فأوحى الله سبحانه إليه مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال موسى
يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه
فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزل قارون ولم يبق معه إلا رجلان ثم
قال موسى يا أرض خذيهما فأخذتهما إلى الركب ثم قال يا أرض خذيهما
فأخذتهما إلى الأوساط ثم قال يا أرض خذيهما فأخذتهما إلى الأعناق وقارون
وأصحابه في كل ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهما
فانطبقت عليهم الأرض وأوحى الله تعالى إلى موسى يا

(6/194)

موسى ما أفضلك استغاثوا بك سبعين مرة فلم ترحمهم ولم تغتهم أما وعزتي لو
إبائي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة وذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامه
وأنه يتخلخل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة قالوا وأصبحت بنو إسرائيل
يتناجون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه
وأمواله فدعا الله موسى حتى يخسف بداره وأمواله الأرض وأوحى الله
سبحانه إلى موسى إني لا أعبد الأرض لأحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى
فخسفنا به بداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان
من

المنتصرين الممتنعين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس العرب تعبر بأضحى وأمسى وأصبح عن الصيرورة والفعل فتقول أصبح فلان عاملا وأمسى حزينا وأضحى معدا إذا صاروا بهذه الأحوال وليس ثم من الصبح والمساء والضحي شيء يقولون ويكأن الله اختلف العلماء في هذه اللفظة فقال مجاهد معناه ألم تعلم قتادة ألم تر الفراء هي كلمة تقرير كقول الرجل أما ترى إلى صنع الله وإحسانه وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت يعني أما ترينه وراء البيت ابن عباس والحسن هي كلمة ابتداء وتحقيق تقديره إن الله يبسط الرزق المؤرخ هو تعجب قطرب إنما هو وبلك فأسقط منه اللام قال عنتره ولقد شفى نفسي وأبرا سقمها قول الفوارس ويك عنتر أقدم وقيل هو تنبيه بمنزلة ألا وأما قال بعض الشعراء ويكأن من يكن له نشب يحب ومن يفتقر يعيش عيش ضر وقال القتيبي معناه رحمة بلغة حمير وقال سيبويه سألت الخليل عنه فقال وي كلمة تنبيه منفصلة من كأن فكان في معنى الطب والعلم يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يقتر لولا أن من الله علينا لخسف بنا قرأ يعقوب وبعض أهل الشام والكوفة بفتح الخاء والسين وقراءة العامة بضم الخاء وكسر السين ويكأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض تكبرا وتجبوا فيها ولا فسادا عملا بالمعاصي عن ابن جريح ومقاتل وعكرمة ومسلم البطين الفساد أخذ المال بغير حق الكلبي الدعاء إلى غير عبادة الله والعاقبة المحمودة للمتقين قال قتادة الجنة من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون إن الذي فرض عليك القرآن أي أنزله عن أكثر المفسرين وقال عطاء بن أبي رباح فرض عليك العمل بالقرآن لرادك إلى معاد قال الضحاك و مجاهد إلى مكة وهي رواية العوفي عن ابن عباس قال ابن قتيبة معاد الرجل بلده لأنه ينصرف ثم يعود إلى بلده قال مقاتل خرج النبي عليه

السلام من الغار ليلا ثم هاجر من وجهه إلى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها وذكر مولده ومولد آبائه فأتاه جبريل عليهما السلام فقال أتشتاق إلى بلدك ومولدك قال نعم قال فإن الله سبحانه وتعالى يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد إلى مكة ظاهرا عليها قال مقاتل قال الضحاك قال ابن عباس إنما نزلت بالجحفة ليس بمكة ولا المدينة وروي جابر عن أبي جعفر قال انطلقت أنا وأبي إلى أبي سعيد الخدري فسأله عن هذه الآية لرادك إلى معاد قال إلى الموت وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الحسن والزهرى وعكرمة إلى يوم القيامة وقال أبو مالك وأبو صالح إلى الجنة أخبرنا عبد الخالق بن علي قال أخبرنا أبو بكر بن حبيب قال حدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا عمار بن كثير قال

أخبرنا فضيلة عن ليث عن مجاهد في قوله لرادك إلى معاد قال إلى الجنة قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجوا أن يلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك قال بعض أهل المعاني في الكلام تقديم وتأخير تقديره إن الذي فرض عليك القرآن وما كنت ترجوا أن يلقي إليك الكتاب لرادك إلى معاد فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وهذا حين دعا إلى دين أبائه وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه يعني إلا هو عن مجاهد الصادق دينه أبو العالية إلا ما أريد به وجهه أخبرنا ابن شاذان قال أخبرنا جيعوبه قال حدثنا صالح بن محمد عن جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت قال يجاء بالدينا يوم القيامة فيقال ميزوا ما كان لله منها قال فيماز ما كان لله منها ثم يؤمر بسائرهما فيلقى في النار وبه عن صالح عن سليمان بن عمرو عن سالم الأفطس عن الحسن وسعيد بن جبير

(6/197)

عن علي بن أبي طالب ح أن رجلا سأله فلم يعطه شيئا فقال أسألك بوجه الله فقال له علي كذبت ليس بوجه الله سألتني إنما وجه الله الحق ألا ترى قوله سبحانه وتعالى كل شيء هالك إلا وجهه يعني الحق ولكن سألتني بوجهك الخالق كل شيء هالك إلا الله والجنة والنار والعرش ابن كيسان إلا ملكه له الحكم وإليه ترجعون

سورة العنكبوت
مكية وهي أربعة ألف ومائة وخمسة وتسعون حرفا وألف وتسعمائة وإحدى وثمانون كلمة وتسع وستون آية أخبرنا البخاري قال أخبرنا ابن حبان قال أخبرنا محمد بن علي الفرقي قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا يوسف بن عطية قال حدثنا هارون بن كثير قال حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين بسم الله الرحمن الرحيم ال صلى الله عليه وسلم م صلى الله عليه وسلم أحسب الناس أن يتركوا صلى الله عليه وسلم أن يقولوا صلى الله عليه وسلم أمانا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين والذين آمنوا و عملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنتنكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا و عملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول أمانا بالله فإذا أودى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ألم أحسب أظن وأصله من الحساب الناس يعني الذين جزعوا من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين أن يتركوا بغير اختبار ولا ابتلاء بأن قالوا آمنا كلا لنختبرنهم لنتبين الصادق من الكاذب إن الأولى منصوبة ب أحسبت والثانية خفض بنزع الخافض أي لأن يقولوا والعرب لا تقول تركت فلانا أن يذهب إنما تقول تركته يذهب معه جوابان أحدهما يشتركون لأن يقولوا والثاني على التكرير تقديره أحسب الناس أن يتركوا أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون لا يبتلون ليظهر المخلص من المنافق وقيل يفتنون يصابون بشدائد الدنيا يعني أن البلاء لا يدفع عنهم في الدنيا لقولهم آمنا واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال ابن جريج وابن عمير نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله وقال الشعبي نزلت هاتان الآيتان في أناس كانوا بمكة قد أفرروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إنه لا يقبل منكم إقرار بإسلام حتى تهاجروا فخرجوا عائدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم فنزلت فيهم هذه الآية فكتبوا إليهم إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا فقالوا نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله سبحانه فيهم هاتين الآيتين وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب كان أول قتيل يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وأمرأته فأنزل الله سبحانه فيهم هذه الآية وأخبر أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله تعالى وقيل وهم لا يفتنون بالأوامر والنواهي ثم عزاها فقال عز من قائل ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين والله تعالى عالم بهم قبل الإختبار وعلمه قديم تام وإنما معني ذلك فليظهرن الله تعالى ذلك حتى يوجد معلومة قال مقاتل فليربن الله الأخفش فليميزن الله وقال القتيبي علم

الله سبحانه نوعان أحدهما علم شيء كان يعلم إنه كان والثاني علم شيء يكون فعلم إنه يكون وقت كذا ولا يعلمه كائنا واقعا إلا بعد كونه ووقوعه بيانه قوله سبحانه ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين أي نعلم المجاهدين منكم مجاهدين ونعلم الصابرين صابرين فكذلك هاهنا فليعلمن الله ذاك موجودا كائنا وهذا سبيل علم الله في الإستقبال أم حسب الذين يعملون السيئات الشرك أن يسبقونا يعجزونا ويقولوا ما بأنفسهم فلا يقدر على الإنتقام منهم ساء ما يحكمون أي ساء حكمهم الذي يحكمون من كان يرجوا لقاء الله قال ابن عباس ومقاتل من كان يخشى البعث سعيد بن جبير من كان يطمع في ثواب الله فإن أجل الله لآت يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب الكائن وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه له ثوابه إن الله لغني عن العالمين والذين آمنوا و عملوا الصالحات لنكفرن عنهم

عكرمة عن ابن عباس نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون معهم إلى بدر فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم إن الذين توفهم الملائكة ظالمي أنفسهم الآية وقد مضت القصة قتادة نزلت هذه الآية في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة وهذه الآيات العشر مدنية إلى هاهنا وسائرهما مكي وقال مقاتل والكلبي نزلت في العياش بن أبي ربيعة بن مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي وذلك إنه أسلم فخاف أهل بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي عليه السلام فحلفت أمه أسماء بنت مخرمة ابن أبي جندل بن نهشل التميمي أن لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل لها رأسا ولا تدخل لبنتا حتى يرجع إليها فلما رأى ابناها أبو جهل والحارث ابنا هشام وهما أخوا عياش لأمه جزعها وحلفها رهبا في ظلمة حتى أتيا المدينة فلقياه فقال أبو جهل لأخيه عياش بن أبي

(6/202)

ربيعة قد علمت أنك أحب إلى أمك من جميع ولدها وكنت بها بارا وقد حلفت أمك إنها لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها ولا تدخل بيتا حتى ترجع إليها وأنت تزعم أن في دينك بر الوالدين فارجع إليها فإن ربك الذي تعبد به بالمدينة هو ربك بمكة فأعبد به فلم يزال به حتى أخذ عليهما المواثيق لا يحركاه ولا يصرفاه عن دينه فأعطياه ما سأل من المواثيق فتبعهما وقد صبرت أمه ثلاثة أيام ثم أكلت وشربت قالا فلما خرجوا من أهل المدينة أخذاه فأوثقاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة حتى تبرأ من دين محمد رحمهما الله جزعا من الضرب وقال ما لا ينبغي فأنزل الله سبحانه فيه ومن الناس من يقول أمانا بالله فإذا أؤذي الآية قالا وكان الحارث أشدهما عليه وأسوأهما قولا فحلف عياش بالله لئن قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حيناً ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إلى المدينة فهاجر عياش وأسلم وحسن إسلامه ثم إن الله تعالى قذف الإيمان في قلب الحارث بن هشام فهاجر إلى المدينة وباع النبي عليه السلام على الإسلام ولم يحضر عياش فلقبه عياش يوما بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فضرب عنقه فقبل له إن الرجل قد أسلم فاسترجع عياش وبكى ثم أتى النبي عليه السلام وأخبره بذلك فأنزل الله سبحانه وتعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ الآية وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بجاملين من خطاياهم من شئ ء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فليث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله آوثانا وتخلقون فكفا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله

(6/203)

الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين أولم يروا كيف بيدي الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ الله النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقيون وقال الذين كفروا من أهل مكة للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزاركم قال الفراء لفضة أمر ومعناه جزاء مجازه إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كقوله سبحانه فليلقه اليم بالساحل وقوله سبحانه لا يحطمنكم سليمان وجنوده لفضة نهي وتأويله جزاء وقال الشاعر

(6/204)

فقلت ادعي وادع فإن أندى لصوت أن ينادي داعيان يريد إن دعوت دعوت فأكذبهم الله تعالى فقال وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم أوزار أنفسهم وأثقال من أضلوا وصدوا عن سبيل الله وأثقالا مع أثقالهم نظيرها وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية روي عوف عن الحسن أن النبي عليه السلام قال أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه وعمل به فله مثل أجور الذين اتبعوه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئا وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها فعليه مثل أوزار الذين اتبعوه ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا ثم قرأ الحسن وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن عبد الرحمن بن هلال العنسي عن جرير قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثنا على الصدقة فأبطأ الناس حتى رئي في وجهه الغضب ثم إن رجلا من الأنصار قام فجاء بصرة وأعطاها ففتاب الناس فأعطوا حتى رئي في وجهه السرور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجرهم شيء ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون قال ابن عباس بعث نوح عليه السلام لأربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفسحوا فأنجيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله آوثانا وتخلقون إفكا ويقولون كذبا وقال مجاهد وتصنعون أصناما بأيديكم فتسمونها آلهة نظيره قوله

(6/205)

سبحانه أتعبدون ما تنحتون وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وتخلقون إفكا على المبالغة والكثرة إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون وإن تكذبوا فقد كذب أمم من

قبلكم فاهلكوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين أو لم يروا بالتاء كوفي غيرهم
بالياء كيف يبدي ء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في
الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق يعني فانظروا إلى مساكن القرون الماضية
وديارهم وأثارهم كيف بدأ خلقهم ولم يتعذر عليه مبدئاً فكذلك لا يتعذر عليه
إنشائها معيذاً ثم الله ينشئ ء النشأة أي يبدأ البداية الآخرة بعد الموت وفيها
لغتان نشأة بالمد وهي قراءة ابن كثير والحسن وأبو عمر وحبیب كانت و نشأة
بالقصر وتسكين السين وهي قراءة الناس ونظيرها الرأفة والرأفة إن الله
على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تـقلبون تردون وما
أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم
عذاب أليم فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من
النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً
مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فئامن له لوط وقال إني مهاجر إلى
ربي صلى الله عليه وسلم إنه هو العزيز الحكيم ووهبنا له إسحاق ويعقوب
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وءاتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن
الصالحين وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء اختلف أهل المعاني في
وجهها فقال الفراء معناه ولا من في السماء بمعجز وهو من غامض العربية
الضمير الذي لم يظهر في الثاني كقول حسان بن ثابت فمن يهجو رسول الله
منكم ويمدحه وينصره سواء أراد ومن يمدحه وينصره فأضمر من

(6/206)

وإلى هذا التأويل ذهب عبد الرحمن بن زيد قال لا يعجزه أهل الأرض في
الأرض ولا أهل السماء في السماء إن عصوا
وقال قطرب ولا في السماء لو كنتم فيها كقولك ما يفوتني فلان بالبصرة ولا
هاهنا في بلدي وهو معك في البلد أي ولا بالبصرة لو صار إليها وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من
رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم فأعرض سبحانه بهذه الآيات تذكيراً وتحذيراً
لأهل مكة ثم عاد إلى قصة إبراهيم فقال عز من قائل فما كان جواب قومه قرأ
العامية بنصب الباء على خبر كان وإن قالوا في محل الرفع على اسم كان وقرأ
سالم الأقطس جواب رفعا على اسم كان وإن موضعه نصب على خبره إلا أن
قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار وجعلها عليه برداً وسلاماً قال كعب
ما حرقت منه إلا وثاقه إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال يعني إبراهيم عليه
السلام لقومه إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم اختلف القراء فيها
فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب مودة رفعا بينكم خفصاً بالإضافة
واختاره أبو عبيد وأبو حاتم على معنى أن الذين اتخذتم من دون الله أوثاناً هي
مودة بينكم في الحياة الدنيا لم تنقطع ولا تنفع في الآخرة كقوله لم يلبثوا إلا
ساعة من نهار ثم قال بلاغ أي هذا بلاغ وقوله سبحانه لا يفلحون ثم قال متاع
أي هو متاع فكذلك أضمرها هاهنا هي ويجوز أن تكون خبر إن وقرأ عاصم في
بعض الروايات مودة مرفوعة منونة بينكم نصبا وهو راجع إلى معنى القراءة
الأولى وقرأ حمزة مودة بالنصب بينكم بالخفض على الإضافة بوقوع الإتحاد

عليها وجعل إنما حرفا واحدا وهي رواية حفص عن عاصم وقرأ الآخرون مودة نصبا منونة بينكم بالنصب وهي راجعة إلى قراءة حمزة ومعنى الآية أنكم اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا مودة بينكم في الحياة الدنيا تتوادون وتتحابون على عبادتها وتتواصلون عليها ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم

(6/207)

بعضا وتبتر الأوثان من عابديها ومأواكم جميعا العابدون والمعبودون النار وما لكم من ناصرين فأمن له لوط وهو أول من صدق إبراهيم عليه السلام حين رأى أن النار لم تضره وقال إني مهاجر إلى ربي فهاجر من كوتي من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ومعه ابن أخيه لوط وامراته سارة وهو أول من هاجر قال مقاتل هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة إنه هو العزيز الحكيم ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وأتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديتكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اثنتا بعذاب الله إن كنت من الصادقين قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالو صلى الله عليه وسلم إنا مهلكو صلى الله عليه وسلم أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ولوطا فأذكر لوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديتكم مجلسكم المنكر حدثنا أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد المروزي قال حدثنا جدي لأمي أبو الحسن المحمودي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة أن بشر بن معاذ العمقدي حدثهم قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا حاتم بن أبي صغيرة وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا عمير بن مرداس الدونقي قال حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي قال حدثنا يحيى بن

(6/208)

أبي الحجاج أبو أيوب البصري قال حدثنا أبو يونس حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي مولى أم هانئ عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله سبحانه وتأتون في ناديتكم المنكر قلت ما المنكر الذي كانوا يأتون قال كانوا يخدفون أهل الطرق ويسخرون بهم وأخبرني الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا موسى بن محمد قال حدثنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا المسيب قال سمعت زياد بن أبي زياد يحدث عن معاوية قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم إن قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل قذفوه فأبهم أصابه كان أولى به وذلك قول الله سبحانه وتأتون في ناديكم المنكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم

(6/209)

والخذف فإنه لا ينكأ العدو ولا يصيب الصيد ولكن يفتأ العين ويكسر السن وأخبرنا الحسين قال أخبرنا أبو علي بن حنيش المقرئ قال حدثني أبو جعفر محمد بن جعفر المقرئ قال حدثنا إبراهيم بن الحسين الكسائي قال حدثنا هارون بن حاتم قال أخبرنا أبو بكر بن أوس المدني عن أبيه عن يزيد بن بكر بن داب عن القاسم بن محمد وتأتون في ناديكم المنكر قال الضراط كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا في مجالسهم أخبرنا أبو جعفر الخلفاني قال حدثنا أبو العباس التبانى قال حدثنا أبو ليبيد السرخسي قال حدثنا الحسن بن عمر بن شفيق قال حدثنا سليمان بن ظريف عن مكحول قال عشرة في هذه الأمة من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطويق الأصابع بالحناء وحل الأزار وتنقيص الأصابع والعمامة التي يلف بها على الرأس والسليبية ورمي الجلاهق والصفير والخذف واللوطية فما كان جواب قومهم إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين إنه نازل بنا وذلك إنه أوعدهم العذاب قال لوط رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى من الله سبحانه أسحاق ويعقوب قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية يعني قوم لوط إن أهلها كانوا ظالمين قال إبراهيم للرسول إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا وحسب إنهم من الإنس سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا عذابا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة عبدة ظاهرة لقوم يعقلون وهي الخبر عما صنع بهم وقال ابن عباس هي آثار منازلهم الخرباء أبو العالية وقتادة هي الحجارة التي ألقاها الله مجاهد الماء الأسود على وجه الأرض وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى

(6/210)

دارهم جاثمين وعادا وثمرود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولاكن كانوا صلى الله عليه وسلم ا أنفسهم يظلمون وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وأخبرني ابن فنجويه

قال حدثني ابن شنبه قال حدثنا أبو حامد المستملي قال حدثنا محمد بن حاتم الرمزي قال حدثنا محمد بن سلامة الجمحي قال قال يوسف النجوي وأرجوا اليوم الآخر يعني اخشوا ولا تعثوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وشمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين في الضلالة قال مجاهد وقتادة مستبصرين في ضلالهم معجبين بها الفراء عقلاء ذوي بصائر ضحك ومقاتل والكلبي حسبوا إنهم على الهدى والحق وهم على الباطل وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فائتين من عذابنا فكلا أخذنا عاقبنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ريحا تأتي في الحصياء وهي الحصى الصغار وهم قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة يعني ثمودا ومنهم من خسفنا به الأرض قارون وأصحابه ومنهم من أغرقنا فرعون وقومه وقوم نوح وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن

(6/211)

الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعني الأصنام يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها كيما يكنها فلم يغن عنها بناؤها شيئا عند حاجتها إياه فكما أن بيت العنكبوت لا يدفع عنها بردا ولا حرا كذلك هذه الأوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا وإن أوهن أضعف البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون قال النحاة العنكبوت مؤنثة التاء التي فيها وقد يذكرها بعض العرب أنشد الفراء على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها وزنته فعللون أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا أبو حامد المستملي قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال حدثني محمد بن سليمان المكي قال حدثني عبد الله بن ميمون القداح قال سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت أبي يقول قال علي بن أبي طالب طهروا بيوتكم من نسيج العنكبوت فإن تركه في البيوت يورث الفقر قال سمعت عليا يقول منع الخميرة يورث الفقر إن الله يعلم ما يدعون بالياء أهل البصرة واختاره أبو عبيد قال لذكر الأمم قبلها واختلف فيها عن عاصم غيرهم بالتاء من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال الأشياء والأوصاف والمثل قول سائر يشبه حال الثاني بالأول نضربها بينها للناس وما يعقلها إلا العالمون أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن مندة قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا داود بن المخبر قال حدثنا عباد بن كثير عن أبي جريح عن عطاء وأبي الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن

الفحشاء والمنكر قال ابن عمر تغني الفراء أن تنهي عن الفحشاء والمنكر
ودليل هذا التأويل قوله

(6/212)

ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك وقال آخرون هي الصلاة التي فيها الركوع
والسجود قال ابن مسعود وابن عباس يقول في الصلاة منتهى ومزجر عن
معاصي الله سبحانه وتعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهيه عن المنكر
لم يزد بصلاته من الله إلا بعدا
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وإطاعة
الصلاة أن تنهي عن الفحشاء والمنكر وروى أبو سفيان عن جابر قال قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال
إن صلاته لتردعه وقال أنس بن مالك كان فتى من الأنصار يصلي الصلاة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ركب فوصف
لرسول الله عليه السلام حاله فقال إن صلاته تنهيه يوما ما فلم يلبث أن تاب
وحسن حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أقل لكم إن صلاته
تنهيه يوما ما وقال ابن عون معناه أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء
والمنكر ما دام فيها وقال أهل المعاني ينبغي أن تنهيه صلاته كقوله ومن دخله
كان آمنا ولذكر الله أكبر اختلفوا في تأويله فقال قوم معناه ولذكر الله إياكم
أفضل من ذكركم إياه وهو قول عبد الله وسلمان ومجاهد وعطية وعكرمة
وسعيد بن جبير ورواية عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس وقد روى ذلك مرفوعا
أخبرناه الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري قال حدثنا أحمد بن محمد بن
إسحاق السني قال حدثني أحمد بن علي بن الحسين قال حدثنا إبراهيم بن أبي
داود البركي قال حدثنا الحسين الهبني قال حدثنا صالح بن عبد الله بن أبي
فروة عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة عن نافع عن
ابن عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قول الله سبحانه ولذكر
الله أكبر قال ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه قالت الحكماء لأن ذكر الله
سبحانه للعبد على حد الاستغناء وذكر العبد إياه على حد الافتقار ولأن ذكره
دائم وذكر العبد مؤقت ولأن ذكر العبد بحد رفع أو دفع ضرر وذكر

(6/213)

الله سبحانه إياه للفضل والكرم وقال ذو النون لأنك ذكرته بعد أن ذكرتك وقال
ابن عطاء لأن ذكره لك بلا علة وذكرك مشوب بالعلل أبو بكر الوراق لأن ذكره
تعالى للعبد أطلق لسانه بذكره له ولأن ذكر العبد مخلوق وذكره غير مخلوق
وقال أبو الدرداء وابن زيد وقتادة معناه ولذكر الله أكبر مما سواه وهو أفضل
من كل شيء
أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن محمد الثقفي الحافظ قال حدثنا أبو
حذيفة أحمد بن محمد بن علي قال حدثنا زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسي
قال حدثنا عيسى بن يونس قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن جوبير عن
الضحاك عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في قوله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله على كل حال أحسن وأفضل والذكر أن
نذكره عند ما حرم فندع ما حرم ونذكره عند ما أحل فنأخذ ما أحل وأخبرني
الحسين بن محمد قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا جعفر بن محمد الفرياني قال
حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا إسحاق بن سليمان الرازي قال سمعت
موسى بن عبيدة الزيدي يحدث أبي عبد الله القراظ عن معاذ بن جبل قال
بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسير بالدف من حمدان إذ
استنبه فقال يا معاذ إن السابقين الذين يستهترون بذكر الله من أحب أن يرتع
في رياض الجنة فليكثر ذكر الله سبحانه قال إسحاق بن سليمان سمعت حريز
بن عثمان يحدث عن أبي بحرية عن معاذ بن جبل قال ما عمل آدمي عملا
أنجى له من عذاب الله من ذكر الله سبحانه قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال
لا ولو ضرب بسيفه قال الله سبحانه ولذكر الله أكبر وأخبرني الحسين بن
محمد قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا جعفر بن محمد الفرياني قال حدثنا يحيى
بن عمار المصيصي قال حدثنا أبو أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح
بن أبي غريب عن كثير بن مرة الحضرمي قال سمعت أبا الدرداء يقول ألا
أخبركم بخير أعمالكم لكم وأحبها إلى مليكم وأتمها في درجاتكم وخير من أن
تغزوا عدوكم فتضرب

(6/214)

رقابكم وتضربون رقابهم وخير من إعطاء الدينير والدرهم قالوا وما هو يا أبا
الدرداء قال ذكر الله قال الله سبحانه ولذكر الله أكبر وقيل لسلمان أي العمل
أفضل قال أما تقرأ القرآن ولذكر الله أكبر لا شيء أفضل من ذكر الله سبحانه
وأنبأني عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن يعقوب قال حدثنا حميد بن داود
قال حدثني يزيد بن خالد قال حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول
عن جبير ابن هبيرة عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل قال سألت رسول الله
أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم أن تموت ولسانك
رطب من ذكر الله وأنبأني عبد الله بن حامد قال أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم
قال حدثنا سلمة بن محمد ابن أحمد بن مجاشع الباهلي قال حدثنا خالد بن يزيد
العمري قال حدثنا سفیان الثوري عن عطاء بن قررة عن عبد الله بن ضمرة عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما
فيها إلا ذكر الله عز وجل وما والاه أو عالم أو متعلم قالت الحكماء وإنما كان
الذكر أفضل الأشياء لأن ثواب الذكر الذكر قال الله تعالى فاذكروني أذكركم
ويؤيد هذا ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا مكّي بن عبدان قال حدثنا عبد
الله بن هشام قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن
عبيدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن
ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وإن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذراعا
وإن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وأخبرنا
عبد الله قال أخبرنا علي قال أخبرنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا عبد الرحمن
قال حدثنا سفیان عن أبي إسحاق عن الأعز أبي مسلم قال أشهد على أبي
هريرة وأبي سعيد إنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال ما
جلس قوم يذكرون الله سبحانه إلا حفت بهم الملائكة

(6/215)

وغشيتهم الرحمة وذكرهم فيمن عنده وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شيبه قال حدثنا الفريابي قال حدثنا أبو بكر بن أبي شنبه قال حدثنا عبد الله عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة ابن عون معناه الصلاة التي أنت فيها وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر وقال ابن عطاء ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه بالمعصية والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا صلى الله عليه وسلم إنا آمننا بالذي صلى الله عليه وسلم أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هاؤلا صلى الله عليه وسلم من يؤمن به وما يجحد باياتنا إلا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبتطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بئاياتنا إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السماوات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاؤهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ولا تجادلوا أهل الكتاب الجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه وأصله شدة الفتل ومنه قيل للصقر أجدل لشدة فتل بدنه وقوة خلقه وقيل الجدال من الجدالة وهو أن يروم كل واحد من الخصمين قهر صاحبه وصرعه على الجدالة وهي الأرض إلا بالتي هي أحسن الطف وأرفق وهو الجميل من القول

(6/216)

والدعاء إلى الله والبينة على آيات الله وحججه إلا الذين ظلموا منهم قال مجاهد يعني إن قالوا شرا فقولوا خيرا إلا الذين ظلموا منهم أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فأولئك انتصروا منهم وجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يقرروا بالجزية قال سعيد بن جبير هم أهل الحرب من لا عهد لهم فجادلوهم بالسيف ابن زيد إلا الذين ظلموا منهم بالإقامة على كفرهم بعد قيام الحجة عليهم ومجاز الآية إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم وقال قتادة ومقاتل هذه الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية

(6/217)

وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال أخبرني ابن أبي نملة الأنصاري إن أبا نملة أخبره واسمه عمار إنه بينما هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس جاءه رجل من اليهود ومر بجنابة فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أعلم فقال اليهودي إنها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقا لم تكذبوهم وروى أبو سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم الآية وروى سفيان ومسعود عن سعد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار قال بينما رجل من أهل الكتاب يحدث أصحابه وهم يسبحون كلما ذكر شيئا من أمرهم قال فاتوا رسول الله عليه السلام فأخبروه فقال لا تصدقوهم ولا تكذبوهم ولكن قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أي وكما أنزلنا الكتاب عليهم أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانك اليوم من يؤمن به وما يجحد باياتنا إلا الكافرون قال قتادة إنما يكون الجحود بعد المعرفة وما كنت تتلوا يا محمد من قبله أي من قبل هذا الكتاب الذي أنزلنا عليك من كتاب ولا تخطه تكتبه بيمينك إذا لارتاب المبطلون يعني لو كنت تكتب أو تقرأ الكتب

(6/218)

قبل الوحي إذا لشك المبطلون أي المشركون من أهل مكة وقالوا هذا شيء تعلمه محمد وكتبه قاله قتادة وقال مقاتل المبطلون هم اليهود ومعنى الآية إذا لشكوا فيك واتهموك يا محمد وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة هو أمي لا يقرأ ولا يكتب بل هو يعني القرآن آيات بينات عن الحسن وقال ابن عباس وقاتلة بل هو يعني محمد صلى الله عليه وسلم والعلم بأنه أمي آيات بينات في صدور أهل العلم من أهل الكتاب يجدونها في كتبهم ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود وابن السميع بل هي آيات وما يجحد باياتنا إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه كما أنزل على الأنبياء قبلك قرأ ابن كثير والأعمش وحمزة والكسائي وخلف وأيوب وعاصم برواية أبي بكر آية على الواحد الباقيات آيات بالجمع واختاره أبو عبيد لقوله قل إنما الآيات عند الله حتى إذا شاء أرسلها وليست عندي ولا بيدي وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آيات من ربه وروى حجاج عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة أن أناسا من المسلمين أتوا نبي الله عليه السلام بكتب قد كتبوها فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر فيها ألقاها ثم قال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم فنزلت أو لم يكفهم الآية قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أني رسوله وأن هذا القرآن كتابه يعلم ما في السماوات والأرض والذين

آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بين الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء وقال عجل لنا قطننا ولو لا أجل مسمى في نزول العذاب وقال ابن عباس يعني ما وعدتك أن لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة بيانه قوله بل الساعة موعدهم الآية وقال الضحاك يعني مدة أعمارهم في الدنيا

(6/219)

وقيل يوم بدر
لجاءهم العذاب وليأتينهم يعني العذاب وقيل الأجل بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين لا يبقى منهم أحد إلا دخلها وقيل هو متصل بقوله يوم يغشاهم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم يعني إذا غشاهم العذاب أحاطت بهم جهنم ويقول بالياء كوفي ونافع وأيوب غيرهم بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادي الذين آمنوا صلى الله عليه وسلم إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة عرفا تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين يا عبادي الذين آمنوا بإرسال الياء عراقي غير عاصم سائرهم بفتحها إن أرضي مفتوحة الياء ابن عامر غيره ساكنة واسعة فإياي فاعبدون توحيدون من غير طاعة مخلوق في معصيتي قال سعيد بن جبير إذا عمل في أرض بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة مجاهد إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال مقاتل والكلبي نزلت في المستضعفين

(6/220)

المؤمنين الذين كانوا بمكة لا يقدررون على إظهار الإيمان وعبادة الرحمن يحثهم على الهجرة ويقول لهم إن أرض المدينة واسعة آمنة وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع أخرج من الأرض ما يكون بها
أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان قال حدثنا

جيغوبه ابن محمد الترمذي قال حدثنا صالح بن محمد عن سليمان عن عباد بن منصور الناجي عن الحسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون فلا تقيموا بدار المشركين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا علالي قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء غيرهم بالياء أي لينزلهم تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين وكم من دابة لا تحمل رزقها وذلك إن رسول الله عليه السلام قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد أذاهم المشركون أخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة فيها فقالوا يا رسول الله كيف نخرج إلى المدينة ليس لنا بها دار ولا عقار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فأنزل الله سبحانه وكأين من دابة ذات حاجة إلى غذاء لا تحمل رزقا فيرفعه لغذائها يعني الطير والبهائم الله يرزقها وإياكم يوما بيوم وهو السميع لأقوالكم نخشى لفراق أوطاننا العيلة العليم بما في قلوبكم وما إليه صائرة أموركم أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الرقاق وقال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا إسماعيل بن زرارة الرقي قال حدثنا أبو العطف الجراح بن المنهال الجوزي عن الزهري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حياطان الأنصار فجعل رسول الله عليه السلام يلقط الرطب بيده ويأكل فقال كل يا بن عمر قلت لا

(6/221)

أشتهيها يا رسول الله قال لكنني أشتهيه وهذه صيحة رابعة لم أزق طعاما ولم أجده فقلت إنا لله الله المستعان قال يا بن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ولكنني أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا بن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبؤون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت على رسول الله عليه السلام وكأين من دابة لا تحمل رزقها الآية أخبرني ابن فنجويه حدثنا ابن حنبل حدثنا أبو يعلى الموصلي حدثنا يحيى بن معين حدثنا يحيى بن اليمان عن سفيان عن علي بن الأرقم وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال لا تدخر شيئا لغد قال سفيان ليس شيء مما خلق الله يخبيء إلا الإنسان والفأرة والنملة ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان يعني الدائمة الباقية التي لا زوال لها ولا موت فيها لو كانوا يعلمون ولكنهم لا يعلمون ذلك فإذا ركبوا في الفلك وخافوا الغرق والهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم ليحجدوا نعمه في إنجائه إياهم وسائر الآية وليتمتعوا جزم لأمه الأعمش وحمزة والكسائي وخلف وأيوب واختلف فيه عن عاصم ونافع وابن كثير الباؤون بكسر اللام واختاره أبو عبيد ليكفروا لكون الكلام نسقا ومن جزم احتج بقراءة أبي بن كعب يمتعوا فسوف

يعلمون أخبرني أبو محمد عبد الله بن حامد فيما أذن لي روايته عنه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن أبي سعيد قال حدثنا محمد بن الحسن بن أسكت قال حدثنا عقال قال حدثنا جعفر بن سلمان قال حدثنا ملك بن دينار قال سمعت أبو العالية قرأ ليكفروا بما أتيناكم فتمتعوا فسوف يعلمون بالياء فالكسر

(6/222)

على كفي والجزم على التهديد أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل بالأصنام يؤمنون وبنعمة الله يعني الإيمان يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً فزعموا أن لله شريكاً وقالوا إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها أو كذب بالحق بمحمد والقرآن لما جاءه أليس في جهنم مثوى منزل للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا أي والذين قاتلوا لأجلنا أعداءنا لنصرة ديننا لنثبتهم على ما قاتلوا عنه قال أبو سورة والذين جاهدوا في الغزو لنهدينهم سبيل الشهادة أو المغفرة أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال حدثنا إبراهيم بن سعيد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغر فإن الله سبحانه وتعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وأخبرني أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد قال حدثني أبو الطيب محمد بن أحمد ابن حمدون قال حدثنا عبد الرحمن بن الحسين قال حدثنا محمد بن إدريس قال حدثنا أحمد بن أبي الجواري قال قال أبو أحمد يعني عباس الهمداني وأبو سليمان الداراني في قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال الذين يعملون بما يعلمون يهديهم ربهم إلى ما لا يعلمون وعن عمر بن عبد العزيز إنه تكلم بكلمات وعنده نفر من العلماء فقال له الوضين بن عطاء بم أوتيت هذا العلم يا أبا مروان قال ويحك يا وضين إنما قصر بنا من علم ما جهلنا بتقصيرنا في العمل بما علمنا ولو أنا عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علماً لا تقوم به أبداننا وعن عبد الله بن الزبير قال تقول الحكمة من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين أن يعمل بأحسن ما يعلمه أو يدع أسوأ ما يعلمه وروي عن ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ضحاك والذين جاهدوا بالهجرة لنهدينهم سبل

(6/223)

الثبات على الإيمان وقيل والذين جاهدوا بالثبات على الإيمان لنهدينهم سبل دخول الجنان سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة ثم قال مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم فكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير مجازه والذين هديناهم سبلنا جاهدوا فينا وإن الله لمع المحسنين بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم

(6/224)

سورة الروم
مكية وهي ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا وثمانمائة وتسع عشرة
كلمة وستون آية أخبرنا المغازي غير مرة قال حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم
الجرجاني وأبو الشيخ عبدالله بن أحمد الأصبهاني قالا حدثنا أبو إسحاق إبراهيم
بن شريك الكوفي قال حدثنا أحمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن
سليمان المدائني قال حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي
أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء
والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته بسم الله الرحمن الرحيم ال صلى الله
عليه وسلم م صلى الله عليه وسلم غلبت الروم فى صلى الله عليه وسلم
أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل
ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
وعد الله لا يخلف الله وعده ولاكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون قوله عز وجل الم غلبت الروم الآية
قال المفسرون كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك والأبطال بسم الله
الرحمن الرحيم فدعاها كسرى فقال إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا
وأستعمل عليهم رجلا من بنيك فأشير علي أيهم أستعمل فقالت هذا فلان
أروغ من ثعلب وأحذر من صقر وهذا فرخان أنفذ من سنان وهذا شهريراز هو
أحلم من كذا فاستعمل أيهم شئت قال فإني

(6/225)

استعملت الحلیم فاستعمل شهريراز فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر
عليهم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع زيتونهم وكان قيصر بعث رجلا يدعى
يحنس وبعث كسرى شهريراز فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى
أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وأصحابه بمكة فشقي عليهم وكان النبي صلى الله عليه يكره أن يظهر الأميون
من المجوس على أهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وشتموا ولقوا
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب
ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم
فإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله عز وجل الم غلبت الروم إلى
آخر الآيات فخرج الصديق ح إلى الكفار فقال فرحتم بظهور إخوانكم على
إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس
أخبرنا بذلك نبينا فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال كذبت يا أبا فضيل فقال
له أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة
المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإن ظهرت الروم على
فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت ففعل ذلك وجعلوا الأجل ثلاث سنين
فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره وذلك قبل تحريم القمار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين ثلاث
إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فخرج أبو بكر فلقني أيما فقال

لعلك ندمت قال لا قال فتعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها
مائة قلووس ومائة قلووس إلى تسبع سنين قال قد فعلت فلما خشي أبي بن
خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه فقال إني أخاف أن تخرج من مكة
فأقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبدالله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن
يخرج إلى أحد أتاه عبدالله بن أبي بكر فلزمه قال والله لا أدعك حتى تعطيني
كفيلا فأعطاه كفيلا ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة

(6/226)

من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه حين بارزه وظهرت الروم
على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم هذا قول
أكثر المفسرين
وقال أبو سعيد الخدري ومقاتل لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة
وأتاهم الخبر أن الروم قد غلبوا فارس ففرح المؤمنون بذلك قال الشعبي لم
تمض تلك المدة التي عقدوا المناجبة بينهم أهل مكة وصاحب قمارهم أبي بن
خلف والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت
الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فقمر أبو بكر أبيا وأخذ
مال الخطر من ورثته وجاء به يحمله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما
قال عكرمة وغيره أن شهريراز بعدما غلب الروم لم يزل يطأهم ويخرب
مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينما أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال
لأصحابه لقد رأيت كائني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب
إلى شهريراز إذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان فكتب إليه أيها الملك إنك
لم تجد مثل فرخان إن له نكاية وصوتا في العدو فلا تفعل فكتب إليه إن في
رجال فارس خلفا منه فعجل إلي برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه
وبعث يريد إلى أهل فارس إني قد نزعت عنكم شهريراز واستعملت عليكم
فرخان ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهريراز وقال إذا
ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه فلما قرأ شهريراز الكتاب قال سمعا
وطاعة ونزل عن سريريه وجلس فرخان فدفع إليه الصحيفة فقال اتنوني
بشهريراز فقدمه ليضرب عنقه قال لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم قال
فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف وقال كل هذا راجعت فيه كسرى وأنت
أردت أن تقتلني بكتاب واحد فرد الملك إلى أخيه فكتب شهريراز إلى قيصر
ملك الروم إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد ولا تبلغها الصحف فألقني ولا
تلقني إلا في خمسين روميا فأني ألقاك في خمسين فارسيا فأقبل

(6/227)

قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف
أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه أنه ليس معه إلا خمسون رجلا ثم بسط
لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما ومع كل واحد منهما سكين فدعيا
بترجمان بينهما فقال شهريراز إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا ومكرنا

وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد أن أقتل أخي فأبيت ثم أمر أخي أن يقتلني فقد خلعناه جميعا فنحن نقاتله معك قال قد أصبتما ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوز اثنين فيثا فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما فأديلت الروم على فارس عند ذلك فأتبعوهم يقتلونهم ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه يوم الحديدية ففرح ومن معه فذلك قوله عز

(6/228)

وجل الم غلبت الروم في أدنى الأرض يعني أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس وهي أذرعات قال ابن عباس طرف الشام مجاهد أرض الجزيرة مقاتل الأردن وفلسطين عكرمة أذرعات وكسكر مقاتل بن حبان هي ريف الشام وهم من بعد غلبهم أي غلبتهم فحذفت التاء منه كما حذفت من قوله وإقام الصلوة وإنما هو إقامته وقرأ أبو حيوه الشامي غلبهم بسكون اللام وهما لغتان مثل الطعن والطمع سيغلبون فارس في بضع سنين وقرأ عبدالله بن عمرو وأبو سعيد الخدري والحسن وعيسى بن عمر غلبت بفتح الغين واللام سيغلبون بضم الواو وفتح اللام قالوا نزلت هذه الآية حين أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم فارس ومعنى الآية الم غلبت الروم فارس في أدنى الأرض إليكم وقرأ سعيد بن جبير وطلحة بن مصرف في أداني الأرض بالجمع وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم أخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدويه عن الحسين بن الحسن بن أيوب عن علي بن عبدالعزيز قال أخبرني أبو عبيد عن حماد بن خالد الخياط عن معاوية بن صالح عن مرتد بن سمي قال سمعت أبا الدرداء يقول سيحيى قوم يقرأون الم غلبت الروم وإنما هي غلبت الروم قال أبو عبيد بضم الغين يعني الأخيرة قوله لله الأمر من قبل ومن بعد يعني من قبل دولة الروم على فارس ومن بعد وهما مرفوعان على الغاية ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم لأنهم أهل كتاب وبنصر الله المؤمنين على الكافرين ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه عن عبدالله بن محمد بن شنبه عن علي بن محمد ابن همام عن علي بن محمد الطنافسي عن النعمان بن محمد عن أبي إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارس نطحة أو نطحتان ثم قال لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القرون أصحاب بحر وصخر كلما ذهب قرن خلف قرن هيهات إلى آخر الأبد

(6/229)

وعد الله نصب على المصدر لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون وهم عن الآخرة هم غافلون وبها جاهلون ولها مضيعون لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها فعمرها دنياهم وخرّبوا آخرتهم أولم يتفكروا في صلى الله عليه وسلم أنفسهم ما خلق الله

السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا صلى الله عليه وسلم ا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولاكن كانوا صلى الله عليه وسلم ا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساءوا السو صلى الله عليه وسلم اى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى يعنى ولوقت معلوم إذا انتهت إليه فنيته وهو يوم القيامة وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض حرتوها وقلبوها للزراعة والعمارة وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فلم يؤمنوا وأهلكهم الله عز وجل فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساءوا العمل السوإى يعنى الخلعة التي تسوؤهم وهي النار وقيل السوإى

(6/230)

اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة أن كذبوا يعنى لأن كذبوا وقيل تفسير السوإى ما بعدها وهو قوله أن كذبوا يعنى ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات على أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون استهزءوا بها الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال يبلس يكتب أبو يحيى عنه يفتضح قتادة

ومقاتل والكلبي بيايين ابن زيد المبلس الذي قد نزل به البلاء والنشر الفراء ينقطع كلامهم وحججهم أبو عبيدة يندمون وأنشد يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم أعرفه وأبلسا وقرأ السلمي يبلس بفتح اللام والأول أجود ولم يكن لهم من شركائهم أوثانهم التي عبدوها من دون الله ليشفعوا لهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين جاحدين وعنهم متبرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة بستان يحبرون قال ابن عباس يكرمون مجاهد وقتادة ينعمون أبو عبيدة يسرون ومنه قيل كل حبرة تتبعها عبرة وقال العجاج فالحمد لله الذي أعطى الحبر موالى الحق إن المولى شكر أي السرور وقال بعضهم الحبرة فى اللغة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين ومنه قيل للمداد حبر لأنه يحسن به الأوراق والعالم حبر لأنه متخلق بأخلاق حسنة وقال الشاعر يحبرها الكاتب الحميري وقيل يحبرون يلذون بالسمع أخبرنا عبدالله بن حامد عن حامد بن محمد بن عبدالله عن محمد بن يونس عن روح عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير فهم فى روضة يحبرون قال السماع فى الجنة أخبرني الحسين بن محمد بن عبدالله عن ابن

شبهه عن عمير بن مرداس عن سلمة بن شبيب عن عبد القدوس بن الحجاج قال سمعت الأوزاعي يقول في روضة يجبرون قال السماع وقال إذا أخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت وبه عن سلمة بن شبيب عن داود بن الجراح العسقلاني قال سمعت الأوزاعي يقول ليس أحد ممن خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على

(6/231)

أهل سبع سماوات صلاتهم وتسيحهم وأخبرنا الحسين بن محمد الدينوري عن أحمد بن الحسن بن ماجه القزويني عن الحسن ابن أيوب عن عبدالله بن عراد الشيباني قال أخبرنا القاسم بن مطيب العجلي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها سموا وأوسطها محله ومنها تنفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة فقام إليه رجل فقال يا رسول الله إنني رجل حبب إلي الصوت فهل في الجنة صوت حسن قال إي والذي نفسي بيده إن الله سبحانه ليوحى إلى شجرة في الجنة أن أسمعني

(6/232)

عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكرني عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتا لم يسمع الخلائق مثله قط من تسيح الرب وتقديسه وأخبرني الحسين بن محمد عن هارون عن محمد بن هارون العطار عن حازم بن يحيى الحلواني عن الوليد بن عبد الملك عن مسروح الحراني عن سليمان بن عطاء عن سلمة بن عبدالله الجهني عن عمه عن أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم وفي آخر القوم أعرابي فجتا لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي إن في الجنة لنهرا حافظاه الأبقار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها فذلك أفضل نعيم أهل الجنة قال فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسيح إن شاء الله قال والخوصانية المرهفة الأعلى الضخمة الأسفل وأخبرني الحسين بن محمد عن أحمد بن محمد بن علي الهمداني عن علي بن سعيد العسكري قال أخبرني أبو بدر عباد بن الوليد الغبري عن محمد ابن موسى الخراساني عن عبدالله بن عرادة الشيباني عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم قال إن في الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله عز وجل ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الأرض لماتوا طربا وأخبرني الحسين بن أبي شنبه وعبدالله بن يوسف قال قال محمد بن عمران عن محمد بن منصور قال أخبرني يحيى بن أبي الحجاج عن عبدالله بن مسلم عن مولى لبي أمية يقال له سليمان قال سمعت أبا هريرة يسأل هل لأهل الجنة من سماع قال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها فضة وثمرها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله سبحانه وتعالى

ريحا فيحك بعضها بعضا فما سمع أحد شيئا أحسن منه قوله وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون فسيحان الله فصلوا لله حين تمسون وهو صلاة العصر والمغرب وحين تصبحون صلاة الصبح وله

(6/233)

الحمد في السموات والأرض وعشيا وهو صلاة العشاء الآخرة أي وسيحوه عشيا وحين تظهرون صلاة الظهر أخبرنا عبدالله بن حامد الوزان عن أحمد بن محمد بن الحسين الحافظ عن محمد بن يحيى عن عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال نافع بن الأزرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم فسيحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وحين تظهرون حدثنا أبو بكر بن عبدوس قال حدثني أبو بكر الشرقي قال حدثني أبو حاتم الرازي قال حدثني أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث عن سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن السلماني عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه قال من قال حين يصبح فسيحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك يخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وأخبرني محمد بن القاسم بن أحمد قال كتب إلي عمر بن أحمد بن عبد الرحمن البغدادي أن زيد بن محمد بن خلف القرشي حدثهم عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمي عن الماضي بن محمد عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون هذه الآيات الثلاث من سورة الروم وآخر سورة الصافات دبر كل صلاة يصلحها كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد تراب الأرض فإذا مات أجري له بكل حسنة عشر حسنات في قبره وأخبرني عبدالله بن فنجويه عن ابن شنبه وأحمد بن جعفر بن حمدان والفضل بن الفضل قالوا أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام الزنجاني عن الحجاج بن يوسف بن قتيبة بن مسلم عن بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون سبحان ربك رب العزة عما يصفون إلى قوله والحمد لله رب العالمين وأخبرني ابن فنجويه عن عمر بن أحمد بن القاسم عن محمد

(6/234)

بن عبد الغفار عن حبارة بن المغلس عن كثير عن الضحاك قال من قال سبحان الله حين تمسون إلى آخر الآية كان له من الأجر كعدل مائتي رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام وأخبرني ابن فنجويه عن ابن شنبه عن علي بن محمد الطيالسي عن يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد العمي عن محمد بن واسع عن كعب قال من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى آخر الآية لم يفته

خير كان في يومه ولم يدركه شر كان فيه ومن قالها حين يمسي لم يدركه شر كان في ليله ولم يفته خير كان في ليله وكان إبراهيم خليل الله صلى الله عليه يقولها في كل يوم وليلة ست مرات يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا صلى الله عليه وسلم إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف ألستكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغأؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تخرجون وله من في السماوات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب يعني آدم عليه السلام ثم إذا أنتم بشر تنتشرون يعني ذريته ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا من جنسكم ولم يجعلهن من الجن وقيل من ضلع آدم وقيل من نطف الرجال وجعل بينكم مودة ألفة ومحبة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أخبرني

(6/235)

الحسين بن محمد عن موسى بن محمد بن علي قال أخبرني أبو شعيب الحراني عن يحيى بن عبدالله البجلي عن صفوان بن عمرو عن المشيخة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد عجبت من أمر وإنه لعجب إن الرجل ليتزوج المرأة وما رآها وما رآته قط حتى إذا ابنتى بها اصطحبا وما شيء أحب إليهما من الآخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل بينكم مودة ورحمة ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألستكم فعربي وأعجمي

(6/236)

وألوانكم أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة إن في ذلك لآيات للعالمين بكسر اللام حفص والياقوت بفتحها ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغأؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وحذف أن من قوله يريكم لدلالة الكلام عليه كقول طرفه ألا أي هذا الزاجري احضر الوغي وإن اشهد اللذات هل أنت مخلدي أراد أن احضر وقيل هو على التقديم والتأخير تقديره ويريكم البرق خوفا من آياته ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض أي من قبوركم عن ابن عباس إذا أنتم تخرجون منها وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون من الأرض وله من في

السموات والأرض كل له قانتون وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده فقراً ابن مسعود يبدي ودليله قوله إنه هو يبدي ويعيد ودليل العامة كما بدأكم تعودون وهو أهون عليه قال الربيع بن خيثم والحسن وهو هين عليه وما شيء عليه بعزير وهي رواية العوفي عن ابن عباس وهذا كقول الفرزدق إن الذي سمك السماء بنا لها بيتا دعائمه أعز وأطول أي عزيمة طويلة وقال آخر لعمر ك إن الزبرقان لباذل معروفه عند السنين وأفضل أي فاضل وقال مجاهد وعكرمة الإعادة أهون عليه من البداية أي أيسر وهي رواية الوالبي عن ابن عباس ووجه هذا التأويل أن هذا مثل ضربه الله تعالى يقول إعادة الشيء على الخلق أهون من

(6/237)

ابتدائه فينبغي أن يكون البعث أهون عليه عندكم من الإنشاء وقال قوم وهو أهون عليه أي على الخلق يصاح بهم صيحة فيقومون ويقال لهم كونوا فيكونون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً ثم علقا ثم مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساء وهذا معنى رواية حسان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس واختيار قطرب وله المثل الأعلى أي الصفة العليا في السموات والأرض قال ابن عباس ليس كمثل شيء وقال قتادة مثله أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك فصل الآيات لقوم يعقلون بل أتبع الذين ظلموا صلى الله عليه وسلم أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولاكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم من شركاء في ما رزقناكم من المال فأنتم وهم فيه شرع سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم قال ابن عباس تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً وقيل تخافون هؤلاء الشركاء أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضاً وهذا معنى قول أبي محلز فإذا لم تخافوا هذا من ممالئكم ولم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء وأنتم وهم عبيدي وأنا مالكم جميعاً فكما لا يجوز استواء المملوك مع سيده فكذلك لا يجوز استواء المخلوق مع خالقه ثم قال كذلك فصل الآية

(6/238)

لقوم يعقلون بل أتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله دين الله وهو نصب

على المصدر أي فطر فطرة ومعنى الآية إن الدين الحنيفية فطرة الله التي فطر الناس عليها وقيل نصب على الإغراء لا تبديل لخلق الله لدين الله أي لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل ظاهره نفي ومعناه نهى هذا قول أكثر العلماء والمفسرين وقال عكرمة ومجاهد لا تغيير لخلق الله من البهائم بالخصاء ونحوه أخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون عن أحمد بن محمد بن الحسن عن محمد بن

(6/239)

يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة هل تحسون فيها من جدعاء قال ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها الآية وأخبرني عبدالله بن حامد قال أخبرني أبو بكر محمد بن جعفر المطيري عن أحمد بن عبدالله بن يزيد المؤدب عن عبد الرزاق وأخبرنا أبو سعيد التاجر قال أخبرني أبو حامد الشرقي وحدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر والسلمي قالوا قال عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال ما من مولود إلا يولد على هذه الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتجون البهيمة فهل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدونها قالوا يا رسول الله أفرايت من يموت وهو صغير قال الله أعلم بما كانوا عاملين وقال الأسود بن سريع غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات وأن قوما تناولوا الذرية بالقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام قتلوا المقاتلة ثم تناولوا الذرية فقال رجل يا رسول الله إنما هم أولاد المشركين فقال عليه السلام إن خياركم أولاد المشركين والذي نفسي بيده ما من مولود إلا يولد على الفطرة فما يزال عليها حتى يبين عنه لسانه فأبواه يهودانه وينصرانه وروى قتادة عن مطرف بن عبدالله بن الشيخير عن عياض بن حمار المجاشعي قال قال رسول الله صلى الله عليه إن الله أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا وأنه قال إن كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال وإني خلقت عبادي كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وذكر الحديث

(6/240)

قال أبو بكر الوراق فطرة الله التي فطر الناس عليها هي الفقر والفاقة ذلك الدين القيم المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون قوله تعالى منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا فرقا كاليهود والنصارى أخبرني الحسين بن محمد بن عبدالله الدينوري عن محمد بن عمر بن إسحاق بن حبيش الكلواذي عن عبدالله بن سليمان بن الأشعث عن محمد بن مصفى عن بقية بن الوليد عن شعبة أو غيره عن مجالد عن الشعبي عن شريح عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لعائشة يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا هم أهل البدع والضلالة من هذه الأمة يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة إلا صاحب البدع والأهواء ليست لهم توبة أنا منهم بريء وهم مني براء كل حزب بما لديهم فرحون قوله وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاهم منه رحمة خصبا ونعمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما ءاتينهم فتمتعوا فسوف تعلمون وفي مصحف عبدالله وليتمتعوا أم أنزلنا عليهم سلطانا قال ابن عباس والضحاك حجة وعذرا قتادة والربيع كتابا فهو يتكلم ينطق بما كانوا به يشركون يعذرهم على شركهم ويأمرهم به وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فئات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما ءاتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما ءاتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان

(6/241)

أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزى الذين ءامنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ومن ءاياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر إلى ءاثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شىء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فئات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون قوله تعالى وما ءاتيتم من ربا قرأ ابن كثير ءاتيتم مقصور غير ممدود ليربوا في أموال الناس قرأ الحسن وعكرمة وأهل المدينة لتربوا بضم التاء وجزم الواو وعلى الخطاب أي لتربوا أنتم وهي قراءة ابن عباس واختيار يعقوب وأيوب وأبي حاتم وقرأ الآخرون ليربوا بياء مفتوحة ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا واختاره أبو عبيد لقوله فلا يربوا عند الله ولم يقل فلا يربى واختلف المفسرون في معنى الآية فقال سعيد ابن جبير ومجاهد

وطاووس وقتاده والضحاك هو الرجل يعطي الرجل العطية ويهدي الهدية
ليثاب أكثر منها فهذا ربا حلال ليس فيه

(6/242)

أجر ولا وزر وهذا للناس عامة فأما النبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان هذا
عليه حراما لقوله عز وجل ولا تمنن تستكثر وقال الشعبي هو الرجل يلزق
بالرجل فيحف له ويخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله ليجزيه وإنما أعطاه
التماس عونه ولم يرد به وجه الله وقال النخعي هذا في الرجل يقول للرجل
لأمولئك فيعطيه مراعاة وكان الرجل في الجاهلية يعطي ذا القرابة له المال
ليكثر ماله وهي رواية أبي حسين عن ابن عباس وقال السدي نزلت في ثقيف
كانوا يعطون الربا فلا يربوا يزكو عند الله لأنه لم يرد به وجه الله وما ءاتيتم من
زكاواة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون قال قتادة هذا الذي يقبله الله
ويضاعفه له عشر أمثالها وأكثر من ذلك ومعنى قوله المضعفون أهل التضعيف
كقول العرب أصبحتم مسمنين إذا

(6/243)

سمنت إبلهم ومعطشين إذا عطشت ورجل مقو إذا كانت إبله قوية ومضعف
إذا كانت ضعيفة ومنه الخبيث المخبث أي أصحابه خبثا الله الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم يميئكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
سبحانه وتعالى عما يشركون قوله تعالى ظهر الفساد أي قحط المطر ونقص
الغلات وذهاب البركة في البر والبحر تقول أجديت البر وانقطعت مادة البحر
بما كسبت أيدي الناس بشؤم ذنوبهم قال قتادة هذا قبل أن يبعث الله نبيه عليه
السلام امتلأت الأرض ظلما وضلالة فلما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله
عليه وسلم رجع راجعون من الناس فالبر أهل العمود والمفاوز والبراري
والبحر أهل الريف والقرى قال مجاهد أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل
قرية على ماء جار فهو بحر وقال عكرمة العرب تسمي الأمصار بحرا وقال
عطية وغيره البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها والبحر هو البحر المعروف وقال
عطية إذا قل المطر قل الغوص وقال ابن عباس إذا مطرت السماء تفتح
الأصداف فمها في البحر فما وقع فيها من ماء السماء فهو لؤلؤ وقال الحسن
البحر القرى على شاطئ البحر قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد ظهر الفساد
في البر بقتل ابن آدم أخاه والبحر بالملك الجائر الذي كان يأخذ كل سفينة
غصبا واسمه الجلندا رجل من الأزدي ليديقهم قرأ السلمي بالنون وهو اختيار أبي
حاتم الباقون بالياء بعض الذي عملوا أي عقوبة بعض الذي عملوا من ذنوبهم
لعلهم يرجعون عن كفرهم وأعمالهم الخبيثة قل سيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم
من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون يتفرقون فريق في
الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم
يمهدون يفرشون ويسوون المضاجع في القبور ليجزي الذين ءامنوا وعملوا

الصالحات من فضله ثوابه إنه لا يحب الكافرين قوله ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته نعمته المطر ولتجري الفلك

(6/244)

بأمره ولتبتغوا من فضله رزقه ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا أشركوا وكان حقا علينا نصر المؤمنين في العاقبة فكذلك نحن ناصرك ومظفرك علي من عاداك وناواك قال الحسن يعني أنجاهم مع الرسل من عذاب الأمم أخبرني أبو عبدالله الحسين بن محمد بن عبدالله الدينوري قال أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصري عن الحسين بن محمد المطبقي عن الربيع بن سليمان عن علي

(6/245)

ابن معبد عن موسى بن أعين عن بشير بن أبي سليمان عن عمرو بن مرة عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله سبحانه أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا أخبرني ابن فنجويه عن مخلد الباقري عن الحسن بن علوية عن إسماعيل بن عيسى عن إسحاق بن بشر أخبرنا إدريس أبو الياس عن وهب بن منبه أن الأرض شكت إلى الله عز وجل أيام الطوفان لأن الله عز وجل أرسل الماء بغير وزن ولا كيل فخرج الماء غضبا لله عز وجل فخدش الأرض وخذدها فقالت يارب إن الماء خدمني وخذشني فقال الله عز وجل فيما بلغني والله أعلم إنني سأجعل للماء غربالا لا يحددك ولا يحددك فجعل السحاب غربال المطر فيبسطة في السماء كيف يشاء رد الكناية إلى لفظ السحاب لذلك ذكرها والسحاب جمع كما يقال هذا تمر جيد ويجعله كسفا قطعاً متفرقة فتري الودق يخرج من خلاله وسطه وقرأ ابن عباس من خلله فإذا أصاب به أي بالودق من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين وقيل وما كانوا إلا قال قطرب والفائدة في تكرار قبل هاهنا أن الأولى للأنزال والثانية للمطر وقيل على التأكيد كقول الله عز وجل لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم كرر تحسبن للتأكيد وقال الشاعر إذا أنا لم أؤمن عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراء وراء وفي حرف ابن مسعود لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب غير مكرر وفي حرفه أيضا وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين غير مكرر قوله عز وجل فانظر إلى آثار بالآلف على الجمع أهل الشام والكوفة واختلف فيه عن أصم غيرهم أثر على الواحد رحمت الله يعني المطر كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك

(6/246)

لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير من البعث وغيره ولئن أرسلنا ريحا باردة مضرّة فأفسدت ما أنبت الغيث فرأوه يعني الزرع والنبات كناية عن غير مذكور مصفرا يابساً بعد خضرته ونضرتة لظلوا من بعده يكفرون وقد رأوا هذه الآيات الواضحات ثم ضرب لهم مثلاً فقال فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا

لولا مدبرين وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولاكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بثابة ليقولن الذين كفروا صلى الله عليه وسلم إن أنتم إلا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف نطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة شباباً ثم جعل من بعد قوة ضعفاً هرماً وشيبة قرأ يحيى وعاصم والأعمش وحمزة بفتح الضاد من الضعف غيرهم بالضم فيها كلها واختارها أبو عبيد لأنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عبدالله بن حامد الوزان عن حامد بن محمد عن علي بن عبد العزيز قال أبو نعيم عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي قال قرأت على ابن عمر الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً يعني بالضم ثم قال إنني قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها علي كما أخذتها عليك وكان عاصم الحجدي يقرأ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف بالضم قوة ثم من بعد قوة ضعفاً بالفتح أراد أن يجمع بين اللغتين قال الفراء الضم لغة قريش والنصب لغة تميم يخلق ما يشاء

(6/247)

وهو العليم القدير وقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون يحلف المشركون ما لبثوا في الدنيا غير ساعة استقل القوم أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقال مقاتل والكلبي يعني ما لبثوا في قبورهم غير ساعة استقلوا ذلك لما استقبلوا من هول يوم القيامة نظيرها قوله عز وجل كان لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ومن نهار كذلك كانوا يؤفكون يكذبون في الدنيا وقال الذين أتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه وقيل في حكم الله كقول الشاعر
وما للولاء بالبلاء فملتم وما ذاك قال الله إذ هو يكتب أي يحكم وقال قتادة ومقاتل هذا من مقادير الكلام تأويلها وقال الذين أتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون وأنكم مبعوثون ومجزيون فكنتم به تكذبون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون يسترجعون ولقد ضربنا للناس في هذا

القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون ما أنتم إلا على باطل كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فأصبر إن وعد الله في نصرك وتمكينك حق ولا يستخفك يستزلنك ويستخفن رأيك عن حكمك الذين لا يوقنون

(6/248)

سورة لقمان
مكية وهي ألفان ومائة وعشرة أحرف وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وأربع وثلاثون آية أخبرني أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد الفقيه قال أخبرني أبو عبدالله محمد بن يزيد المعدل قال أخبرني أبو يحيى البزار عن محمد بن منصور عن محمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثني أبي عن خالد بن عبدالواحد عن الحجاج بن عبدالله عن أبي الخليل عن علي بن زيد وعطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا في يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا بقدر من عمل المعروف وعمل بالمنكر بسم الله الرحمن الرحيم ال صلى الله عليه وسلم م صلى الله عليه وسلم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزا أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كان في صلى الله عليه وسلم أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هاذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة قرأ العامة بالنصب على الحال والقطع وقرأ حمزة ورحمة بالرفع على الابتداء للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

(6/249)

قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار بن قصي كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيروها ويحدث بها قريشا ويقول لهم إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وشمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأعاجم والأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقال مجاهد يعني شراء القيان والمغنين ووجه الكلام على هذا التأويل يشتري ذات أو ذا لهو الحديث أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المزكى سنة ثلاث وثمانين حدثني جدي محمد بن إسحاق بن خزيمة عن علي بن خزيمة عن

علي بن حجر عن مستمغل بن ملجان الطائي عن مطر بن يزيد عن عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفي مثل هذا نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله إلى آخر الآية وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقال آخرون معناه يستبدل ويختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال سبيل الله القرآن وقال أبو الصهباء البكري سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات ومثله روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ابن جريج هو الطبل عبيد عن الضحاك هو الشرك جوهر عنه الغناء وقال الغناء مفسدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب وقال ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا وكل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله إلى ما نهى عنه فهو لهو ومنه الغناء وغيره وقال قتادة هو كل لهو ولعب قال عطاء هو الترهات والبسابس وقال مكحول من اشترى جارية ضاربة ليمسكها لغناها وضربها

(6/250)

مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه إن الله عز وجل يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث إلى آخر الآية وروى علي بن يزيد عن القاسم بن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني بمحق المعازف والمزامير والأوتار والصلب وأمر الجاهلية وحلف ربي بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من خمر متعمدا إلا سقيته من الصديد مثلها يوم القيامة مغفورا له أو معذبا ولا يسقيها صبيا صغيرا ضعيفا مسلما إلا سقيته مثلها من الصديد يوم القيامة مغفورا له أو معذبا ولا يتركها من مخافتني إلا سقيته من حياض القدس يوم القيامة لا يحل بيعهن ولا شرائهن ولا تعليمهن ولا التجارة بهن وثمانهن حرام يعني الضواري وروي حماد عن إبراهيم قال الغناء ينبت النفاق في القلب وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يحرقون الدفوف أخبرنا عبدالله بن حامد عن ابن شاذان عن جيعويه عن صالح بن محمد عن إبراهيم ابن محمد عن محمد بن المنكدر قال بلغني أن الله عز وجل يقول يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان أدخلوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوا عبادي حمدي وثنائي وتمجيدي وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قوله ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا قرأ الأعمش وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب ويتخذها بنصب الذال عطفا على قوله ليضل وهو اختيار أبي عبيد قال لقربه من المنسوب وقرأ الآخرون بالرفع نسقا على قوله يشتري أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كان في أذنيه وقرا فبشره إخباره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من

السماء ماء فأبتتنا فيها من كل زوج كريم أي نوعا حسنا هذا الذي ذكرت مما يعاينون خلق

(6/251)

الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه من آلهتكم التي تعبدونها بل الظالمون في ضلل مبين ولقد ءاتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من آتاب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا

(6/252)

تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرجا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لصوت الحمير ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ءاباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير قوله ولقد ءاتينا لقمن الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور قال محمد بن إسحاق بن يسار وهو لقمان بن باعور بن باحور بن تارخ وهو أزر وقال وهب كان ابن أخت أيوب وقال مقاتل ذكر أن لقمان كان ابن خالة أيوب قال الواقدي كان قاضيا في بني إسرائيل واتفق العلماء على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة فإنه قال كان لقمان نبيا تفرد بهذا القول حدثنا أبو منصور الجمشاذي قال حدثني أبو عبدالله محمد بن يوسف عن الحسين بن محمد عن عبدالله بن هاشم عن وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا وقال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة وروى عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن عبد صمصامة كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه وضمن عليه بالحكمة وروي أن لقمان في ابتداء أمره كان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعا وطاعة فإني أعلم إن فعل ذلك بي عصمني وأعانني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاها الظلم من كل مكان إن وفي فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة

ومن يكن في الدنيا ذليلا وفي الآخرة شريفا خيرا من أن يكون في الدنيا شريفا
وفي الآخرة ذليلا ومن تخير

(6/253)

الدنيا على الآخرة تفتته الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن
منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها
ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما شرط لقمان فهوى في الخطيئة غير
مرة كل ذلك يعفو الله عز وجل عنه وكان لقمان يؤزره بحكمته فقال له داود
طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى وأعطي داود الخلافة
وأبتلي بالبليّة والفتنة وحدثنا الإمام أبو منصور بن الجمشاذي لفظا قال حدثني
أبو عبدالله بن يوسف عن الحسن بن محمد عن عبدالله بن هاشم عن وكيع
عن محمد بن حسان عن خالد الربيعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وأخبرنا
أبو عبدالله بن فنجويه قال حدثني أبو بكر بن مالك القطيعي عن عبدالله بن
أحمد بن حنبل عن أبي عن أسود بن عامر عن حماد عن علي بن يزيد عن
سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطا أن اشكر لله يعني وقلنا له أن اشكر
لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد قال مجاهد
كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين متشقق القدمين وروى الأوزاعي عن
عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له
سعيد لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان
بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من سودان
مصر ذا مشافر قوله تعالى وإذ قال لقمان لابنه واسمه أنعم وهو يعظه يا بني لا
تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا
على وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة الضحك ضعف على ضعف قتادة
جهدا على جهد مجاهد وابن كيسان مشقة على مشقة وفصالة فطامه وروي
عن يعقوب وفصله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير أنبأني
عبدالله بن حامد الأصفهاني عن الحسين بن محمد بن الحسين البلخي قال
أخبرني أبو بكر محمد بن القاسم البلخي عن نصير بن يحيى عن سفيان بن
عيينة في قول الله عز وجل أن اشكر لي ولوالديك قال من صلى الصلوات
الخمسة فقد شكر الله ومن

(6/254)

دعا للوالدين في أدبار الصلوات فقد شكر للوالدين وإن جاهداك على أن
تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا عشرة
جميلة وتقديره بالمعروف واتباع سبيل من أناب إلي واسلك طريق محمد
وأصحابه ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون نزلت هاتان الآيتان في
سعد بن أبي وقاص وأمّه وقد مضت القصة
يبني إنها إن تك مثقال حبة من خردل قال بعض النحاة هذه الكناية راجعة إلى
الخطيئة والمعصية يعني إن المعصية إن تك يدل عليه قول مقاتل قال أنعم بن
لقمان لأبيه يا أبة إن عملت بالخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال

له يا بني إنها إن تك وقال آخرون هذه الهاء عماد وإنما أنت لأنه ذهب بها إلى الحبة كقول الشاعر ويشرق بالقول الذي قد اذعته كما شرقت صدر القناة من الدم ويرفع المثقال وينصب فالنصب على خبر كان والرفع على اسمها ومجازه إن تقع وحينئذ لا خبر له فتكن في صخرة قال قتادة في جبل وقال ابن عباس هي صخرة تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقال السيدي خلق الله الأرض على حوت وهو النون الذي ذكره الله عز وجل في القرآن والقلم والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاء على ظهر ملك والملك على صخرة وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض والصخرة على الريح أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف باستخراجها خبير عالم بمكانها ورأيت في بعض الكتب أن لقمان عليه السلام قال لابنه يا بني إنها إن تك مثقال حبة إلى آخر الآية فانفطر من هيبة هذه الكلمة فمات فكانت آخر حكمته قوله يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور أي الأمور الواجبة التي أمر الله بها وقال ابن عباس حزم الأمور مقاتل حق الأمور ولا تصعر خدك للناس قرأ النخعي ونافع وأبو عمرو وابن محيص ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي تصاعر بالألف أخبرني

(6/255)

أبو عبدالله بن فنجويه قال أخبرني أبو حبش قال أبو القاسم بن الفضل قال أبو زرعة حدثني نصر بن علي قال أخبرني أبي عن معلى الوراق عن عاصم الجحدري ولا تصعر خدك بضم التاء وجزم الصاد من أصعر الباقون تصعر من التصعير قال ابن عباس يقول لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك مجاهد هو الرجل يكون بينه وبينك إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه عكرمة هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا الربيع وقتادة لا تحقر الفقراء ليكن الفقير والغني عندك سواء عطاء هو الذي يلوي شذقه أخبرنا عبدالله بن حامد عن حامد بن محمد عن محمد بن محمد

(6/256)

ابن صالح عن عبد الصمد عن خارجة بن مصعب عن المغيرة عن إبراهيم في قوله ولا تصعر خدك للناس قال التشديق في الكلام وقال المؤرخ لا تعبس في وجوه الناس وأصل هذه الكلمة من الميل يقال رجل أصعر إذا كان مائل العنق وجمعه صعر ومنه الصعر وهو داء يأخذ الإبل في أعناقها ورؤوسها حتى يلفت أعناقها فشبه الرجل المتكبر الذي يعرض عن الناس احتقارا لهم بذلك قال الشاعر يصف إبلا وردناه في مجرى سهيل يمانيا بصعر البري من بين جمع وخادج أي مائلات البري وقال آخر وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوما ولا تمش في الأرض مرحا أي خيلاء إن الله لا يحب كل مختال في مشيته فخور على الناس أخبرني عبدالله بن حامد الوزان عن أحمد بن محمد بن شاذان عن جيعويه عن صالح ابن محمد عن جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم خرج رجل يتبختر في الجاهلية عليه حلة فأمر الله عز وجل الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة واقصد في مشيك أي تواضع ولا تتبختر وليكن مشيك قصدا لا بخيلاء ولا إسراع أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ سنة إحدى وثمانين وثلثمائة قال أخبرني أبو العباس محمد بن إسحاق السراج وأبو الوفا المؤيد بن الحسين بن عيسى قال قال عباس بن محمد الدوري عن الوليد بن سلمة قاضي الأردن عن عمر بن صهبان عن نافع عن ابن عمران أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرعة المشي يذهب بهاء المؤمن واغضض واخفض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير قال مجاهد وقتادة والضحاك أقبح أوله زفير وآخره شهيق أمره بالاقتصاد في صوته عكرمة والحكم بن عيينة أشد ابن زيد لو كان رفع الصوت خيرا ما جعله للحمير أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الحري قال أخبرني أبو حامد أحمد بن عبدون بن عمارة الأعمش قال أخبرني أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي عن يحيى بن صالح

(6/257)

الوحاضي عن موسى بن أعين قال سمعت سفيان يقول في قوله عز وجل إن أنكر الأصوات لصوت الحمير يقول صياح كل شيء تسبيح لله عز وجل إلا الحمار وقيل لأنه ينهق بلا فائدة أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه عن محمد بن الحسين بن بشر قال أخبرني أبو بكر ابن أبي الخصب عن عبدالله بن جابر عن عبدالله بن الوليد الحراني عن عثمان بن عبد الرحمن عن عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن أم سعد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يبغض ثلاثة أصوات نهقة الحمار ونباح الكلب والداعية بالحرب فصل في ذكر بعض ما روي من حكم لقمان أخبرنا عبدالله بن حامد الوزان الأصفهاني عن أحمد بن شاذان عن جيفويه بن محمد عن صالح بن محمد عن إبراهيم بن أبي يحيى عن محمد بن عجلان قال قال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وأخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الدينوري عن عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي عن محمد بن عبد الغفار الزرقاني عن أبو سكين زكريا بن يحيى بن عمر بن حفص عن عمه أبي زجر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال حدثني طاووس عن أبي هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال ألسنت بالعبد الأسود الذي كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني وأخبرني الحسين بن محمد قال أخبرني أبو الحسين بكر بن مالك القطيعي عن عبدالله ابن أحمد بن حنبل عن أبي عن وكيع قال أخبرني أبو الأشهب عن خالد الربيعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال له ائتنني بأطيب المصغتين فيها فأتاه باللسان والقلب فقال ما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا قال فسكت عنه ما سكت ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ألق أخبثها مصغتين فرمى باللسان والقلب فقال أمرتك أن تأتيني بأطيبها مصغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تلقي أخبثها مصغتين فألقيت اللسان والقلب فقال

(6/258)

لأنه ليس شيء بأطيب منهما إذا طابا وأخبث منهما إذا خبثا
وأخبرني الحسين بن محمد عن أحمد بن جعفر بن حمدان عن يوسف بن
عبدالله عن موسى ابن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن أنس أن لقمان كان
عند داود عليه السلام وهو يسرد درعا فجعل لقمان يتعجب مما يرى ويريد أن
يسأله ويمنعه حكمه عن السؤال فلما فرغ منها وجاء بها وصبها قال نعم درع
الحرب هذه فقال لقمان إن من الحكم الصمت وقليل فاعله وأخبرني الحسين
بن محمد بن ماهان عن علي بن محمد الطنافسي قال أخبرني أبو أسامة
ووكيع قالا أخبرنا سفيان عن أبيه عن عكرمة قال كان لقمان من أهون
مملوكيه على سيده قال فبعثه مولاه في رقيق له إلى بستان له ليأتوه من
ثمره فجاؤوا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمر وأحالوا على لقمان فقال
لقمان لمولاه إن ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقني وإياهم ماء حميما
ثم أرسلنا فلنعد ففعل فجعلوا يقيئون تلك الفاكهة وجعل لقمان يقيء ماء
فعرف صدقه وكذبهم قال أول ما روي من حكمته أنه بينا هو مع مولاه إذ دخل
المخرج فأطال فيه الجلوس فناده لقمان إن طول الجلوس على الحاجة ينجع
منه الكبد ويورث الباسور ويصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هونا وقم هونا
قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر قوما
على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان فقال لمثل
هذا كنت اجتبتك فقال أخرج كرسيك وأباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال
على أي شيء خاطرتموه قالوا على أن يشرب ماء هذه البحيرة قال فإن لها
مواد إحبسوا موادها عنها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها عنها قال
لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد وأخبرني الحسين بن محمد عن
عبيدالله بن محمد بن شنبه عن علي بن محمد بن ماهان عن علي بن محمد
الطنافسي قال أخبرني أبو الحسين العكلي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل عن
داود بن عمر عن إسماعيل بن عياش عن عبدالله بن دينار أن لقمان قدم من
سفر فلقي غلامه في الطريق

(6/259)

فقال ما فعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت
أمري قال ما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدد فراشي قال ما فعلت أختي
قال ماتت قال ستر عورتي قال ما فعل أخي قال مات قال انقطع ظهري
وأخبرني الحسين بن محمد قال أخبرني أبو بكر بن مالك عن عبدالله بن أحمد
بن حنبل عن أبي عن سفيان قال قيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي
أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش
أو على النقاش قوله تعالى ألم ترأ أن الله سخر لكم ما في السماوات وما
في الأرض وأسبغ عليكم نعمه قرأ نافع وشيبه وأبو جعفر وأبو رجاء العطاردي
وأبو مجلز وأبو عمرو والأعرج وأيوب وحفص نعمه بالجمع والإضافة واختاره أبو
عبيد وأبو معاذ النحوي وأبو حاتم وقرأ الآخرون منونة على الواحد ومعناها جمع
أيضا ودليله قول الله عز وجل وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال مجاهد
وسفيان هي لا إله إلا الله وتصديقه أيضا ما أخبرني أبو القاسم الحبيبي أنه رأى

في مصحف عبدالله نعمته بالأضافة والتوحيد ظاهرة وباطنة اختلفوا فيها فأكثرها فقال ابن عباس أما الظاهرة فالدين والرياش وأما الباطنة فما غاب عن العباد وعلمه الله مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والإسلام والباطنة ما ستر من ذنوب بني آدم فلم يعلم بها أحد ولم يعاقب عليها الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المغفرة القرظي الظاهرة محمد عليه السلام والباطنة المعرفة ربيع الظاهرة بالجوارح والباطنة بالقلب عطاء الخراساني الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة مجاهد الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد بالملائكة أخبرنا الحسين بن محمد بن إبراهيم النيسباني قال أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ابن محمش قال أخبرني أبو يحيى زكريا بن يحيى بن الحرب عن محمد بن يوسف بن محمد ابن سابق الكوفي قال أخبرني أبو مالك الجبني عن جوير بن الضحاك قال سألت ابن عباس عن قول

(6/260)

الله عز وجل وأسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فقال هذا من محزري الذي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة قال أما الظاهرة فالإسلام وما حسن من خلقك وما أفضل عليك من الرزق وأما الباطنة ما ستر من سوء عملك يا ابن عباس يقول الله تعالى إني جعلت للمؤمن ثلثا صلاة المؤمنين عليه بعد انقطاع عمله أكفر به عن خطاياهم وجعلت له ثلث ماله ليكفر به عنه من خطاياهم وسترته عليه سوء عمله الذي لو قد أبديته للناس لنبذه أهله فما سواهم وقال محمد بن علي الترمذي النعمة الظاهرة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي والباطنة قوله ورضيت لكم الإسلام دينا الحرث بن أسد المحاسبي الظاهرة نعيم الدنيا والباطنة نعيم العقبي عمرو بن عثمان الصدفي الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع وقيل الظاهرة الجزاء والباطنة الرضا سهل بن عبدالله الظاهرة إتباع الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة تسوية الظواهر والباطنة تصفية السرائر وقيل الظاهرة التبيين بيانه قوله تعالى يبين الله لكم أن تصلوا وبين آياته للناس والباطنة التزين قوله وزينه في قلوبكم وقيل الظاهرة الرزق المكتسب والباطنة الرزق من حيث لا يحتسب وقيل الظاهرة المدخل للغذاء والباطنة المخرج للأذى وقيل الظاهرة الجوارح والباطنة المصالح وقيل الظاهرة الخلق والباطنة الخلق وقيل الظاهرة التنعيم بيانه قوله أنعمت عليهم والباطنة التعليم قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وقيل الظاهرة ما أعطى وجبا من النعماء وقيل الباطنة ما طوي وزوي من أنواع البلاء وقيل الظاهرة الدعوة بيانه قوله والله يدعوا الى دار السلام والباطنة الهداية بيانه قوله ويهدي من يشاء وقيل الظاهرة الإمداد بالملائكة والباطنة إلقاء الرعب في قلوب الكفار وقيل الظاهرة تفصيل الطاعات وهو أنه ذكر طاعتك واحدة فواحدة وأثنى عليك بها وأثابك عليها بيانه قوله التائبون وقوله قد أفلح المؤمنون

(6/261)

وقوله إن المسلمين والمسلمات إلى آخر الآية والباطنة إجمال المعاصي وذلك أنه دعاء منها إلى التوبة باسم الإيمان من غير عدها وتفصيلها بيانه قوله وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون وقيل الظاهرة إنزال الأقطار والأمطار والباطنة إحياء الأقطار والأمصار

وقيل الظاهرة التوفيق للعبادات والباطنة الإخلاص والعصمة من المراءات وقيل الظاهرة ذكر اللسان والباطنة ذكر الجنان وقيل الظاهرة تلاوة القرآن والباطنة معرفته وقيل الظاهرة ضياء النهار للتصرف والمعاش والباطنة ظلمة الليل للسكون والقرار وقيل الظاهرة النطق والباطنة العقل وقيل الظاهرة نعمه عليك بعدما خرجت من بطن أمك والباطنة نعمه عليك وأنت في بطن أمك وقيل الظاهرة الشهادة الناطقة والباطنة السعادة السابقة وقيل الظاهرة ألوان العطايا والباطنة غفران الخطايا وقيل الظاهرة وضع الوزر ورفع الذكر والباطنة شرح الصدر وقيل الظاهرة فتح المسالك والباطنة نزع الممالك ممن خالفك وقيل الظاهرة المال والأولاد والباطنة الهدى والارشاد وقيل الظاهرة القول السديد والباطنة التأييد والتسديد وقيل الظاهرة ما يكفر الله به الخطايا من الرزايا والبلايا والباطنة ما يعفو عنه ولا يؤاخذ به في الدنيا والعقبى وقيل الظاهرة ما بينك وبين خلقه من الأنساب والأصهار والباطنة ما بينك وبينه من القرب والأسرار والمناجاة في الأسحار وقيل الظاهرة العلو بيانه قوله وأنتم الأعلون والباطنة الدنو بيانه قوله أولئك المقربون قوله ومن الناس من يجدل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحرث حين زعم أن الملائكة بنات الله ولا هدى ولا كتب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا قال الله تعالى أولو كان قال الأخفش لفظه استفهام ومعناه تقرير وقال أبو عبيدة لو هاهنا متروك الجواب مجازه أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير أي موجباته فيتبعونه ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك

(6/262)

بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره إينا مرجعهم فننبئهم بما عملو صلى الله عليه وسلم إن الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السماوات والارض إن الله هو الغنى الحميد ولو أنما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى صلى الله عليه وسلم إلى أجل مسمى وأن الله

(6/263)

بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور يأبىها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير قوله ومن يسلم وجهه إلى الله أي يخلص دينه لله ويفوض أمره إليه وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي يسلم بالتشديد وقرأة العامة بالتخفيف من الإسلام وهو الاختيار لقوله بلى من أسلم وجهه لله وأشباه ذلك وهو محسن فى عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى أي اعتصم بالطريق الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه وقال ابن عباس هي لا إله إلا الله وإلى الله عاقبة الامور يعني مرجعها ومن كفر فلا يحزنك كفره إلینا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور نمتعهم نعمهم ونمهلهم قليلا ثم نضطرهم نلجئهم ونردهم إلى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السماوات والارض إن الله هو الغنى الحميد قوله عز وجل ولو أنما فى الارض من شجرة أقلام الآية قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فأنزل الله بمكة ويسألونك عن الروح الآية فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أجبارة اليهود فقالوا يا محمد بلغنا عنك أنك تقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أفعنيتنا أم قومك فقال عليه السلام كلا قد عنيت قالو ألسنت تتلوا فيما جاءك إنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فقال رسول

(6/264)

الله صلى الله عليه وسلم هي فى علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا قليل وخير كثير فأنزل الله ولو أنما فى الارض من شجرة أقلام أي برئت أقلاما والبحر بالنصب ابن أبي إسحاق وأبو عمرو ويعقوب غيرهم بالرفع وحجتهم قراءة عبدالله وبحر يمده أي يزيد وينصب عليه من بعده من خلفه سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وفي هذه الآية اختصار تقديرها ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفدت كلمات الله وهذه الآية تقتضى أن كلامه غير مخلوق لأنه لا نهاية له ولما يتعلق به من معناه فهو غير مخلوق إن الله عزيز حكيم هذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية قال نزلت بعد الهجرة كما حكينا وعلى قول غيره مكية قالوا إنما أمر اليهود وفد قريش أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ويقولوا له ذلك وهو بعد بمكة والله أعلم قوله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة يعني إلا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء وهذا كقوله تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت إن الله سميع بصير ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج

النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك الذي ذكرت لتعلموا بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله برحمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار على أمر الله شكور على نعمه قال أهل المعاني أراد لكل مؤمن لأن الصبر والشكر من أفضل خصال المؤمنين وإذا غشيهم موج كالظلل قال مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب والظلل جمع ظله شبه الموج بها في كثرتها وارتفاعها كقول النابغة في صفة بحر يماشيهن أخضر ذو ظلال على حافته فلق

(6/265)

الدنان وإنما شبه الموج وهو واحد بالظلل وهي جمع لان الموج يأتي شيء بعد شيء ويركب بعضه بعضا كالظلل وقيل هو بمعنى الجمع وإنما لم يجمع لأنه مصدر وأصله من الحركة والازدحام دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد قال ابن عباس موف بما عاهد الله عليه في البحر ابن كيسان مؤمن مجاهد مقتصد في القول مضمحل للكفر الكلبي مقتصد في القول من الكفار لأن بعضهم أشد قولا وأعلى في الافتراء من بعض ابن زيد المقتصد الذي على صلاح من الأمر وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار غدار كفور جحود والختر أسوأ الغدر وقال عمرو بن معدى كرب وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي لا يقضي ولا يغني ولا يكفر والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور قراءة العامة بفتح الغين هاهنا وفي سورة الملائكة والحديد وقالوا هو الشيطان وقال سعيد بن جبير هو أن يعمل بالمعصية ويتمنى المغفرة وقرأ سماك بن حرب بضم الغين ومعناه لا تغتروا إن الله عنده علم الساعة الآية نزلت في الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن خصفة من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال إن أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلتي فما تلد وقد علمت أين ولدت فبأي أرض تموت فأنزل الله هذه الآية أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبدالله بن حمدون عن أحمد بن محمد بن الحسن عن محمد بن يحيى عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبي عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مفاتيح الغيب خمسة إن الله عنده علم الساعة الآية وروى يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد أن رجلا قال يا رسول الله هل من العلم علم لم تؤته فقال لقد أوتيت علما كثيرا أو علما حسنا أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا رسول الله

(6/266)

هذه الآية إن الله عنده علم الساعة إلى قوله خبير فقال هؤلاء خمسة لا يعلمهن إلا الله تبارك وتعالى وأخبرنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الحربي قال أخبرني أبو حامد أحمد بن حمدون بن عمارة الأعمش عن علي بن حشرم عن

الفضل بن موسى عن رجل سماه قال بلغ ابن عباس أن يهوديا خرج من المدينة يحسب حساب النجوم فأتاه فسأله فقال إن شئت أنبأتك عن نفسك وعن ولدك فقال إنك ترجع إلى منزلك وتلقى لك بابن محموم ولا تمكث عشرة أيام حتى يموت الصبي وأنت لا تخرج من الدنيا حتى تعمي فقال ابن عباس وأنت يا يهودي قال لا يحول علي الحول حتى أموت قال فأين موتك قال لا أدري قال ابن عباس
صدق الله وما تدري نفس بأي أرض تموت قال فرجع ابن عباس فتلقى بابن محموم فما بلغ عشرا حتى مات الصبي وسأل عن اليهودي قبل الحول فقالوا مات وما خرج ابن عباس من الدنيا حتى ذهب بصره قال علي هذا أعجب حديث قوله بأي أرض تموت كان حقه بأية أرض وبه قرأ أبي بن كعب إلا أن من ذكر قال لان الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شيء وقيل أراد بالأرض المكان فلذلك ذكر وأحتج بقول الشاعر فلا مزنة ودقت ودقها ولا الأرض ابقل ابقالها

(6/267)

سورة السجدة
مكية وهي ألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا وثلاثمائة وثمانون كلمة وثلاثون آية أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفراتي عن عمران بن موسى عن مكّي بن عبدان عن سليمان بن داود عن أحمد بن نصر قال أخبرني أبو معاد عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن زيد العمي عن أبي نصر عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الم تنزّل أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل الفهرزي بها عن حمزة بن محمد بن العباس ببغداد عن عبدالله بن روح عن شيابة بن سوار عن المغيرة بن مسلم عن ابن الزبير عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزّل السجدة و تبارك الذي بيده الملك ويقول هما تفضلان كل سورة في القرآن سبعين حسنة ومن قرأهما كتبت له سبعون حسنة ومحي عنه سبعون سيئة ورفع له سبعون درجة بسم الله الرحمن الرحيم ال صلى الله عليه وسلم م صلى الله عليه وسلم تنزّل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتندركوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقالو صلى الله عليه وسلم اءذا ضللنا فى الأرض اءنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون

(6/268)

قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون أي بل يقولون وقيل الميم صلة أي يقولون استفهام توبيخ وقيل هو بمعنى الواو يعني ويقولون وقيل فيه إضمار مجازه فهل يؤمنون به أم يقولون افتريه ثم قال بل هو الحق من ربك لتتذرعوا بما أتاهم من نذير أي لم يأتهم من نذير من قبلك قال قتادة كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد عليه السلام قال ابن عباس ومقاتل ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض أي ينزل الوحي مع جبرائيل من السماء إلى الأرض ثم يعرج يصعد إليه جبرائيل بالأمر في يوم واحد من أيام الدنيا وقدر مسيره ألف سنة خمسمائة نزوله من السماء إلى الأرض وخمسمائة صعوده من الأرض إلى السماء وما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة سنة يقول لو ساره أحد من بني آدم لم يسره إلا في ألف سنة والملائكة يقطعون هذه المسافة بيوم واحد فعلى هذا التأويل نزلت الآية في وصف مقدار عروج الملائكة من الأرض إلى السماء ونزولهم من السماء إلى الأرض وأما قوله تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فإنه أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدره المنتهى التي فيها مقام جبرائيل عليه السلام يقول يسير جبرائيل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وهذا كله معنى قول مجاهد وقتادة والضحاك وأما معنى قوله إليه على هذا التأويل فإنه يعني إلى مكان الملك الذي أمره الله أن يعرج إليه كقول إبراهيم عليه السلام إني ذاهب إلى ربي وإنما أراد أرض الشام وقال ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله أي إلى المدينة ولم يكن الله تعالى بالمدينة ولا بالشام أخبرني ابن فنجويه عن هارون بن محمد بن هارون عن حازم بن يحيى

(6/269)

الحلواني عن محمد بن المتوكل عن عمرو بن أبي سلمة عن صدقة بن عبدالله عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني ملك برسالة من الله عز وجل ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء والآخرى في الأرض لم يرفعها وقال بعضهم معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج إليه الأمر والتدبير ويرجع يعود إليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وهو يوم القيامة وأما قوله خمسين ألف سنة فإنه أراد على الكافر جعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في دار الدنيا ويجوز أن يكون ليوم القيامة أول وليس له آخر وفيه أوقات شتى بعضها ألف سنة وبعضها خمسين ألف سنة ويجوز أن يكون هذا إخبار عن شدته وهوله ومشقته لأن العرب تصف أيام المكروه بالطول وأيام السرور بالقصر وإلى هذا التأويل ذهب جماعة من المفسرين وروي عبد الرزاق عن ابن جريح قال أخبرني ابن أبي مليكة قال دخلت أنا وعبدالله بن فيروز مولى

عثمان بن عفان علي ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية فقال له ابن عباس من أنت قال أنا عبدالله بن فيروز مولى عثمان بن عفان فقال عبدالله بن عباس أيام سماها الله لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم قال ابن أبي مليكة فضرب الدهر حتى دخلت على سعيد بن المسيب فسئل عنها فلم يدر ما يقول فقلت له ألا أخبرك ما حضرت من ابن عباس فأخبرته فقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيها وهو أعلم مني قوله ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه قرأ نافع وأهل الكوفة خلقه بفتح اللام على الفعل واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ثم قالوا لسهولة في المعنى وهي قراءة سعيد بن المسيب وقرأ الآخرون بسكون اللام قال الأخفش هو على البديل ومجازه الذي أحسن خلق كل شيء قال ابن عباس أتقنه وأحكمه ثم قال أما إن أست

(6/270)

القرء ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها وقال قتادة حسنه مقاتل علم كيف يخلق كل شيء من قولك فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه وبدأ خلق الانسان يعني آدم عليه السلام من طين ثم جعل نسله ذريته من سلالة من نطفة سميت بذلك لانها تنسل من الإنسان أي تخرج ومنه قيل للولد سلالة وقال ابن عباس وهي صفو الماء من ماء مهين ضعيف ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقالوا يعني منكري البعث أءذا ضللنا في الارض أي أهلكنا وبطلنا وصرنا ترابا وأصله من قول العرب ضل الماء في اللبن إذا ذهب ويقال أضللت الميت أي دفنته قال الشاعر

(6/271)

وأب مصلوه بغير جلية وغودر بالجولان جرم ونائل وقرأ ابن محيصن بكسر اللام ضللنا وهي لغة وقرأ الحسن والأعمش ضللنا بالصاد غير معجمة أي أنتنا وهي قراءة علي ح أخبرنا ابن فنجويه عن ابن شنبه قال أخبرني أبو حامد المستملي عن محمد بن حاتم الكرخي أبو عثمان النحوي عن المسيب بن شريك عن عبيدة الضبي عن رجل عن علي أنه قرأ أءذا ضللنا أي أنتنا قال محمد بن حاتم يقال صل اللحم وأصل إذا أنتن أءنا لفي خلق جديد قال الله بل هم بلقاء ربهم كافرون قوله عز وجل قل يتوفاكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بكم قال مجاهد حويت له الأرض فجعلت له مثل طست يتناول منها حيث يشاء وقال مقاتل والكلبي بلغنا أن اسم ملك الموت عزرائيل وله أربعة أجنحة جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وجناح له في أقصى العالم من حيث يجيء ريح الصبا وجناح من الأفق الآخر ورجل له بالمشرق والأخرى بالمغرب والخلق بين رجليه ورأسه وجسده كما بين السماء والأرض وجعلت له الدنيا مثل راحة اليد صاحبها يأخذ منها ما أحب في غير مشقة ولا عناء أي مثل اللبنة بين يديه فهو يقبض أنفاس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وأخبرني الحسين بن محمد بن الحسين عن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن مالك عن الخطاب بن أحمد بن عيسى قال

أخبرني أبو نافع أحمد بن كثير عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وأخبرنا الحسين بن محمد عن عبدالله بن يوسف عن عبد الرحيم بن محمد عن سلمة ابن شبيب عن الوليد بن سلمة الدمشقي عن ثور بن يزيد عن خالد بن معد عن معاذ بن جبل قال إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتفحصهم في كل يوم مرتين فإذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال الآن يزار بك عسكر الأموات

(6/272)

وأخبرنا الحسين بن محمد قال أخبرني أبو بكر بن مالك القطيعي عن عبدالله بن أحمد ابن حنبل عن أبي عن عبدالله بن نميرة عن الأعمش عن خيثمة وعن شهر بن حوشب قال دخل ملك الموت على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم إليه النظر فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيتته ينظر إلي كأنه يريدني قال فما تريد قال أريد أن تحملني على الريح فتلقيني بالهند فدعا بالريح فحملته عليها فألقته بالهند ثم أتى ملك الموت سليمان عليه السلام فقال إنك كنت تديم النظر إلى رجل من جلسائي قال كنت أعجب منه إنني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك فإن قيل ما الجامع بين قوله توفته رسلنا و تتوفهم الملائكة و قل يتوفكم ملك الموت وقوله الله يتوفى الأنفس حين موتها و هو الذي يتوفكم بالليل قيل توفي الملائكة القبض والنزع وتوفي ملك الموت الدعاء والأمر يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها وتوفي الله سبحانه خلق الموت والله أعلم ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولاكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هاذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادو صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلمهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات

(6/273)

ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون قوله تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم أي مطاطئوا رؤوسهم عند ربهم حياء منه للذي سلف من معاصيهم في الدنيا يقولون ربنا أبصرنا ما كنا به مكذبين وسمعنا منك تصديق ما آتتنا به رسلك فارجعنا فارددنا إلى الدنيا نعمل صالحا إنا

موقنون وجواب لو مضمّر مجازه لرأيت العجب ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها
رشدها وتوفيقها للإيمان ولكن حق وجب وسبق القول مني لأملان جهنم من
الجنة والناس أجمعين وهو قوله لأبليس لأملان جهنم منك وممن تبعك منهم
أجمعين ثم يقال لأهل النار فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أي تركتم الإيمان
به إنا نسيناكم تركناكم في النار وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون أخبرنا
الحسين بن محمد بن فنجويه عن أحمد بن الحسن بن ماجة القزويني عن
الحسن ابن أيوب القزويني عن عبدالله بن أبي زياد القطواني عن سيار حماد
الصفار عن حجاج الأسود عن جبلة عن مولي له عن كعب قال إذا كان يوم
القيامة يقوم الملائكة فيشفعون ثم يقوم الأنبياء فيشفعون ثم يقوم الشهداء
فيشفعون ثم يقوم المؤمنون فيشفعون حتى انصرفت الشفاعة كلها فلم يبق
أحد خرجت الرحمة فتقول يارب أنا الرحمة فشفعني فيقول قد شفعتك فتقول
يارب فيمن فيقول في من ذكرني في مقام وخافني فيه أو رجاني أو دعاني
دعوة واحدة خافني أو رجاني فأخرجيه قال فيخرجون فلا يبقى في النار أحد
يعبأ الله به شيئاً ثم يعظم أهلها بها ثم يأمر بالنار فتقبض عليهم فلا يدخل فيها
روح أبداً ولا يخرج منها غم أبداً وقيل اليوم ننسكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا
إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا
يستكبرون عن الإيمان به والسجود له تتجافى أي ترتفع وتنتحي وهو تفاعل من
الجفا والجفا التبوؤ والتباعد تقول العرب جاف ظهرك عن الجدار وجفت عين
فلان عن الغمض إذا لم تنم جنوبهم عن المضاجع أخبرني أبو عبدالله الحسين
بن محمد بن الحسن قال أخبرني

(6/274)

أبو عمرو عثمان بن أحمد ابن سمعان الوزان عن عبدالله بن قحطبة بن
مرزوق عن محمد بن موسى الحرشي عن الحرث بن وحيه الراسبي قال
سمعت مالك بن دينار يقول سألت أنس بن مالك عن قول الله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فقال أنس كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فأنزل الله
تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع أخبرني الحسين بن محمد عن موسى بن
محمد عن الحسن بن محمد عن موسى بن محمد عن الحسن بن علويه عن
إسماعيل بن عيسى عن المسيب عن سعيد بن أبي عروبة

(6/275)

عن قتاده عن أنس بن مالك قال نزلت فينا معاشر الأنصار تتجافى جنوبهم عن
المضاجع الآية كنا نصلّي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلّي العشاء مع
النبي صلى الله عليه وآله وأخبرنا الحسين بن محمد عن عبدالله بن إبراهيم بن
علي بن عبدالله عن عبدالله بن محمد بن وهب عن محمد بن حميد عن يحيى
بن الضريس عن النضر بن حميد عن سعيد عن الشعبي عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عقب ما بين المغرب والعشاء بني له في
الجنة قصران ما بينهما مسيرة مائة عام وفيهما من الشجر ما لو نزلها أهل

المشرق وأهل المغرب لأوسعتهم فاكهة وهي صلاة الأوابين وغفلة الغافلين وإن من الدعاء المستجاب الذي لا يرد الدعاء ما بين المغرب والعشاء وقال عطاء يعني يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها يدل عليها ما أنبأني عبدالله بن حامد عن عبدالصمد بن الحسن بن علي بن مكرم عن السري بن سهل عن عبدالله بن رشيد قال أنبأني أبو عبيدة مجاعة بن الزبير عن أبان قال جاءت امرأة إلى أنس بن مالك فقالت إني أنام قبل العشاء فقال لا تنامي فإن هذه الآية نزلت في الذين لا ينامون قبل العشاء الآخرة تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وابن زيد هو التهجد وقيام الليل ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو عبدالله بن فنجويه عن أبي بكر بن مالك القطيعي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبي عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة عن عاصم عن شهر بن حوشب عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً قال قيام العبد في الليل وأخبرنا عبدالله بن حامد الأصفهاني عن محمد بن عبدالله بن عبد الواحد الهمداني عن إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق بن معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت قريباً منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله ألا تخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من

(6/276)

النار قال يا معاذ لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة من النار والصدقة تطفئ غضب الرب وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه فقال اكف عليك هذا فقلت يا رسول الله وأنا لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وقال الضحاک هو أن يصلّي الرجل العشاء والغداة في جماعة أخبرني الحسين بن فنجويه عن أحمد بن الحسين بن ماجة قال أخبرني أبو عوانة الكوفي بالري عن منجاب بن الحرث عن علي بن مسهر عن عبدالرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين أي خبئ لهم هذه قراءة العامة وقرأ حمزة ويعقوب أخفي مرسلة الياء أي أنا أخفي وحثهما قراءة عبدالله نخفي بالنون وقرأ محمد بن كعب أخفى بالالف يعني أخفى الله من قرة أعين قراءة العامة على التوحيد أخبرنا عبدالله بن حامد الوزان عن مكّي بن عبدان عن عبدالله بن هاشم قال أخبرني أبو معاوية عن الأعمش عن

أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا

(6/277)

خطر على قلب بشر قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن به ما قد أطلعتكم عليه اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأت أعين جزاء بما كانوا يعملون قال وكان أبو هريرة يقرأ هكذا قرأت أعين وقال ابن مسعود إن في التوراة مكتوبا لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولا يخطر على قلب بشر وما لا يعلمه ملك مقرب وإنه لفي القرآن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية قوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون الآية نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لأمه وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي أسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع جنانا وأملا منك حشوا في الكتبية فقال له علي اسكت فإنك فاسق فأنزل الله عز وجل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ولم يقل يستويان لأنه لم يرد بالمؤمن مؤمنا واحدا وبالفاسق فاسقا واحدا وإنما أراد جميع الفساق وجميع المؤمنين قال الفراء إن الاثنين إذا لم يكونا مصمودين لهما ذهب بهما مذهب الجمع ثم ذكر حال الفريقين ومألها فقال عز من قائل أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون قال أبي بن كعب وأبو العالية والضحاك والحسن وإبراهيم العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبئلي الله به العباد حتى يتوبوا وهذه رواية الوالبي عن ابن عباس عكرمة عنه الحدود عبدالله بن مسعود والحسن بن علي وعبدالله بن الحرث القتل بالسيف يوم بدر مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب مجاهد عذاب القبر قالوا والعذاب الأكبر يوم القيامة لعلهم يرجعون عن

(6/278)

كفرهم قوله تعالى ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين المشركين منتقمون قال زيد بن رفيع عنى بالمجرمين هاهنا أصحاب القدر ثم قرأ إن المجرمين في ضلال وسعر إلى قوله إنا كل شيء خلقناه بقدر وأخبرنا الحسين بن محمد عن أحمد ابن محمد بن إسحاق السني قال أخبرني جماهر بن محمد الدمشقي عن هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش عن عبد العزيز بن عبدالله عن عبادة بن سني عن جنادة بن أبي أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من اعتقد لواء في غير حق أو عق والدیه أو مشى مع ظالم لينصره فقد أجرم يقول الله تعالى إنا من المجرمين منتقمون

ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مربة من لقائه وجعلناه هدى لبنى
إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون إن
ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم
أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات أفلا
يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه
أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل
يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا صلى الله عليه وسلم إيمانهم ولا هم ينظرون
فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى
مربة من لقائه ليلة المعراج عن ابن عباس وقال السدي من تلقى كتاب الله
تعالى بالرضا والقبول قال أهل المعاني لم يرد باللقاء الرؤبة وإنما أراد
مباشرة الحال وتبليغه رسالة الله عز وجل وقبول كتاب الله وقيل من لقاء
الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وجعلناه يعنى الكتاب
وقال قتادة موسى هدى لبنى إسرائيل وجعلنا منهم أئمة قادة فى الخير يقتدى
بهم يهدون يدعون بأمرنا لما صبروا قرأ حمزة والكسائي لما بكسر اللام
وتخفيف الميم أي لصبرهم واختاره أبو عبيد اعتباراً بقراءة عبدالله لما صبروا
وقرأ الباقر بفتح اللام وتشديد الميم أي حين صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون إن
ربك هو يفصل بينهم يقضى بينهم ويسمي أهل اليمن القاضي الفيصل يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون
يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون آيات الله وعظاته
فيتعظون بها قوله أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الارض الجرز أي اليابسة
المغبرة الغليظة التي لا نبات فيها وأصله من قولهم ناقة جراز إذا كانت تأكل
كل شيء تجده ورجل جروز إذا كان أكولاً قال الرازي جروز وإذا جاع بكى
ويأكل التمر ولا يلقي النوى وسيف جراز أي قاطع وجرزت الجراد الزرع إذا
استأصلته

فكان الجرز هي الأرض التي لا يبقى على ظهرها شيء إلا أفسدته وفيه أربع
لغات جرز وجرز وجرز وجرز قال ابن عباس هي أرض باليمن قال مجاهد هي
أبين فنخرج فنبت به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون
متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قال بعضهم أراد
بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الثواب والعقاب والحكم بين العباد قال قتادة
قال أصحاب النبي صلى الله عليه إن لنا يوماً ننعمة فيه ونستريح وبحكم بيننا
وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم قال الكلبي
يعنى فتح مكة وقال السدي يعنى يوم بدر لأن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه كانوا يقولون لهم إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم قل يوم الفتح يوم
القيامة لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ومن تأول النصر قال لا
ينفعهم إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون

قراءة العامة منتظرون بكسر الظاء وقرأ محمد بن السميع بفتح الظاء قال
الفراء لا يصح هذا إلا بإضمار مجازه إنهم منتظرون ربهم قال أبو حاتم الصحيح
كسر الظاء لقوله فارتقب إنهم مرتقبون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في
مرية من لقاءه وجعلناه هدى لبنى صلى الله عليه وسلم إسرائيل وجعلنا منهم
أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون إن ربك هو يفصل بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء
إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون
ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
صلى الله عليه وسلم إيمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر إنهم
منتظرون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقاءه ليلة المعراج عن
ابن عباس وقال السدي من تلقه كتاب الله تعالى بالرضا والقبول قال أهل
المعاني لم يرد

(6/281)

باللقاء الرؤية وإنما أراد مباشرته الحال وتبليغه رسالة الله عز وجل وقبول
كتاب الله وقيل من لقاء الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
غيره وجعلناه يعني الكتاب وقال قتادة موسى هدى لبنى إسرائيل وجعلنا منهم
أئمة قادة في الخير يقتدى بهم يهدون يدعون بأمرنا لما صبروا قرأ حمزة
والكسائي لما بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم واختاره أبو عبيد اعتباراً
بقراءة عبدالله لما صبروا وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم أي حين صبروا
وكانوا بآياتنا يوقنون إن ربك هو يفصل بينهم يقضي بينهم ويسمي أهل اليمن
القاضي الفيصل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا
من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون
آيات الله وعظاته فيتعظون بها قوله أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض
الجرز أي اليابسة المغبرة الغليظة التي لا نبات فيها وأصله من قولهم ناقة
جرز إذا كانت تأكل كل شيء تجده ورجل جرز إذا كان أكولاً قال الراجز خب
جرز وإذا جاع بكى ويأكل التمر ولا يلقي النوى وسيف جراز أي قاطع وجرزت
الجراد الزرع إذا استأصلته فكان الجرز هي الأرض التي لا يبقى على ظهرها
شيء إلا أفسدته وفيه أربع لغات جرز وجرز وجرز وجرز قال ابن عباس هي
أرض باليمن قال مجاهد هي أبين فنخرج فنبيت به زرعاً تأكل منه أنعامهم
وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قال بعضهم
أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الثواب والعقاب والحكم بين العباد قال
قتادة قال أصحاب النبي صلى الله عليه إن لنا يوماً ننعيم فيه ونستريح وبحكم
بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم قال الكلبي
يعني فتح مكة وقال السدي يعني يوم بدر لان أصحاب رسول الله صلى الله
عليه كانوا يقولون لهم إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم قل يوم الفتح يوم
القيامة لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ومن تأول النصر

(6/282)

قال لا ينفعهم إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون قراءة العامة منتظرون بكسر الطاء وقرأ محمد بن السميعة بفتح الطاء قال الفراء لا يصح هذا إلا بإضمار مجازه إنهم منتظرون ربهم قال أبو حاتم الصحيح كسر الطاء لقوله فارتقب إنهم مرتقبون
سورة الأحزاب

مدينة وهي خمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفاً وألف ومائتان وثمانون كلمة وثلاث وسبعون آية أخبرني محمد بن القاسم بن أحمد بقراءتي عليه قال حدثنا عبدالله بن أحمد بن جعفر قال أخبرني أبو عمرو الحميري وعمرو بن عبدالله البصري قال قال محمد بن عبد الوهاب العبدي عن أحمد بن عبدالله بن يونس عن سلام بن سليم عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر بسم الله الرحمن الرحيم ي صلى الله عليه وسلم أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلمو صلى الله عليه وسلم أباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولاكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً قوله عز وجل يا أيها النبي اتق الله الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن أبي سفيان السلمى وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبدالله بن أبي رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقال للنبي صلى الله عليه وسلم

(6/283)

وعنده عمر ابن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه قولهم فقال عمر بن الخطاب ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال النبي عليه السلام إنى قد أعطيتهم الأمان فقال عمر بن الخطاب اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله عز وجل يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين من أهل مكة يعني أبا سفيان وأبا الأعور وعكرمة والمنافقين عبدالله بن أبي عبدالله بن سعد وطعمة بن أبيرق إن الله كان عليماً حكيماً واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً بالياء أبو عمرو وغيره بالتاء وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً أخبرني ابن فنجويه عن موسى بن علي عن الحسن ابن علويه عن إسماعيل بن عيسى عن المسيب عن شيخ من أهل الشام قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وفد من ثقيف فطلبوا إليه أن يتمتعهم

باللات والعزى سنة وقالوا لتعلم قريش منزلتنا منك فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأنزل الله تعالى يا أيها النبي اتق الله الآيات قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في أبي معمر جميل بن معمر بن حبيب بن عبد الله الفهري وكان رجلا ليبيا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان وكان يقول إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم يومئذ أبو معمر تلقاه أبو سفيان بن حرب وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال له أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وقال الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله للمظاهر من امرأته وللمتنبى ولد غيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه

(6/284)

حتى يكون له أمان ولا يكون ولد أحد ابن رجلين قوله وما جعل أزواجكم اللائي قرأ أبو جعفر وأبو عمر وورش اللاتي بغير مد ولا همز ممدودة مهموزة بلا ياء نافع غير ورش وأيوب ويعقوب والأعرج وأنشد
من اللاء لم يحجن يبعين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا وقرأ أهل الكوفة والشام بالمد والهمز وأثبات الياء واختاره أبو عبيد للاشباع واختلف فيه عن ابن كثير وكلها لغات معروفة تظاهرون بفتح التاء وتشديد الطاء شامي بفتح التاء وتخفيف الطاء كوفي غير عاصم واختاره أبو عبيد بضم التاء وتخفيف الطاء وكسر الهاء عاصم والحسن قال أبو عمرو هذا منكر لأن المظاهرة من التعاون والآية نزلت في أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم أخي عبادة وفي امرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك يقول الله تعالى ما جعل نساءكم اللاتي تقولون هن علينا كظهور أمهاتنا في الحرام كما تقولون ولكنها منكم معصية وفيها كفارة وأزواجكم لكم حلال وسنذكر القصة والحكم في سورة المجادلة إن شاء الله قوله وما جعل أديعاءكم يعني من تبنيتموه أبناءكم نزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبيد ود كان عبدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب في الإسلام فجعل الفقير أبا للغني ليعود عليه فلما تزوج النبي صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش الأسدي وكانت تحت زيد بن حارثة فقالت اليهود والمنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها فأنزل الله عز وجل هذه الآيات وقال ذلكم قولكم بأفواهكم ولا حقيقة له يعني قولهم زيد ابن محمد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لأبائهم الذين ولدوهم هو أقسط أعدل عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم أي فهم إخوانكم في الدين ومواليكم إن كانوا محرريكم وليسوا ببنيتكم أنباني عقيل بن محمد الجرجاني عن المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير قال حدثني يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال

(6/285)

أبو بكر قال قال الله تعالى ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم
فإخوانكم في الدين ومواليكم فأنا ممن لا يعرف أبوه وأنا من إخوانكم في
الدين قال قال أبي إنني لأظنه لو علم أن أباه كان حمارا لانتضى إليه وليس
عليكم جناح فيما أخطأتم به قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه وقال قتادة
يعني أن تدعوه لغير أبيه وهو يرى أنه كذلك ولكن ما تعمدت قلوبكم فنسبتموه
إلى غير أبيه بعد النهي وأنتم تعلمون أنه ليس بابنه ومحل ما في قوله ما
تعمدت قلوبكم خفض ردا على ما التي في قوله فيما أخطأتم به ومجازه ولكن
فيما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيفا قال النبي صلى الله عليه وسلم
من ادعى إلى غير أبيه أو إلى غير أهل نعمته فعليه لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين

(6/286)

وأخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون عن أحمد بن محمد بن الحسن عن محمد
بن يحيى قال أخبرني أبو صالح حدثني الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد عن
ابن شهاب عن عروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أن أبا
حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس كان ممن شهد بدرًا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم تبنى سالما وأنكحه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن
ربيعة وهو مولى لامرأة من الأنصار فتبناه كما تبنى رسول الله صلى الله عليه
زيدا وكان من تبنى رجلا في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه حتى
نزلت ادعوهم لأبائهم الآية النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم
وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا
أن تفعلوا صلى الله عليه وسلم إلى أوليائكم معروفًا كان ذلك في الكتاب
مسطورا وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى
وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد
للكافرين عذابا أليما قوله عز وجل النبي أولى أحق بالمؤمنين من أنفسهم أن
يحكم فيهم بما شاء فيجوز حكمه عليهم قال ابن عباس وعطا يعني إذا دعاهم
النبي عليه السلام إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي
أولى بهم من طاعة أنفسهم وقال مقاتل يعني طاعة النبي عليه السلام أولى
من طاعة بعضكم لبعض وقال ابن زيد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما
أنت أولى بعبدك فما قضى فيهم من أمر جار كما أن كل ما قضيت على عبدك
جار وقيل إنه عليه السلام أولى بهم في أمضاء الأحكام وإقامة الحدود عليهم
لما فيه من مصلحة الخلق والبعد من الفساد وقيل إنه أولى بهم في الحمل
على الجهاد وبذل النفس دونه وقالت الحكماء النبي أولى بالمؤمنين من
أنفسهم لأن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم والنبي يدعوهم إلى ما فيه
نجاتهم وقال أبو بكر الوراق لأن النبي يدعوهم إلى العقل وأنفسهم تدعوهم
إلى الهوى وقال بسام بن عبدالله

(6/287)

العراقي لأن أنفسهم تحترس من نار الدنيا والنبي يحرسهم من نار العقبي
وروى سفيان عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ النبي أولى
بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبو لهم وروى سفيان عن عمرو عن بجالة أو غيره
قال مر عمر بن الخطاب بسلام وهو يقرأ في المصحف النبي أولى بالمؤمنين
من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبو لهم فقال يا غلام حكها قال هذا مصحف
أبي فذهب إليه فسأله فقال إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفي
في الأسواق وقال عكرمة أخبرت أنه كان في الحرف الأول وهو أبوهم أخبرني
أبو عبدالله بن فنجويه الدينوري قال أخبرني أبو بكر بن مالك القطيعي عن
عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبي قال أخبرني أبو عامر وشريح قال قال فليح
بن سليمان عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عميرة عن النبي صلى
الله عليه قال ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيا مؤمن هلك وترك ما لا فليتره عصبته
من كانوا وإن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فإنني أنا مولاه وأزواجه أمهاتهم يعني
كأمهاتهم في الحرمة نظيره قوله تعالى وجنة عرضها السماوات والأرض أي
كالسماوات وإنما أراد الله تعالى تعظيم حقهن وحرمتهن وإنه لا يجوز نكاحهن
لا في حياة النبي صلى الله عليه إن طلق ولا بعد وفاته هن حرام على كل
مؤمن كحرمة أمه ودليل هذا التأويل أنه لا يحرم على الولد رؤية الأم وقد حرم
الله رؤيتهن على الأجنبيين ولا يرثنهم ولا يرثونهن فعلموا أنهن أمهات المؤمنين
من جهة الحرمة وتحريم نكاحهن عليهم روى سفيان عن خراش عن الشعبي
عن مسروق قال قالت امرأة لعائشة يا أمه فقالت أنا لست بأم لك إنما أنا أم
رجالكم قوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض يعني في الميراث قال قتادة
كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان لا يرث الأعرابي المسلم من المهاجر
شيئا فأنزل الله تعالى هذه الآية وخلط المؤمنين بعضهم ببعض فصارت
الموارث بالملك والقربات

(6/288)

وقال الكلبي أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس وكان يؤاخي
بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته وأهله فمكثوا
بذلك ما شاء الله حتى نزلت هذه الآية وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في
كتاب الله من المؤمنين الذين أخى رسول الله بينهم والمهاجرين فنسخت هذه
الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت للأدنى فالأدنى من القربات وقيل
أراد إثبات الميراث بالإيمان والهجرة ثم قال إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا
يعني إلا أن توصوا لذوي قرابتكم من

(6/289)

المشركين فتجوز الوصية لهم وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة وهذا
قول محمد بن الحنفية وقتادة وعطاء وعكرمة وقال ابن زيد ومقاتل يعني إلا
أن توصوا لأوليائكم من المهاجرين وقال مجاهد أراد بالمعروف النصره وحفظ
الحرمة لحق الإيمان والهجرة كان ذلك الذي ذكرت من أن أولوا الأرحام

بعضهم أولى ببعض وأن المشرك لا يرث المسلم في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وقال القرظي في التوراة قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم على الوفاء بما حملوا وأن يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضا ومنك يا محمد ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وإنما خص هؤلاء الخمسة بالذكر في هذه الآية لأنهم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل وأئمة الأمم وأخذنا منهم ميثقا غليظا أخبرنا الحسين بن محمد عن عبيدالله بن أحمد بن يعقوب المقرئ عن محمد بن محمد بن سليمان الباغندي عن هارون بن محمد بن بكار عن أبيه عن سعيد يعني ابن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال وذلك قول الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم فبدأ به صلى الله عليه قبلهم ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا

(6/290)

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار وكان عهد الله مسئولا قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سو صلى الله عليه وسلم ءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم الآية وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه أيام الخندق إذ جاءكم جنود يعني الأحزاب قريش وغطفان

(6/291)

ويهود بني قريظة والنضير فأرسلنا عليهم ريحا يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقني بنصر رسول الله صلى الله عليه فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم هي الصبا قال رسول الله صلى الله عليه نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة ولم تقاتل يومئذ وكان الله بما تعملون بصيرا قال المفسرون بعث الله تعالى عليهم بالليل ريحا باردة وبعث الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض فأرسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم إلي فإذا

اجتمعوا عنده قال النجا النجا أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال أنبأني محمد بن القاسم الفارسي قال أخبرني أبو الحسن السليطي قال أخبرني المؤمل ابن الحسين عن الفضل بن محمد الأشعراني عن عمرو بن عون عن خالد بن عبدالله عن أبي سعد سعيد بن عبد الرحمن البقال عن إبراهيم التيمي عن أبيه وأنبأني عقيل بن محمد عن المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة حدثني محمد بن يسار عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبدالله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وصحبتموه قال نعم يا بن أخي قال وكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا فقال حذيفة يا بن أخي والله لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق في ليلة باردة لم أجد قبلها ولا بعدها بردا أشد منه فصلى رسول الله صلى الله عليه هونا من الليل ثم التفت إلينا فقال من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله

(6/292)

صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه هونا من الليل ثم التفت إلينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتته وإن جنبي لتضطربان فمسح رأسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع إلي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فأخذت سهمي وشدت على أصلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنني أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا فقطعت أطنابهم وقلعت أبنيتهم وذهبت بخيولهم ولم تدع شيئا إلا أهلكته وأبو سفيان قاعد يصطلي فأخذت سهمي فوضعت في كبد قوسي فذكرت قول النبي صلى الله عليه لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت قال سبحان الله أما تعرفني أنا فلان بن فلان فإذا هو رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم وسمعت عطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم وهزم الله الأحزاب فذلك قوله فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه كأنني أمشي في حمام فأخبرته الخبر فضحك عليه السلام حتى بدت أنيابه في

سواد الليل قال وذهب عني الدفء فأدنانني النبي عليه السلام فأنامني عند رجليه وألقى علي طرف ثوبه وألزق صدري ببطن قدمه قوله تعالى إذ جاءوكم من فوقكم يعني من فوق الوادي من قبل المشرق وعليهم مالك بن عوف النصيري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريضة ومن أسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهو أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمى من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل إجلاء رسول الله صلى الله عليه بني النصير عن ديارهم قال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبيدالله بن كعب بن مالك وعن الزهري وعن عاصم بن قتادة وعن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا دخل

حديث بعضهم في بعض قالوا كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهودة بن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النصير ونفر من بني وائل وهم الذين حزموا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوههم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منهم قال فهم الذين أنزل الله فيهم ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتب يؤمنون بالجبت والطاغوت إلى قوله وكفى بهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوههم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمعوا لذلك واستعدوا له ثم خرج أولئك نفر من اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس بن غيلان فدعوههم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشا قد بايعوهم على ذلك وأجمعوا فيه فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحرث بن عون بن أبي جارية المري في بني مرة ومسعود بن جبلة بن نويرة بن طريف بن شحمة بن عبدالله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن زيد بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وبما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وهو يومئذ حر وقال يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا

علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى أحكموه وقد ذكرنا حديث سلمان في صفة حفر الخندق في سورة آل

(6/295)

عمران قالوا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من دونه من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذي نقيم إلى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذراري فرفعوا في الآطام وخرج عدو الله حبي بن أخطب النصيري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحبي بن أخطب غلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فنادى حبي يا كعب افتح

(6/296)

لي فقال ويحك يا حبي إنك امرؤ ميثوم إنني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لي أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله إن غلقت دوني إلا على حشيشتك أن أكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال يا كعب ويحك جئتك بعز الدهر وبحر طم جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دونه وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذي نقيم إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمد ومن معه فقال له كعب بن أسد جئتني والله بذل الدهر بمجهام قد اهراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء فدعني ومحمدا وما أنا عليه ولم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حبي بن أخطب بكعب يقبله في الذروة والغارب حتى يسمح له على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصتك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه والخبر وإلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني عبد الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عباد بن دليم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبدالله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فإن كان حقا فالحنوا إلي لحننا نعرفه ولا تفتوا أعضاء الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم وقالوا من رسول الله وقالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه وكان رجلا فيه حد فقال له سعد بن

معاذ دع عنك مشاتمهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد
وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله

(6/297)

عليه فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة أي كغدر عضل والقارة بأصحاب
رسول الله صلى الله عليه أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه فقال
رسول الله صلى الله عليه أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند
ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن
المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال لهم معتب بن
قيشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر
وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط ما

(6/298)

وعدنا الله ورسوله إلا غرورا حتى قال أوس بن قبطي أحد بني حارثة يا رسول
الله إن بيوتنا بعورة من العدو وذلك على ملاء من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع
إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وأقام
المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب
إلا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى عيينه بن حصين وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان
فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه تجرى بينهم وبينه الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع
الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن
عبادة واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا بد لنا من
العمل به أم أمر تحبه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا قال لا بل لكم والله ما أصنع
ذلك إلا إني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكاليوكم من كل جانب
فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا
نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم ولا
يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قري أو يبعوا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا
بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم
الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأنت وذاك
فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا فأقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون على حالهم والمشركون
يحاصروهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد
ود بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي
وهب المخزوميان ونوفل بن عبدالله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني
محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة
فقال بنو الحارث يا

(6/299)

بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب ح في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي أفحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان نحوهم وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليري مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي يا عمرو إنك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه إحداهما قال أجل قال فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك إلى النزال قال ولم يابن أخي فإني والله ما أحب أن أقتلك

(6/300)

قال علي ح ولكني والله أحب أن أقتلك فحمني عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه وأقبل على علي فتناولا وتجاولا وقتله علي ح وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منيه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي وكان قد اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل إليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا حاجة لنا في جسده ولا ثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته وهو يقول لبث قليلا يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل فقالت أمه الحق يا بني فقد والله أخرجت قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ فقطع منه الأكل وزعموا أنه لم ينقطع من أحد قطع إلا لم يزل يفيض دما حتى يموت رماه حيان بن قيس بن الغرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها فإنا ابن الغرقة فقال سعد غرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقيني لها فإنه لا قوم أحب إلي من أن أجاهدكم من قوم أدوا رسولك فكذبوه وأخرجوه وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية وروى محمد بن إسحاق بن يسار عن يحيى بن عبادة بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عبادة قال كانت صفية بنت عبد المطلب في قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء

(6/301)

والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذا أتانا أت قالت فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وأصحابه فأنزل إليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال ذلك لي ولم أر عنده شيئاً احتجرت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلتها فلما فرغت منه رجعت إلي الحصن فقلت يا حسان انزل إليه فأسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل قال ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب قالوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وأصحابه في ما وصف الله عز وجل من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنذ بن هلال بن حلاوة بن أشجع بن زيد بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم إن قريشاً وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لا تقدرن على أن تحولوا عنه إلى غيره وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونسأؤهم بغيره وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل

(6/302)

والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا القوم حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تنجزوه فقالوا لقد أشرت برأي ونصح ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش يا معشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً وقد بلغني أمر رأيت أن حقا علي أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعنا قال تعلمون أن معشر اليهود قد ندموا علي ما صنعوا في ما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا علي ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فأرسل إليهم أن نعم فإن بعث إليكم اليهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا

(6/303)

إليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس وكان مما صنع الله برسوله أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم إن اليوم السبت وهو يوم لا يعمل فيه شيئا وكان قد أحدث بعضنا فيه حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمون والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك إنشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فأرسلوا إلى قريش وإلى غطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله تعالى عليهم الريح في ليالٍ شانية شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين والحمد لله رب العالمين قال الله تعالى وإذ زاغت مالت الأبصار وشخصت وبلغت القلوب الحناجر فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفرع وتظنون بالله الظنون فأما المنافقون فظنوا أن محمدا وأصحابه سيغلبون ويستأصلون وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حق من أنه سيظهر دينه

(6/304)

على الدين كله ولو كره المشركون واختلف القراء في قوله الظنون والرسولا والسبيلا فأثبت الألفات فيها وصلا ووقفا أهل المدينة والشام وأيوب وعاصم برواية أبي بكر وأبو عمر برواية ابن عباس والكسائي برواية قتيبة قالوا إن ألفتها ثابتة في مصحف عثمان وسائر مصاحف البلدان وقرأها أبو عمرو في سائر الروايات وحمزة ويعقوب بغير ألف في الحالين على الأصل وقرأ الباكون بالألف في الوقف دون الوصل واحتجوا بأن العرب تفعل ذلك في قوافي

(6/305)

أشعارهم ومصاريعها فتلحق بالألف في موضع الفتح عند الوقوف ولا تفعل ذلك في حشو الأبيات فحسن إثبات الألف في هذه الحروف لأنها رؤوس الآي تمثيلا لها بالقوافي قوله عز وجل هنالك ابتلى المؤمنون أي اختبروا ومحصوا ليعرف المؤمن من المنافق وزلزلوا وحركوا وخوفوا زلزالا تحريكا شديدا وقرأ عاصم الحجدري زلزالا بفتح الزاي وهما مصدران وإذ يقول المنافقون يعني معتب بن

قشير وأصحابه والذين في قلوبهم مرض شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وإذ قالت طائفة منهم أي من المنافقين وهم أوس بن قيطي وأصحابه وقال مقاتل هم من بني سالم يا أهل يثرب يعني المدينة وقال أبو عبيدة يثرب اسم أرض ومدينة الرسول عليه السلام في ناحية منها لا مقام لكم قراءة العامة بفتح الميم أي لا مكان لكم تقيمون فيه وقرأ السلمي بضم الميم أي لا إقامة لكم وهي رواية حفص عن عاصم فارجعوا إلى منازلكم أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس قالت اليهود لعبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيدي أبي سفيان وأصحابه فارجعوا إلى المدينة فرجعوا ويستأذن فريق منهم النبي في الرجوع إلى منازلهم وهم بنو حارثة بن الحرث يقولون إن بيوتنا عورة أي هي خالية ضائعة وهي مما يلي العدو وأنا نخشى عليها العدو والسراق وقرأ ابن عباس وأبورجاء العطاردي عورة بكسر الواو يعني قصيرة الجدران فيها خلل وفرجة والعرب تقول دار فلان عورة إذا لم تكن حصينة وقد اعور الفارس إذا بدا فيه خلل الضرب قال الشاعر متى تلقهم لا تلقى في البيت معورا ولا الضيف مفجوعا ولا الجار مرملا قال الله تعالى وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ولو دخلت عليهم يقول لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة من أقطارها جوانبها ونواحيها واحدا قطر وفيه لغة أخرى قطر وأقطار ثم سئلوا الفتنة الشرك لآتوها قراءة أهل الحجاز بقصر الألف أي لجأوها

(6/306)

وفعلوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا وقرأ الآخرون بالمد أي لأعطوها وقالوا إذا كان سؤال كان إعطاء وما تلبثوا بها وما احتبسوا عن الفتنة إلا يسيرا ولأسرعوا الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن والفراء وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى يهلكوا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل أي من قبل غزوة الخندق لا يولون عدوهم الأدبار وقال يزيد بن دومان هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفسلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن واقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله ذلك إليهم في ناحية المدينة وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا له اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي عليه السلام اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا يارسول الله قال لكم النصر في الدنيا والآخرة قالوا قد فعلنا ذلك عهدهم وكان عهد الله مسئولا قوله عز وجل قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل الذي كتب عليكم وإذا لا تمتعون إلا قليلا إلى آجالكم والدنيا كلها قليل قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا هزيمة أو أراد بكم رحمة نصره ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون بالبأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء

الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم

(6/307)

يذهبوا وإن يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلو صلى الله عليه وسلم إلا قليلا لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان عفورا رحيفا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديرا

(6/308)

قد يعلم الله المعوقين المثبطين منكم الناس عن رسول الله صلى الله عليه والقائلين لإخوانهم هلم تعالوا إلينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك ولا يأتون البأس إلا قليلا دفعا وتغديرا قال قتادة هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه دعوا هذا الرجل فإنه هالك قال مقاتل نزلت فى المنافقين وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين فقالوا ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا وإننا نشفق عليكم أتمم إخواننا وجيراننا هلم إلينا فأقبل عبدالله بن أبي وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا ما ترجون من محمد فوالله ما يريدنا بخير وما عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا ها هنا انطلقوا بنا إلى إخواننا وأصحابنا يعني اليهود فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحتسابا وقال ابن زيد هذا يوم الاحزاب انطلق رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد أخاه وبين يديه شواء ورغيف ونبذ فقال له أنت ها هنا فى الشواء والنبذ والرغيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف فقال له أخوه هلم إلى هذا فقد تبع بك وبصاحبك والذى تحلف به لا يستقبلها محمد أبدا فقال كذبت والذى تحلف به وكان أخوه من أبيه وأمه أما والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية قوله أشحة عليكم أي بخلاء بالخير والنفقة فى سبيل الله وعند قسم الغنيمة وهي نصب على الحال والقطع من قوله ولا يأتون البأس إلا قليلا وصفهم الله بالجبن

والبخل فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم في رؤوسهم من الخوف والجبن كالذي أي كدوران عين الذي

(6/309)

يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم عصوكم ورموكم بالسنة حداد ذربة جمع حديد ويقال للخطيب الفصيح اللسان الذرب اللسان مسلق ومصلق وسلاق وصلاق وأصل السلق الضرب وقال قتادة يعني بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة يقولون أعطونا أعطونا فإننا قد شهدنا معكم القتال فليستم بأحق بالغنيمة منا فأما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ مقاسمة وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحق أشحة على الخير يعني الغنيمة أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا قوله يحسبون يعني هؤلاء المنافقين الأحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود الذين تحزبوا على عداوة رسول الله صلى الله عليه ومخالفته أي اجتمعوا والأحزاب الجماعات واحدهم حزب لم يذهبوا ولم ينصرفوا عن قتالهم وقد انصرفوا منهم جماعة وفرقا وإن يأت الأحزاب إن يرجعوا إليكم كرة ثانية يودوا من الخوف والجبن لو أنهم بادون خارجون إلى البادية في الأعراب أي معهم يسألون قراءة العامة بالتخفيف وقرأ عاصم الحجدري ويعقوب في رواية رويس وزيد مشددة ممدودة بمعنى يتساءلون أي يسأل بعضهم بعضا عن أنبائكم أخباركم وما آل إليه أمركم ولو كانوا فيكم يعني هؤلاء المنافقين ما قاتلوا إلا قليلا رياء من غير حسبة ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله محمد صلى الله عليه أسوة قدوة حسنة قرأ عاصم هاهنا وفي سورة الامتحان أسوة بضم الألف وقرأهما الآخرون بالكسر وهما لغتان مثل عدوة وعدوة ورشوة ورشوة وكسوة وكسوة وكان يحيى بن ثابت يكسرها هنا ويضم الأخرى قال أبو عبيد ولا نعرف بين ما فرق يحيى فرقا قال المفسرون يعني لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة سنة سالحة أن تنصروه وتؤازروه ولا تتخلفوا عنه ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان هواه كما فعل هو إذ كسرت ربايته وجرح فوق حاجبه وقتل عمه حمزة وأودي بضروب الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم أيضا كذلك واستنوا بسنته لمن

(6/310)

كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا في الرخاء والبلاء ثم ذكر المؤمنين وتصديقهم بوعود الله تعالى فقال ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا تسليما لأمر الله وتصديقا لوعده هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ووعد الله تعالى إياهم قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم إلى قوله ألا إن نصر الله قريب وما زادهم ذلك إلا إيمانا وتسليما قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفوا به فمنهم من قضى نحبه يعني فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد والنحب النذر والنحب أيضا الموت قال ذو الرمة عشية فر الحارثيون بعدما قضى نحبه

من ملتقى القوم هوبر أي مات قال مقاتل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أي أجهدته في الوفاء بعهدته من قول العرب نحب فلان في سيره يومه وليلته أجمع إذا مد قلم ينزل قال جرير بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرير علي نحب ومنهم من ينتظر الشهادة وما بدلوا قولهم وعهدهم ونذرهم تبديلا أخبرنا عبدالله بن حامد قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبدالله بن هاشم قال حدثنا نهر بن أسد عن سليمان بن المغيرة عن أنس قال وأخبرنا أحمد بن عبدالله المرني عن محمد بن عبدالله بن سليمان عن محمد بن العلاء عن عبدالله بن بكر السهمي عن حميد عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر وبه سميت أنس عن قتال بدر فشق عليه لما قدم وقال غبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه واله لئن أشهدني الله عز وجل قتالا ليرين الله ما أصنع قال فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم إني أبرء إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين ثم مشى بسيفه فلقبه سعد بن معاذ فقال أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع أنس فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين

(6/311)

ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وقد مثلوا به وما عرفناه حتى عرفته أخته بثناياه ونزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكنا نقول نزلت فيه هذه الآية وفي أصحابه وأخبرنا عبدالله بن حامد عن أحمد ابن محمد بن شاذان عن جيعويه بن محمد الترمذي عن صالح بن محمد عن سليمان بن حرب عن حزم عن عروة عن عائشة في قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر قالت منهم طلحة بن عبدالله ثبت مع رسول الله صلى الله عليه واله حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه واله أوجب طلحة الجنة وبإسناده عن صالح عن مسلم بن خالد عن عبدالله بن أبي نجيح أن طلحة بن عبيدالله يوم أحد كان محتصنا للنبي عليه السلام في الخيل وقد بهر النبي صلى الله عليه واله قال فجاء سهم عابر متوجها إلى النبي صلى الله عليه واله فأتاه طلحة بيده فأصاب خنصره فقال حس ثم قال بسم الله فقال النبي عليه السلام لو أن بها بدأت لتخطفتك الملائكة حتى تدخلك الجنة وروى معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت إني لفي بيتي ورسول الله صلى الله عليه واله وأصحابه في الفناء وبينهم الستر إذ أقبل طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فليتنظر إلى طلحة وأخبرني أبو عبدالله بن فنجويه قال أخبرني أبو محمد عبدالله بن محمد بن سليمان بن بابويه بن قهرويه قال أخبرني أبو عبدالله أحمد بن الحسين بن عبدالجبار الصوفي عن محمد ابن عباد الواسطي عن مكى بن إبراهيم عن الصلت بن دينار عن ابن نضر عن جابر عن أبي عبدالله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض

فليُنظر إلى طلحة بن عبيد الله ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان عفورا رحيفا ورد الله

(6/312)

الذين كفروا من قريش وغطفان بغيظهم لم ينالوا خيرا نصرا وظفرا وكفى الله المؤمنين القتال بالملائكة والريح وكان الله قويا عزيزا قوله عز وجل وأنزل الذين ظاهروهم يعني عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان وهم بنو قريظة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم وانصرف عليه السلام والمسلمون من الخندق راجعين إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتما بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقة فقال قد وضعت السلاح يا رسول الله قال

(6/313)

نعم قال جبرائيل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة فانهض إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال ولبلال فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فأذن إن من كان سامعا مطيعا لا يصلين العصر إلا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه علي بن أبي طالب برأيته إليهم وأبتدرها الناس فسار علي ابن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة على رسول الله صلى الله عليه منهم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه بالطريق وقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال لم أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا إخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا وممر رسول الله صلى الله عليه علي أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا يا رسول الله لقد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك جبرائيل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم يقال لها يراقا فتلاحق به الناس فاتاه رجال من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد صلاة العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحاصرهم رسول الله خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم

الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وقد كان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة في

(6/314)

حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وقال كعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم يا معشر اليهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلا لا ثلاث فخذوا أيها شئتم فقالوا وما هن قال تتابع هذا الرجل ونصده فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه للذي كنتم تجدونه في كتابكم فتأمّنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا

(6/315)

مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا بهما حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه وإن نظر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فلا خير في العيش بعدهم قال فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنوا فيها فانزلوا لعنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا ممن قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه بليلة واحدة من الدهر حازما قال ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه أن ابعت إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال ونهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته وقال لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يظأ بني قريظة ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو جاءني لاستغفرت له فأما إذ فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم إن الله تعالى أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة وقالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه من السحر يضحك فقلت مم ضحكت يارسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة فقالت ألا أبشره بذلك يارسول الله قال بلى إن شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب الحجاب عليهن فقالت يا أبا لبابة أبشر

(6/316)

فقد تاب الله عليك قال فسار إليه الناس ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجاً إلى الصبح أطلقه قال ثم إن ثعلبة بن شعبة وأسيد بن شعبة وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني هزل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدي القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها محمد بن مسلمة الأنصاري في تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن سعدي وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وقال لا أغدر بمحمد أبداً فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني

(6/317)

عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا فذكر لرسول الله صلى الله عليه شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم أنه أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه فأصبحت رمته ملقاة لا يدري أين ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه تلك المقالة والله أعلم فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وتواثبت الأوس فقالوا يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسألهم إياه عبدالله بن أبي سلول فوهبهم له فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك إلى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها ربيعة في مسجده وكانت تداوي الجرحى وتحبس نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار وقد وطئوا له بوسادة من آدم وكان رجلاً جسيماً ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذاك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد أتى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه إلى دار بني عبد الأشهل فنعي لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه قال قوموا إلى سيدكم فأنزلوه

(6/318)

فقاموا إليه فقالوا يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت قالوا نعم قال وعلي من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى النساء والذراري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خندقا ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فهم في تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالا وفيهم عدو الله حبي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثرون لهم يقول كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة وقيل قالوا لكعب بن أسد وهو يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب ما ترى أن يصنع بنا فقال كعب في كل موطن لا تعقلون ألا ترون أن الداعي لا ينزع وأن من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك دأبهم حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتي بحبي بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعته يده إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه فقال هبل بن حواس الثعلبي لعمر ك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل يجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يغبي العز كل مقلقل وروى عروة بن الزبير عن عائشة قالت

(6/319)

لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت والله إنها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قالت قلت وبيك ما لك قالت أقتل قلت ولم قالت حدث أحدثته قال فانطلق بها فضربت عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى كذا عجا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل قال الواقدي واسم تلك المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قد قتلت خلاد بن سويد رمت عليه رجا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وضربت عنقها بخلاد بن سويد وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي وكان يكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بغاث أخذه فجر ناصيته ثم خلى سبيله وجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني

فقال وهل يجهل مثلي مثلك قال إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي قال إن الكريم يجزي الكريم قال ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله علي منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه هو لك فأتاه فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أهله وولده فقال هم لك فأتاه فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني امرأتك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما يقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله فقال يا رسول الله ماله فقال هو لك فأتاه فقال إن رسول الله قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي ثابت ما فعل الذي كأن وجهه امرأة صينية تتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب قال قتل قال فما فعل مقدمنا إذا شددنا وحامينا إذا كررنا أعزال ابن سموأل قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال وإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فها أنا صابر لله حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ قوله أبا بكر ألقى الأحبة فقال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا فقال ثابت بن قيس في ذلك وقت ذمتي إني كريم وإني صبور إذا ما القوم حادوا عن الصبر وكان زبير أعظم الناس منة علي فلما شد كوعاه بالأسر أتيت رسول الله كي ما أفكه وكان رسول الله بحرا لنا يجري قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه قد أمر بقتل من أسر منهم فسألته سليمان بنت قيس أم المنذر أخت سليط بن قيس وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وكانت قد صلت معه القبلتين وبايعته بيعة النساء رفاعة بن سموأل القرظي وكان رجلا قد بلغ فلاذ بها

وكان يعرفها قبل ذلك فقالت يا نبي الله بأبي أنت وأمي هب لي رفاعة بن سموأل فإنه زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل فوهبه لها فاستحيتته قالوا ثم إن رسول الله صلى الله عليه قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمان للخيل وسهمان للرجال وأخرج منها الخمس وكان للفارس ثلاثة أسهم للفارس سهمان وللرجال سهم وللراجل ممن ليس له فارس سهم وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثون فرسا وكان أول فيء وقع فيه السهمان وأخرج منه الخمس فعلى سنتها وما مضى من رسول الله فيها وقعت المقاسم ومضت السنة في المغازي ثم بعث رسول الله صلى الله عليه سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن حنافة إحدى نساء

بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه يحرض أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك فتركها وقد كانت حين سبها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه ووجد في نفسه بذلك من أمرها فيينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرنني بإسلام ربحانة فجاهه فقال يا رسول الله قد أسلمت ربحانة فسره ذلك فلما انقضى شأن بني قريظة الفجر خرج سعد بن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب إلي من أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته التي ضرب عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر

(6/322)

فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله عز وجل رحماء بينهم قال علقمة أي أمه كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا اشتد وجده فإنما هو أخذ بلحيته قال محمد بن إسحاق لم يقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر وقتل من المشركين ثلاثة نفر وقتل يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة طرحت عليه رحي فشدخته فقط ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه من الخندق وقريظة قال الآن نغزوهم يعني قريشا ولا يغزوننا فكان كذلك حتى فتح الله على رسوله مكة وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس للهجرة فذلك قوله الله عز وجل وأنزل الذين ظهروهم من أهل الكتاب

(6/323)

من صياصيمهم أي حصونهم ومعاقلمهم واحدا صيصية ومنه قيل لقرن البقر صيصية ولشوكه الديك والحاقة صيصية وقال الشاعر كوقع الصياصي في النسيج الممدد وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم الرجال وتأسرون فريقا وهم النساء والذراري وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها بعد قال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل يعني خبير قتادة كنا نحدث أنها مكة قال الحسن فارس والروم عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا بأيتها النبي قل لازواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع

الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً قوله يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن متعة الطلاق وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فأطعنهما فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً قال المفسرون كان أزواج النبي صلى الله عليه وآله سألته شيئاً من عرض الدنيا وأذينه بزيادة النفقة والغيرة فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وألى أن لا يقربهن شهراً ولم يخرج إلى أصحابه صلوات فقالوا ما شأنه فقال عمر إن شئتم لأعلمن لكم ما شأنه فأتى النبي عليه السلام فجعل يتكلم ويرفع صوته حتى أذن له قال فجعلت أقول في نفسي أي شيء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله لعله ينبسط فقلت يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتنى النفقة فصككتها صكة فقال ذلك أجلسني عنكم فأتى عمر حفصة فقال لا تسألني رسول الله شيئاً ما كانت لك من حاجة فإلى قال ثم تتبع نساء النبي صلى الله عليه وآله

(6/324)

عليه وسلم فجعل يكلمهن فقال لعائشة أيعزك أنك امرأة حسناء وأن زوجك يحبك لتنتهن أو لينزلن فيكن القرآن قال فقالت له أم سلمة يابن الخطاب أو ما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله وبين نسائه من يسأل المرأة إلا زوجها فأنزل الله عز وجل هذه الآيات وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي الخبيرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وتابعتها على ذلك قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن وقال لا يحل لك النساء من بعد الآية أخبرنا عبدالله بن حامد عن محمد بن الحسين عن أحمد بن يوسف عن عبدالرزاق عن معمر أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك قد دخلت علي من تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر تسع وعشرون ثم قال يا عائشة إني ذاك لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك قالت ثم قرأ علي هذه الآية يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا حتى بلغ أجراً عظيماً قالت عائشة قد علم والله إن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه قالت في هذا أستامر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قال معمر فحدثني أيوب أن عائشة قالت لا تخبر أزواجك أنني اخترتك فقال النبي صلى الله عليه وآله إنما بعثني الله مبلغاً ولم يعثني متعنتاً وأخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون عن أحمد بن محمد بن الحسن عن محمد بن يحيى عن عثمان بن عمر عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة

(6/325)

أن عائشة قالت لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي فقال إني مخبرك خيرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبوبك ثم قال إن الله عز وجل قال يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا حتى بلغ أجرا عظيما فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت قوله يا نساء النبي من يأت منكن قرأ الجحدري بالتاء غيره بالياء بفاحشة مبينة بمعصية ظاهرة يضاعف لها العذاب في الآخرة ضعفين وقرأ ابن عامر وابن كثير نضعف بالنون وكسر العين مشددا من غير ألف العذاب نصبا

(6/326)

وقرأ أبو عمرو ويعقوب يضعف بالياء وفتح العين مشددا العذاب رفعا قال أبو عمرو إنما قرأت هذه وحدها بالتشديد لقوله ضعفين وقرأ الباقيون نضاعف بالألف ورفع الباء من العذاب وهما لغتان مثل باعد وبعد وقال أبو عمرو وأبو عبيدة ضعفت الشيء إذا جعلته مثله ومضاعفته جعلته أمثاله وكان ذلك على الله يسيرا قوله ومن يقنت يطع قال قتادة كل قنوت في القرآن فهو طاعة وقراءة العامة تقنت بالتاء وقرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائي وخلف تعمل نؤتها بالياء غيرهم بالتاء قال الفراء إنما قال يأت ويقنت لان من أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى ومنهم من ينظر إليك وقال ومنهم من يستمعون إليك وقال ومن يقنت منكن لله وقال الفرزدق في الاثنين تعال فإن عاهدتني لا تخونني تكن مثل من يا ذئب يصطحبان منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين أي مثلي غيرهن من النساء وأعتدنا لها رزقا كريما يعني الجنة أخبرني أبو عبدالله بن فنجويه عن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن مالك عن محمد بن عمران بن هارون عن أحمد بن منيع عن يزيد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال كان عمر يقرأ في صلاة الغداة بسورة يوسف والأحزاب فإذا بلغ يا نساء النبي رفع بها صوته فقل له فقال أذكرهن العهد واختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود إذا خير الرجل امرأته فاخترت زوجها فلا شيء عليه وإن اختارت نفسها طلقته وإلى هذا ذهب مالك وقال الشافعي إن نوى الطلاق في التخيير كان طلاقا وإلا فلا واحتج من لم يجعل التخيير بنفسه طلاقا بقوله وأسرحكن سراحا جميلا ويقول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم نعهده طلاقا

(6/327)

قوله يا نساء النبي لستين كأحد من النساء إن اتقيتن الله فأطعته قال الفراء لم يقل كواحدة لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وقال فما منكم من أحد عنه حاجزين فلا تخضعن تلقن بالقول للرجال فيطمع الذي في قلبه مرض أي فجور وضعف

إيمان وقلن قولا معروفا صحيحا جميلا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى وأقمن الصلواة وءاتين الزكواة وأطعن الله ورسوله إنما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقرن في بيوتكن قرأ
أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم بفتح القاف غيرهم بالكسر فمن فتح القاف
فمعناه وأقررن أي الزمن بيوتكن من قولك قررت في المكان أقر قرارا
وقررت أقر لغتان فحذفت الراء الأولى التي هي عين الفعل ونقلت حركتها إلى
القاف فانفتحت كقولهم في ظللت وظلت قال الله تعالى فظلمتم تفكّهون
ظلمت عليه عاكفا والأصل ظللت فحذفت إحدى اللامين ودليل هذا التأويل
قراءة ابن أبي عيلة وأقررن بفتح الراء على الأصل في لغة من يقول قررت
أقر قرارا وقال أبو عبيدة وكان أشياخنا من أهل العربية ينكرون هذه القراءة
وهي جائزة عندنا مثل قوله فظلمتم ومن كسر القاف فهو أمر من الوقار كقولك
من الوعد عدن ومن الوصل صلن أي كن أهل وقار أي هدوء وسكون وتؤدة من
قولهم وقر فلان يقر وقورا إذا سكن واطمأن أخبرني أبو عبدالله بن فنجويه
الدينوري قال أخبرني أبو بكر بن مالك عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال
حدثني أبي عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي
الضحى قال حدثني من سمع عائشة تقرأ وقرن في بيوتكن فتبكي حتى تبل
خمارها أخبرنا عبدالله بن حامد عن محمد بن خالد عن داود بن سليمان عن
عبدالله بن حميد عن يزيد بن هارون عن هشام عن محمد قال نبئت أنه قيل
لسودة زوج النبي عليه السلام مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعلن أخواتك
فقال قد حججت واعتمرت وأمرني الله تعالى أن أقر في بيتي

(6/328)

فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت
قال فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها قوله ولا تبرجن
قال مجاهد وقتادة التبرج التبختر التكبر والتعنج وقيل هو إظهار الزينة وإبراز
المحاسن للرجال تبرج الجاهلية الأولى واختلفوا فيها قال الشعبي هي ما بين
عيسى ومحمد عليهما السلام أبو العالية هي زمن داود وسليمان وكانت المرأة
تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها فيه الكلي الجاهلية
التي هي الزمان الذي فيه ولد إبراهيم عليه السلام وكانت المرأة من أهل ذلك
الزمان تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها
شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وكان ذلك في زمان نمرود الجبار
والناس حينئذ كلهم كفار الحكم هي ما بين آدم ونوح ثمانمائة سنة وكان
نساؤهم أقيح ما يكون من النساء ورجالهم حسان فكانت المرأة تريد الرجل
على نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية فقال إن الجاهلية
الأولى فيما بين نوح وإدريس عليهما السلام وكانت ألف سنة وإن بطنين من
ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل
صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وإن
إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه فكان يخدمه
واتخذ إبليس شيئا مثل الذي يزمر فيه الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس
مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوه يستمعون إليه واتخذوا عيدا يجتمعون إليه
في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وإن رجلا من أهل الجبل

هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله عز وجل ولا تبرجن تبرج الجاهلية وقال قتادة هي ما قبل الإسلام وأقم الصلاة وأتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الإثم الذي نهى الله النساء عنه قاله مقاتل وقال قتادة يعني السوء وقال ابن زيد يعني

(6/329)

الشیطان أهل البيت يعني يا أهل بيت محمد ويطهركم تطهيرا من نجاسات الجاهلية وقال مجاهد الرجس الشك ويطهركم تطهيرا من الشرك واختلفوا في المعنى بقوله سبحانه أهل البيت فقال قوم عنى به أزواج النبي عليه السلام خاصة وإنما ذكر الخطاب لأن رسول الله صلى الله عليه كان فيهم وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر أخبرنا عبدالله بن حامد عن محمد بن جعفر عن الحسن بن علي بن عفان قال أخبرني أبو يحيى عن صالح بن موسى عن خصيف عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال أنزلت

(6/330)

هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية في نساء النبي صلى الله عليه قال وتلا عبدالله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وأخبرنا عبدالله بن حامد عن أحمد بن محمد بن يحيى العبيدي عن أحمد بن نجدة عن الحماني عن ابن المبارك عن الأصمغ بن علقمة وأنباني عقيل بن محمد قال أخبرني المعافى ابن زكريا عن محمد بن جرير قال أخبرني ابن حميد عن يحيى بن واضح عن الأصمغ بن علقمة عن عكرمة في قول الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قال ليس الذي تذهبون إليه إنما هو في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة قال وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق وإلى هذا ذهب مقاتل قال يعني نساء النبي صلى الله عليه كلهن ليس معهن رجل أقوال المفسرين والعلماء باختصاصها بأصحاب الكساء قال أبو بكر النقاش في تفسيره أجمع أكثر أهل التفسير أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم جواهر العقدين الباب الأول وتفسير آية المودة وقال سيدي محمد بن أحمد بنيس في شرح همزية البوصيري إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أكثر المفسرين أنها نزلت في علي وفاطمة والحسين رضي الله عنهم لوامع أنوار الكوكب الدرّي وقال العلامة سيدي محمد جسوس في شرح الشمائل ثم جاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معهم ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وفي ذلك إشارة إلى أنهم المراد بأهل البيت في الآية شرح الشمائل المحمدية ذيل باب ما جاء في لباس رسول الله وقال السمهودي وقالت فرقة منهم الكلبي هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة للأحاديث المتقدمة جواهر العقدين الباب الأول وقال الطحاوي في

مشكل الآثار بعد ذكر أحاديث الكساء فدل ما روينا في هذه الآثار مما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أم سلمة مما ذكرنا فيها لم يرد

(6/331)

أنها كانت مما يريد به مما في الآية المتلوة في هذا الباب وأن المراد بما فيها هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين دون ما سواهم مشكل الآثار ح باب ما روي عن النبي في الآية وقال بعد ذكر أحاديث تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم الآية على باب فاطمة في هذا أيضا دليل على أن هذه فيهم مشكل الآثار ح باب ما روي عن النبي في الآية وقال الفخر الرازي وأنا أقول آل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ولا شك أن فاطمة وعليا والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل أيضا اختلف الناس في الآل فقبل هم الأقارب وقيل هم امته فإن حملناه على القرابة فهم الآل وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضا آل فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه وروي صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية المودة قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم فقال صلى الله عليه وسلم علي وفاطمة وابناهما فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم وبدل عليه وجوه الخ تفسير الفخر الرازي مورد آية المودة من سورة الشورى وقال في موضع آخر واختلفت الأقوال في أهل البيت والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم تفسير الفخر الرازي وقال أبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي والذي قال به الجماهير من العلماء وقطع به أكابر الأئمة وقامت به البراهين وتطافرت به الأدلة أن أهل البيت المرادين في الآية هم سيدنا علي وفاطمة وابناهما وما كان تخصيصهم بذلك منه

(6/332)

صلى الله عليه وآله وسلم إلا عن أمر إلهي ووحى سماوي والأحاديث في هذا الباب كثيرة وبما أوردته منها يعلم قطعا أن المراد بأهل البيت في الآية هم علي وفاطمة وابناهما رضوان الله عليهم ولا التفات إلى ما ذكره صاحب روح البيان من أن تخصيص الخمسة المذكورين عليهم السلام بكونهم أهل البيت من أقوال الشيعة لأن ذلك محض تهور يقتضي بالعجب وبما سبق من الأحاديث وما في كتب أهل السنة السنوية يسفر الصبح لذي عينين إلى أن يقول وقد أجمعت الأمة على ذلك فلا حاجة

إطالة الاستدلال له رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي ط مصر و
وط بيروت الباب الأول ذكر تفضيلهم بما أنزل الله في حقهم من الآيات وقال
ابن حجر إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
الأحزاب أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين
الصواعق المحرقة ط مصر وط بيروت الباب الحادي عشر في الآيات الواردة
فيهم الآية الأولى وقال في موضع آخر بعد تصحيح الصلاة على الآل فالمراد
بأهل البيت فيها وفي كل ما جاء في فضلهم أو فضل الآل أو ذوي القربى جميع
آله صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب وبه يعلم أنه صلى
الله عليه وسلم قال ذلك كله مراده الروايات التي حذف الآل كما في
الصحيحين والروايات التي اثبتت الآل فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر ثم
عطف الأزواج والذرية على الآل في كثير من الروايات يقتضي أنهما ليسا من
الآل وهو واضح في الأزواج بناء على الأصح في الآل أنهم مؤمنو بني هاشم
والمطلب وأما الذرية فمن الآل على سائر الأقوال فذكرهم بعد الآل للإشارة
إلى عظيم شرفهم الصواعق المحرقة ط مصر و ط بيروت باب الآيات النازلة
فيهم الآية الثانية وقال النووي في شرح صحيح مسلم وأما قوله في الرواية
الآخرى نساؤه من أهل البيت ولكن أهل بيته من حرم الصدقة قال وفي الرواية
الآخرى فقلنا من أهل بيته نساؤه قال لا فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض
والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال نساؤه لسنن من أهل
بيته فتناول الرواية الأولى على أن المراد أنهم من أهل بيته الذين يسكنونه
ويعولهم ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة صحيح مسلم بشرح النووي ح كتاب
الفضائل فضائل علي وقال السمهودي وحكى النووي في شرح المهذب وجهها
آخر لأصحابنا أنهم عترته الذين ينسبون إليه صلى الله عليه وسلم قال وهم
أولاد فاطمة ونسلهم أبدا حكاه الأزهرى وآخرون عنه انتهى وحكاه بعضهم
بزيادة أدخل الأزواج جواهر العقدين الباب

الأول وبهامشه شرح المهذب وقال الإمام مجد الدين الفيروز آبادي المسألة
العاشرة هل يدخل في مثل هذا الخطاب الصلاة على النبي النساء ذهب
جمهور الأصوليين أنهم لا يدخلن ونص عليه
الشافعي وانتقد عليه وخطى المنتقد الصلات والبشر في الصلاة على خير
البشر الباب الأول وقال الملا علي القاري الأصح أن فضل أبنائهم على ترتيب
فضل آبائهم إلا أولاد فاطمة رضي الله تعالى عنها فإنهم يفضلون على أولاد
أبي بكر وعمر وعثمان لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم
العترة الطاهرة والذرية الطيبة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا شرح كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة مسألة في تفضيل أولاد الصحابة
وقال السمهودي بعد ذكر الأحاديث في إقامة النبي آله مقام نفسه وذكر آية
المباهلة وأنها فيهم وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد من الآيتين المباهلة

والتطهير جواهر العقدين الباب الأول وقال الحمزاوي واستدل القائل على عدم العموم بما روي من طرق صحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين وذكر أحاديث الكساء إلى أن قال ويحتمل أن التخصيص بالكساء لهؤلاء الأربعة لأمر إلهي يدل له حديث أم سلمة قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم فحذبه من يدي مشارق الأنوار للحمزاوي الفصل الخامس من الباب الثالث فضل أهل البيت وقال القسطلاني ان الراجح أنهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعي واختاره الجمهور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بآل محمد أزواجه وذريته ثم ذكر بعد ذلك كلام ابن عطية فقال الجمهور على أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين وحجتهم عنكم ويطهركم بالميم المواهب اللدنية الفصل الثاني من المقصد السابع وقال أبو منصور ابن عساكر الشافعي بعد ذكر قول أم سلمة وأهل البيت رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين هذا حديث صحيح والآية نزلت خاصة في هؤلاء المذكورين كتاب الأربعين

(6/335)

في مناقب أمهات المؤمنين ح ذكر ما ورد في فضلهن جميعا وقال ابن بلبان المتوفى ه في ترتيب صحيح ابن حبان ذكر الخبر المصرح بأن هؤلاء الأربعة الذين تقدم ذكرنا لهم هم أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم ذكر حديث نزول الآية فيهم عن واثلة الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ح كتاب المناقب ويأتي الحديث بتمامه وقال ابن الصباغ من فصوله أهل البيت على ما ذكر المفسرون في تفسير آية المباهلة وعلى ما روي عن أم سلمة هم النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين مقدمة المؤلف وقال الحاكم النيشابوري بعد حديث الكساء والصلاة على الآل وأنه فيهم إنما خرجته ليعلم المستفيد أن أهل البيت والآل جميعا هم المستدرك كتاب المعرفة ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام وقال الحافظ الكنجي الصحيح أن أهل البيت علي وفاطمة والحسان كفاية الطالب الباب الأول وقال القندوزي في ينابيع أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير عنكم ويطهركم ينابيع المودة ط اسلامبول ه و ط النجف باب الفصل الرابع وقال محب الدين الطبري باب في بيان أن فاطمة والحسن والحسين هم أهل البيت المشار إليهم في قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وتجليه صلى الله عليه وسلم إياهم بكساء ودعائه لهم ذخائر العقبى وقال السخاوي في القول البديع في بيان صيغة الصلاة في التشهد فالمرجع أنهم من حرمت عليهم الصدقة وذكر أنه اختيار الجمهور ونص الشافعي وأن مذهب أحمد أنهم أهل البيت وقيل المراد أزواجه وذريته عن هامش الصواعق المحرقة لعبد الوهاب عبد اللطيف ط مصر ه وقال القاسمي ولكن هل أزواجه من أهل بيته على قولين هما روايتان عن أحمد أحدهما أنهن لسن من أهل البيت ويروى هذا عن زيد بن أرقم تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل مورد الآية ط مصر عيسى الحلبي وقال الأكويسي وأنت تعلم أن ظاهر ما صح من قوله صلى الله عليه وسلم إني تارك

(6/336)

فيكم خليفتين وفي رواية ثقلين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض
وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يقتضي أن النساء
المطهرات غير داخلات في أهل البيت الذين هم أحد الثقلين تفسير روح
المعاني مورد الآية وقال الشاعر الحسن بن علي بن جابر الهبل في ديوانه آل
النبي هم أتباع ملته من مؤمني رهطه الأذنون في النسب هذا مقال ابن إدريس
الذي روت ال أعلام عنه فمل عن منهج الكذب وعندنا أنهم أبناء فاطمة وهو
الصحيح بلا شك ولا ريب جنابة الأكوغ وقال

(6/337)

الحافظ البدخشاني وآل العباء عبارة عن هؤلاء لأنه صح عن عائشة وأم سلمة
وغيرهما بروايات كثيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم جلى هؤلاء الأربعة
بكساء كان عليه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا وقال توفيق أبو علم فالرأي عندي أن أهل البيت هم أهل
الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين ومن خرج من سلالة الزهراء وأبي
الحسين رضي الله عنهم أجمعين أهل البيت ذيل الباب الأول و المقدمة وقال
في موضع الرد على عبد العزيز البخاري أما قوله إن آية التطهير المقصود منها
الأزواج فقد أوضحنا بما لا مزيد عليه أن المقصود من أهل البيت هم العترة
الطاهرة لا الأزواج أهل البيت الباب الأول وقال وأما ما يتمسك به الفريق
الاعم والاكبر من المفسرين فيتجلى فيما روي عن أبي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي
وحسن وحسين وفاطمة أهل البيت الباب الأول وقال الشوكاني في إرشاد
الفحول في الرد على من قال أنها مختصة بالنساء ويجاب عن هذا بأنه قد ورد
بالدليل الصحيح أنها نزلت في علي وفاطمة والحسين إرشاد الفحول إلى
تحقيق الحق في علم الاصول البحث الثامن من المقصد الثالث وأهل البيت
لتوفيق أبو علم الباب الأول وقال أحمد بن محمد الشامي وقد أجمعت امهات
كتب السنة وجميع كتب الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية التطهير
النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسين والحسين لأنهم الذين
فسر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة بأهل البيت في الآية وكل قول
يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعيد أو قريب مضروب به
عرض الحائط وتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم أولى من تفسير غيره إذ
لا أحد أعرف منه بمراد ربه جنابة الأكوغ الفصل السادس وقال الشيخ
الشبلنجي هذا ويشهد للقول بأنهم علي وفاطمة والحسن والحسين ما وقع منه
صلى الله عليه وسلم حين أراد المباهلة هو ووفد نجران كما ذكره

(6/338)

المفسرون نور الأبصار ط الهند و ط قم الباب الثاني مناقب الحسن والحسين
وقال الشيخ السندي في كتابه دراسات اللبيب في الاسوة الحسنة بالحبیب
وهذا التحقيق في تفسير أهل البيت يعین المراد منهم في آية التطهير مع
نصوص كثيرة من الأحاديث الصحاح المنادية على أن المراد منهم الخمسة
الطاهرة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ولنا وريقات في تحقيق ذلك مجلد
في دفترنا يجب على طالب الحق الرجوع إليه عنه
عبارات الأنوار ط قم و ط إصبهان قسم حديث الثقلين وقال الرفاعي وقيل
علي وفاطمة وابناهما وهو المعتمد الذي عليه جمهور العلماء المشرع الروي
وقال الدكتور عباس العقاد واختلف المفسرون فيمن هم أهل البيت أما الفخر
الرازي في تفسيره والزمخشري في كشافه والقرطبي في تفسيره وفتح
القدير للشوكاني والطبري في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور وابن حجر
العسقلاني في الاصابة والحاكم في المستدرک والذهبي في تلخيصه والإمام
أحمد في الجزء الثالث صفحة فقد قالوا جميعا إن أهل البيت هم علي والسيدة
فاطمة الزهراء والحسن والحسين رضي الله عنهم وأخذ يذكر الأدلة فاطمة
الزهراء للعقاد ط مصر دار المعارف الطبعة الثالثة وقال آخرون عنى به رسول
الله صلى الله عليه وآله وفاطمة والحسن والحسين ج وأخبرني عقيل بن
محمد الجرجاني عن المعافى بن زكريا البغدادي عن محمد بن جرير حدثني بن
المثنى عن بكر بن يحيى بن ريان الغبري عن مسدل عن الأعمش عن عطية
عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه
الآية في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأخبرنا أبو عبدالله بن فنجويه قال
أخبرني أبو بكر بن مالك القطيعي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن
أبي عبدالله بن نمير عن عبدالملك يعني ابن أبي سليمان عن عطاء بن أبي
رباح حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في
بيتها فأتته فاطمة ببرمة

(6/339)

فيها حريرة فدخلت بها عليه فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي
وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو على منامة
له علي وكان تحته كساء خيبري قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله تعالى
هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم
قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
قالت فادخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير
إنك إلى خير وأخبرني الحسين بن محمد بن عبدالله الثقفي عن عمر بن
الخطاب عن عبدالله بن الفضل عن الحسن بن علي عن يزيد بن هارون عن
العوام بن حوشب حدثني ابن عم لي

(6/340)

من بني الحرث بن تيم الله يقال له مجمع قال دخلت مع أُمِّي علي عائشة فسألته أُمِّي فقالت رأيت خروجك يوم الجمل قالت إنه كان قدرا من الله سبحانه فسألته عن علي فقالت تسأليني عن أحب الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه ووزوج أحب الناس كان إلى رسول الله لقد رأيت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا جمع رسول الله صلى الله عليه بثوب عليهم ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وجامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فقلت يا رسول الله أنا من أهلك قال تنحي فإنك إلى خير وأخبرني الحسين بن محمد عن أبي حبيش المقرئ قال أخبرني أبو القاسم المقرئ قال أخبرني أبو زرعة حدثني عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه أخبرني ابن أبي فديك حدثني ابن أبي مليكة عن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر الطيار عن أبيه قال لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة هابطة من السماء قال من يدعو مرتين فقالت زينب أنا يا رسول الله فقال أدعي لي عليا وفاطمة والحسن والحسين قال فجعل حسنا عن يمينه وحسينا عن يسراه وعليا وفاطمة وجاهه ثم غشاهم كساء خيبريا ثم قال اللهم لكل نبي أهل وهؤلاء أهلي فأنزل الله عز وجل إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية فقالت زينب يا رسول الله ألا أدخل معكم فقال رسول الله صلى الله عليه مكانك فإنك إلى خير إن شاء الله وأخبرني الحسين بن محمد عن عمر بن الخطاب عن عبدالله بن الفضل قال أخبرني أبو بكر بن أبي شيبه عن محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن عبدالله بن أبي عمار قال دخلت علي وائلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا عليا فشتموه فشتمته فلما قاموا قال لي أشتمت هذا الرجل قلت قد رأيت القوم قد شتموه فشتمته معهم فقال ألا أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه قلت بلى قال أتيت فاطمة أسألها عن علي فقالت توجه إلى رسول الله صلى الله عليه فجلست فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي والحسن والحسين كل واحد منهما أخذ بيده حتى دخل فادنى عليا

(6/341)

وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما علي فخذته ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق وقيل هم بنو هاشم أخبرني ابن فنجويه عن ابن حبيش المقرئ عن محمد بن عمران قال حدثنا أبو كريب قال أخبرني وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله في أهل بيتي مرتين قلنا لزيد بن أرقم ومن أهل بيته قال الذين يجرمون الصدقة آل علي وآل عباس وآل عقيل وآل جعفر وأخبرني أبو عبدالله قال أخبرني أبو سعيد أحمد بن علي بن عمر بن حبيش الرازي عن أحمد بن عبد الرحمن الشبلي أبو عبد الرحمن قال أخبرني أبو كريب عن معاوية بن هشام عن يونس بن أبي إسحاق عن نفع أبي داود عن أبي الحمراء قال أقمت بالمدينة تسعة أشهر كيوم واحد وكان رسول الله صلى الله عليه يجيء كل غداة فيقوم على باب علي وفاطمة فيقول الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأخبرني أبو عبدالله حدثني عبدالله بن

يوسف بن أحمد بن مالك عن محمد بن إبراهيم ابن زياد الرازي عن الحرث بن عبدالله الخازن عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عباية ابن الربيع عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الله الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله عز وجل وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا من خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله إنما

(6/342)

يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله

(6/343)

ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللا مبينا وإذ تقول للذى صلى الله عليه وسلم أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى صلى الله عليه وسلم أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله يعنى القرآن والحكمة السنة عن قتادة وقال مقاتل أحكام القرآن ومواعظه إن الله كان لطيفا خبيرا وقوله إن المسلمين والمسلمات الآية وذلك أن أزواج النبي صلى الله عليه قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فىنا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال مقاتل قالت أم سلمة بنت أبي أمية وأبيسة بنت كعب الأنصارية للنبي صلى الله عليه ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء فى شيء من كتابه نخشى أن لا يكون فىهن خير ولا لله فىهن حاجة فنزلت هذه الآية روى عثمان بن حكيم عن عبد الرحمن بن شيبه قال سمعت أم سلمة زوج النبي عليه السلام تقول قلت للنبي عليه السلام يا رسول الله ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يذكر الرجال قلت فلم يرعني ذات يوم ظهرا إلا بدواة على المنبر وأنا أسرح رأسي فلفقت شعري ثم خرجت إلى

حجرة من حجر بيتي فجعلت سمعي عند الجريدة فإذا هو يقول على المنبر يا أيها الناس إن الله عز وجل يقول في كتابه إن المسلمين والمسلمات إلى قوله وأجرا عظيما وقال مقاتل بن حيان بلغني أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء رسول الله صلى الله عليه فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله صلى الله عليه فقالت يا رسول الله

(6/344)

إن النساء لفي خيبة وخسار قال رسول الله صلى الله عليه ومم ذلك قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله عز وجل إن المسلمين والمسلمات إلى آخر الآية أخبرني ابن فنجويه عن ابن شبة عن الفراتي عن إبراهيم بن سعيد عن عبيد الله عن شيبان عن الأعمش عن علي بن الأرقم عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وأخبرنا عبدالله بن حامد الوزان عن أحمد بن محمد بن شاذان عن جيعويه بن محمد عن صالح بن محمد عن سليمان بن عمرو عن حنظلة التميمي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال جاء إسرافيل إلى النبي صلى الله عليه فقال قل يا محمد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم من قالها كتبت له ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان أفضل ممن ذكره الليل والنهار وكان له غرس في الجنة وتحاتت عنه ذنوبه كما تتحات ورق الشجر اليابسة ونظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله تعالى قائما وقاعدا ومضطجعا قال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله فهو داخل في قوله إن المسلمين والمسلمات ومن أقر بأن الله ربه وأن محمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه ويساره فهو داخل في قوله والخالصين والخالصات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض الثالث

(6/345)

عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما قوله عز

وجل وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية نزلت في زينب بنت جحش بن رئاب ابن النعمان بن حبرة بن مرة بن غنم بن دودان الأسدية وأخيها عبدالله بن جحش وكانت زينب بنت أمية بنت عبد المطلب عممة النبي صلى الله عليه وسلم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية من عكاظ وكان من سبي الجاهلية فأعتقه وتبناه فكان زيد عربيا في الجاهلية موليا في الإسلام فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد أبت وأنكرت وقالت أنا أتم نساء قريش وابنة عمك فلم أكن لأفعل يا رسول الله ولا أرضاه لنفسي وكذلك قال أخوها عبدالله وكانت زينب بيضاء جميلة وكانت فيها حدة فأنزل الله عز وجل وما كان لمؤمن ولا مؤمنة يعني عبدالله بن جحش وزينب أخته

(6/346)

إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون قرأ أهل الكوفة وأيوب بالياء واختاره أبو عبيد قال للحائل بين التأنيث والفعل وكذلك روى هشام عن أهل الشام وقرأ الباقون بالتاء لهم الخيرة أي الاختيار وقراءة العامة الخيرة بكسر الخاء وفتح الياء وقرأ ابن السميعة بسكون الياء وهما لغتان من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللا مبينا فلما نزلت هذه الآية قالت قد رضيت يا رسول الله وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وأزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقال ابن زيد نزلت هذه الآية في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أول من هاجر من النساء فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالوا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده فأنزل الله عز وجل وإذ تقول للذي أنعم الله عليه الآية وذلك أن زينب مكثت عند زيد حينما تم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصرها قائمة في درع وخمار فأعجبته وكأنها وقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له ففطن زيد كرهت إليه في الوقت فألقي في نفس زيد كراهتها فأراد فراقها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أريد أن أفارق صاحبتني قال ما لك أرابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله ثم إن زيدا طلقها بعد ذلك فلما انقضت عدتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك أنت زينب فاخطبها علي قال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله

(6/347)

صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري فإن رسول الله يخطبك ففرحت بذلك وقالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها وأنزل القرآن زوجها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نساءه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فذلك قوله عز وجل وإذ تقول للذي أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالإعتاق وهو زيد بن حارثة أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وكانت ابنة عمه النبي صلى الله عليه

(6/348)

واتق الله فيها وتخفي في نفسك ما الله مبديه أن لو فارقتها تزوجتها قال ابن عباس حينها وقال قتادة ود أنه لو طلقها وتخشى الناس قال ابن عباس والحسن تستحيهم وقيل وتخاف لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها والله أحق أن تخشاه قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله هي أشد عليه من هذه الآية وأخبرني الحسين بن محمد الثقفي عن الفضل بن الفضل الكندي قال أخبرني أبو العباس الفضل بن عقيل النيسابوري عن محمد بن سليمان قال أخبرني أبو معاوية عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت لو كنت النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحى إليه لكتمت هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه وقد روي عن زين العابدين في هذه الآية ما أخبرني أبو عبدالله بن فنجويه عن طلحة بن محمد وعبدالله بن أحمد بن يعقوب قال قال أبو بكر بن مجاهد عن بن أبي مهران حدثني محمد بن يحيى أبي عمر العرنبي عن سفيان بن عيينة قال سمعناه من علي بن زيد بن جدعان يديه وبعبده قال سألتني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله عز وجل وتخفي في نفسك ما الله مبديه والله أحق أن تخشاه فقلت يقول لما جاء زيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك قال أمسك عليك زوجك واتق الله قال علي بن الحسين ليس كذلك كان الله عز وجل قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه فإن زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال إني أريد أن أطلق زينب فقال أمسك عليك زوجك واتق الله يقول فلم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك وهذا التأويل مطابق للتلاوة وذلك أن الله عز وجل حكم وأعلم ابداء ما أخفى والله لا يخلف الميعاد ثم لم نجده عز وجل أظهر من شأنه غير التزويج بقوله زوجها فلو كان أضمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه محبتها أو أراد طلاقها لكان لا يجوز على الله تعالى كتمانها مع وعده أن يظهره فدل ذلك على أنه

(6/349)

عليه السلام إنما عوتب على قوله أمسك عليك زوجك مع علمه بأنها ستكون زوجته وكتمانها ما أخبره الله سبحانه به حيث استحيى أن يقول لزيد إن التي تحتك ستكون امرأتي والله أعلم وهذا قول حسن مرضي قوي وإن كان القول الآخر لا يقدر في حال النبي صلى الله عليه وآله عليه لان العبد غير ملوم على ما يقع في

قلبه من مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه لمأثم قوله فلما قضى زيد منها وطرا أي حاجته من نكاحها زوجها فكانت زينب تفخر على نساء النبي عليه السلام فتقول أنا أكرمكم ولما أكرمكم سفيرا زوجكم أقاربكم وزوجني الله عز وجل

(6/350)

وأخبرنا أبو بكر الجوزقي قال أخبرنا أبو العباس الدغولي قال أخبرني أبو أحمد محمد ابن عبد الوهاب ومحمد بن عبيدالله بن قهراذ جميعا عن جعفر بن محمد بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبدالله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة وقالت زينب أنا التي نزل تزوجني من السماء فقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة فقالت زينب وما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت كلمة المؤمنين وأبأني عقيل بن محمد أن المعافى بن زكريا أخبره عن محمد بن جرير عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن الشعبي قال كانت زينب تقول للنبي عليه السلام إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك الله في السماء وإن السفير لجبرائيل قوله لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعائهم الذين تبوه إذا قضوا منهن وطرا بالنكاح وطلقوهن أو ماتوا عنهن قال الحسن كانت العرب تظن أن حرمة المتبني مشبكة كاشتباك الرحم فميز الله تعالى بين المتبني وبين الرحم فأراهم أن حلائل الأديعاء غير محرمة عليهم لذلك قال وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم فقيد وكان أمر الله مفعولا كائنا لا محالة وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله أحل الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل أي كسنة الله نصب بنزع حرف الخافض وقيل فعل سنة الله وقيل على الإغراء أي ابتغوا سنة الله في الأنبياء الماضين أي لا يؤاخذهم بما أحل لهم وقال الكلبي ومقاتل أراد داود عليه السلام حين جمع الله بينه وبين المرأة التي هواها فكذلك جمع بين محمد وزينب حين هواها وقيل الإشارة بالسنة إلى النكاح وإنه من سنة الأنبياء وقيل إلى كثرة الأزواج مثل قصة داود وسليمان عليهما السلام وكان أمر الله قدرا مقدورا ماضيا كائنا وقال ابن عباس وكان من قدره أن تلد تلك المرأة التي ابتلى بها داود ابنا مثل

(6/351)

سليمان وتهلك من بعده الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولاكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليم يا أيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا

ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا
يا أيها الذين آمنوا صلى الله عليه وسلم إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن
سراحًا جميلًا يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي صلى الله عليه وسلم
آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها
للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما
فرضنا عليهم في صلى الله عليه وسلم أزواجهم وما ملكت أيماهم لكيلا يكون
عليك حرج وكان الله غفورًا رحيمًا ترجى من تشاء منهن وتؤوى صلى الله عليه
وسلم إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر
أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله
علِيمًا حلِيمًا لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك
حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبًا يا أيها الذين آمنوا لا
تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم
فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعًا

(6/352)

فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن
تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحو صلى الله عليه وسلم أزواجه من بعده أبدا إن
ذلكم كان عند الله عظيمًا إن تبدوا شيئًا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء
علِيمًا لا جناح عليهن في صلى الله عليه وسلم آباءهن ولا أبناءهن ولا إخوانهن
ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيماهن واتقين الله
إن الله كان على كل شيء شهيدًا قوله تعالى الذين يبلغون رسالات الله محل
الذين خفض على النعت على الذين خلوا وبخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله لا
يخشون قاله الناس ولأئمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم وكفى بالله
حسيبًا حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبتهم عليها ثم نزلت في قول الناس إن
محمدًا تزوج امرأة ابنه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدوه فيحرم
عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها يعني زيدا وإنما كان أبا القاسم والطيب
والمطهر وإبراهيم ولكن رسول الله وخاتم النبيين أي آخرهم ختم الله به النبوة
فلا نبي بعده ولو كان لمحمد ابن لكان نبيًا أخبرنا عبدالله بن حامد الوزان عن
مكي بن عبدان عن عبدالرحمن عن سفيان عن

(6/353)

الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا
محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي
ليس بعدي نبي واختلف القراء في قوله خاتم النبيين فقرأ الحسن وعاصم بفتح
التاء على الاسم أي آخر النبيين كقوله خاتمه مسك أي آخره وقرأ الآخرون
بكسر التاء على الفاعل أي أنه خاتم النبيين بالنبوة وكان الله بكل شيء علِيمًا

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال فاذكروا الله قياما وقيودا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والجهر وعلى كل حال وقال مجاهد الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا أخبرني ابن فنجويه عن ابن شبيه عن الفراتي عن عمرو بن عثمان عن أبي عن أبي لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وسبحوه وصلوا له بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر عن قتادة وقال ابن عباس يعني صلاة العصر والعشاءين وقال مجاهد يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فعبر بالتسبيح عن أخواته فهذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث قوله هو الذي يصلي عليكم بالرحمة قال السدي قالت بنو إسرائيل لموسى أياصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء وقيل يصلي يشيع لكم الذكر الجميل في عباده وقال الأخفش يبارك عليكم وملائكته بالاستغفار والدعاء ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيمًا

(6/354)

قال أنس بن مالك لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال أبو بكر ما خصك الله بشرف إلا وقد أشركتنا فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية تحيتهم أي تحية المؤمنين يوم يلقونه أي يرون الله عز وجل سلام أي يسلم عليهم ويسلمهم من جميع الآفات والبلبات أخبرني ابن فنجويه عن ابن حبان عن ابن مروان عن أبي عن إبراهيم بن عيسى عن علي بن علي حدثني أبو حمزة الثمالي في قوله عز وجل تحيتهم يوم يلقونه سلام قال تسلم عليهم الملائكة يوم القيامة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم وقيل هو عند الموت والكناية مردودة إلى ملك الموت كناية عن غير مذكور أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين عن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك عن إسحاق بن محمد بن الفضل الزيات عن محمد بن سعيد بن غالب عن حماد بن خالد الخياط عن عبد الله بن وافد أبو رجا عن محمد بن مالك عن البراء بن عازب في قوله عز وجل تحيتهم يوم يلقونه سلام قال يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه وأخبرني الحسين بن محمد عن ابن حبيش المقرئ حدثني عبد الملك بن أحمد بن إدريس القطان بالرقعة عن عمر بن مدرك القاص قال أخبرني أبو الأخرص محمد بن حبان البغوي عن حماد بن خالد الخياط عن خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن أبي الأخص عن ابن مسعود قال إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وأعد لهم أجرا كريما وهو الجنة قوله يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا يستضيء به أهل الدين قال جابر بن عبد الله لما نزلت إنا فتحنا الآيات قال الصحابة هنيئا لك يا رسول الله هذه العارفة فما لنا فأنزل الله تعالى وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا

ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم اصبر عليهم ولا تكافئهم نسختها آية القتال وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا قوله يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن تجامعهن

(6/355)

فما لكم عليهن من عدة تعتدونها تحصونها عليهن بالأقراء والأشهر فمتعهن أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمي لها صداقا فإذا فرض لها صداقا فلها نصفه وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هو أمر ندب
فالمتمعة مستحبة ونصف المهر واجب وسرحوهن وخلوا سبيلهن سراجا جميلا بالمعروف وفي الآية دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع خص أو عم خلافا لأهل الكوفة أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه عن ابن شنبه عن عبدالله بن أحمد بن منصور الكسائي عن عبدالسلام بن عاصم الرازي قال أخبرني أبو زهير عن الأجلح عن حبيب بن أبي ثابت قال كنت قاعدا عند علي بن الحسين فجاءه رجل فقال إني قلت يوم أتزوج فلانة بنت فلان فهي طالق قال اذهب فتزوجها فإن الله عز وجل بدأ بالنكاح قبل الطلاق وقال يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن ولم يره شيئا والدليل عليه ما أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين عن عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي قال أخبرني أبو بكر محمد بن إبراهيم المنذر النيسابوري بمكة عن الربيع بن سليمان عن أيوب بن سويد عن ابن أبي زيب عن عطاء عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل نكاح قوله يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن مهورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك مثل صفية وجويرية ومارية وبنات عمك وبنات عماتك من نساء عبد المطلب وبنات خالك وبنات خالاتك من نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك فمن لم تهاجر منهن فليس له نكاحها وقرأ ابن مسعود واللاتي هاجرن بواو أنبأني عقيل بن محمد عن المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير قال أخبرني أبو كريب عن عبدالله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هاني قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله عز وجل إنا أحللتنا لك أزواجك إلى قوله التي

(6/356)

هاجرن معك قالت فلم أحل له لأنني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة أي وأحللتنا لك امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي بغير مهر وقرأ العامة إن بكسر الألف على الجزاء والاستقبال وقرأ الحسن بفتح الألف على المضى والوجوب إن أراد النبي أن يستنكحها فله ذلك خالصة خاصة لك من دون المؤمنين فليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير شهود ولا ولي ولا مهر إلا النبي عليه السلام وهذا من خصائصه في النكاح كالتخيير والعدد في النساء وما روي انه أعتق صفية وجعل عتقها صداقها ولو تزوجها بلفظ الهبة لم ينعقد

النكاح هذا قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء ومالك والشافعي وربيعه وأبي عبيد وأكثر الفقهاء وقال النخعي وأهل الكوفة إذا وهبت نفسها منه وقبلها بشهود ومهر فإن النكاح ينعقد

(6/357)

والمهر يلزم به فأجازوا النكاح بلفظ الهبة وقالوا كان اختصاص النبي عليه السلام في ترك المهر والدليل على ما ذهب الشافعي إليه إن الله تعالى سمى النكاح باسمين التزويج والنكاح فلا ينعقد بغيرهما واختلف العلماء في التي وهبت نفسها لرسول الله وهل كانت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه كذلك فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده عليه السلام امرأة إلا بعقد النكاح أو ملك اليمين وإنما قال الله تعالى إن وهبت على طريق الشرط والجزاء وقال الآخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث قال الشعبي زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار قال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل أم شريك بنت جابر من بني أسد قال عروة بن الزبير خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم قد علمنا ما فرضنا عليهم يعني أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم قال مجاهد يعني أربعا لا يتجاوزونها قتادة هو أن لا نكاح إلا بولي وشاهدين وما ملكت أيمانهم يعني الولائد والإماء لكيلا يكون عليك حرج في نكاحهن وكان الله غفورا رحيفا قوله ترجي من تشاء منهن أي تؤخر وتؤوي وتضم إليك من تشاء واختلف المفسرون في معنى الآية فقال أبو رزين وابن زيد نزلت هذه الآية حين غارت بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن رسول الله صلى الله عليه شهرا حتى نزلت آية التخيير وأمره الله عز وجل أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء ويرجي منهن من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن ولم يقسم لبعضهن أو فضل لبعضهن على بعض في النفقة والقسمة والعشرة أو ساوى بينهن ويكون الأمر في ذلك كله إليه يفعل ما يشاء وهذا من خصائصه عليه السلام فرضين بذلك كله

(6/358)

واخترنه على هذا الشرط وكان رسول الله صلى الله عليه مع ما جعل الله له من ذلك ساوى بينهن في القسم إلا امرأة منهن أراد طلاقها فرضيت بترك القسمة لها وجعل يومها لعائشة وهي سودة بنت زمعة وروى منصور عن أبي رزين قال لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الآية فكان ممن أرجي منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن

آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رحمة الله عليهن كان يقسم بينهن سواء لا يفضل بعضهن على بعض فأرجأ خمسا وآوى أربعا وقال مجاهد يعني تعزل من تشاء منهم بغير طلاق وترد إليك من تشاء منهم بعد عزلك إياها بلا تجديد مهر وعقد وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهم وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء امتك قال وكان النبي عليه السلام إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتركها وقيل وتقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهين أنفسهن لك فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وقالت أما تستحي امرأة أن تهب أو تعرض نفسها على رجل بغير صداق فنزلت هذه الآية قالت عائشة فقلت لرسول الله إن ربك ليسارع لك في هواك ومن ابتغيت أي طلبت وأردت إصابته ممن عزلت فأصبتها وجامعتها بعد العزل فلا جناح عليك فأباح الله تعالى له بذلك ترك القسم لهن حتى إنه ليؤخر من شاء منهن في وقت نوبتها فلا يطأها ويطأ من شاء منهن في غير نوبتها فله أن يرد إلى فراشه من عزلها فلا حرج عليه فيما فعل تفضيلا له على سائر الرجال وتخفيفا عنه وقال ابن عباس يقول إن من فات من نسائك اللاتي عندك أجرا وخليت سبيلها فقد أحللت لك فلا يصلح لك أن تزداد على عدد نسائك اللاتي عندك ذلك الذي ذكرت أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله وبأمره وأن الرخصة جاءت من قبله وبرضين بما أتيتهن من التفضيل والايثار والتسوية كلهن والله يعلم ما في قلوبكم من أمر النساء والميل إلى بعضهن وكان الله عليما حلِيمًا قوله تعالى لا يحل لك بالثناء أهل البصرة وغيرهم بالياء النساء من بعد أي من بعد هؤلاء النساء التسع اللاتي خيرتهن فاخترتك لما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن وهذا قول ابن

عباس وقتادة وقال عكرمة والضحاك لا يحل لك من النساء إلا اللاتي أحللناها لك وهو قوله إنا أحللنا لك أزواجك ثم قال لا يحل لك النساء من بعد التي أحللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها روى داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى عن زياد رجل من الأنصار قال قلت لأبي بن كعب رأيت لو مات نساء النبي صلى الله عليه أكان يحل له أن يتزوج فقال وما يمنعه من ذلك وما يحرم ذلك عليه قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد فقال إنما أحل الله له ضربا من النساء فقال يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك ثم قال لا يحل لك النساء من بعد وقال أبو صالح أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا عربية ويتزوج بعد من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاثمائة وقال سعيد بن جبير ومجاهد معناه لا يحل لك النساء من غير المسلمات فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام

عليك ولا ينبغي أن يكن من أمهات المؤمنين وقال أبو رزين لا يحل لك النساء من بعد يعني الإمامة بالنكاح ولا أن تبدل بهن من أزواج قال مجاهد وأبو رزين يعني ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى والمشركين ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك من السبايا والإماء الكوافر وقال الضحاك يعني ولا تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواج غيرهن بأن تطلقهن وتتكح غيرهن فحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاق النساء اللواتي كن عنده إذ جعلهن أمهات المؤمنين وحرمن على غيره حين اخترنه فأما نكاح غيرهن فلم يمنع منه بل أحل له ذلك إن شاء يدل عليه ما أخبرناه عبدالله بن حامد الوزان عن أحمد بن محمد بن الحسين عن محمد بن يحيى قال أخبرني أبو عاصم عن جريح عن عطاء عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء وقال ابن زيد كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يعطي هذا امرأته هذا ويأخذ امرأة ذلك فقال الله ولا أن تبدل بهن من أزواج يعني تبادل أزواجك غيرك أزواجه بأن

(6/361)

تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته إلا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت فأما الحرائر فلا أخبرنا أبو محمد عبدالله بن حامد الاصفهاني عن أحمد بن محمد بن يحيى العبيدي عن أحمد بن نجدة عن الحماني عن عبد السلام بن حرب عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال كان البديل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فانزل الله عز وجل ولا أن تبدل بهن من أزواج قال فدخل عيينة بن حصين على النبي صلى الله عليه وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له النبي صلى الله عليه يا عيينة فأين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من

(6/362)

هذه الحميراء إلى جنبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق قال رسول الله صلى الله عليه إن الله عز وجل قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا أحرق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه قال ابن عباس في قوله ولو أعجبك حسنهن يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب وفيه دليل على جواز النظر إلى من يريد أن يتزوج بها وقد جاءت الأخبار بإجازة ذلك وأخبرنا عبدالله بن حامد عن محمد بن جعفر المطيري عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور عن عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن عاصم الأحول عن بكير بن عبدالله المزني أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج بامرأة فقال النبي عليه السلام فانظر إليها فإنه أجد أن يودم بينكما وأخبرنا عبدالله بن حامد عن محمد بن جعفر عن علي بن حرب قال أخبرني أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة عن سهل بن محمد بن أبي خيثمة عن عمه سليمان بن أبي

خيثة قال رأيت محمد بن سلمة يطارد نبية بنت الضحاك على إجار من أياجير المدينة قلت أتفعل هذا قال نعم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها وأخبرنا عبدالله بن حامد بن محمد عن بشر بن موسى عن الحميدي عن سفيان عن يزيد ابن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه أنظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئا قال الحميدي يعني الصغر وكان الله على كل شيء رقيبا حفيظا قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب قال أنس بن مالك أنا أعلم الناس بأية الحجاب ولقد سألتني عنها أبي بن كعب لما بنى رسول الله صلى الله عليه بزینب بنت جحش أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت إليه أمي أم سليم بحيس في تور من حجارة فأمرني النبي صلى

(6/363)

الله عليه وسلم أن أدعو أصحابه إلى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون فقلت يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه لكي يخرجوا فمشى رسول الله صلى الله عليه منطلقا نحو حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك ثم رجع فأتى حجر نسائه فسلم عليهن فدعون له ربه ورجع إلى بيت زينب فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون في البيت وكان النبي عليه السلام شديد الحياء فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم ولى عن بيته خرجوا فرجع رسول الله عليه السلام إلى بيته وضرب بيني وبينه سترا ونزلت هذه الآية وقال قتادة ومقاتل كان هذا في بيت أم سلمة دخلت عليه جماعة في بيتها فأكلوا ثم أطالوا الحديث فتأذى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحى منهم أن يأمرهم بالخروج والله لا يستحى من الحق فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلا أن تدعوا إلى طعام فيؤذن لكم فتأكلوه غير ناظرين منظرين إناه إدراكه ووقت نضجه وفيه لغتان أنى وإنى بكسر الألف وفتحها مثل ألى وإلى ومعاً ومعاً والجمع إناء مثل آلاء وامعاء والفعل منه أنى يأنى إنى بكسر الألف مقصور وأناء بفتح الألف ممدود قال الحطيئة وأنيت العشا إلى سهيل أو الشعري فطال بي الأنا وقال الشيباني تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام وفيه لغة أخرى أن يأنى أينا قال ابن عباس نزلت في ناس من المؤمنين كان يتحنون طعام رسول الله صلى الله عليه فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت هذه الآية و غير نصب على الحال ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم

(6/364)

أكلتم الطعام فانتشروا فتفرقوا واخرجوا من منزله ولا مستأنسين لحديث طالبين الأنس بحديث ومحلّه خفض مردود على قوله غير ناظرين ولا غير مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق أي لا يترك تأديبكم وحملكم على الحق ولا يمنعه ذلك منه حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب لفظا قال أخبرني أبو موسى عمران بن موسى بن الحصين قال أخبرني أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال أخبرني أبو عمرو عثمان بن خرزاد الأنطاكي عن عمرو بن مرزوق عن جويرية بن أسماء قال قرئ بين يدي إسماعيل ابن أبي حكيم هذه الآية فقال هذا أدب أدب الله به الثقلاء وسمعت الحسن بن محمد بن الحسن يقول سمعت محمد بن عبدالله بن محمد يقول سمعت الغلابي يقول سمعت ابن عائشة يقول حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا قوله وإذا سألتهم متاعا فاسألوهن من وراء حجاب أخبرنا عبدالله بن حامد عن محمد بن يعقوب عن محمد بن سنان الفزار عن سهيل بن حاتم عن ابن عون عن عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك قال كنت مع النبي صلى الله عليه وكان يمر على نسائه فأتى امرأة عرس بها حديثا فإذا عندهم قوم فانطلق النبي صلى الله عليه أيضا فاحتبس فقضى حاجته ثم جاء وقد ذهبوا فدخل وأرخى بينه وبينني سترا قال فحدثت أبا طلحة فقال إن كان كما تقول لينزلن شيء في هذا فنزلت آية الحجاب وأنبأني عبدالله بن حامد الوزان أن الحسين بن يعقوب حدثه عن يحيى بن أبي طالب عن عبد الوهاب عن حميد عن أنس قال قال عمر يا رسول الله تدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت آية الحجاب وأخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون عن أحمد بن محمد الشرقي عن محمد بن يحيى عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبي عن صالح بن شهاب عن عروة بن الزبير أن عائشة قالت كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه احجب نساءك فلم يفعل وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

(6/365)

يخرجن ليلا إلى ليل قبل المناصع وهو صعيد أقيح فخرجت سودة بنت زمعة وكانت امرأة طويلة فراها عمر وهو في المجلس فقال قد عرفتك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب وأخبرنا عبدالله بن حامد إجازة عن محمد بن يعقوب عن الحسين بن علي بن عفان قال أخبرني أبو أسامة عن مخالذ بن سعيد عن عامر قال مر عمر على نساء النبي صلى الله عليه وهو مع النساء في المسجد فقال لهن احتجبن فإن لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى أنزل الله آية الحجاب وروى عطاء بن أبي السائب عن أبي وائل عن ابن مسعود قال أمر عمر بن الخطاب نساء

(6/366)

النبى صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فأنزل الله تعالى وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن وقيل فى سبب نزول الحجاب ما أخبرنا أحمد بن محمد أن المعافى حدثه عن محمد بن جرير قال حدثني يعقوب بن إبراهيم عن هشام عن ليث عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابته يد رجل منهم يد عائشة وكانت معهم فكره النبى ذلك فنزلت آية الحجاب أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي المزكى قال أخبرني أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين الماسرخسى عن شيبان بن فروخ الأبلبي عن جرير بن حازم عن ثابت البنائى عن أنس بن مالك قال كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه بغير إذن فجننت يوما لأدخل فقال مكانك يا بنى قد حدث بعدك أن لا يدخل علينا إلا بإذن قوله وما كان لكم يعنى وما ينبغى وما يصلح لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما نزلت فى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه لأنكحن عائشة بنت أبي بكر أنبأني عقيل بن محمد عن المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب عن داود عن عامر أن النبى صلى الله عليه مات وقد ملك قتيلة بنت الأشعث بن قيس ولم يجامعها فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه ولم يحجبها وقد برأها منه بالردة التي ارتدت مع قومها قال فاطمان أبو بكر وسكن وروى معمر عن الزهري أن العالية بنت طيبان التي طلقها النبى صلى الله عليه تزوجت رجلا وولدت له وذلك قبل أن يحرم على الناس أزواج النبى عليه السلام إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما قوله تعالى لا جناح عليهن فى آبائهن قال ابن

(6/367)

عباس لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن فى ترك الاحتجاب من هؤلاء وأن يروهن وقال مجاهد لا جناح عليهن فى وضع جلابيبن عندهم وائقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا

إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا صلى الله عليه وسلم أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا إن الله

لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً يوم
تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولاً وقالوا ربنا إننا
أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم
لعنا كبيراً إن الله وملائكته قراءة العامة بنصب التاء وقرأ ابن عباس وملائكته
بالرفع عطفاً على محل قوله الله قبل دخول إن نظيره قوله إن الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئون والنصارى وقد مضت هذه المثلة يصلون على النبي أي
يثنون ويترحمون عليه ويدعون له وقال ابن عباس يتبركون يا أيها الذين آمنوا
صلوا عليه ترحموا عليه وادعوا له وسلموا تسليماً وحيوه بتحية

(6/368)

الإسلام أخبرنا عبدالله بن حامد عن المطري عن علي بن حرب عن ابن فضيل
عن يزيد بن أبي زياد وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل العدل عن إسماعيل بن
محمد الصفار عن الحسين بن عروة عن هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد
وحدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثني كعب بن عجرة قال لما نزلت إن الله
وملائكته يصلون على النبي قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف
الصلاة عليك قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وأخبرنا عبدالله بن حامد
الوزان عن مكى بن عیدان عن عمار بن رجاء عن ابن عامر عن عبدالله بن
جعفر عن يزيد بن مهاده عن عبدالله بن خباب عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يا
رسول الله هذا السلام قد علمنا فكيف الصلاة عليك

(6/369)

قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم وأخبرنا
أحمد بن محمد بن يوسف الفقيه عن مكى بن عیدان عن محمد بن يحيى قال
فيما قرأت على ابن نافع وحدثني مطرف عن مالك عن عبدالله بن أبي بكر
عن محمد بن عمرو بن حرم عن أبيه عن عمرو بن سليمان الزرقى أخبرني أبو
حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت
على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم
إنك حميد مجيد وبإسناده عن مالك عن نعيم عن عبدالله بن المجرم عن محمد
بن عبدالله بن زيد الأنصاري عن أبي مسعود الأنصاري أنه قال أتانا رسول الله
صلى الله عليه ونحن جلوس في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد
أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله
صلى الله عليه حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام
كما قد علمتم وأخبرنا عبدالله بن حامد بقراءتي عليه قال أخبرنا محمد بن خالد

بن الحسن عن داود ابن سليمان عن عبد بن حميد قال أخبرني أبو نعيم عن المسعودي عن عون عن أبي فاختة عن الأسود قال قال عبدالله إذا صليتم على النبي صلى الله عليه فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعته مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد أخبرنا عبد الخالق بن علي قال

(6/370)

أخبرني أبو بكر بن جنب عن يحيى بن أبي طالب عن يزيد بن هارون قال أخبرني أبو معاوية عن الحكم بن عبدالله بن الخطاب عن أم الحسن عن أبيها قالوا يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال النبي عليه السلام هذا من العلم المكنون ولو أنكم سألتهموني عنه ما أخبرتكم به إن الله تعالى وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلني علي إلا قال ذاك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذئبك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلني علي إلا قال ذاك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذئبك الملكين آمين قوله تعالى إن الذين يؤذون الله يعني بمعصيتهم إياه ومخالفتهم أمره وقال عكرمة هم أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله عز وجل وفي بعض الأخبار يقول الله جل جلاله ومن أظلم ممن أراد أن يخلق مثل خلقي فليخلق حبة أو ذرة وقال عليه السلام لعن الله المصورين وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا يد الله مغلولة وقالوا إن الله فقير وقالت النصارى المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وقال المشركون الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه قال قتادة في هذه الآية ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في أسمائه وصفاته وقال أهل المعاني يؤذون أولياء الله مثل قوله وسئل القرية وقول رسول الله صلى الله عليه حين قفل من تبوك فبدا له أحد هذا جبل يحينا ونحبه فحذف الأهل فأراد الله تعالى المبالغة في النهي عن أذى أوليائه فجعل أذاهم أذاه ورسوله قال ابن عباس حين شج في وجهه وكسرت رباغيته وقيل له شاعر وساحر ومعلم مجنون وروى العوفي عنه أنها نزلت في الذين طعنوا على النبي عليه السلام في نكاحه صفية بنت حبي بن أخطب وقيل بترك سنته ومخالفة شريعته لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين

(6/371)

والمؤمنات بغير ما اكتسبوا من غير أن عملوا ما أوجب الله أذاهم فقد احتملوا بهتاننا وإثما مبينا قال الحسن وقاتلة إياكم وأذى المؤمن فإنه حبيب ربه أحب الله فأحبه وغضب لربه فغضب الله له وإن الله يحوطه ويؤذي من أذاه وقال

مجاهد يعني يقفونهم ويرمونهم بغير ما عملوا وقال مقاتل نزلت في علي بن أبي طالب ح وذلك أن ناسا من المنافقين كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل في شأن عائشة وقال الضحاك والسدي والكلبي نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا تبرزن بالليل لقضاء حوائجهن فيرون

(6/372)

المرأة فيدنون منها فيغمزونها فإن سكتت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون إلا الأماء ولم يكن يومئذ تعرف الحرة من الأمة و لأن زيهن كان واحدا إنما يخرجن في درع واحد وخمار الحرة والأمة فشكون ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه فأنزل الله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء فقال تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن أي يرخين أرديتهن وملاحفهن فيتقنعن بها ويغطين وجوههن ورؤوسهن ليعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن ولا يؤذين قوله ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا لما سلف منهن من ترك السنن رحيما بهن إذ سترهن وصانهن قال ابن عباس وعبيدة أمر الله النساء المؤمنات أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب ويبدن عينا واحدة قال أنس مرت جارية بعمر بن الخطاب متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتشبهين بالحرائر ألقى القناع قوله عز وجل لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض فجور يعني الزناة والمرجفون في المدينة بالكذب والباطل وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه يوقعون في الناس أنهم قتلوا وهزموا وكانوا يقولون قد أتاكم العدو ونحوها وقال الكلبي كانوا يحبون أن يفشوا الأخبار وأن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لنغرينك بهم لنولعنك ونحرسنك بهم ونسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا أي لا يساكنونك في المدينة إلا قليلا حتى يخرجوا منها ملعونين مطرودين نصب على الحال وقيل على الذم أي ثقفوا أصيبوا ووجدوا أخذوا وقتلوا تقتيلا قال قتادة ذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهرها لما في قلوبهم من النفاق فأوعدهم الله في هذه الآية فكتموه وأباني عبدالله بن حامد الأصفهاني عن عبدالله بن جعفر النساوي عن محمد بن أيوب عن عبدالله بن يونس عن عمرو بن شهر عن أبان عن أنس قال كان بين رجل وبين أبي

(6/373)

بكر شيء فقال الرجل من أبي بكر فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غمر الدم وجهه فقال ويحكم ذروا أصحابي وأصهاري احفظوني فيهم لأن عليهم حافظا من الله عز وجل ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه ملعونين أي ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله أي كسنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا إن الله لعن

(6/374)

الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا قوله يوم تقلب وجوههم في النار ظهرا لبطن حين يسحبون عليها وقراءة العامة بضم التاء وفتح اللام على المجهول وروي عن أبي جعفر بفتح التاء واللام على معنى يتقلب وقرأ عيسى بن عمر نقلب بضم النون وكسر اللام وجوههم نصبا يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول في الدنيا وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا قادتنا ورؤسانا في الشرك والضلالة وقرأ الحسن وابن عامر وأبو حاتم ساداتنا جمع بالالف وكسر التاء على جمع الجمع فأصلونا السبيلا ربنا أتهم ضعفين من العذاب أي مثلي عذابنا والعنهم لعنا كبيرا قرأ يحيى بن وثاب وعاصم كبيرا بالباء وهي قراءة أصحاب عبدالله وقرأ الباقر بالتاء وهي اختيار أبي حاتم وأبي عبيد ثم قال إنا اخترنا التاء لقوله ويلعنهم اللاعنون وقوله أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فهذا يشهد للكثرة وأخبرني أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال سمعت أبا الحسن عبدالله بن محمد بن جعفر بن شاذان البغدادي من حفظه إملاء يقول سمعت محمد بن الحسن ابن قتيبة العسقلاني بعسقلان ورملة أيضا يقول سمعت محمد بن أبي السري يقول رأيت في المنام كأنني في مسجد عسقلان وكان رجلا يناظرني وهو يقول والعنهم لعنا كبيرا وأنا أقول كثيرا فإذا النبي صلى الله عليه وسلم وكان في وسط المسجد منارة لها باب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقصدها فقلت هذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت السلام عليك يا رسول الله استغفر لي فأمسك عني فجئت عن يمينه فقلت يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني فقامت في صدره فقلت يا رسول الله حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أنك ما سئلت شيئا قط فقلت لا فتبسم ثم قال اللهم اغفر له فقلت يا رسول الله إني وهذا نتكلم في قوله والعنهم لعنا كبيرا وهو يقول كبيرا وأنا أقول كثيرا قال فدخل المنارة وهو يقول كثيرا إلى

(6/375)

أن غاب صوته عني يعني بالتاء يأبها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين ءاذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يأبها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيفا

(6/376)

قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله فطهره الله سبحانه مما قالوا وكان عند الله وجيها كريما مقبولا ذا جاه وافتخار فيما آذوا به موسى فأخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون قال أخبرني أبو حامد بن الشرفي عن محمد ويحيى بن عبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يوسف قالوا أخبرنا عبدالله بن حامد قال أخبرني أبو بكر المطيري قال أخبرني أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن يزيد المؤدب عن عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر فذهب مرة يغتسل وحده فوضع ثوبه على الحجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر من بعدما نظروا إليه فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة إن بالحجر ندبا ستة أو سبعة أثر ضرب موسى عليه السلام وروى الحسن وابن سيرين عن أبي هريرة في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه إن موسى كان رجلا حيا ستيرا لا يكاد يري من جلده شيئا يستحي منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستر هذا الستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة فأراد الله أن يبرئه مما قالوا وإن موسى خلا يوما وحده فوضع ثوبه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه بعد الحجر بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فنظروا إلى أحسن الناس خلقا وأعد لهم صورة وإن الحجر قام فأخذ ثوبه فلبسه فطفق بالحجر ضربا وقال الملا قاتل الله أفاكي بني إسرائيل فكانت براءته التي برأه الله منها وقال قوم كان إيذاؤهم إياه ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أن المعافى بن زكريا

(6/377)

القاضي أخبره عن محمد بن جرير بن يزيد الطبري حدثني علي بن مسلم الطوسي عن عباد عن سفيان بن حصين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب في قول الله تعالى كالذين آذوا موسى قال سعد موسى وهارون الجبل فمات هارون فقال بنو إسرائيل أنت قتلتها وكان أشد حبا لنا منك وألين لنا منك فأذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على

بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه مات فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم فجعله الله أصم أبكم وقال أبو العالية هو أن قارون استأجر مومسة لتقذف موسى عليه السلام بنفسها على رأس الملا فعصمها الله منه وبرأ موسى من ذلك وأهلك هارون وقد مضت هذه القصة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا أي حقا قصدا ابن عباس صوابا قتادة ومقاتل عدلا المؤرخ مستقيما عكرمة هو قول لا إله إلا الله ابن حيان يعني قولوا في شأن زينب وزيد سديدا ولا تنسبوا رسول الله صلى الله عليه إلى ما لا يحمل يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما

قوله إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال قيل كان العرض على أعيان هذه الأشياء فأفهمهم الله خطابه وأنطقهن وقيل عرضها على من فيها من الملائكة وقيل عرضها على أهلها كلها دون أعيانها وهذا كقوله وسئل القرية أي أهلها فأبين أن يحملنها مخافة وخشية لا معصية ومخالفة وكان العرض تخييرا لا إلزاما وحملها الأنسان واختلفوا في الأمانة فقال أكثر المفسرين هي الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السماوات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها وقالوا لا نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا فقال الله تعالى لآدم إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال

(6/378)

فلم يطقنها فهل أنت آخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فتحملها آدم صلوات الله عليه وقال بين أذني وعاتقي فقال الله تعالى أما إذا تحملت فسأعينك فاجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابيه واجعل للسانك لحيين وغلقا فإذا خشيت فأغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قالوا فما لبث آدم إلا مقدارا ما بين الظهر والعصر حتى أخرج من الجنة وقال مجاهد الأمانة الفرائض وحدود الدين وأبو العالية هي ما أمروا به ونهوا عنه وقال زيد بن أسلم وغيره هي الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من شرائع الدين أنبأني عقيل بن محمد عن المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير الطبري عن محمد بن خالد العسقلاني عن عبدالله بن عبد المجيد الحنفي قال أخبرنا أبو العوام القطان عن قتادة

(6/379)

وأبان بن أبي عباس عن خلود العصري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقبتهن وأعطى الزكاة من ماله عن طيب نفس وكان يقول وأيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن وأدى الأمانة قالوا يا أبا الدرداء وما أداء الأمانة قال الغسل من الجنابة قال الله عز وجل لم يأت من ابن آدم على شيء من دينه غيره وبه عن ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن أبي بن كعب قال من الأمانة أن المرأة أئتمنت على فرجها وقال عبد الله بن عمر بن العاص أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له وقال بعضهم هي أمانات الناس والوفاء بالعهد فحق على كل مؤمن ألا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس وقال السدي بإسناده هي ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده وخيانتته إياه في قتل أخيه وذكر القصة إلى أن قال قال الله عز

وجل لآدم يا آدم هل تعلم أن لي في الأرض بيتا قال اللهم لا قال فإن لي بيتا بمكة فأتته فقال آدم للسماء احفظي ولدي بالأمانة فأبت وقال للأرض فأبت وقال للجبال فأبت وقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع تجد أهلك كما يسرك فانطلق آدم عليه السلام فرجع وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله عز وجل إنا عرضنا الأمانة يعني قابيل حين حمل أمانة آدم ثم لم يحفظ له أهله وقال الآخرون وحملها الإنسان يعني آدم ثم اختلفت عباراتهم في معنى الظلوم و الجهول فقال ابن عباس والضحاك ظلوما لنفسه جهولا غرا بأمر الله وما احتمل من الأمانة قتادة ظلوما للأمانة جهولا عن حقها الكلبي ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في تركه الأمانة الحسين بن الفضل إنه كان ظلوما جهولا عند

(6/380)

الملائكة لا عند الله ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيمًا
سورة سبأ
أخبرنا ابن المقرئ عن ابن مطيرة عن إبراهيم بن شريك عن أحمد بن يونس عن سلام بن سليم عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان يوم القيامة له رفيقا ومصافحا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في صلي الله عليه وسلم ءاياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذي صلى الله عليه وسلم أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى صلى الله عليه وسلم إلى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب قوله الحمد لله وهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة كما هو له في الدنيا لأن النعم كلها في الدارين منه وهو الحكيم الخبير قوله يعلم ما يلج في الأرض يدخل ويغيب فيها من الماء والمواد والحيوانات وما

(6/381)

يخرج منها من النبات وما ينزل من السماء من الأمطار وما يعرج يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم الساعة ثم عاد جل جلاله إلى تمجيده والثناء علي نفسه فقال عز من قائل عالم الغيب اختلف القراء فيها فقرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائي علام الغيب بخفض الميم على وزن فعال وهي قراءة عبد الله وأصحابه قال الفراء وكذلك رأيتها في مصحف عبد الله علام وقرأ أهل مكة والبصرة وعاصم بجر الميم على مثال فاعل ردا على قوله وهي اختيار أبي عبيد فيه وفي أمثاله يؤثر النعوت على الابتداء وقرأ الآخرون عالم رفعا بالاستئناف إذ حال بينهما كلام لا يعزب يغيب وابتعد عنه مثقال ذرة وزن نملة وهذا مثل لأنه سبحانه لا يخفى عليه ما هو دون الذرة في السماوات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا عملوا في إبطال أدلتنا والتكذيب بكتابتنا معاجزين مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا قال ابن زيد جاهدين وقرأ لا تسمعوا لهذا القرآن أولئك لهم عذاب من رجز أليم قرأ ابن كثير ويعقوب وعاصم برواية حفص والمفضل أليم بالرفع على نعت ال عذاب غيرهم بالخفض على نعت ال رجز قال قتادة الرجز أسوأ العذاب ومثله في الجاثية ويرى يعني وليرى الذين أوتوا العلم يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقال قتادة هم أصحاب محمد عليه السلام الذي أنزل إليك من ربك يعني القرآن هو الحق ويهدي يعني القرآن إلى صراط العزيز الحميد وهو الإسلام وقال الذين كفروا منكرين للبعث متعجبين منه هل ندلكم على رجل ينبئكم يخبركم يعنون محمدا عليه السلام إذا مزقتم قطعتم وفرقتم كل ممزق وصرتم رفاتا إنكم بالكسر على الابتداء والحكاية مجازة يقول لكم إنكم لفي خلق جديد أفترى ألف الاستفهام دخلت على ألف الوصل لذلك نصب على الله كذبا أم

(6/382)

به جنة جنون قال الله تعالى بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسماوي محيطه بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا لقادر عليهم ولا يعجزونني إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء قطعة قراءة العامة بالنون في الثلث وقرأ الأعمش والكسائي كلها بالياء وهو اختيار أبي عبيد قال لذكر الله عز وجل قبله إن في ذلك لآية لكل عبد منيب تائب مقبل على ربه راجع إليه بقلبه ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن يعمل سبغات وقرر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير قوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال مجازة وقلنا يا جبال أوبي معه سبحي معه إذا سبح قال أبو ميسرة هو بلسان الحبشة وقال بعضهم هو التفعيل من الإياب أي ارجعي معه بالتسيح فهذا معنى قول قتادة وأبي عبيد وقال وهب بن منبه نوحى معه والطير تساعدك على ذلك قال وكان إذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس من ذلك اليوم ويقال إن داود كان إذا سبح الله

جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم إنه قال ليلة من الليالي في نفسه لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل وهو على الجبل دخلته وحشة فأوحى الله سبحانه إلى الجبال أن أنسي داود قال فاصطكت الجبال بالتسبيح والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الأصوات فهبط عليه ملك فأخذ بعضده حتى انتهى به إلى البحر فركله برجله فانفرج له البحر فأنتهى به إلى الأرض فركلها برجله فانفرجت له الأرض حتى انتهى به إلى الحوت فركلها برجله فتنحت عن صخرة فركل الصخرة برجله فانفلقت فمزجت منها دودة تنشز فقال له الملك إن ربك يسمع نشيز هذه الدودة في هذا الموضع وقال القتيبي أصله من التأويب في

(6/383)

السير وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلا قال ابن مقبل لحقنا بحي أوبوا السير بعدما دفعنا شعاع الشمس والطرف مجنح كأنه أراد أدأبي النهار كله بالتسبيح معه وقيل سيري معه كيف يشاء والطير قراءة العامة بالنصب وله وجهان أحدهما بالفعل مجازه وسخرنا له الطير مثل قولك أطعمته طعاما وماء تريد وسقيته ماء والوجه الآخر النداء كقولك يا عمرو والصلت أقبلا نصبت الصلت لأنه إنما يدعى بيائها فإذا فقدتها كان كالمعدول عن جهته فنصب وقيل مع الطير فتكون الطير مأمورة معه بالتأويب وروي عن يعقوب بالرفع ردا على الجبال أي أوبي معه أنت والطير كقول الشاعر ألا يا عمرو والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق يجوز نصب الضحاك ورفع قوله وألنا له الحديد فذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد وكان سبب ذلك علي ما روي في الأخبار أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل كان من عاداته أن يخرج للناس متنكرا فإذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم إليه يسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فينا هو فينا هو في ذلك يوما من الأيام إذ قبض الله ملكا في صورة آدمي فلما راه داود تقدم إليه على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد فصار في يده مثل الشمع وعلمه صنعة الدروع وكان يتخذ الدروع وأنه أول من اتخذها فيقال إنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف فيأكل ويطعم عياله منها ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال أيضا إنما ألان الحديد في يده لما أعطي من القوة أن اعمل سابغات دروعا كوامل واسعات وقدر في السرد أي لا تجعل المسامير دقاقا فتغلق

(6/384)

ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك وهو أول من اتخذ الدروع وكانت قبل ذلك صفائح والسرد صنعة الدرع ومنه قيل لصانعها السراد والزراد والدرع المسرودة قال أبو ذؤيب وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابع تبع

وأصله الوصل والنظم ومنه قيل للخرز سرد وللأشفي مسرد وسراد قال
الشماخ كما تابعت سرد العنان الخوارز
وسرد الكلام واعملوا يعني داود وآله صالحا إني بما تعملون بصير ولسليمان
الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين
يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما
يشاء من محاريب وتمثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملو صلى الله
عليه وسلم اءال داوود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه
الموت ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن
لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين قوله ولسليمان الريح قراءة
العامه بنصب الحاء أي وسخرنا لسليمان الريح وروى أبو بكر والمفضل عن
عاصم بالرفع على جر حرف الصفة غدوها شهر ورواحها من انتصاف النهار
إلى الليل مسير شهر فجعل ما تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين وقال
وهب ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتابة كتبها بعض صحابة سليمان
عليه السلام إما من الجن وإما من الإنس بحر نزلناه وما بنيناه مبنيا وجدناه
غدوانه من إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه إن شاء الله فباتتون بالشام قال
الحسن لما شغلت نبي الله سليمان بن داود الخيل حتى فاتته صلاة العصر
غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله تعالى مكانها خيرا وأسرع له تجري بأمره
كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من إيليا فيقبل بإصطخر ثم
يروح منها فيكون رواحها بكابل وقال ابن زيد كان له عليه السلام مركب من
خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه من الجن
والإنس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب فإذا ارتفع أتت الريح
الرخاء

(6/385)

فسارت به وبهم يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسي عند قوم بينه وبينهم
شهر فلا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش وروى أن سليمان عليه
السلام سار من أرض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ
تحمله وجنوده الريح وبظلمهم الطير ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم
جازهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثله ثم عطف
يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض القندهار وخرج منها
إلى مكران وكerman ثم جازها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال
بكسكر ثم راح إلى الشام وكان مستقره

(6/386)

بمدينة تدمر وقد كان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق
فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر وفي ذلك يقول النابغة ألا
سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحدها عن الفند وخيس الجن إني قد
أذنت لهم بينون تدمر بالصفاح والعمد ووجدت هذه الأبيات منقورة في صخرة
بأرض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام ونحن ولا

حول سوى حول ربنا نروح إلى الأوطان من أرض تدمر إذا نحن رحنا كان ريث
رواحنا مسيرة شهر والغدو لآخر أناس شروا لله طوعا نفوسهم بنصر ابن داود
النبي المطهر لهم في معالي الدين فضل ورفعة وإن نسبوا يوما فمن خير
معشر متى يركبوا الريح المطيعة أسرعت مبادرة عن شهرها لم تقصر تظلمهم
طير صفوف عليهم متي رفرقت من فوقهم لم تنفر قوله وأسلنا له عين القطر
وأذبنا له عين النحاس أسيلت له ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن
وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان ومن يزغ يمل ويعدل عن أمرنا
الذي أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير في الآخرة عن أكثر
المفسرين وقال بعضهم في الدنيا وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكا بيده
سوط من نار فمن زاع عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقتة يعملون له ما
يشاء من محاريب مساجد ومساکن وقصور والمحراب مقدم كل مسجد
ومجلس وبيت قال عدي كدمى العاج في المحاريب أو كال بيض في الروض
زهرة مستنير وكان مما عملوا له من ذلك بيت المقدس وقصته وصفته على ما
ذكره أهل البصر بالسير أن الله تعالى بارك في نسل إبراهيم عليه السلام حتى
جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمن داود عليه السلام لبث فيهم
ثلاثين سنة بارض فلسطين وهم كل يوم يزدادون كثرة فأعجب داود بكثرتهم
فأمر بعدهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى أيسوا وعجزوا أن يحيط علمهم
بعدد بني إسرائيل فأوحى الله إلى داود إني قد وعدت أباك إبراهيم يوم أمرته
بذبح

(6/387)

ولده فصدقني واثم امرى أن أبارك له في ذريته حتى يصيروا أكثر من عدد
نجوم السماء وحتى لا يحصيهم العادون وإني قد أقسمت أن أبتليهم ببليّة يقل
منها عددهم ويذهب عنك إعجابك بكثرتهم وخيره بين أن يعذبهم بالجوع
والقحط ثلاث سنين وبين أن يسلب عليهم عدوهم ثلاثة أشهر وبين أن يرسل
عليهم الطاعون ثلاثة أيام فجمع داود بني إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله إليه
وخيره فيه فقالوا أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير أن الجوع
لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فإن كان لا بد فالموت فأمرهم داود
عليه السلام أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا إلى
الصعيد بالذراري والأهلين وأمرهم أن يضحوا إلى الله تعالى ويتضرعوا إليه
لعله يرحمهم وذلك في صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد قال وارتفع داود
عليه السلام فوق الصخرة فخر ساجدا يبتهل إلى الله تعالى فأرسل الله فيهم
الطاعون فأهلك منهم في يوم وليلة ما لم يتفرغوا من دفنهم إلا بعد مدة
شهرين فلما أصبحوا من اليوم الثاني سجد داود وسجدوا معه إلى طلوع
الشمس فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون قالوا فلما أن
شفع الله تعالى داود في بني إسرائيل في ذلك المكان جمع داود بني إسرائيل
بعد ثلاثة فقال لهم إن الله سبحانه قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا
فقالوا كيف تأمرنا قال أمركم أن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه
مسجدا لا يزال فيه منكم وممن بعدكم ذاكر فلما أرادوا البناء جاء رجل صالح
فقير يختبرهم ليعلم كيف إخلاصهم في ثبوتهم فقال لبني إسرائيل إن لي فيه
موضعا أنا محتاج إليه ولا يحل لكم أن تحجبوني عنه فقالوا له يا هذا ما أحد في

بني إسرائيل إلا وله في هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا لا أعرف حقي وأنتم لا تعرفون فقالوا له إما إن ترضى وتطيب نفسا وإلا أخذناه كرها فقال لهم أوتجدون ذلك في حكم الله وفي حكم داود قال

(6/388)

فرفعوا خبره إلى داود فقال أرضوه فقالوا بكم نأخذه يا نبي الله قال خذوه بمائة شاة فقال الرجل زد فقال داود بمائة بقر قال زد قال مائة إبل قال زدني فإن ما تشتريه لله تعالى فقال داود أما إذا قلت هذا فاحتكم أعطك فقال تشتري مني بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال تشتريه لله فلا تبخل قال سل ما شئت أعطك وإن شئت أوأجرك نفسي قال وتفعل ذلك يا نبي الله قال نعم إذا شئت قال أنت أكرم على الله من ذلك ولكنك تبني حوله جدارا مشرفا ثم تملؤه ذهباً وإن شئت ورقا قال داود هو هين

(6/389)

فالتفت الرجل إلى بني إسرائيل وقال هذا هو التائب المخلص ثم قال لداود يا نبي الله لئن يغفر الله لي ذنبا واحدا أحب إلي من كل شيء وهبته لي ولكني كنت أجربكم فأخذوا في بناء بيت المقدس وكان داود عليه السلام ينقل لهم الحجارة على عاتقه وكذلك خيار بني إسرائيل حتى رفعوه قامة فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إن هذا بيت مقدس وإنك رجل سفك للدماء فليست بانيه إذا لم أقضي ذلك علي يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضي إتمامه على يده وذلك صيته وذكره لك بإقيا فصلوا فيه زمانا وداود يومئذ ابن سبع وعشرين ومئة سنة فلما صار من أبناء أربعين ومئة سنة توفاه الله واستخلف سليمان فأحب بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحها له فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ريبضا وأنزل كل ريبض منها سبطا من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتداء في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها وفرقا يأتونه بالمسك والعنبر فأتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناعين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحاً وإصلاح تلك الجواهر وثقب البواقيت والآلئ فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان تلك الأصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يا رسول الله ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر علما من صخر العفريت فأرسل إليه من يأتيك به فطبع سليمان خاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان إذا طبع أحدهما بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد جني ولا شيطان إلا

انقاد له بإذن الله عزت قدرته فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه وهو في بعض جزائر البحور فأروه الطابع فلما نظر إليه كاد يصعق خوفا فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان عليه السلام فسأل سليمان رسله عما أحدث العفرية في طريقه فقالوا يا رسول الله إنه كان يضحك بعض الأحيين من الناس فقال له سليمان عليه السلام ما رضيت بتمردك علي في ترك المجيء إلي طائعا حتى صرت تسخر بالناس فقال يا نبي الله إني لم أسخر منهم غير أن ضحكي كان تعجبا مما كنت أسمع وأرى في طريقي فقال سليمان وما ذاك قال اعلم أني مررت برجل على شط نهر ومعه بغلة يريد سقيها ومعه جرة يريد أن يستقي فيها فسقى البغلة وملا الجرة ثم أراد أن يقضي حاجته فشد البغلة بإذن الجرة فنفرت البغلة وجرت الجرة فكسرتها فضحكت من حمق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة ومررت برجل وهو جالس عند إسكاف يستعمله في إصلاح خف له فسمعتة يشترط معه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسي نزول الموت به قبله فضحكت من غفلته وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمر السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن في موضع فراشها ذهب كثيرا في الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت فراشها ذهب كثير لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس عن أمر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وقد كان به داء فيما قيل فأكل البصل فبرأ من دائه فصار يتطبب للناس فكان لا يأتيه أحد يسأله عن علة إلا أمره بأكل البصل وإنه لأضر شيء حتى إن ضره ليصل إلي الدماغ فضحكت منه ومررت ببعض الأسواق فرأيت الثوم وهو أفضل الأدوية كلها يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو أحد السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت من ذلك ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون إلى الله تعالى ويسألونه المغفرة والرحمة فملي منهم قوم وقاموا وجاء آخرون وجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم فأخطأت الذين كانوا من أهل المجلس وغشيت الذين جاؤوا فجلسوا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر

قالوا فقال سليمان له هل عرفت في كثرة تجاربك وجولاتك في البر والبحر شيئا تنحت به هذه الجواهر فتلين فيسهل نحتها وثقبها فلا تصوت فقال نعم يا نبي الله أعرف حجرا أبيض كاللبن يقال له السامور غير أني لا أعرف معدنه الذي هو فيه وليس في الطير شيء هو أحيل ولا أهدى من العقاب فمر بعقاب أن تجعل فراخه في صندوق حجر معه ليلة ثم تسرح ذلك العقاب وتترك فراخه في الصندوق فإنه سيأتي بذلك الحجر فيضرب به ظهر الصندوق حتى ينقبه به ليصل إلى فراخه قال فامر سليمان بعقاب مع فراخه فجعله في صندوق من حجر يوما وليلة ثم سرح العقاب دون الفراخ فمر العقاب وجاء بذلك الحجر بعد يوم وليلة وثقب به الصندوق حتى

وصل إلى فراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى أتوه به منه قدر ما علم أن فيه كفاية واستعمل ذلك في أدوات الصناعات فسهل عليهم نحتها من غير تصويت وهو الحجر الذي يستعمل في نقش الخواتيم وثقب الجواهر إلى اليوم وهو حجر عزيز ثمين قال فبنى سليمان عليه السلام المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللاكيء واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروز فلم يكن يومئذ بيت في الأرض أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أخيار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله وأن كل شيء فيه خالص لله واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً وقالوا من أعاجيب ما اتخذ سليمان عليه السلام بيت المقدس أن بنى بيتاً وطين حائطه بالخضرة وصقله فكان إذا دخله الورع البر استبان خياله في ذلك الحائط أبيض وإذا دخله الفاجر استبان فيه خياله أسود فارتدع عند ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا أبنوس فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم يضره مسها ومن مسها من غيرهم احترقت يده وروى الأوزاعي عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الله الثالثة سألته حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه وسألته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسألته أن لا يأتي هذا البيت أحد يصلي فيه ركعتين إلا خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام حتى غزا نبوخذ نصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر فحملة معه إلى

(6/393)

دار مملكته من أرض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبي داود إلا فتحت الأبواب ففتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا والله يعبد فيها وتمثيل أي صور كانوا يعملون التماثيل من نحاس وصفر وشبهه وزجاج ورخام في المساجد تماثيل الملائكة والنبیین الصالحين لكي إذا رآهم الناس مصورين عبدوا عبادتهم وجفان أي قصاع واحدها جفنة كالجواب كالحياض التي يجبي فيها الماء أي يجمع واحدها جابية قال الأعشى ميمون بن قيس تروح على آل مخلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق أخبرنا أبو بكر الحمشاوي قال أخبرني أبو بكر القطيعي إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا سهل السراج قال سمعت الحسن يقول وجفان كالجواب مثل حياض الإبل ويقال إنه كان يجتمع على جفنة واحدة ألف رجل يأكلون بين

يديه وقدور راسيات ثابتات لا يحولن ولا يحركن من أماكنهن لعظمتهن ولا ينزلن ولا يعطلن وكانت باليمن ومنه قيل للجبال رواسي اعملوا أي وقلنا اعملوا آل داود شكرا مجازة اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على نعمه و شكرا في محل المصدر وقليل من عبادي الشكور أرسل حمزة الياء وفتحها الباقون قال القرظي الشكر تقوى الله والعمل بطاعته وحدثنا عن محمد بن يعقوب قال حدثنا الحصر بن أبان قال حدثنا سيار قال حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتا يقول كان داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن بأي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فعمهم الله تعالى في هذه الآية اعملوا آل داود شكرا فلما قضينا عليه الموت قال المفسرون كان سليمان عليه السلام يتحرز في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه

(6/394)

وشرايه فأدخله في المرة التي مات فيها وكان بدو ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لها لأي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فإن كانت نبتت لغرس عرسها وإن كانت لدواء كتب فيبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروبة قال ولأي شيء نبتت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب

(6/395)

وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وإنهم يعلمون ما في غد ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات قال ابن زيد قال سليمان لملك الموت إذا أمرت بي فاعلمني قال فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقيت لك سبعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه وفي رواية أخرى أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه قد أتاني الله من الملك ما ترون وما مر علي يوم في ملكي بحيث صفا لي من الكدر وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي إلى الليل ولا أغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصره له وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الأخبار إليه لئلا يسمع ذلك اليوم شيئا يسوؤه ثم أخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره واتكأ على عصاه ينظر في ممالكه إذ نظر إلى شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب من جوانب قصره فقال السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام كيف دخلت هذا القصر وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتني حيث دخلت قصري بغير إذني فقال أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني بواب

ولا أهاب الملوك ولا أقبل الرشا وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن قال سليمان فمن أذن لك في دخوله قال ربه فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال فبم جئت قال جئت لأقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لي ولا أسمع فيه ما يغمني قال يا سليمان إنك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه ذلك اليوم لم يخلق في أيام الدنيا فارض بقضاء ربك فإنه لا مرد له قال فامض لما أمرت به فقبض ملك الموت روحه وهو متكى ء على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومصلاه أينما كان فكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه وكان الشيطان الذي يريد أن يخرج يقول ألسنت جليدا إن دخلت فخرجت من

(6/396)

ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوق في البيت فلم يحترق فنظر إلى سليمان وقد سقط ميتا فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا مذكم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات من سنة وكانت الجن تعمل بين يديه ينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينظرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك وهي في قراءة ابن مسعود فمكتوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ثم إن الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكننا سننقل إليك الطين والماء فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت قال ألم تر إلى الطين الذي يكون فوق الخشب فهو مما يأتيها به الشياطين تشكرا لها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض وهي الأرضة ويقال لها القادح أيضا وهي دويبة تأكل العيدان تأكل منسأته أي عصاه فأصلها من نسات الغنم إذا زجرتها وسقتها وقال طرفة أمون كألواح الأران نساتها على لاحب كأنه ظهر برجد أي سقتها وهمزها أكثر القراء وترك همزها أبو عمرو وأهل المدينة وهما لغتان وقال الشاعر في الهمز ضربنا بمنسأة وجهه فصار بذاك مهينا ذليلا وقال الآخرون في ترك الهمز إذا دببت على المنسأة من هرم فقد تباعد عنك اللهو والغزل قوله فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين و أن في محل الرفع لأن معنى الكلام فلما خر تبين وانكشف أن لو كان الجن أي ظهر أمرهم وفي قراءة ابن مسعود أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين

(6/397)

وقيل أن في موضع نصب أي علمت وأيقنت الجن أن لو كانوا يعلمون وقال أهل التاريخ كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة وكان مدة ملكه أربعين سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضي من ملكه والله أعلم

لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشى ء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجزي صلى الله عليه وسلم إلا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما ءامين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلمو صلى الله عليه وسلم أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شى ء حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من السماوات والارض قل الله وإنآ أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم قل أرونى الذين ألحقتهم به شركاء كلاب هو الله العزيز الحكيم قوله تعالى لقد كان لسبأ روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك الغطيفي قال قال رجل يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما كان رجلا أو امرأة أو أرضا أو جبلا أو واديا فقال صلى الله عليه وسلم ليست بأرض ولا امرأة ولكنه كان رجلا من العرب ولد له عشرة من الولد فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة

(6/398)

فأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وأنمار وحمير فقال رجل وما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة وأما الذين تشاءموا فعاملة وجدام ولخم وغسان والإجراء وترك الإجراء فيه سائغ وقد قرى ء بهما جميعا فالإجراء على أنه اسم رجل معروف وترك الإجراء على أنه اسم قبيلة نحو هذه تميم واختاره أبو عبيد لقوله في مساكنهم واختلف القراء فيه فقرأ حمزة والنخعي مسكنهم بفتح الكاف على الواحد وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي وخلف بكسر الكاف على الواحد الباقيون مساكنهم جمع آية دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسرها فقال جنتان أي هي جنتان بستانان

(6/399)

عن يمين من أتاها وشمال وعن شماله كلوا وقيل لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له على ما أنعم عليكم وإلى ها هنا تم الكلام ثم ابتدأ فقال بلدة أي هذه بلدة أو بلدتكم بلدة طيبة ليست بسبخة قال ابن زيد لم يكن يرى في

بلدتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وإن كان الركب
ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب فما هو إلا أن ينظروا لى بيوتهم فتموت
الدواب وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين
يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفواكه ولم يتناول منها شيئاً بيده فذلك
قوله سبحانه بلدة طيبة الهواء ورب غفور الخطأ كثير العطاء قوله تعالى
فأعرضوا قال وهب بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله
وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة
فقولوا لربكم الذي تزعمون فليحبس هذه النعمة عنا إن استطاع فذلك قوله
عز وجل فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم والعرم السد والمسناة التي
تحبس الماء واحدها عرمة وأصلها من العرامة وهي الشدة والقوة وقال ابن
عباس ووهب وغيرهما كان هذا السد يسقي جنتيهم وكان فيما ذكر بنته بلقيس
وذلك أنها لما ملكت جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم فجعلت تنهاهم فلا
يطيعونها فتركها ملكها وانطلقت إلى قصر لها فنزلته فلما كثر الشر بينهم
وندموا أتوها فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها فأبت فقالوا لترجعي أو لنقتلنك
فقال إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول قالوا فإننا نطيعك فإننا لم نجد فينا
خيرا بعدك فجاءت فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير
فسدت ما بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض
وبنت من دونه بركة ضخمة فجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة أنهارهم
فلما جاء المطر اجتمع إليه ماء الشجر وأودية اليمن فاحتبس السيل من وراء
السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة وأمرت بالبعر فألقي
فيها فجعل بعض البعر يخرج